



مجلَّة إسْلاميَّة علميَّة محكَّمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

(تصدر كل ستة أشهر مؤقتًا)

العدد الخامس والثلاثون خاص بالمؤتمر الدولي معالم الأمن الفكري

عند الإمام البخاري في صحيحه

١٤٤٢/٣/١ هـ. - ٢٠٢٠/١٠/١٨م.

رئيس التحرير والمدير المسؤول

فضيلة الشيخ أ.د: سعد الدين بن محمد الكبي

مدير التحرير

فضيلة الشيخ الدكتور: محمود بن صفا الصياد العكلا

المراسلات: لبنان - طرابلس ص.ب 208

تلفاكس: 009616471788

:بريد إلكتروني

albahs_alalmi@hotmail.com

الحوالات المصرفية باسم

مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة - لبنان - طرابلس

حساب رقم: *13903*

الموقع الالكتروني:

boukharysrc.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر في المجلة

إتاحة في الفرصة للإفادة من أبحاث العلماء والباحثين، فإن إدارة المجلة ترحب بنشر الأبحاث وفق الشروط التالية:

١ - أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية، أو قضية من القضايا الإسلامية النازلة.

٢ - أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي، وفق قواعد وأسس البحث العلمي، مع التوثيق وعزو المصادر، وتخريج الآيات والأحاديث.

٣ - أن يكون البحث جديداً غير منشور سابقاً، ولا مستلًا من رسالة الباحث العالمية - الماجستير -، أو العالمية العالية - الدكتوراه -.

٤ - أن لا تقل عدد صفحات البحث عن ١٦ صفحة، ولا تزيد عن ٤٨ من حجم الورق (A4) مقاس الكلمة (١٦).

٥ - إرسال البحث على عنوان المجلة في قرص مدمج على برنامج: (Microsoft-Word). وبخط: (Traditional Arabic).

٦ - إرفاق ملخص عن البحث باللغة الإنكليزية، ولا يزيد عن صفحتين.

٧ - إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية، مع كتابة العنوان بالتفصيل.

٨ - يخضع البحث قبل نشره للتحكيم، ويتمّ إبلاغ الباحث بالنتيجة.

ملاحظات

١ - لا يلزم من تسليم البحث وإيصاله إلى إدارة المجلة اعتماده ونشره.

٢ - لا تلتزم إدارة المجلة بإعادة البحث الذي لم ينشر إلى كاتبه.

٣ - إن نشر البحث في مجلة البحث العلمي، لا يعني بالضرورة تبنِّيه، ويبقى تعبيراً عن رأي كاتبه.

مجلة البحث العلمي الإسلامي

عدد خاص بالمؤتمر الدولي معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه - نظمته أكاديمية الإمام البخاري الدولية - لبنان

برعاية

سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية

الشيخ القاضي عبد اللطيف دريان

حفظه الله

أبحاث المؤتمر الدولي:

معالم الأمن الفكري

عند الإمام البخاري في صحيحه

تنظمه:

أكاديمية الإمام البخاري الدولية

المؤتمر الدولي

معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه

تنظمه أكاديمية الإمام البخاري الدولية

- أمين عام المؤتمر : سماحة القاضي الشيخ سمير كمال الدين
- رئيس المؤتمر : سماحة المفتي الشيخ زيد محمد بكار زكريا
- مدير المؤتمر : أ.د. سعد الدين محمد الكبي
- رئيس اللجنة العلمية : أ.م.د. محمود صفا الصياد العكلا
- رئيس اللجنة التنظيمية : فضيلة الشيخ سامر شحود

مقدمة

لما كانت السنة النبوية المصدرَ الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، واستمداد المفاهيم العقدية والمنهجية.

ولما كان صحيح الإمام البخاري يعدُّ من أصح الكتب المصنفة في السنة النبوية ، والتشكيك فيه يفتح الباب واسعاً للّعب بالسنة النبوية ، وإسقاط أهم مصدر من مصادر استمداد مناهج الأمن الفكري ، ومعالم الوسطية والاعتدال.

لذلك كان الاهتمام به ، بمدارسة أحاديثه ، وتفهّم أبوابه وتراجمه ، وتظهير المعالم المنهجية ، والمفاهيم العقدية المنقولة فيه ، من أهم الأعمال العلمية لتأصيل ورسم معالم المنهج العلمي لأهل السنة والجماعة ، مقارنة مع مدرَستَيِ الإفراط والتفريط في الأمة: الخوارج والمعتزلة.

إشكاليات المؤتمر:

يجيب المؤتمر على الإشكاليات التالية:

- ماهي منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية . وهل يصح التشكيك فيه ، وما هو أثر ذلك على الأمن الفكري.

- هل أصّل الإمام البخاري في صحيحه مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة.
- وهل رد على الخوارج المكفرة الذين لايزالون يظهرون إلى آخر الزمان.
- ومـا هـو مفهوم الإرجاء، والفكر الاعتزالي من خـلال الأحاديث والآثار المخرّجة في صحيح الإمام البخاري.
- وهـل يمكـن التوصل إلى رسم محـدّدات ومهدّدات الأمن الفكري مـن صحيح الإمام البخاري.
- ومـا هـي جهود الإمام البخاري في الحفاظ على الأمن الفكري، والمنهج العلمي لأهل السنة والجماعة.
- وهـل يمكـن أن نستمد معالم الوسطية والاعتدال من أصحّ الكتب المصنفة في السنة النبوية، لئلا تتجاذبنا الأهواء والآراء.

محاور المؤتمر:

١. منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية ودحض شبه المشككين وأثره في الأمن الفكري.

٢. تأصيل مفهوم الإيمان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري.

٣. تأصيل محددات الأمن الفكري ، ومهددات الأمن الفكري في صحيح الإمام البخاري.

٤. جهود الإمام البخاري في الرد على الخوارج والمعتزلة المكفرة.

٥. جهود الإمام البخاري في الرد على المرجئة.

٦. جهود الإمام البخاري في التحذير من الابتداع في الدين المخل بالأمن الفكري.

٧. معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه.

أعضاء اللجنة العلمية:

رئيس اللجنة العلمية	أ. م. د. محمود صفا الصياد العكلا
أ.م.د. بشار حسين العجل	جامعة الجنان
د. عبد الرحمن العصيمي	الرياض
د. شوقي نذير	مركز أمين عقال الجامعي – الجزائر

د. أحمد حنفيش الحمد	الكويت
د. وسيم عصام شبلي	لبنان
د. وسيم الخطيب	لبنان
فضيلة الشيخ سامي سعيد بكور	أكاديمية الإمام البخاري الدولية
د. أحمد إبراهيم الحاج	لبنان
فضيلة الشيخ يوسف عبد الحليم طه	أكاديمية الإمام البخاري الدولية

المحور الرابع:

المحور الخامس:

الافتتاحية

بقلم: رئيس التحرير

الحمـد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...،

فهـذا المؤتمر الدولي الثالث الـذي نظمته أكاديمية الإمام البخاري الدولية في لبنان. وهو بعنـوان: معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه.

يهدف المؤتمر إلى تحقيق أمرين اثنين:

الأول: الدفـاع عن أعظـم مصدر من مصادر السنـة النبوية - بعد القرآن - عند المسلمين.

الثاني: إبراز ما في هذا المصدر من معالم الأمن الفكري الموجودة في كثير في كتب وأبواب الصحيح ، مثل: كتاب الإيمان، والعلم، والاعتصام بالسنة، والتوحيد، والفتن، والحِيَل، وغيرها من الكتب.

لقد استطاع هذا الإمام أن يجمع السنة النبوية الصحيحة المتصلة السنـد برواية العدل الثقة الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذٍ ولا عِلَّة.

كمـا استطـاع أن يستخـرج لفقهـاء أهل الحديـث ثـروةً فقهيةً من استنباطاته التي حيَّرت العلماء لدقة فهمه رحمه اللّه.

لذلك، جاء كتابه يجمع إلى تدوين السنة ، الفقهَ والاستنباط ، فكان بحـق كتابَ فقـه، لكنه فقهُ حديثٍ وسنةٍ لا فقـهَ رأيٍ وقياس ، وإن كان فيه أقيسـة صحيحةً، حيث بـوَّب باب (من شبَّه أصلاً معلومـاً بأصلٍ مبين قد بيّن اللّه حكمهما ليفهم السائل)[1].

(١) انظر الأحاديث رقم (٧٣١٥ و ٧٣١٤)

كما يعتبر كتابُه مرجعاً للفقهاء المجتهدين، لا المقلِّدة ولا الجاهلين.

وبالرغم من محاولة بعض أهل الزيغ، الطعنَ بصحيح الإمام البخاري، لجهلهم بطريقته وأسانيده، ورجاله، وكيف روى عنهم، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل – وهم كما قال القائل:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فما ضرَّها وأوهى قرنه الوعِلُ

وتأتي هذه الأبحاث، لتضيف إلى المكتبة الإسلامية أبحاثاً في الدفاع عن صحيح الإمام البخاري، وبيان ما فيه من معالم الأمن الفكري للحفاظ على صفاء العقيدة الإسلامية، وسماحة الشريعة، حيث بيّن مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وردَّ على الخوارج والمعتزلة المكفّرة، كما ردَّ على المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب.

ونحن إذ ننشر أبحاث المؤتمر الدولي «معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه» نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ القاضي عبد اللطيف دريان على رعايته للمؤتمر.

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أمين عام المؤتمر سماحة القاضي الشيخ سمير كمال الدين ، ورئيس المؤتمر سماحة المفتي الشيخ زيد زكريا على جهودهم الكريمة.

والشكر موصول إلى رئيس وأعضاء اللجنة العلمية والأساتذة الدكاترة الباحثين لمشاركاتهم القيّمة التي أثرت المؤتمر وأوصلته إلى النتائج والتوصيات المهمة.

وختاماً، نسأل الله أن ينفع بهذه الأبحاث العلماء وطلاب العلم والمثقفين وعموم المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحور الأول:

منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية،
ودحض شبه المشككين، وأثره في الأمن الفكري

د. إيمان عبدالرحمن المشموم

أستاذ الدراسات الإماراتية المساعد بكليات التقنية العليا بدولة الإمارات العربية المتحدة – دبي
قسم الدراسات الإماراتية واللغة العربية

التشكيك في منزلة الإمام البخاري وصحيحه ومدى تأثيره على الأمن الفكري

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد،

فلقد أصبحت البلدان الإسلامية والعربية اليوم تواجه ظاهرة خطيرة جدًا، حيث أصبح شبابها يعيش حالة من الفراغ الفكري المفزع، الذي هيأ بدوره ظهور وتنامي ظاهرة التطرف الفكري واستفحاله بينهم، فحولوا الواقع المجتمعي السلمي إلى واقع مبني على التفجيرات والاغتيالات واستباحة الأموال والأعراض والدماء، وفتحوا ثغرات خطيرة تتسلل منها فتن تهدّد أمن المجتمعات فطالت مصادر التشريع الإسلامي التي نستمد منها مفاهيم ديننا الإسلامي كالسنة النبوية وما جاء على إثرها من انتقاد لكتب التراث الديني، والتشكيك في أهم مصنفاتها كصحيح البخاري وفي مؤلفه كالإمام البخاري، عُدَّ مزلقاً خطيراً وذريعة كبرى بحاجة إلى سد. ومن هنا جاء تسليط الضوء على معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري وفي صحيحه خطوة هامة لحماية التراث الديني وتحقيق الأمن والسلم الاجتماعي وحل استراتيجي لحماية المجتمعات من تلك الانحرافات الفكرية، والحيلولة دون امتداد التطرف.

وبناءً على مبادرة أكاديمية الإمام البخاري الدولية بالتعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الإسطرلاب الدولية بتنظيم وعقد: المؤتمر الدولي المحكَّم بعنوان: معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه، فإنه من دواعي سروري أن أشارك في هذا المؤتمر ببحث متواضع، يتعلق بمحوره الأول: منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية، ودحض

شبـه المشككيـن وأثره في الأمن الفكـري، والذي وسمته بـ: «التشكيك فـي منزلة الإمام البخاري وصحيحـه ومـدى تأثيره على الأمــن الفكري»، سعيًا إلـى تأصيل هذا البحث بجميـع ما قرره أهل الاختصاص والخبـرة والمعرفة في مجـال الأمن الفكري عند الإمام البخـاري بدحض الشبهات المثاره حوله وصحيحه.

أهمية البحث:

إن التشكيك في كتب التراث الديني وانتقادها على وجه العموم، وإثارة الشبهات حول منزلة الإمام البخاري وفي صحيحه من السنة النبوية على وجه الخصوص يعد مزلقاً خطيراً لهدم أحد أساسيـات السنــة النبوية. غير أن المنتقدين يرون أن فـي انتقادهم يفتحون مجالاً للعقل البشري ليتبـوأ مكانة السيادة بتمحيصـ كتب التراث الديني، وكشف الستار عمـا ورد فيها من مناقضات للعقـل والقرآن، وتسليط الضوء على أكثرها جدلاً على مر التاريخ وهو مصنف: «صحيح البخاري» ومؤلفـه الإمام البخـاري، ومن هنا جاءت أهمية بيـان منزلة هذا الإمام والشبهـات المثارة حول مصنفه، سعياً لتحقيق الأمن الفكري وسيادته في المجتمع.

أهداف البحث:

تحديد الأطار العام للأمن الفكري، ومدى إمكانية تحقيقه، والوقوف على أهم معوقاته.

السرد المبسط لمناقب الإمام البخاري عند العلماء وبيان منزلته من السنة النبوية.

بيان الشبهات المثارة حول صحيح البخاري وكيفية دحضها وتفنيدها.

الإشارة إلى مدى تأثير التشكيك في منزلة الإمام البخاري وصحيحه في إعاقة تحقيق الأمن الفكري.

مشكلة البحث:

ممـا لا شك فيه أن تحقيق الأمن بالنسبة للفرد ينعكس تلقائيًا على المجتمع، فإن لم يتحقق الأمـن الفكري للأفراد لم يعد يملـك الحصانة الفكرية اللازمة ضد التيارات الفكرية المنحرفة، ممـا يؤدي إلى الوقوع في مهاوي الانحرافات، وتفشـي الفوضى والاضطراب، وعطفًا على ما سبق فـإن مشكلـة البحث تتلخص في: محاولة التعرف على كل ما مــن شأنه أن يهدد الأمن الفكري من خـلال الوقوف على المشككات في منزلة الإمام البخـاري والشبهات المثارة حول أهم مصنفاته، وبيان أساسها من الصحة، فينجلي تأثيرها على تحقيق الأمن الفكري من عدمه.

أسئلة البحث:

يدور البحث حول سؤال هام وهو: ما هو الأمن الفكري ، وما مدى تأثره بالمشككات والشبهات المثارة حول الإمام البخاري وصحيحه؟

وللإجابة عن هذا السؤال المحوري يجب توضيح: معنى الأمن الفكري؟ وكيف يمكن تحقيقه؟ ومن ثم بيان منزلة الإمام البخاري من السنة النبوية ومكانته؟ وما هي الشبهات المثارة حوله وصحيحه؟ وهل لهذه الشبهات دور في إعاقة تحقيق الأمن الفكري من عدمه؟

فرضيات الإجابة: الأمن الفكري هو حماية فكر المجتمعات من كل ما من شأنه أن يؤدي إلى زعزعته، كالتشكيك في أهم الأئمة الناقلة لأحاديث السنة النبوية وهو: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري مؤلف لأحد أهم مصنفات السنة النبوية «صحيح البخاري»، وقد لاقا الاثنان حملة من الانتقادات الشرسة والمشككة التي تحتاج إلى توضيحها، وبيان مدى صحتها تأثيرها في إعاقة تحقيق الأمن الفكري.

المنهج المتبع في البحث:

جمع المادة العلمية من المصادر الأصلية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ لمناسبته لموضوع البحث، حيث يتم وصف الظاهرة ثم تحليلها، وأخيرًا التعقيب عليها بالاستنتاجات المناسبة، علمًا بأن الدراسة جاءت دراسة نظرية مكتبية كيفية وليست كمية، وذلك لانعدام الوقت الكاف التي تتطلب لمزيد من الوقت.

الرجوع إلى ما سبق من دراسات في هذه الظاهرة؛ لتظهر الدراسة معتمدة وموثقة بشكل علمي مفيد.

ذكرت جملة من التوصيات في نهاية البحث قبل رصد المصادر والمراجع.

رصدت المصادر والمراجع هجائي ابتداءً باسم الكتاب، ثم اسم المؤلف.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: الأطر العامة للأمن الفكري ومحدداته ومعوقات تحقيقه.

المبحث الثاني: منزلة الإمام البخاري وصحيحه من السنة النبوية الشريفة.

المبحث الثالث: الشبهات المثارة حول الإمام البخاري وصحيحه وسبل دحضها.

المبحث الأول:

الأطر العامة للأمن الفكري ومحدداته ومعوقات تحقيقه

أولًا: مفهوم الأمن الفكري:

- **الأمن لغة:**

الأمن ضد الخوف، وهو حالة نفسية، والفرد والمجتمع يكون خائفًا أو آمنًا، نسبة لما يعترض له من تهديد في نفسه، أو ماله، أو عرضه، أو عقله. والأمن يعني: الاستقرار والاطمئنان.[١]

الأمن اصطلاحًا:

توجد عدة تعريفات للأمن اصطلاحًا منها:

الحالة التي يكون فيها الإنسان محميًا ضد خطر يهدده، أو إحساس يتملك الإنسان للتحرر من الخوف.

وقيل هو: هو إحساس الفرد والجماعة البشرية بإشباع دوافعها العضوية والنفسية.

ومنهم من عرَّفه بأنه: توفير قدر كافٍ من الإجراءات التي يمكن أن يتحقق بها الشعور بعدم الخوف أو الفزع، من أي تهديد للفرد أو الأمة، ويوفر الوقاية من الأخطار، وحماية أراضي الدولة من أي اعتداءات خارجية، أو تدخلات أجنبية، واستقلال القرارات السياسية على أراضيها في كل الأحوال.[٢]

وأرى أن التعريفين الأول والثالث أقرب إلى معنى الأمن المراد تسليط الضوء عليه في الدراسة حيث ركز الأول على: توضيح أن الأمن كونه شعور الإنسان الداخلي الذي يجعله محميًا من أي خطر خارجي وهو ما يتأتى في معنى الطمأنينة. والثاني: على الإجراءات التي يمكن أن يتبعها الفرد بعد تحقق شعوره الداخلي كذلك بالقدر الكافي من الطمأنينة والأمان اللذان يوفران له الوقاية من الأخطار الخارجية.

أما التعريف الثاني: فقد ركز على أن الأمن هو إحساس الفرد بإشباع الدوافع، وإشباع الدوافع قد لا يكون من ناحية أمنية، فحاجات البشر متعددة ومختلفة لا تقتصر على الجانب الأمني.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٢١/١٣.

(٢) ياسين: العولمة والأمن، ٦٠.

- **مفهوم الفكر:**

الفكر لغةً:

الفــاء والكاف والراء: تردد القلب فــي الشيء. يقال تفكر: إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجل فكِّير: كثير الفكر[١]، والفكر بالكسر: إعمال النظر في الشيء، وهو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفــة مجهــول، ويقال لي في الأمر: فكــر نظر ورؤية، وما لي في الأمر فكــر: ما لي فيه حاجة ولا مبالاة.[٢]

الفكر اصطلاحاً:

عرَّف البعض بأنه: مجموعة الرؤى العقلية حول موضوع معين، وذلك يشمل: القيم والعقائد والمعرفــة الإنسانية، التي تشكل الفكر نفســه. أداته الرئيسة العقل، ووسيلة التعبير عنه تتركز في مهارتي الحديث والكتابة، فضلًا عن السلوكيات الإنسانية التي تشكل انعكاسًا له.[٣]

- **مفهوم الأمن الفكري:**

يعرف الأمن الفكري بأنه: حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينزل بها أو ينالها أسى. وقيل هــو: وجود قيم وتصــورات تفرز ضوابط سلوكية مــن شأنها أن تشبع الأمن فــي النفوس، وتجافي الجنوح والعنف.

كمــا عرفوه بأنه: عيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين، مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية.[٤]

ويركز بعض الباحثين في تناولهم لمسألة الأمن الفكري على اتجاهات ثلاثة هي:

الاتجــاه الأول: يتمثل بالأمــن الفكري وعلاقته بالممارسة السياسيــة، بما يعنيه من ضرورة توفير الحرية والديمقراطية كشرط أساسي لإطلاق الفكر المبدع.

الاتجاه الثاني: يتناول هذا الاتجاه الأمن الفكري في بعده الديني والحضاري، أي أن مستقبل الأمــن والاستقــرار والتنمية فــي العالم تبقى رهينــة تكريس الحــوار بين الثقافــات والحضارات والأديان، وتكريس التفاهم والتسامح بين الدول والشعوب كافة.

الاتجــاه الثالــث: يرى أصحــاب هذه الاتجــاه بــأن الأمن الفكــري مرتبط بتحقيــق التنمية

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٤٤٦/٤.

(٢) مصطفى: المعجم الوسيط، ٤٥٠.

(٣) عرفة: مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمني، ٣٢/١٤.

(٤) السديس: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، ٧٥.

الاقتصادية، والرفاهية للمواطنين، وأنه كلما توفرت أسباب الرقي الاقتصادي، والتنمية الشاملة، قويت أسس الأمن الفكري لشرائح المجتمع كافة. [١]

وخلاصة القول فإن الأمن الفكري هو: الحفاظ على فكر المجتمع، بكل مقوماته وثوابته، من أي تغيير يطرأ عليه لينال منه، أو يؤدي إلى زعزعته وتفككه وانحرافه.

ثانيًا: محددات الأمن الفكري:

للأمن الفكري العديد من المحددات والمرتكزات ومنها:

أن يكون الأمن الفكري منبثقًا من تعاليم الدين الحنيف، والمعتقدات الإسلامية الراسخة.

أن يتماشى مع مقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيقها للمصالح، ودرئها للمفاسد.

أن يحقق الوسطية والاعتدال بفهم الصحابة الأخيار، والأئمة الكبار.

أن يؤخذ من المصادر الصحيحة، والشأن في ذلك للعلماء.

أن يحقق للأمة وحدتها وتلاحمها.

أن يحافظ على ثقافة الأمة ومكونات أصالتها وقيمها.

أن ينجح في تحقيق هوية الأمة، وإبراز شخصيتها.

أن يكون القائمون عليه مشهودًا لهم بالعلم الصحيح.

أن يسمو بالفرد والمجتمع.

أن يكـون طريقًا حقيقيًـا لتحقيق الأمن بمفهومــه الشامل المتكامل، بعيـدًا عن الازدواجية والفوضى الفكرية. [٢]

ثالثًا: معوقات تحقيق الأمن الفكري:

توجد معوقات كثيرة قد تعترض الطريق نحو تحقيق الأمن الفكري، ومنها:

الابتعـاد عـن شريعة الله تعالــى، واتباع الأهـواء المتفرقة والأفكار المنحرفـة، التي تفضي بطبيعة الحال إلى الاختلاف والتفرق.

إغـلاق منافذ الحوار والمناقشة مع الآخريـن، ومع المخالفين للرؤى الفكري، وعدم إيضاح جوانب الخطأ، والتأزم وأسباب الجنوح والانحراف فيها.

(١) المرعول: الأمن الفكري ودور المؤسسات المجتمعية في تحقيقه، ٢٨.

(٢) السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، ٧٨.

الابتعـاد عـن علماء الأمـة المعتبرين، وتـرك الاقتداء بهـم، وعد الأخذ بعلمهـم ومنهجهم واستنباطاتهـم خاصـة في أمور تتعلـق بنوازل الأمة، التـي يحتاج فيها إلى فهـم دقيق وعلم وافر واستنباط سليم.

الإعراض عن العلوم الشرعية، وتعلم العقيدة الصحيحة، ووجود الخلل في مناهج التعليم.[١]

المبحث الثاني:

منزلة الإمام البخاري وصحيحه من السنة النبوية الشريفة.

أولاً: منزلة الإمام البخاري من السنة النبوية:

اسمه وكنيته ونسبه ومولده ووفاته: [٢]

هـو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيـرة البخاري. يكنى بأبي عبدالله. ولد فـي يـوم الجمعة، لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال، سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ عن عمر ناهز ٦٢ عاماً، ودفن بحرتنك.

ورعه وتواضعه وتمسكه بالسنة:

كان الإمام البخاري ورعاً في مسالكه سواء في معاملته للناس أو في علمه. ذات مرة قال لأبي معضر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال من أي شي؟ قال: رويت حديثاً يوماً ما، فنظرت إليك قد أعجبت، وأنك تحرك رأسك ويديك، فتبسمت من ذلك، فقال: أنت في حل، يرحمك الله يا أبا عبدالله [٣]، فمجرد تبسمه، فيه دلالة على خشيته وتقواه وورعه ومحاسبته لنفسه.

أما عن تواضعه: فقد كان لين الجانب، يقوم بمهامه بنفسه دون تكليف لأحد، وفي ذلك يقول ابـن أبي حاتم: كان أبـو عبدالله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحـد، إلا في القيض أحياناً، فكنـت أراه يقوم في ليلـة واحدة خمسة عشرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً بيده، ويسرّج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. [٤]

---

(١) المرعول: الأمن الفكري ودور المؤسسات المجتمعية في تحقيقه، ٣٠.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٤/٢. وابن عدي: مقدمة الكامل في الضعفاء، ١٣١/١. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٩١/١٢. وابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤١/٩.

(٣) السبكي: الطبقات الكبرى، ٢١٧/٢.

(٤) المزي: تهذيب الكمال، ٤٤٧/٢٤.

وعـن تمسكـه بالسنة: فقد كان مجتهداً في تطبيقها في أعمالـه وأحواله كلها، متأسياً بأئمة السنـة. قـال الإمام أحمد بن حنبل: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمت وأعطيت الحجَّام ديناراً، وكان وكيع بن الجراح يقول: إذا أردت أن تحفظ حديثاً فاعمل به.[١]

ثناء العلماء عليه ومنزلته:

وردت عـن العلماء في ذكـر مناقب الإمام البخاري ما يطول سـرده، ومنه: ما قاله الذهبي: كان رأسـاً في الـذكاء، رأساً في العلـم [٢]، وقال أبو حاتم: لقد حضرت مجلسـ سليمان بن حرب ببغـداد، فعـدُّوا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، وهو شيخ الإمام البخاري، ومع فضله وكماله، كان يقول للبخاري: بيِّن لنا غلط شعبة.[٣]

وقـال إسحاق بـن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث: انظروا إلى هـذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن البصري، لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه [٤]، وقال علي بن المدينـي عندمـا قيل له إن البخـاري يقول: إنه ما تصاغرت نفسه عند أحـدٍ إلا عندك، ردَّ قائلاً: ذروا قوله وهو ما رأى مثل نفسه.[٥]

وفـي قوة حفظه ذُكِر عن ابن عدي أنه قـال: حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. [٦]

ثانياً: منزلة صحيح البخاري من السنة النبوية:

تأليف الصحيح:

رأى الإمـام البخاري رؤيا صالحة دفعته إلى تأليف صحيح البخاري، فقد قال: (رأيت النبي وكأنني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب بها عنـه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنـه الكذب، فهو الـذي حملني إلى إخراج الجامـع الصحيح، وهذا ما أكده فـي نفسه مما سمعه

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٠٩/١١.
(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٥٥٥/٢.
(٣) ابن حجر: مقدمة فتح الباري، ٤٨٢/٢.
(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٧٧/٢.
(٥) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ٦٩/١.
(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٤/٥٢.

مـن شيخـه: إسحاق بن راهويه أنه قـال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيـح سنة رسول الله، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح)[1]

موضوع الصحيح:

بيَّن الإمام البخاري موضوع كتابه الجامع بقوله: (لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر). [2]

شرط البخاري على الصحيح:

شـرط البخـاري أن يخـرج الحديث المتفق على ثقـة نقله إلى الصحابـي المشهور من غير اختـلاف بيـن الثقات الأثبـات، ويكون إسنـاده متصلاً غيـر مقطـوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعـداً فحسـن، وإن لم يكن إلا راوٍ واحد وصح الطريـق إليه كفى. كما أنه لا يرى تحقق اتصال السند بين راويين حتى يثبت اللقاء والسماع بينهما ولو مرة، ما لم يكن الراوي موصوفاً بالتدليس. وقد بالغ البخاري في تحقيق هذا الشرط في صحيحه حتى أنه ربما خرَّج الحديث الذي لا تعلق له بالباب؛ ليبين سماع راوٍ من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً.

ولا يكتفـي بمجرد معاصرة الراوي لمن روى عنه، كما صنع مسلم في صحيحه، ولا يخرِّج ما كان منقطعاً بأي وجه من وجوه الانقطاع كما صنع مالك في موطئه، لذا رُجِّح صحيح البخاري على كتابيهما. [3]

مكانة الصحيح ومنزلته:

ذهـب أهل العلـم إلى كون صحيح البخاري، أصح كتاب في الأرض جمع أحاديث النبي ﷺ، ومال إليه بعض المحدثين وغيرهم من ترجيحه على صحيح مسلم، وليس معناه ترجيحه عليه في كل شـيء، بل هو ترجيـح مقيد بما يرجع إلى حسن سوق مسلم لأحاديـث كتابه، ونجو ذلك مما لا يعد أساساً، كالترجيح بما يرجع إلى قوة الشرط، وقلة النقد، وفقه الأبواب وما إلى ذلك [4]، وقال الحافـظ العقيلـي: (لما ألف البخاري كتاب صحيح البخاري عرضـه على أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحه). [5]

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٢١، مصدر سابق. وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٠١.

(٢) ابن حجر: هدي الساري،٧. وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٧١.

(٣) ابن حجر: هدي الساري، ٩– ١٢.

(٤) ابن حجر: هدي الساري، ١٠.

(٥) ابن حجر: هدي الساري، ١٠.

المبحث الثالث:

شبهات حول الإمام البخاري وصحيحه وسبل دحضها

أثيـرت منـذ سالف العصور والأزمان شبهـات كثيرة حول الإمام وصحيحـه، تشكيكاً وطعناً فيهمـا وبمنزلتهمـا، وسأذكر هنـا بعضاً منها سـواء فيما يتعلـق بشخص الإمام البخـاري أو في صحيحـه، غيـر أني سأذكـر الشبهات أولاً ثم سأبين الـرد عليها وفق الدليل مـا وسعني إلى ذلك سبيل.

خرافـة الأحلام، وفي ذلك ما ذكره المشككون في مـا رواه الإمام البخاري عن سبب تأليفه للصحيـح، من أنـه رأى رؤيا يقول فيها: (رأيت رسول الله وكأنني واقـف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنـه، فسألت بعض المعبرين، فقال لـي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح، قال: وألفته في بضع عشرة سنة). فلو لم يحلم الإمام البخاري بنفسه أنه يذب عن وجه رسول الله الذباب، لضاع الإسلام ولما نعمنا الآن به، إذ الإسلام لا وجود له بدون صحيح البخاري، لمؤلفه محمد بن إسماعيل البخاري.[1]

ويمكن الرد على هذه الشبهة:

بـأن المشككيـن بشبهتهم هذه بينـوا وبجلاء مدى تناقضهـم مع أنفسهم، فهـل شكهم في مصداقيـة الحلم، بمعنى أنهم يعتبرون بالأحلام والرؤى لكنهـم يشككون في هذه الرؤيا تحديداً، فهذا جانب، أم أنهم يعتبرون بالأحلام والرؤى ولكنهم يشككون في مصداقية الإمام البخاري فيما قاله عن رؤياه وهذا جانب ثانٍ.

فـإن الجانـب الأول: فهو مردود بما ثبـت عن السيوطي في تدريب الـراوي [2]: أنه ذكر هذه الحادثة فيما روي عن إبراهيم بن معقل. وأما الجانب الثاني: فهذا مردود بعدم ورود ما يدل عند المحدثيـن مـن عدم صحة ما رواه البخاري عن نفسه، وفي ذلـك دلالة واضحة على مصداقيتها، وإلا لما تناقلها العلماء حتى يومنا هذا.

شراسـة الدفـاع عن الإمام البخاري عند الحديث عنه بشي من النقد، وفي ذلك تقديس له، ورفعـه عن منزلة البشر بشكل أسطوري، واعتباره مـن الأصنام البشرية، وهذا مما هو منهي عنه شرعاً بنص الآية الكريمة: «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون».[3]

---

(١) إيلال، رشيد: صحيح البخاري نهاية أسطورة/٧٩.

(٢) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ١/٤٥.

(٣) الأعراف/٣٣.

ويمكن الرد على هذه الشبهة:

بأنه لم يرد عن العلماء تنزيه للإمام البخاري وتقديسه بما يوصله لمنزلة الألوهية الخارجة عن نطاق الحدود البشرية، ليتم الاستعانة بنص الآية السالفة الذكر للدلالة على تحريم التنزيه والتشبيه بالذات الإلهية؛ إنما كان تمجيدهم له من باب مكانته من السنة الشريفه، وحمله لأمانة عظيمة بنيت عليها اليوم الكثير من الأحكام الفقهية في حياتنا اليومية.

الحفظ الأسطوري للإمام البخاري، إذ كيف لصبي صغير السن أن يحفظ سبعين ألف حديث بتراجمها وأسانيدها، وما قيل في رجالها فرداً فرداً من الجرح والتعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة والضعف، وكل ذلك خرافة من خرافات الزمان، ولا يمكن لعقل بشري سليم أن يقبلها ويصدق بها.

ويمكن الرد على هذه الشبهة:

بأن ما ثبت عن كثير من العلماء الأجلاء ذكر قوة حفظ الإمام البخاري منذ صغر سنه، ومن هؤلاء العلماء: ابن كثير[1]، وابن الصلاح[2]، والبغدادي[3]، والقسطلاني[4]، وغيرهم كثير، فما حاجة هؤلاء العلماء لذكر صفة قوة الحفظ في هذا الإمام الجليل وهي ليست فيه، وعلى اعتبار عدم مصداقيتهم ففي ذلك تكذيب لعلماء أجلاء، أسسوا في علم الحديث والفقه والشريعة ما يبنى عليه اليوم الكثير من الأحكام الفقهية التي تسير عليها أمور حياتنا المعيشية، وهذا مالا يقبله عقل ولا منطق.

تقديس كتاب صحيح البخاري والتجرؤ على مقارنته بكتاب الله، المنزل من لدنه الحكيم على أشرف خلقه، والمفاخرة بدون حياء أنه أصح كتاب بعد كتاب الله، فكيف لكتاب بشري فيه ما فيه من الأخطاء أن يقارن ويساوى بالكتاب السماوي، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[5]، وعليه فإن الآية تنص على أن الكتاب الوحيد الذي لا اختلاف فيه هو القرآن الكريم وأن ما سواه من الكتب يدخل فيه الاختلاف ويرد، ويشمل هذا العموم صحيح البخاري.[6]

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٣١/١٤.

(٢) ابن الصلاح: معرفة أنواع علوم الحديث، ٣٧/١.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ٣٢٢/٢.

(٤) القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٤/١.

(٥) النساء/٨٢.

(٦) إيلال، رشيد: صحيح البخاري نهاية أسطورة/١١٠.

ويمكن الرد على هذه الشبهة:

بـأن العلماء القائليـن بصحة كتاب صحيح البخاري لم يقارنوه بكتاب الله تعالى أي بمنزلته ومساواتـه بها، بل قالـوا هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم، كما قال ابـن تيمية: (ليس تحت أديم السمـاء كتـاب أصح من البخـاري ومسلم بعد القـرآن) [1]، وهذا يشير بجلاء إلـى أنهم متفقون بالإجماع وبدون أي اختلاف على عدم وجود أي كتاب بشري يمكن أن يكون بصحة القرآن الكريم أو بمنزلته، وعليه فإن المشككين لا حجة لهم فيما شككوا فيه وشبهتهم خارجة عن محل النزاع.

وبعـد هذه الشبهـات المثارة حول الإمـام البخاري وصحيحه وغيرها كثيـر، ذكرها العلماء فـي كتبهـم وفندوها تفنيداً واسعاً، إلا أنني أود الإشارة إلى أن: الغرض في التشكيك ليس من باب تقديـس الأمة للإمـام البخاري كما يزعم المشككـون، أو تقديس كتابه ومساواتـه بمنزلة القرآن الكريم، إنما هو زعزعة الفكر السليم، وزرع بذور الفتنة. فالمشككون يعلمون يقيناً أن ما أوردوه في كتبهـم من شبهات وافتراءات على الإمـام البخاري وصحيحه ليست إلا أفكار وشبهات هشة يمكن لغيـر الفاهم والدارس العالم أن يرد عليها أيضـاً، لأن السنة النبوية الشريفـة جاءت في حقيقة الأمـر مفسرة لمبهم آيات القرآن الكريم، وبني عليها الكثير من الأحكام الفقهية التي تقوم عليها الحيـاة البشرية، وعلى فرض التسليم بما زعمه المشككون، خاصة فيما يتعلق بصحيح البخاري، وأنـه ليس بأصح كتاب بعد القـرآن الكريم، وعدم ورود إجماع العلماء علـى ذلك، فعلى أي الكتب البشريـة سيتم الاعتمـاد إذاً في بناء الأحكام الشرعية وفي تفسيـر الآيات القرآنية، وكل ما سوى القرآن الكريم سيكون كتاباً قابلاً للطعن والتشكيك به وبمؤلفه.

فالمسألة إذاً ليست في شخص الإمام البخاري ولا في صحيحه، بل هي زعزعة ثقة المسلمين فـي أهم ناقلي السنة النبوية الشريفة، وذلك يفتح الباب أمام المشككين، ويسهل الأمر عليهم في نفث سمومهم ونشرها في المجتمعات الإسلامية أجمع، كما من شأنه أن يكون سبيلاً سهلاً لإعاقة تحقيـق الأمن الفكـري، لأنه سيزرع الشك فـي كل عالم جليل؛ للطعن بـه وبمصنفاته التي لاقتها الأمة بالقبول واعتمدتها في بناء الأحكام الشرعية.

(١) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ٨٦/٥.

الخاتمة

الحمـد لله الـذي وفقني لإتمام هـذا البحث الموجز، والذي أجد نفسي قـد توصلت فيه إلى جملة من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

الأمـن الفكري هو حماية المجتمعات مـن كل ما يطرأ عليها من الأفكار والأهواء المنحرفة، فتؤدي لتفكيكها وزعزعتها.

يبنـى الأمن الفكري للمجتمعات على تعاليم الدين الحنيـف المتماشية مع مقاصد الشريعة المحققة للوسطية والاعتدال.

سـد أبـواب الحوار البنَّـاء والنقاش الشرعي المثمـر، وتزمت المخالفيـن والمنحرفين من أصحـاب الأهـواء والأفكار الشاذة، من شأنه أن يعيق تحقق الأمن الفكـري، مما يؤدي إلى تأزمه، خاصـة وإن كانـت حواراتهـم وأفكارهم تدور في إطـار التشكيك في منزلة علمـاء التراث الديني الأجلاء ومصنفاتهم، التي كان لها الدور البارز في حمل الأمانة العلمية كالإمام البخاري.

تـدور الشبهـات المثارة حـول الإمام البخاري وصحيحـه حول أطر عارية عـن الصحة، ولا تقـوم على أسس علمية ثابتة وممنهجة، وقد لاقت تفنيداً من العلماء المتخصصين ومن سار على نحوهم من باحثي الشريعة المهتمين.

ثانياً التوصيات:

استحـداث أساليـب وتطوير أجهزة، ووسائل لجمع المعلومات حـول مظاهر وصور التطرف الفكري.

حسـن التعامل مـع ظاهر التطرف الفكري علـى اعتبار أنها واقع لا مفر منـه، ووجود جملة التحديات في العصر الحالي قد زاد من عمق المشكلة مما يستلزم الموضوعية في المعالجة.

إخضـاع القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية لـدورات تدريبية مكثفة لاطلاعهم على الجديـد فـي مفهوم الأمن الفكري، وعلى ما يبث في وسائل العولمة المتعددة، لزعزعة الأفكار في الأجيال، وآليات التحصين من ذلك؛ لتوصيلها إلى طلابهم عبر التدريس.

دعـوة المجتمعات الإسلاميـة للنظر في أسباب تفشـي الأفكار المنحرفـة والأهواء الضالة المعينـة على ترسيخ مزعزعات الأمن الفكري، ومن ثم عقد مؤتمرات وحلقات نقاش للوقوف على سبل معالجة هذه الظاهرة والتخلص منها.

دعـوة علماء الشريعـة وباحثيها؛ لتقديم الدروس والمحاضرات حـول الأمن الفكري وكيفية ترسيخه، وأهميته، والتعريف بالأفكار المنحرفة وخطورتها على أمن المجتمع.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم

٢. ابن تيمية، تقي الدين: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٣. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني:

٤. تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥. مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦. هـدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (د. ط)، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

٧. ابـن الصلاح، عثمان بـن عبدالرحمن: معرفة أنواع علوم الحديـث، (د.ط)، دار الكتب العلمية، (د.ت).

٨. ابـن عدي، عبدالله بن عـدي الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجـال، تح: يحيى مختار، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٩. ابـن عساكر، علي بن الحسن الشافعي: تاريخ مدينة دمشـق، تح: محب الدين العمروي، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، (د.ط)، دار هجر للطباعة، (د.ت).

١١. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٢. إيلال، رشيد: صحيح البخاري نهاية أسطورة، ط١، دار الوطن، المغرب، ٢٠١٧.

١٣. الخطيـب البغـدادي، أحمد بـن علي ثابت: تاريـخ بغـداد، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٤. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان.

١٥. تذكرة الحفاظ، تح: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م.

١٦. سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٧. السبكـي، عبدالوهــاب بن علــي بن عبدالكافي: طبقــات الشافعية الكبــرى، تح: محمد عبدالفتاح، ط٢، دار هجر، ١٤١٣هـ.

١٨. السديـس، عبدالرحمن بــن عبدالعزيز: الشريعــة الإسلامية ودورها فــي تعزيز الأمن الفكري، (د.ط)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض، ٢٠٠٥م.

١٩. السيوطــي، عبدالرحمن: تدريب الراوي شرح تقريب النــواوي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٠. عرفة، محمــد السيد: مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمنــي، مجلة: البحوث الأمنية، كلية الملك فهد: الرياض، العدد: ٣٠، ١٤٢٦ه، مج:١٤.

٢١. فارس، زكريا أحمــد: معجم مقاييــس اللغة، تــح: عبدالسلام هــارون، (د.ط) اتحاد الكتاب العرب، بيروت، (د. ت).

٢٢. القسطلاني، أحمد بن محمد: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (د.ط)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، (د.ت).

٢٣. المرعــول، محمد عبدالله: الأمن الفكــري ودور المؤسسات المجتمعيــة في تحقيقه، (د.ط)، مكتبة الفهد الوطنية: الرياض، ٢٠١٠م.

٢٤. المــزي، إسماعيل بن يحي بــن إسماعيل: تهذيب الكمال في أسمــاء الرجال، تح: بشار عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٥. مصطفــى، إبراهيم وآخرون: العجــم الوسيط، تح: مجمع اللغــة العربية، (د.ط)، دار الدعوة، (د.ت).

٢٦. النووي، يحيى بن شرف النــووي: تهذيب الأسماء واللغات، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٢٧. ياسيــن، عبدالرحمــن: العولمة والأمن، (د.ط)، دار طويق للنشــر والتوزيع، الرياض، (د.ت).

أ.د . محمد عبدالرزاق الرعود
أستاذ الحديث الشريف في جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

منزلة صحيح الإمام البخاري في السنة النبوية، ودحض شبه المشككين، وأثره في الأمن الفكري

ملخص

يُعد صحيح البخاري أهم كتاب من كتب السنّة والحديث ، فهو أصحها وأثبتها ، كيف لا وقد فاق رواته -كما قيل -: «القنطرة»، ضبطا وعدالة، أجمع على ذلك خلق كثير من المسلمين، إلا أن هناك من لا يعترف لأهل الفضل بفضله، إما حسداً، أو غيرة، أو لشبهة فكرية، أو مذهب ضال، ونحو ذلك ، فمن مشكك في رواياته، أو في رواته، أو في أصله، أو في عقيدته، وغير ذلك، فجاء هذا البحث بعنوان: «منزلة صحيح الإمام البخاري في السنة النبوية، ودحض شبه المشككين. وأثره في الأمن الفكري» ليسلط الضوء على الإمام البخاري وفضله، والصحيح ومنزلته، ودفع ما أثير حوله من شبهات وشكوك، قديما وحديثا ، ثم ما أثر ذلك في الأمن الفكري، وخلاصة بأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها. وبالله التوفيق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ... وبعد

فإن خدمة الحديث الشريف وعلومه عبادة جليلة، وعمل شريف يرقى بصاحبه إلى درجات العلى عند رب العالمين سبحانه وتعالى ، وخدمة رفيعة للعلم والعلماء وطلبة العلم في كل زمان ومكان، وانتصاراً للحق والخير الذي قلّ ناصروه في هذا الزمان، لا سيما إذا كان ما يتعلق بالدراسة والبحث علم من أعلام السنّة والحديث قلّ نظيره في التاريخ، ألا وهو صاحب صحيح البخاري، الإمام محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله، هذا الجهبذ العظيم الذي قدّم للسنّة والحديث ورجاله خدمة شرعية تاريخية فكرية، غاية في الدقة، والإحكام، والضبط، والسبك العلمي، مما جعل له ولكتابه الصحيح مكانة مرموقة ، ومنزلة عالية ، وحُق له ذلك، من هنا

فـإن انعقاد المؤتمر الدولـي: «معالم الأمن الفكري عند الإمام البخـاري في صحيحه» في رحاب أكاديميـة الإمـام البخاري الدوليـة / لبنان، يأتي في وقـت هو بأمس الحاجة إلـى درء الشبهات، وإماطـة اللثـام عن حقيقة التشكيك فـي الإمام البخاري وصحيحه، ووضـع النقاط على الحروف بهذا الصدد، انتصارا للحق ولهذا الإمام الكبير، وعدم ترك الحبل على الغارب ليدلي كلّ من هبّ ودبّ بدلوه تشكيكا وتشويها لا يخدم إلا أعداء الإسلام والمسلمين.

ولأهميـة هـذا الموضوع جاءت هـذه الدراسـة لتسلط الضـوء على بعض الجوانـب المهمة المتعلقـة بالإمام البخاري وصحيحه، اذ وسمت هذا البحث بـ: «منزلة صحيح الإمام البخاري في السنة النبوية، ودحض شبه المشككين. وأثره في الأمن الفكري».

مشكلة الدراسة: جاءت هذه الدراسة لتجيب على الأسئلة التالية:

من هو الإمام البخاري؟؟ وأين ومتى ولد وتوفي؟؟

ما منزلته بين أهل العلم، لا سيما أهل الحديث والسنّة المشرفة ؟؟

كيف جمع البخاري صحيحه؟؟ وما هي شروطه في الصحيح؟؟؟

ما هي الانتقادات العلمية التي وجهت للبخاري وصحيحه قديما وحديثا؟؟؟

ما هي الشبهات التي وجهت للبخاري وصحيحه؟؟ وما الرد عليها؟؟؟

ما هي معالم الأمن الفكري عند البخاري في صحيحه؟؟

الدراسات السابقة: هناك دراسات وأبحاث علمية تتعلق بموضوع بحثنا، أذكر منها ما يلي:

منهـج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلهـا، من خلال الجامع الصحيح، إعداد: أبو بكر كافي، دار ابن حزم.

إعـلاء البخاري، تثبيـت مكانة الإمام البخـاري وصحيحه من خـلال رد الشبهات حولهما، عبدالقادر بن محمد جلال، ط١/٢٠١٨ م، دار سلف للطباعة والنشر.

حيـاة البخاري، محمـد جمال الديـن القاسمي، تحقيق محمـود الأرنـاؤوط، دار النفائس، ط١/١٩٩٢ م. دار النفائس، ط١/١٩٩٢ م.

عـادات الإمام البخاري في صحيحه، عبدالحق بـن عبدالواحد الهاشمي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الشؤون الفنية، الكويت، ط١/ ٢٠٠٧ م.

المبحث الاول : الإمام البخاري وصحيحه، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإمام البخاري ومكانته العلمية .

المطلب الثاني : صحيح الإمام البخاري ، ومنزلته بين الكتب .

المبحــث الثاني : الإنتقادات العلمية التــي وجهت للإمام البخاري وصحيحه قديما وحديثا ، والجواب عنها

المبحــث الثالــث : الشبهــات التي وجهــت للإمام البخــاري وصحيحه ، والــرد عليها .وفيه مطلبان :

المطلب الاول : شبهات حول شخص البخاري ، والرد عليها

المطلب الثاني : شبهات حول صحيح البخاري ، والرد عليها .

المبحث الرابع : معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه : وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الأمن لغة واصطلاحا ، المطلب الثاني : تعريف الفكر لغة واصطلاحا المطلب الثالث : تعريف الأمن الفكري . المطلب الرابع : معالم الأمن الفكري عند البخاري .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

المبحث الأول:

الإمام البخاري وصحيحه ،وفيه مطلبان: المطلب الأول: الإمام البخاري ومكانته العلمية

أولا : إسمــه ونسبــه : هــو أبــو عبــد الله ، محمد بـــن إسماعيل بن إبراهيم بــن المغيرة بن بَرْدِزْبَه (١) الجعفي (٢) البخاري (٣) . وكنية أبيه إسماعيل : أبو الحسن (٤) .

ثانيــا : مولــده: ولد بعد صلاة يوم الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال، سنة ١٩٤ هـ، ببخارى، الموافق : ٨١٠/٧/٢٠ م . ومما يؤكد ذلك أن البخاري وجد ذلك مكتوبا بخط أبيه(٥) .

---

(١) هذا بالبخارية ، أما بالعربية فمعناه الزراع ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب ، ص ٢٥٩، علي بن هبة الله بن ماكولا ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيي المعلمي اليماني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١٩٦٣/١ . وهدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ٥٢٧/٢، تحقيق شعيب الارناؤوط وعادل مرشد ، دار الرسالة العالمية ، ط٢٠١٣/١م .

(٢) كان بردزبه فارسيا على دين قومه ، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي – أمير بخارى – ، واتى بخارى فنسب اليه نسبة ولاء ، فقيل له الجعفي لذلك (هدي الساري ، ٥٢٧/٢ ، مرجع سابق) . ومعجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي، ٣٥٥/١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م . وسيأتي مزيد من التحقيق في هذه النسبة في المبحث الثالث ان شاء الله تعالى .

(٣) نسبة إلى مدينة «بُخارى» التي تقع في بلاد ما وراء النَّهر، وهي الآن تقع في الجزء الغربي من جمهورية «أُوزبكستان» (معجم البلدان ، الحموي ، ٣٥٣/١) . مرجع سابق .

(٤) كذا كناه أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري أبو علي بن أبي عمرو صدوق «تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني، ترجمة رقم ٢٧، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط١٩٨٦/١ م .»

(٥) هدي الساري، ابن حجر، ٥٢٧/٢، مرجع سابق. وتاريخ بغداد، احمد بن علي الخطيب البغدادي، ٦/٢، دار الكتب العلمية، بيروت .

ثالثـا: نشاتـه : نشأ البخاري يتيما ، فقد مات أبوه وهو صغير، ونشأ في حجر أمه ، وكان أبوه إسماعيـل ورعا تقيا، حريصا على كسب المال الحـلال ، قال محمد بن خراش : سمعت أحمد بن حفص [1] يقول : دخلت على أبي الحسن – يعني: إسماعيل – والد أبي عبدالله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهما من حلال ، ولا درهما من شبهة»[2] .

رابعـا : طلبـه للعلم ورحلاته : طلب البخاري الحديث ببخارى وهو ابن عشر سنين [3] . قال الفربري [4]: «سمعت محمد بن أبي حاتم [5] يقول : سمعت البخاري يقول : ألهمت حفظ الحديث وأنـا فـي الكتّـاب، قلت : وكم أتـى عليك إذ ذاك ؟ فقـال : عشر سنين أو أقـل ، ...... وذكر حديثا طويلا إلى أن قال : فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هـؤلاء، يعني أصحـاب الرأي ، قال : ثم خرجت مع أمي وأخي أحمـد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخـي بهـا ، وتخلفت في طلب الحديث . قـال محمد بن أبي حاتم : فـكان أول رحلته على هذا سنة عشر ومئتين»[6] .

أمـا عـن رحلاته ، وتنقله بين الأمصار والبلاد المختلفة ، فقد سمع ببخارى قبل أن يرتحل، ثم سمع ببلخ ، ونيسابور ، وبالري ، وبغداد –أكثر من مرة – ، والبصرة، والكوفة، ومكة ، والمدينة، ومصر، والشام، وخراسان»[7] .

قـال البخـاري : رحلت إلى الشـام ومصـر ، والجزيـرة مرتين ، وإلى البصـرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة

(١) سبقت ترجمته بهامش رقم ٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، ٤٤٧/١٢ ، تحقيق شعيب الأرناؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١١/١٩٩٦م

(٣) جزء فيه ترجمة البخاري، محمد بن أحمد الذهبي، ص ٣٠، تحقيق ابراهيم بن منصور الهاشمي، مؤسسة الريان، ط١/٢٠٠٢م

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفربري ، صاحب البخاري ، كان ثقة ورعا ، راوية صحيح البخاري ، وهو أحسن من روى الحديث عن البخاري ، وفربر : بلد بجانب بخارى شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبدالحي بن احمد الدمشقي ، ابن العماد ، تحقيق عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط ، ١٠١/٤ ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط١/١٩٨٩م.

(٥) أبو جعفر ، ورّاق البخاري ، كان يورق للبخاري أي ينسخ له وكان من الملازمين له العارفين به المكثرين عنه عمدة القاريء، بدر الدين محمود بن احمد العيني ، ٣٤/٢٠ ، دار احياء التراث ، بيروت .

(٦) سير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٩٣/١٢ ، مرجع سابق ، وجزء فيه ترجمة البخاري ، الذهبي ، ص ٣٠ ، مرجع سابق ، وتاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، ٢٤٣/١٩ ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط١/١٩٩٢ م ، وهدي الساري، ابن حجر العسقلاني ، ٥٢٨/٢ ، مرجع سابق .

(٧) تاريخ بغداد «مدينة السلام»، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ٣٢٢/٢، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١/٢٠٠١م . وسير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٩٤/١٢-٣٩٥ ، مرجع سابق ،

أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين « [١] .

قال الخطيب البغدادي: «رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار»[٢] .

خامسا : متى بدأ البخاري بالتأليف ؟ : نظرا للسنّ المبكرة التي طلب فيها البخاري الحديث ، وحرصه على الرحلات والسماع من كبار الشيوخ ، فقد بدأ كذلك التأليف في سن مبكرة ، قال محمد بن أبي حاتم ورّاق البخاري: سمعت البخاري يقول: «فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين، وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول اللهﷺ، في الليالي المقمرة، وقلّ اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب[٣]». قال أبو العباس بن سعيد[٤] : «لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد بن إسماعيل»[٥]

سادساً: سعة حفظه وذكائه: تواترت الأخبار في ذكر قوة حفظ البخاري، وفرط ذكائه بما لا يقبل شكّا على الإطلاق، ولا يتسع المقام هنا لسرد تلك الأخبار كلها، فسأكتفي بعرض نماذج منها : ١- قال ابن حمدويه[٦] : سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح»[٧] .

أقول : «ولعل أحدا ينكر هذا العدد لأول وهلة، لكثرته، وأن عدد الأحاديث النبوية لا يمكن أن تبلغ هذا المبلغ، والجواب على ذلك: أن هذه الأرقام الكبيرة إنما هي طرق وروايات لمتون أقل

---

(١) هدي الساري ، ابن حجر ، ٥٢٨/٢ ، مرجع سابق .

(٢) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٢٢/٢ ، مرجع سابق .

(٣) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٢٥/٢ ، مرجع سابق ، وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٠٠/١٢ ، مرجع سابق ، وجزء فيه ترجمة البخاري ، الذهبي ، ص ٣٨ ، مرجع سابق ، وتاريخ الاسلام ، الذهبي / ٢٤٣/١٩ ، مرجع سابق . وطبقات الشافعية الكبرى ، عبدالوهاب بن علي السبكي ، ٢١٧/٢ ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، دار احياء الكتب العربية ،

(٤) هو الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الوراق الهمداني ، كوفي المعروف بابن عقدة « معجم شيوخ أبي بكر الاسماعيلي ، ٣٧٦/١ ، تحقيق زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النمتورة ، ط١/١٤١٠هـ .

(٥) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٢٦/٢ ، مرجع سابق ، وتهذيب التهذيب ، ابن حجر ، ٤٢/٩ ، وهدي الساري ، ابن حجر، ٥٤٣/٢ .

(٦) هو الإمام المحدث أبو رجاء ، محمد بن حمدويه بن موسى بن طريف السنجي المروزي الهورقاني ، توفي سنة ٣٠٦ هـ «سير أعلام النبلاء ، ٢٥٤/١٤ ، مرجع سابق» وقد تصحف الاسم عند البعض بابن خميرويه ، وهو بعيد لأن وفاته سنة ٣٧٢ هـ ، فروايته عن البخاري بعيدة .

(٧) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٤٦/٢ ، مرجع سابق ، وسير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤١٥/١٢ ، مرجع سابق ، والسنن الأبين ، محمد بن عمر بن محمد الفهري ، ١٦٧/١ ، تحقيق صلاح المصراتي ، مكتبة الغرباء الاثرية ، المدينة المنورة ، ط١/١٤١٧هـ . ، وتذكرة الحفاظ ، محمد بن طاهر بن القيسراني ، ٥٥٦/٢ ، تحقيق حمدي السلفي ، دار الأصمعي ، الرياض ، ط١/١٤١٥ هـ .

بكثيـر من هذا الرقم ، فتجد للمتن الواحد عشرات الطـرق والروايات والمتابعات، قال السيوطي نقلا عن العراقي : ولعل البخاري أراد بالأحاديث المكررة الأسانيد والموقوفات فربما عد الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين»[١] .

٢- قـال البخـاري : كتبت عن ألف شيـخ وأكثر ، عن كل واحد منهم عشـرة آلاف واكثر ، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده»[٢] .

٣- قـال أبو بكر الكلواذاني :» ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلماء فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرة»[٣] .

وهنـاك عشـرات الروايـات والأخبار المؤكـدة عبقرية هـذا الرجل وسيلان حفظـه ، وقوة ذاكرته، وسعة علمه ، وسيأتي ثناء العلماء عليه بما يؤكد ذلك أيضا .

سابعـا : عقيدتـه ومذهبـه فـي مسائل الإيمـان : عقيـدة البخاري هـي عقيدة أهـل السنّة والجماعـة، سليمـة مـن كل انحراف ، يتضح ذلك فـي ضوء ما روي عنه من أخبـار وروايات تؤكد ذلك، أسوق بعضها فيما يلي :

قـال ابن عدي [٤]: وذكر حديثـا طويلا ..... إلى أن قال : قام إليه - أي إلى البخاري - رجل فقـال يا أبا عبـد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غيـر مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا فألح عليه فقال البخاري القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة»[٥] .

قال البخاري : سمعت عبد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع من أصحابنـا يقولـون إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبـد الله – البخاري - : حركاتهم وأصواتهم واكتسابهـم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعـى فـي القلوب فهـو كلام الله ليس بخلـق»[٦] . واستدل البخـاري على قولـه: «أفعال العباد

(١) تدريب الراوي ، جلال الدين السيوطي ، ٩٩/١ ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٢) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٢/ ٣٢٩ ، طبقات الشافعية ، السبكي ، ٢٢٢/٢ ، مرجع سابق .وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٠٧/١٢ ، مرجع سابق ، وتهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي ،٤٤٥/٢٤ ، تحقيق د. بشار عواد ، مؤسسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٩٨٠/١م . وتهذيب التهذيب ، ابن حجر ، ٤٣/٩ ، مرجع سابق .

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤١٦/١٢ ، مرجع سابق ، وهدي الساري ، ابن حجر ، ٥٤٤/٢ ، مرجع سابق .

(٤) هو أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد بن مبارك الجرجاني ، صاحب كتاب الكامل في الجرح والتعديل ، توفي سنة ٣٦٥هـ تذكرة الحفاظ ، ابن القيسراني ، ٩٤٠/٣ ،

(٥) أخرجه ابن عدي في من روى عنهم البخاري في الصحيح ، ص ٥٦ ، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط١٤١٤/١ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٥٣/١٢ ، مرجع سابق، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٩٢/٥٢ ، مرجع سابق ، وهدي الساري ، ابن حجر العسقلاني ، ٥٥٢/٢ .

(٦) خبر صحيح ، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ، ص ٤٧، تحقيق عبدالرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، ١٩٧٨م

مخلوقة» بما رواه عن الرسول ﷺ في الحديث الآتي :

عن حذيفة قال قال النبي ﷺ : «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»(١) .

قـال البخـاري :» لَقيتُ أكثر من أَلْـفِ رَجُلٍ من أهل العلْـم: أهل الحجاز، ومكـة، والمدينة، والكوفة ، والبصرة، وواسِط، وبَغْداد ، والشام ، ومِصْر، لقيتُهم كَرّات ، قَرْنًا بعد قرنٍ ثم قرنًا بعد قـرن ، أدركتُهم وهم متوافرون منذُ أكثر من ستٍّ وأربعين سنة ، فما رأيتُ واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء:

أن الدِّين قولٌ وفعلٌ ، وأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوق ، وأنَّ الخيرَ والشرَّ بقَدَرٍ ، ولم يكونوا يكفِّـرونَ أَحَدًا مـن أهل القِبْلَة بالذَّنْب، ومـا رأيتُ فيهم أَحَدًا يتناول أصحـابَ محمد ﷺ، وكانوا يَنهـونَ عـن البِدَع: ما لم يَكُنْ عليهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، ويحثُّونَ على ما كان عليهِ النبيُّ ﷺ وأتباعُه ، وأن لا يُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وأن لا يَرَى السَّيْفَ على أمة محمد ﷺ»(٢) .

أقـول : يتضح في ضـوء هذه النصوص والأدلـة ملامح عقيدة البخـاري ، وأنها عقيدة أهل السنـة والجماعة، وهناك عشـرات الأدلة سوى هذه ، من أراد الاستـزادة يمكنه الرجوع إليها في مظانها ومصادرها.

ثامنـا : شيـوخ البخاري : حدّث البخاري عن مئات الشيـوخ في مختلف البلاد ، ولست معنيا هنـا بسردهـم جميعا وذكر تراجمهم ، يقـول البخاري : كتبت عن ألف وثمانيـن رجلا ليس فيهم إلا صاحـب حديـث كانـوا يقولون الإيمان قول وعمـل يزيد وينقص « (٣) ، وسأكتفـي هنا بما ذكره الذهبي من تقسيم لمراتب شيوخ البخاري ففيه توضيح كاف عن مجملهم ، قال :١- فأعلى شيوخه الذيـن حدثوه عـن التابعين وهم أبو عاصـم والأنصاري ومكي بن إبراهيـم وعبيد الله بن موسى ونحوهـم ٢- وأوسـاط شيوخه الذين رووا له عـن الأوزاعي وابن أبي ذئب وشعبـة وشعيب بن أبي حمـزة والثـوري ٣- ثـم طبقة أخرى دونهـم كأصحاب مالـك والليث وحماد بن زيـد وأبي عوانة ٤- والطبقة الرابعة من شيوخه مثل أصحاب ابن المبارك وابن عيينة وابن وهب والوليد بن مسلم ٥- ثم الطبقة الخامسة وهو محمد بن يحيى الذهلي الذي روي عنه الكثير ويدلسه ومحمد بن عبد

(١) حديث صحيح، اخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ، ص ٤٦ ، مرجع سابق. قال ابن حجر: حديث صحيح فتح الباري، ٤٩٨/١٣، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .

(٢) حديث صحيح، أخرجه اللالكائي ، هبة الله بن الحسن الطبري في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، ص ١٦٢، تحقيق نشأت المصري، دار البصيرة، الاسكندرية، ودار الآثار، صنعاء، بلا . مع ملاحظة ان الحديث طويل واشتمل على أدلة كثيرة، لكنني اختصرت النص هنا على مواطن الإستشهاد بما هو ضروري ، مخافة الإطالة .

(٣) صحيح، ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٤/١ ، وقال : نقله اللالكائي في كتاب السنة بسند صحيح . ويبدو فيه كذلك إشارة إلى شيء من عقيدة البخاري. وانظر شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي ، ٢٥٣/٣، مرجع سابق .

الله المخرقي ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وهؤلاء هم من أقرانه»[١] .

أقول : وقد ذكر نحو هذا الترتيب الحافظ ابن حجر مع بعض الإضافات البسيطة.[٢] .

تاسعا : تلامذة البخاري : سمعه وأخذ عنه العلم خلق كثير لا يحصون، «قال أبو علي صالح بن محمد جزرة : كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا»[٣]. وقال محمد بن يوسف الفربري[٤]: «سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه غيري»[٥]

ونظرا لكثرة تلامذته ، فإنني سأكتفي بذكر أشهرهم: أبو عيسى الترمذي ، وأبو حاتم الرازي ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وصالح بن محمد جزرة «الحافظ البغدادي»، وإبراهيم بن معقل النسفي، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن يوسف الفربري «راوي الصحيح»، وأبو بكر بن أبي داود، وروى له مسلم في غير الصحيح ، وكذلك النّسائي»[٦] .

عاشرا: مكانة الإمام البخاري وثناء العلماء عليه: لم أر أحدا من أهل العلم أثنى عليه العلماء وذكروه بأوصاف بلغت الغاية في الإجلال والإحترام والتوقير، على المستوى الاخلاقي، والديني، والعبقرية الفذة، والإحاطة العلمية، والحفظ والذكاء .... إلى غير ذلك من الإمام البخاري، لا ممن سبقوه ولا عاصروه ولا ممن أتوا بعده ، ولا يمكن أن آتي على كلّ ما ذكروه ، ولكن سأكتفي بنماذج من أقوالهم ، على النحو التالي:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل»[٧] .

(١) سير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٩٥/١٢– ٣٩٦ .مرجع سابق .

(٢) هدي الساري ، ابن حجر ، ٥٢٩/٢ – ٥٣٠ ، مرجع سابق .

(٣) خبر صحيح ، أخرجه غنجار في تاريخ بخارى كما ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ، ٦٨/٥٢ ، والخطيب الغبدادي في تاريخ بغداد ، ٣٤٠/٢ ، مرجع سابق ، مرجع سابق ، وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٣٣/١٢ ، مرجع سابق ، وتهذيب الكمال، المزي ، ٤٥٢/٢٤ ، مرجع سابق .

(٤) سبقت ترجمته ص٣ هامش رقم ٩ .

(٥) اخرجه الخطيب الغبدادي في تاريخ بغداد ، ٣٢٨/٢ ، مرجع سابق ،وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٢ / ٣٩٨ ، مرجع سابق، وتاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، ٧٤/٥٢ ، مرجع سابق ، وتهذيب الكمال ، المزي ، ٤٤٣/٢٤ ، مرجع سابق .
أقول: قال الحافظ ابن حجر : أطلق الفربري ذلك بناء على ما في علمه وقد تأخر بعده بتسع سنين .» انظر الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن القنوجي ، ١٧٦/١ ، دار الكتب التعليمية ، بيروت ، ط١/١٩٨٥م .

(٦) انظر: تهذيب الكمال ، المزي ، ٤٣٤/٢٤، مرجع سابق ، وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٩٧/١٢ ، مرجع سابق ، وتاريخ الاسلام، الذهبي / ٢٤١/١٩ ، مرجع سابق . وحياة البخاري ، محمد جمال الدين القاسمي ، ص ٤٤ ، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار النفائس ، ط١/١٩٩٢م . والتقييد ، ص٣١ ، محمد البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/١٤٠٨ هـ

(٧) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ، ٢١/٢ ، مرجع سابق ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٢١/١٢ ، مرجع سابق ، وتهذيب

قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي : محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق « وقال لبعض تلاميذه : يقدم عليكم رجل من خراسان ، لم يخرج منها أحفظ منه ، فخرج محمد بن إسماعيل بعدأشهر»[١] .

قال البخاري : ما تصاغرت نفسي عند أحد الا عند علي بن المديني ، فقال: ذروا قوله، ما رأى مثل نفسه»[٢]

قال أبو بكر بن أبي شيبة[٣] ومحمد بن نمير[٤]: «ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل»[٥] .

قال الحاكم أبو عبد الله البخاري :» هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل ، واعلم أن وصف البخاري رحمه الله بارتفاع المحل والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان ، ويكفي في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون والحذاق المتقنون»[٦] .

قال مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح ، وقد أقبل إلى البخاري :» دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله»[٧] .

قال النووي :» ومناقبه لا تستقصى لخروجها عن أن تحصى ، وهي منقسمة إلى : حفظ ودراية واجتهاد في التحصيل، ورواية ونسك وإفادة وورع وزهادة وتحقيق واتقان وعرفان ، وأحوال وكرامات ، وغيرها من المكرمات رضي الله تعالى عنه وأرضاه»[٨] .

هذه نماذج مختاره من ثناء وإطراء بعض أئمة وعلماء الأمة ، وقد أفرد كثيرون كتبا مستقلة في ذلك لكثرة من امتدحه وأثنى عليه وذكره بخير ، قال ابن حجر: «ولو فتحت باب ثناء

التهذيب ، ابن حجر ، ٤٤/٩ ، مرجع سابق ، وحياة البخاري ، القاسمي ، ص ٦٤ ، مرجع سابق . قال صديق حسن قنوجي بعد ذدر قول الإمام أحمد : رواه الخطيب بسند صحيح الحطة في ذكر الصحاحا الستة ، ص ٢٤٢ ، مرجع سابق .

(١) تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، ٤٤/٩ ، مرجع سابق ،

(٢) المرجع السابق .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي ثقة حافظ صاحب تصانيف توفي سنة ٢٣٥ هـ. «تقريب التهذيب ، ابن حجر ، ترجمة رقم ٣٥٧٥ ، مرجع سابق»

(٤) هو محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي أبو عبد الرحمن ثقة حافظ فاضل توفي سنة ٢٣٤ هـ «تقريب التهذيب، ابن حجر ، ترجمة رقم ٦٠٥٣» مرجع سابق .

(٥) خلاصة تذهيب التهذيب ، ابن حجر ، ٣٢٧/١ ، دار الفكر ، بيروت ، ط١/١٩٨٤ م .

(٦) تهذيب الأسماء ، يحيى بن شرف النووي ، ٨٩/١ ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ط١/١٩٩٦م

(٧) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٣٢/١٢ ، مرجع سابق .

(٨) الحطة في ذكر الصحاح الستة ، صديق حسن خان ، ٢٤٦/١ ن مرجع سابق .

الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره، لفني القرطاس، ونفذت الأنفاس ، فذاك بحر لا ساحل له»[1] .

حـادي عشر: شـروط البخاري في صحيحـه : فصّل العلمـاء في ذكر شـروط البخاري في صحيحـه، علمـا بأن البخاري أو مسلم لـم يذكرا شروطا لهما مفصلة فـي كتابيهما ، وإنما عرف ذلـك من استقصاء ما كتبوه ودراسته دراسة وافيـة وعميقة ، ثم استخراج شروطهما في ضوء ما كتباه ، قال ابن طاهر: «إعلم أن البخاري ومسلما ، ومن ذكرنا بعدهم لم ينقل عن واحد منهم أنه قـال : شرطـت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلـم بذلك شرط كلّ رجل منهم، فاعلم أن شرط (البخاري ومسلم) أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات والأثبات»[2] .

وبتفصيـل يوضـح معالم الصحـة التي انفرد وتميز بهـا البخاري ، والشـروط التي توافرت فـي صحيحـه، قال ابن حجـر :» إن الأوصاف التي تدور عليها الصحة ، هـي : الإتصال ، والعدالة والضبـط ، والسلامة مـن الشذوذ والعلة ،هي في كتاب البخاري أتـم منها في كتاب مسلم وأشد ، وشرط البخاري فيها أقوى وأسدّ :

فامـا رجحانـه من حيث الاتصال، فلاشتراط البخاري أن يكـون الراوي قد ثبت له لقاء من روى عنـه ولـو مرة، مع سلامتـه من التدليسـ - حتى يحمل عنعنتـه على الاتصـال -، أما مسلم ،فيكتفـي بإمكانيـة اللقاء فقـط ، ومهما يكن الراجح في المسألة ، فلا شـك أن اشتراط البخاري أوضح في الاتصال من شرط مسلم وأما رجحانه من حيث العدالة والضبط ، فلأن الرجال الذين تكلـم فيهـم من رجال مسلم أكثـر عددا من الرجال الذين تكلم فيهم من رجـال البخاري ، مع أن البخـاري لـم يكثر إخـراج حديثهم ، بل غالبهم مـن شيوخه الذين أخذ عنهـم ومارس حديثهم ، بخلاف مسلم في الأمرين.

وأمـا رجحانـه من حيـث السلامة مـن الشـذوذ والعلة ، فلأن مـا انتقد علـى البخاري من الأحاديث أقل عددا مما انتقد على مسلم [3] . بهذا نتبين لماذا صحيح البخاري هو أصح الكتب، فاشتراطـه هـذه الشروط ، وحرصه على تطبيقها تماما هو الذي جعل كتابه يتقدم سائر كتب أهل الحديث قاطبة .

(١) هدي الساري ، ابن حجر ، ٥٤٣/٢ ، مرجع سابق .

(٢) شروط الأئمة الستة ، محمد بن طاهر المقدسي ، ص ١٧- ١٨ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١/ ١٩٨٤ م . أقول : وهذا على العموم وإلا فهناك رجال انتقدوا في كلا الصحيحين ، وأجيب عنها .

(٣) شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، ابن حجر العسقلاني ، ص ٩٨ -٩٩ ، شرح طارق بن عوض الله ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١/ ٢٠٠٩ م .

ثاني عشر: وفاة البخاري: توفي رحمه الله في ليلة الفطر من شهر رمضان المبارك، وكانت ليلة السبت سنة ٢٥٦ هـ، عن عمر مدته: ثنتان وستون عاما إلا ثلاثة عشر يوما. قال ابن حبان: وقبره بخرتنك على فرسخين من سمرقند[٤]. وروي في وفاته ما يدل على صلاحه وكرامته عند الله سبحانه وتعالى، وأنه ابتلي كثيرا حتى دعا الله سبحانه وتعالى أن يقبضه اليه، قال ابن عدي[٥] سمعت عبدالقدوس بن عبدالجبار السمرقندي يقول: خرج البخاري إلى خرتنك – قرية من قرى سمرقند –[٦] وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم أنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى قبضه الله»[٧].

المطلب الثاني: صحيح الإمام البخاري ومنزلته:

أولا: البخاري أول من صنّف في الصحيح المجرد باتفاق أهل العلم، قال أبو عمرو بن الصلاح[٨]: أول من صنّف الصحيح البخاري أبو عبدالله محمد بن اسماعيل[٩]. ودفعا لشبهة أن أول من صنّف في الصحيح الإمام مالك، قال ابن الصلاح: وأما ما رويناه عن الشافعي من أنه قال: ما أعلم في الأرض كتابا أكثر صوابا من كتاب مالك، وفي لفظ عنه: ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك فذلك قبل وجود الكتابين (والبخاري أصحهما)[١٠]، ثم قال ابن الصلاح موضحا ما قيل أن كتاب مسلم أصح من البخاري: «وأما ما رويناه عن أبي على الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ من أنه قال، ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج، فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري إن كان المراد

---

(٤) الثقات، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، ١١٣/٩، تحقيق محمد عبدالمعيد خان، دار المعارف العثمانية، ط١٩٧٣/١م. وانظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٥٧/٢، مرجع سابق، والتقييد، محمد البغدادي، ص ٣٤، مرجع سابق، وتاريخ الاسلام، الذهبي، ٢٧٢/١٩، مرجع سابق، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٦٨/١٢، مرجع سابق، وهدي الساري، ابن حجر، ٥٥٧/٢، مرجع سابق

(٥) سبقت ترجمته ص ٦، هامش ٣١.

(٦) انظر وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، ١٩١/٤، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

(٧) شذرات الذهب، ابن العماد، ٣/ ٢٥٤ – ٢٥٥، مرجع سابق، وتاريخ الاسلام، الذهبي، ٢٧٢/١٩، مرجع سابق، وجزء فيه ترجمة البخاري، ص ٥٨، مرجع سابق، وطبقات الشافعية، السبكي، ٢٣٢/٢، مرجع سابق، وتغليق التعليق، ابن حجر، ٤٤٠/٥، تحقيق سعيد القزقي، المكتب الاسلامي، بيروت، عمان، ط١٤٠٥/١ هـ، وهدي الساري، ابن حجر، ٥٥٧/٢، مرجع سابق،

(٨) هو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، أحد كبار علماء المسلمين في التفسير والحديث والفه وغيرها، مات سنة ٦٤٣هـ شذرات الذهب، ابن العماد، ٣٨٣/٧، مرجع سابق.

(٩) علوم الحديث، ابن الصلاح، ص ١٧، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، بلا.

(١٠) علوم الحديث، ابن الصلاح، ص ١٨، مرجع سابق.

بـه : أن كتـاب مسلم يترجح بأنـه لم يمازجه غير الصحيح فإنه ليس فيـه بعد خطبته الا الحديث الصحيـح مسـرودا غير ممزوج بمثل مـا في كتاب البخاري في تراجم أبوابه مـن الأشياء التي لم يسندهـا علـى الوصـف المشروط في الصحيح، فهـذا لا بأس به وليس يلزم منـه أن كتاب مسلم أرجـح فيما يرجع إلـى نفس الصحيح على كتاب البخاري، وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصح صحيحا فهذا مردود على من يقوله والله أعلم»[١] .

إذا أول كتـاب صحيـح – بعد كتاب الله تعالى إن جاز القول – هـو صحيح الإمام البخاري، قال السيوطي: «كانت الكتب قله مجموعة ممزوجا فيها الصحيح بغيره»[٢].

ثانيـا : اسمه : اسمه الصحيح الكامـل هو : (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور سيدنا رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)[٣]

ثالثـا : سبـب تأليف الصحيح: ذكره البخاري نفسه ، قال: «كنت عند إسحاق بن راهويه [٤]، فقـال بعض أصحابنا : لـو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي ﷺ، فوقـع ذلك في قلبي، فأخذت فـي جمع هذا الكتـاب»[٥] . قال الفربري [٦]: «قـال لي محمد بن إسماعيل : مـا وضعت في كتابي «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين»[٧] .

أقـول : ومن يستطيع المواظبـة على هذا الفعل طيلة ستة عشر عاماً، إلا من وهبه الله تعالى عزيمـة قوية، ومثابرة فريدة، وإخلاصا قلّ نظيره، وشغفا واضحا لخدمة الحديث والسنّة، فجزاه الله كل خير.

قـال البخاري: «أخرجت هذا الكتاب -يعني الصحيح- من زهاء ست مائة الف حديث ، وما

(١) المرجع السابق، ص ١٩ .

(٢) تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي ، ٨٨/١، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، بلا.

(٣) تغليق التعليق ، ابن حجر ، ٥/٢، مرجع سابق ، ومقدمة فتح الباري ، ابن حجر ، ٨/١ ، مرجع سابق .

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل مات سنة ٢٣٨هـ.

(٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ، ٣٢٦/٢ ، مرجع سابق، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ، ٤٠١/١٢ ، مرجع سابق ، وجزء فيه ترجمة البخاري ، الذهبي ، ص ٣٩، مرجع سابق ، وتاريخ الاسلام ، الذهبي ، ٢٤٨/١٩-٢٤٩ ، مرجع سابق ، وتهذيب الكمال، المزي ، ٤٤٢/٢٤، مرجع سابق . وتاريخ مدينة دمشق ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي «ابن عساكر»، ٧٢/٥٢، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٥ م .

(٦) سبقت ترجمته بهامش رقم ٩ من الصفحة السابقة .

(٧) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٢٧/٢ ، مرجع سابق ، وسير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٠٢/١٢ ، مرجع سايق ، وتهذيب الكمال ، المزي ، ٤٤٣/٢٤ ، مرجع سابق .

أدخلت فيه إلا ما صح ، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب»[١]، وزاد السبكي «.. وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»[٢] .

رابعاً: منزلة صحيح البخاري وثناء العلماء عليه: تواترت عبارات أهل العلم بالحديث وغيره في الثناء على صحيح البخاري ، وبيان مرتبته ومكانته العلمية، وانه في العلا ، ولا يدانيه أي مصنّف آخر في الدنيا ، وهذا من فضل الله تعالى على البخاري وتوفيقه، وهنا سأسوق بعض هذه الأقوال، وإلا فهناك عشرات النقول الكثيرة التي لا يتسع المقام لسردها جميعاً:

قال ابن حجر واصفا صحيح البخاري : «قد اختص بالمرتبة العليا ، ووصف بأنه لا يوجد كتاب بعد كتاب الله مصنف أصح منه في الدنيا ، وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح، وما قرن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح ، إلى ما تميز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح»[٣] وقد سبق ابن حجر كثير من نقاد أهل العلم وكبرائهم ممن أثنوا على صحيح البخاري ، وامتدحوه كثيرا قال العقيلي [٤]: «لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على علي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث ، قال العقيلي : والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة»[٥] .

قال النسائي: «ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل»[٦] .

قال ابن السبكي: «وأما كتابه «الجامع الصحيح» فأجلّ كتب الإسلام، وأفضلها بعد كتاب الله تعالى»[٧].

قال النووي: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة»[٨] .

قال ابن كثير : «وكتابه الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة

---

(١) تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، وسير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، وتهذيب الكمال ، المزي ، ٤٤٨/٢٤ ، مرجع سابق.

(٢) طبقات الشافعية ، السبكي ، ٢٢١/٢ ، مرجع سابق .

(٣) تغليق التعليق ، ٥/٢ ،ابن حجر ، مرجع سابق .

(٤) هو محمد بن عمرو العقيلي الحافظ ، صاحب الجرح والتعديل ، توفي سنة ٣٢٢ هـ شرات الذهب ، ابن العماد ، ١١٧/٤ .

(٥) مقدمة فتح الباري ، ابن حجر ، ٧/١ ، ٤٨٩/١ ، مرجع سابق ، وتغليق التعليق ، ابن حجر ، ٤٢٣/٥ ، مرجع سابق .

(٦) مقدمة فتح الباري ، ابن حجر ، ٤٨٩/١ ، مرجع سابق ، والإسناد إلى النسائي صحيح «انظر الفتح ، ١٠/١».

(٧) طبقات الشافعية ، ابن السبكي ، ٢١٥/٢ ، مرجع سابق .

(٨) مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف النووي ، ١٤/١ ، دا رإحياء التراث ، بيروت ، ط٢/ ١٣٩٢ هـ .

ما فيه ، وكذلك سائر أهل الإسلام»[1] .

قال الحافظ ابن حجر: «وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارهما البهية تقريرا واستنباطا وكرع من مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع حتى اذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في التصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق»[2].

قال ابن تيمية : «واما كتب الحديث المعروفة مثل: البخاري ومسلم، فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن»[3]

هذه نماذج من ثناء أهل الفضل والعلم على صحيح البخاري، ومن أراد المزيد فيمكنه الرجوع للمصادر والمراجع ذات الصلة، فهي مليئة بما يدلل يقينا على أن هذا الكتاب لا يتقدمه أي مصنّف آخر.

المبحث الثاني:

الإنتقادات العلمية التي وجهت للبخاري وصحيحه قديما وحديثاً، والجواب عنها:

رغم كل ما تقدم من إيضاح لشروط البخاري في رواية الحديث بكل مراحله، بدقة متناهية، حرص البخاري على تطبيقها دون إخلال ، إلا أن هناك من وجه انتقادات لصحيحه، فتلقاها أهل الحديث بالتحليل والدراسة والإجابة عنها بكل إنصاف وعدالة، دون التحيز لأحد منهم، ثم إن ألأحاديث التي انتقدت على البخاريّ يسيرةٌ جدًّا، وغالب الانتقاد يرجع إلى أسانيدها دون متونها، وغالبا ما يكون البخاريّ قد ذكر السند أو اللفظ الصحيح، وذكر أيضاً السند أو اللفظة المنتقدة لبيان أمرها، قال ابن تيمية: «وفيها مواضع لا انتقاد فيها في البخاري، فإنه أبعد الكتابين عن الانتقاد، ولا يكاد يروي لفظا فيه انتقاد، إلا ويروي اللفظ الآخر الذي يبين أنه منتقد، فما في كتابه لفظ منتقد، إلا وفي كتابه ما يبين أنه منتقد . ثم قال: والمقصود أن أحاديثهما انتقدها الأئمة الجهابذة قبلهم وبعدهم ، ورواها خلائق لا يحصى عددهم إلا الله، فلم ينفردا برواية ولا بتصحيح»[4] .

والذي أراه واقعا في ضوء اطلاعي وتتبعي لمواطن النقد التي وجهت للبخاري وكتابه أنه

(١) البداية والنهاية ، ابو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩١م .

(٢) مقدمة فتح الباري ،ابن حجر ، ٣/١ ، مرجع سابق .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ، أحمد بن تيمية الحراني ، ٤٥/١٨ ، تحقيق عامر الجزاز وأنور الباز ، دار الوفاء .

(٤) منهاج السنة النبوية ، احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، ٢١٦/٧ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط١٩٨٦/١ م .

لا يوجد نقد علمي قائم على أسس النقد العلمي الصحيح، كأن يذكروا لنا راوياً كذابا ، أو رواية موضوعة، أو تعارض مع القرآن الكريم، أو العقل، أو العلم اليقيني، اللهم ما كان من اعتراضات لبعض المتقدمين كالدارقطني في بعض الأحاديث التي أجاب عنها العلماء بموضوعية ومنهج علمي سليم، من كليهما، وسيأتي بيان ذلك في الصفحات التالية[١] .

وسأبين تاليا نماذج مما انتقد عليه أو عليهما، والجواب عنها:

كلام الحاكم في تقسيم الصحيح عند البخاري ومسلم، وأن القسم الأول من المتفق عليها هو : اختيار البخاري ومسلم، وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثاله الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور بالرواية عن الرسول ﷺ، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظا متقنا مشهورا بالعدالة في روايته ، فهذه الدرجة الأولى من الصحيح»[٢] .

أقول : هذا وصف لشرط البخاري في الرواية وأنه الدرجة الأولى من الصحيح، والواقع أنه عند البحث والتحقيق يتبين غير ذلك ، وقد أجاب عنه جملة من العلماء منهم ابن طاهر المقدسي، قال: «إن البخاري ومسلما لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك، والحاكم قدَّر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن، ولعمري إنه شرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما، إلا أنا وجدنا هذه القاعدة التي أسسها الحاكم منتقصة من الكتابين جميعا «ثم أشار إلى أن الحافظ المتقن أبا عبدالله محمد بن إسحاق بن مندة نحى نحو ما ذكر بخلاف ما قاله الحاكم ، وذكر جملة من الأحاديث التي لم يروها عند البخاري ومسلم إلا راو واحد عن الصحابي، أو عن التابعي، وهكذا .. وهي كثيرة، للتدليل على بطلان ما أسسه الحاكم»[٣].

وأكد على ما ذهب إليه ابن طاهر المقدسي أيضاً: الحازمي، حيث قال: «فاعلم وفقك الله تعالى أن هذا قول من يستطرف أطراف الآثار ، ولم يلج تيار الأخبار، وجهل مخارج الحديث، ولم يعثر على مذاهب أهل التحديث ، ومن عرف مذهب الفقهاء في انقسام الأخبار إلى المتواتر والآحاد ، ووقف على اصطلاح العلماء في كيفية مخرج الإسناد لم يذهب إلى هذا المذهب، وسهل عليه المطلب»[٤]

(١) انظر : دفع الشبهات عن السنة النبوية ، عبدالمهدي عبدالقادر ، ص ٢٥٠ ، مكتبة الايمان ، ط١/٢٠٠١ م

(٢) المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل ، الحافظ محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري ، ص ٧٣ ، تحقيق احمد بن فارس السلوم ، دار ابن حزم ، ط١/٢٠٠٣ م .

(٣) شروط الأئمة الستة ، ابن طاهر ، ص ٢ -٢٣ ، مرجع سابق .

(٤) شروط الأئمة الخمسة ، أبو بكر محمد بن موسى الحازمي ، ص ٣٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/١٩٨٤ م .

الأحاديث التي تم انتقادها عند الدارقطني وغيره ، أجاب عنها الحافظ ابن حجر إجمالا وتفصيلاً ، فقال : وبقي الكلام فيما علل من الأحاديث المسندات وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخاري وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث، منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ، ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا ، والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول : لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل ، ثم قال : وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له ، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما ، فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة . وأما من حيث التفصيل ، فالأحاديث التي انتقدت عليهما تنقسم أقساما : وذكر ستة أقسام أطال في شرحها ، ثم قال : فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر»[1] ، وفي هدي الساري سرد أسماء جميع من انتقد في البخاري، وردّ على الإنتقادات بأسلوب علمي، وبالدليل المقنع»[2] .

أقول: والناظر في عدد الأحاديث المنتقدة عند البخاري – ٧٨ – حديثاً، ونسبتها إلى عدد أحاديث الجامع كلّها – فيما أحصاه الحافظ ابن حجر : ٩٠٨٢ حديثا – ، فإنها أقل من ١٪ ، لتكون نتيجة هذا الانتقاد – الذي أجيب على معظمه لصالح البخاري – بيان عظم منزلة البخاري، وذلك لأن معيار فضل المؤلف وعظم تأليفه، مداره على نسبة خطئه مع صوابه.

تعرض الشيخ الألباني لنقد بعض أحاديث صحيح البخاري أثناء دراساته وتحقيقه للأحاديث النبوية الشريفة، يقول الألباني: «.... لكن في أثناء البحث العلمي تمر معي بعض الأحاديث في الصحيحين أو في أحدهما، فينكشف لي أن هناك بعض الأحاديث الضعيفة ، لكن من كان في ريب مما أحكم أنا على بعض الأحاديث فليعد إلى فتح الباري ، فسيجد هناك أشياء كثيرة وكثيرة جدا ينتقدها الحافظ ابن حجر العسقلاني .....ثم قال : ثم نقدي الموجود في أحاديث صحيح البخاري تارة تكون للحديث كلّه، وتارة يكون نقدا لجزء من حديث أصل الحديث صحيح ، لكن يكون جزء منه غير صحيح .... ثم ذكر مثالا على نقد الحديث كلّه : حديث ابن عباس قال: تزوج

(١) مقدمة فتح الباري ، ابن حجر ، ١/٣٤٦ –٣٤٨ ، مرجع سابق ، وقد عنون لذلك بقوله: «الفصل الثامن في سياق الأحاديث التي انتقدها عليه حافظ عصره أبو الحسن الدارقطني وغيره من النقاد وإيرادها حديثا حديثا»

(٢) هدي الساري ، ابن حجر ، ٢/٣٤٣ – ٥٠٢ ، مرجع سابق .

، أو نكح رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم»[١]، وذكر مثالا آخر على نقد جزء من الحديث، فقال : النوع الثاني يكون الحديث أصله صحيحا، لكن أحد رواته أخطأ من حيث انه أدرج في متنه جملة ليست من حديث النبي صلى الله عليه وسلم .... من ذلك : الحديث المعروف في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن أمتي يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ... إلى هنا الحديث صحيح، زاد أحد الرواة في صحيح البخاري: «فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل»[٢]، قال ابن حجر: وقال ابن القيم، وقال شيخه ابن تيمية، وقال الحافظ المنذري وعلماء آخرون : هذه الزيادة مدرجة ليست من كلام الرسول ﷺ، وإنما هو من كلام أبي هريرة»[٣] .

أقول : هذا النقد الموجه للبخاري بسبب هذه الرواية ، وأن فيها إدراج ليس من كلام النبي ﷺ، لا يُعد نقدا حقيقيا يشكل طعنا ، أو منقصة علمية يمكن أن تؤثر في صحة الحديث ، أو في بناء حكم عليه ، أو تخالف نهج المحدثين وأصولهم ، لا سيما أن الحديث روي عند آخرين بأسانيد صحيحة من دون هذا الإدراج ، وأن الزيادة جاءت من أبي هريرة رضي الله عنه تفسيرا للحديث ، وحثا على تفعيل مضمونه ، كما أن سند الحديث صحيح لا مطعن فيه إطلاقاً، وكذلك المتن من دون هذه الزيادة .[٤] . ولم يسلم الألباني من النقد من أجل كلامه على بعض أحديث الصحيحين ، كما فعل د. محمود سعيد أستاذ الحديث الشريف وعلومه المصري معه بسبب نقده لبعض أحاديث مسلم فكتب «تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم»، وقد رد عليه كذلك باحث مصري هو طارق عوض الله بكتابه ردع الجاني المعتدي على الألباني .

انتقاد الشيعة للبخاري وصحيحه : لم يسلم البخاري من السنة الشيعة وأقلامهم ، نقدا وسبّا وشتما، وليت النقد كان علميا مقبولا، وسترى في ضوء الأمثلة التي سأسوقها تاليا أن النقد مبني على مواقف عقدية، أو شخصية، لا علاقة لها بالنقد العلمي البناء :

أولا : ساق الأصبهاني – الملقب بـ : فقيه الطائفة وشيخ الشريعة – في كتابه[٥] سردا لعدد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم : ١٧٤٠ ، و ٤٠١١ ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ /١٩٨٧ م . وقد أطال الحافظ ابن حجر البحث في هذا الحديث وذكر كلام أهل العلم في ذلك ، وأشار إلى إمكان الجمع بين حديث ابن عباس وغيره ممن ذكروا نكاح الرسول صلى الله عليه وسلم ليمونة وهوحلال ، انظر : فتح الباري ، ابن حجر، ١٦٥/٩ – ١٦٦ ، مرجع سابق .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم : ١٣٦ .

(٣) فتاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء ، عكاشة عبدالمنان الطيبي ، مكتبة التراث الاسلامي ، ط١/١٩٩٤ م .

(٤) انظر بحث : المدرج في الحديث النبوي الشريف ، مفهومه ورداسة على نماذج من صحيح البخاري ، ص ٤٩ ، وما بعدها، إعداد أ.د . محمد الرعود – صاحب هذه البحث – مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الكويت ، مجلد ١٨، عدد ٥٣ ، سنة ٢٠٠٣ م .

(٥) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع ، شيخ الشريعة ، الأصبهاني ، ص ٣٠ –٤٥ ، قدم له آية الله جعفر السباني ،

من الأحاديث – بعضها صحيح ، وبعضها غير صحيح – وجلّها في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنـه ، للبخـاري وغيره مـن أهل الحديث ، متهمـا البخاري بعدم رواية ما يتعلـق بعلي بن أبي طالـب رضـي الله عنه ، علما بـأن البخاري خرّج أهم حديث في فضائل علـي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[(١)] ، وقبل ذلك ترجم البخاري بباب : باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه وقال النبي ﷺ لعلي أنت مني وأنا منك وقال عمر توفي رسول الله e وهو عنه راض) وذكر فيه عددا من الأحاديث في فضل علي رضي الله عنه .

فعـدم إخراج البخاري للأحاديث التي ساقها الأصبهانـي ومعظمها ضعيف وموضوع ، لأنها كذلـك مـن جهة ، ثم لأن بعضها لم تتوفر فيه شـروط البخاري ، كما يظهر في الترجمة السابقة ، وقولـه: وقـال النبي ﷺ لعلي : أنت مني وأنا منــك ، وإن كان هنا معلقا ، فقد أخرجه في صحيحه موصولا [(٢)].

ثانيـا : عنـون الأصبهانـي بعد ذلك بـ: «الأمـر الأول: البخاري وعدم روايتـه عن الصادق . ثـم قـال : ويعد من أشـد تعصباتهم في الجـرح والتعديل قولهم في الصــادق ... وساق بعضا من كلام أهـل الجـرح والتعديل فيه، ثم قال: وأقـول: عدم إخراج البخاري لحديثـه، وعدم الاحتجاج بـه، واعتقاد عـدم قابليته العياذ بالله، للإيـداع في صحيحه السقيم ، مـع إخراجه مرويات كثير مـن الخوارج والنواصب والكذابين، والوضاعين، والاحتجاج بهم، وإيداع أحاديثهم في كتابه، وإن كان كافيـا في الدلالة على نصبه وضلالتـه وشقائه، كالدلالة على ترجيح روايات هؤلاء الملاحدة الملاعين والعياذ بالله على رواياته [(٣)].

هذا كلام غير صحيح ، ولا يمت إلى النقد العلمي بصلة، ودليل ذلك ما يلي:

صحيـح أن البخاري لم يخرج له في الصحيح، وذلك لأنه لم ينطبق على شرطه ، وليس لأي سبب شخصي آخر على الإطلاق ، ولم يذكر شيء في دواوين أهل السنة من ذلك ، ولو كان هنـاك شـيء من هـذا القبيل لم يخرّج له فـي الأدب المفرد، ولوجدنا ولو كلمة مـن البخاري يجرّح فيها جعفـر الصادق، كمـا أن مسلم أخرج له في صحيحه، وهو تلميذ البخاري، ثم لما ترجم ابن حجر

وحققه حسين الهرساوي ، مؤسسة الإمام الصادق ، ط١/١٤٢٢هـ .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، برقم : ٣٥٠٣ ، و ٤١٥٤ ، مرجع سابق .

(٢) برقم ٢٥٥٢ .

(٣) القول الصراح ، الأصبهاني ، ص٣٩ ، مرجع سابق .

له قال : «صدوق فقيه إمام»[1] . فلم يتعرض أحد لذكر جعفر الصادق رحمه الله بما يمس عدالته أبـدا ، بل أثنى عليه ابن حجـر بأنه صدوق وفقيه وإمام ، وإنما كان بعض الكلام المتعلق بضبطه وحفظـه ، وهـذا أمر طبيعي ، يمكـن أن نتحدث فيه حتى في مجتمع الصحابـة رضي الله عنهم . قـال ابـن تيمية: «وقد استراب البخاري في بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد فيه كلام فلم يخرّج له»[2]

لـم ينصف الأصبهاني صحيح البخاري، ووصفه بـ: الصحيح السقيم . فأين الروح العلمية، وأين الاعتراف للآخرين بفضلهم ؟؟؟

قولـه أيضاً: مـع إخراجه مرويات كثير مـن الخـوارج والنواصب والكذابيـن، والوضاعين، والاحتجـاج بهـم. أقـول : هذا اتهـام واضح، فيـه تحامل بيّـن ، وكذب صـراح ، فأيـن الكذابين والوضاعيـن عنـد البخـاري ؟؟ وهو الذي قيل في رجـال صحيحه : لقد فاقـوا القنطرة، يعني في عدالتهـم وضبطهـم وأمانتهم ونحو ذلك . وأجمعت الأمة بأسرها على ذلك، اللهم ما كان من نقد طفيف من بعض أهل العلم لبعضهم كما أسلفت.

قوله : على نصبه وضلالته وشقائه، كالدلالة على ترجيح روايات هؤلاء الملاحدة الملاعين ما فتيء يصف البخاري بالنصب والضلالة والشقاء، ويصف رواة الحديث بالملاحدة الملاعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

انتقاد بعض العقلانيين قديما وحديثا أحاديث في الصحيح بدعوى مخالفة العقل ، ولا ندري مـا مفهـوم العقل لديهم ؟؟؟ علما بأن مفهوم العقل أمر مشـكل ، ليس له تعريف واضح أو محدد ، فقيـل فـي تعريفه أقـوال: العلم، التمييز، ما يمنع صاحبـه من الخطأ، جملة أفـكار ، .... الخ [3]، فإلـى أي معنى انصرف ذهنهم حينما أنكروا أو انتقدوا هذه الأحاديث ؟؟ فالأمر أوسع بكثير مما حصـروا فيه أذهانهم ، ووضعوا فيه أنفسهم، ولو يتسع المقام هنا لأسهبت كثيرا في الرد عليهم، ولأشبعت الأمر بحثا ودراسة، ولكن سأكتفي بعرض نماذج من هذه الأحاديث ، والرد عليها :

أولا : حديـث سحـر النبي ﷺ[4] : بالرغم من أن الحديث صحيح الإسناد[5]، إلا أن بعضهم

---

(١) تقريب التهذيب ، ابن حجر ،ترجمة رقم ٩٥٠ ، مرجع سابق .

(٢) منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية ، ١٤٣/٤ ، مرجع سابق .

(٣) انظر: روايات منتقدة في الصحيحين بدعوى مخالف العقل، عرض ونقد، خالد الطحاينة، ص٢، بحث مقدم لمؤتمر : الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من : ١٤-٢٠١٠/٧/١٥ م، بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية .

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري برقم ٥٤٣٠، «انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، ٢١٧٤/٥» مرجع سابق .

(٥) وأخرجه سوى البخاري جمع من المحدثين، من أصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، فلينظر .

أنكـره ، كالمعتزلـة ، وبعض المبتدعة ، قال الرازي : واعلم أن المعتزلة أنكروا ذلك بأسرهم، قال القاضـي : هـذه الرواية باطلة وكيـف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقـول: «والله يعصمك من النـاس» [١] وقال: «ولا يفلح الساحر حيـث أتى»[٢]، ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ، لأنه لـو صـح ذلك لكان من الواجـب أن يصلوا إلى الضـرر لجميع الأنبياء والصالحيـن، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل، ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور فلو وقعت هـذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة، ولحصـل فيه عليه السلام ذلك العيب ومعلوم أن ذلك غير جائز [٣] .

وقـال الحافظ ابن حجـر: «قال المازري : وبعض المبتدعة أنكروا هـذا الحديث وزعموا أنه يحـط منصـب النبوة ويشكك فيها لأن كل ما أدى إلى ذلك فهـو باطل وتجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع»[٤] ونحوه قال العيني[٥] .

أقـول : وتبعهم فريق من عقلانيي اليوم ، وأخذوا يرددون كلامهم على التسليم ، وسأعرض باختصار الرد عليهم

هـذه دعـوى ضعيفة، قائمة على إنكار عقلي بلا دليل، ولو قرؤوا قوله تعالى في معرض قصة موسـى عليه السـلام: «قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى»[٦]، لعلمـوا أن شبهتهـم باطلة ، فهذا موسى عليه السلام تأثر بالسحـر ، وخيّل إليه من أثر السحر أن العصي والحبال حيات تسعى ، ولذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ، أي تخيل أمورا ليست حقيقية في الواقع .

وممـا يؤكد أن تأثر موسى عليه السلام بالسحـر لم ينـاف عصمته أنه تلقى من ربّه سبحانه وتعالـى أمـره: «لا تخف إنك أنت الاعلى ، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ...»[٧]، ففهم عن ربه سبحانه وعقل ونفّذ. فلم يؤثر عليه السحر في أن يتلقى عن ربه سببحانه ، وهذا يعني عدم منافاة العصمة .

قـال ابـن قتيبة في معرض ردّه على منكري حديث السحر: «إن الذي يذهب إلى هذا مخالف

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٧ .

(٢) سورة طه ، آية ٦٩ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، ١٧٢/٣٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/ ٢٠٠٠م .

(٤) فتح الباري ، ابن حجر ، ٢٢٦/١٠ ، مرجع سابق .

(٥) عمدة الفاريء ، بدر الدين العيني ، ٢١ /٢٨٠ ، مرجع سابق .

(٦) سورة طه ، آية ٦٦ .

(٧) سورة طه ، الآيتان :٦٨ –٦٩

للمسلمين، واليهود والنصارى ، وجميع أهل الكتاب ، ومخالف للأمم كلّها ، ومخالف للقرآن، معاند لـه بغيـر تأويل، لأن الله جلّ وعزّ قال لرسوله ﷺ: «قل أعوذ برب الفلق، من شرّ ما خلق، ومن شرّ غاسـق إذا وقـب، ومن شرّ النفاثات في العقد، ومن شرّ حاسد إذا حسد» [١]، فأعلمنا أن السواحر ينفثن في عقد يعقدنها، كما يتفل الراقي والمعوّذ» [٢] .

أجـاب العلماء عـن سحر النبي ﷺ بأن مـا تعرض له من سحر، هو مرض من الأمراض، وعارض مـن العلل، وهذه تجـوز على الأنبياء كغيرهم مـن البشر، وهي مما لا يُنكـر ولا يَقدحُ في النبـوة ، ولا يُخِـلُّ بالرسالـة أو الوحـي، والله سبحانه إنمـا عصم نبيه ﷺ مما يحـول بينه وبين الرسالة وتبليغها، وعصمه من القتل ، دون العوارض التي تعرض للبدن[٣]. ومما يؤيد هذا الجواب روايـة عمـرة عـن عائشـة أن الله أنبأني بمرضـي أي أخبرنـي[٤]، وإلى هذا الـرأي ذهب كلّ من المازري، وابن القيم، والعيني[٥]، والقاضي عياض[٦]. والشوكاني[٧].

وجواب ثالث : أن قوله في الحديث: «يخيل إليه فعل الشيء ولا يفعله «إنما هو متعلق بأزواجه فقـط أي وطـئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذى يلي هذا ولفظه: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»[٨] وفي رواية الحميدي: «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم»[٩]. قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على تمييزه ومعتقده» [١٠] .

ثانياً: حديث الذباب: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء»[١١] .

---

(١) سورة الفلق .

(٢) تأويل مختلف الحديث ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، ص ٢٦١ – ٢٦٢ ، تحقيق محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الاسلامي، بيروت ، ط٢/١٩٩٩ م .

(٣) أجوبة العلماء عن خبر سحر النبي ﷺ، أحمد بن عبد العزيز القصيِّر ، موقع ملتقى أهل الحديث ، ٢٠١٨/٧/٣ م .

(٤) فتح الباري ، ابن حجر ، ٢٢٦/١٠ ، مرجع سابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، ١٧٣/٢ ، دار سعادات ، مطبعة عثمانية، ١٣١٢ هـ .

(٧) نيل الاوطار ، محمد بن علي الشوكاني ، ٣٦٥/٧ ، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٧٣ م .

(٨) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٤٣٢ ، مرجع سابق .

(٩) حديث صحيح ، أخرجه الحميدي ، أبو بكر ،عبدالله بن الزبير في مسنده برقم ٢٥٩ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، القاهرة .

(١٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، المرجع السابق .

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم : ٣١٤٢ ، و ٥٤٤٥ ، مرجع سابق .

شـكك بعض القدمـاء والمعاصرين في صحة هــذا الحديث ، وطعنوا فيه علــى أساس كيف يجتمـع الداء والدواء في جناحي الذبابة معا ؟؟ وكيــف تعلم هي ذلك حتى تضع أولا الجناح الذي فيــه الداء؟؟. قال الخطابي: « وقد تكلم فــي هذا الحديث بعض من لا خلاق له. وقال: كيف يكون هــذا ؟ وكيــف يجتمع الداء والشفاء فــي جناحي الذبابة ، وكيف تعلم ذلك مــن نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها في ذلك»[1] .

وقــال ابن قتيبــة: «قالوا: حديث يكذبه النظــر ، وكيف يكون في شيء واحــد سمّ وشفاء ؟؟؟ وكيــف يعلــم الذباب بموضع السّمّ فيتقدمه ، وبموضع الشفــاء فيؤخره ؟؟؟ ... ثم قال : وما علمت أحدا ينكر هذا إلا قوم من الدهرية، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية».[2]

الرد عليهم: أجاب أهل العلم في معرض ردهم على منكري هذا الحديث بما يلي :

قال الخطابي : هذا سؤال جاهل ، أو متجاهل ، وأن الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهي أشياء متضادة ، إذا تلاقت تفاسدت، ثــم يرى أن الله سبحانه قــد ألّف بينها ، وقهرها على الإجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤهــا وصلاحهــا ، لجديــر أن لا ينكر اجتماع الــداء والشفاء في جزءين من حيــوان واحد ، وان الــذي ألهــم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة ، وان تعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخــره لأوان حاجتهــا إليه ، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهدايــة إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما أراد الله من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان الذي هو مضمار التكليف، وفي كلّ شيء عبرة وحكمة ، وما يذّكر إلا أولوا الألباب[3] .

وقــال ابن قتيبــة: ونحن نقول: إن هذا الحديث صحيح، ثم قال : إن من حمل أمر الدين على مــا شاهد، فجعل البهيمة لا تقول، والطائر لا يسبح، والذباب لا يعلم موضع السّم وموضع الشفاء، واعترض على ما جاء في الحديث، مما لا يفهمه، فقال: كيف يكون قيراط مثل أحد؟؟ وكيف يأكل الشيطان بشماله ؟؟ .... إلى ان قال : ودفع الآثار والأخبار، مخالف لما جاء به الرسول ﷺ، ولما درج عليــه الخيار مــن الصحابة والتابعين.. وقــد أسهب ابن قتيبة في ذكر أمثلــة كثيرة على هذا النحو [4].

---

(١) معالم السنن ، حمد بن محمد الخطابي البستي ، ٢٥٩/٤، اعتنى به : محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١/١٩٣٤م.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ . مرجع سابق .

(٣) معالم السنن ، الخطابي ، ٢٥٩/٤ ، مرجع سابق . وانظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر الدمشقي ، ابن قيم الجوزية ، ١٠٣/٤ ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط١٩٩٨/٣ م .

(٤) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، ص ٣٣٥ ،مرجع سابق .

أقول : ونحو ذلك نشاهد كثيرا من الحيوانات كالقطط مثلا بغريزتها لا يمكن أن تبول إلا إذا حفرت حفرة وبالت فيها ، ثم ردمتها بالتراب مرة أخرى . فمن أدرى هذا الحيوان بهذا التصرف إلا الذي خلقه سبحانه وتعالى ؟ ، ومن علّم مولود الحيوان بمجرد نزوله من بطن أمه يلتقم ثديها مباشرة ؟؟ ومن ومن ومن ومن ؟؟.

واليوم ينكر الحداثيون والعقلانيون هذا الحديث ، فما ينبغي أن يكون مثل هذا الحديث قد صدر عن الرسول ﷺ، لأن الذباب يتسبب في كثير من الأمراض ، وقد دعا الطب إلى مكافحته والقضاء عليه.

واختصاراً للوقت فإنني سأسوق كلمة الطب الحديث ، والتجارب العلمية الحديثة التي تتعلق بموضوع الذباب على وجه التحديد ، لنصل في النهاية إلى قناعة علمية وشرعية لصحة حديث الذباب .

أعدّ الأستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم حسن (١) ، بحثاً علمياً قال في مقدمته: «تم إجراء هذا البحث للتعرف على الداء والدواء في «حديث الذباب» للرسول ﷺ؛ للرد على المشككين في هذا الحديث» ثم أسهب في سرد روايات الحديث وبيان مراحل تجربته على أنواع من الذباب، إلى أن قال في نهاية البحث: «يتضح من النتائج السابقة وجود كثافة عددية عالية من أنواع عديدة من البكتريا على جناحي الثلاثة أنواع من الذباب، بينما قلت أعداد البكتريا وأنواعها على جناحي البعوضة. كما أتضح أن أكثر أنواع البكتريا شراسة هو نوع B. circulans الذي يفرز مادة مضادة للحيوية لكثير من أنواع البكتريا الاخرى سواء سالبة أو موجبة الجرام. ولقد لوحظ تواجد هذه البكتريا بكثافة عالية على الجناح الأيمن للذباب. كما لوحظ وجود أنواع من الفطريات التي تفرز أيضا مواد مضادة للحيوية لكثير من أنواع البكتريا. كما أتضح قدرة البكتريا B. circulans على قتل الانواع الاخرى من البكتريا في زمن قصير جدا. وهي البكتريا التي تنقل العديد من الأمراض للإنسان والتي تم ذكرها (٢) .

قال الصيدلي الكيمياوي إبراهيم أفندي مصطفى عبده : معلوم أنّ الذباب يقع على العفونات والمواد القذرة المملؤة بالجراثيم التي تولّد الأمراض المختلفة.

أتدرون ما هو العمل الجليل الذي خُصّ به الذباب وسُخّر له؟ فكما أنّ الذباب ينقل بعض

(١) أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض كلية العلوم (بنين) - جامعة الأزهر - القاهرة

(٢) الداء والدواء في جناحي الذباب ، د. مصطفى ابراهيم حسن ، بحث تم نشره في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٥ م . والبحث مفيد جدا ، من رغب من المهتمين بذلك ، يمكنه مراجعته على الموقع المشار اليه .

الجراثيـم بملامستـه مصدرها فإنّه أيضاً يأكل منها أكثر ممّا ينقـل. وليس كلّ واجبه تقليل نسبة وجـود الجراثيـم فحسب بل إنّ مـا يتناوله منها في فمـه يتحوّل داخل جسمه إلى مـا سمّاه علماء الطبّ «بالبكتريوناج» أو «مبعد البكتريا» الذي ينتصر على كثير من جراثيم الأمرض فيبدّدها عن بكـرة أبيهـا ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حيّة أو يكـون لها أيّ تأثير في الجسم في حالة وجود البكتريوناج فسبحان الخلاّق العظيم.

ثم قال: والآن أسمعكم ما جاء بمجلّة التجارب الطبيّة الإنجليزيّة عدد ١٠٣٧ عام ١٩٢٧ قالت: «لقـد أطعم الذباب من زرع ميكروبات بعض الأمراض وبعـد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم واختفـى أثرهـا وتكوّنت في الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمّـى «بكتريوناج» ولو عملت خلاصة مـن الذباب في محلول ملحي لاحْتوتْ على البكتريوناج التي يمكنها إبادة أربعة أنواع من الجراثيم المولّـدة للأمراض ولاحتوتْ تلك الخلاصة أيضا على مادة خلاف البكتريوناج نافعة للمناعة ضدّ أربعة أنواع من الجراثيم».

وقـد برهن على ذلـك أيضا الأستاذ الدكتور «دريل» مندوب الصحّـة البحريّة والكرونتينات المصريّـة في الهند للبحث عن ظهور الكوليرا بها وأنجع الطّـرق لمقاومتها وقدّم تقريرا مفصّلا فـي ديسمبر سنة ١٩٢٧ عمّا أجراه مع زملائه من الأبحـاث الفنيّة والتّجارب العلميّة فقد ذكر في تقريـره أنّ «البكتريونـاج» أجسام حيّة صغيـرة الحجم جدّا أمكن تلوينهـا ورؤيتها بترسيب ذرّات الفضّـة عليهـا وأنّـه حصل على البكتريونـاج وتمكّن من زرعـه وتنميته وإذابته فـي الماء وأعطاه محلوله إلى المرضى بنسب مخصوصة: وبزيادة الجرع وتنظيم تناولها كان المريض ينال الشفاء في يومين أو ثلاثة [1].

أقـول : ثـم إن النبي ﷺ لم يأمر بـأكل ولا شرب ما وقع فيه الذبـاب ، فللإنسان أن يأكل أو يشرب ، وله أن يمتنع ، وهو غير آثم ولا مؤاخذ ، ولو تتبعت كلّ ما كتب حول هذا الموضوع ، شرعيا وعلميا ، لطال البحث ، ولكن أكتفي بما قدمت .

المبحـث الثالـث : الشبهـات التي وجهت للإمـام البخـاري وصحيحه، والـرد عليها . وفيه مطلبان :

المطلـب الأول : شبهـات حـول شخص البخاري : لقد تعدى الـكلام صحيح البخاري إلى

(١) المعجزات العلميَّة في الأحاديث الشريفة النبويَّة ، حديث الذباب ، بقلم الأستاذ العلامة الزيتونيّ ، محمّد البشير النيفر، موقع الألوكة الشرعية ، بتاريخ : ٢٠١٦/٨/٣٠م . والبشير عالم تونسي ، ولد سنة ١٨٨٨ م ، وتوفي سنة ١٩٧٤م . وانظر : موسوعة الاعجاز العلمي في الحديث النبوي ، د.أحمد شوقي ابراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط١/٢٠٠٦ .

شخص صاحبه ، بما لا يليق ، ديانة ، وأدبا ، وذوقا ، وأخلاقا ، بلا أدنى دليل ،أو إثبات لما تفوهوا به ، ولست هنا مدافعا عن الرجل بداعي العصمة أو استحالة حصول الخطأ أو الذنب منه، فكل إنسان يؤخذ منه ويُردّ إليه إلا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا يجوز اتهام أي شخص أو ذمّه ، أو قدحه ، أو ذكره بما ليس فيه ، بلا دليل واضح ، فالله سبحانه وتعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»[١] ، فما بالكم بمن جاء بقدح وذم وتشهير وكذب وافتراء بعيداً عن الموضوعية، أو المنهج العلمي الصحيح، قال العلامة طاهر الجزائري: «والحال أن مزية الصحيحين ثابتة ثبوت الجبال الرواسي ، لا ينكرها إلا غمر يزري بنفسه وهو لا يشعر، والعلماء إنما فتحوا هذا الباب لارباب النقد والتمييز، الذين يرجحون ما يرجحون بدليل صحيح ، مبني على القواعد التي قررها المحققون في هذا الفن، وأما المموهون الذين يريدون أن يجعلوا الصحيح سقيماً والسقيم صحيحاً بشبه واهية جعلوها في صورة الأدلة، فينبغي الإعراض عنهم، مع حل الشبه التي يخشى أن تعلق بأذهان من يريدون أن يوقعوه في أشراكهم»[٢]

وهنا سأعرض باختصار لبعض الشبه الشخصية التي تم توجيهها للإمام البخاري، والرد عليها: هل البخاري من أصل عربي أم فارسي ؟؟ أثار قوم كلاما كثيرا حول نسب البخاري، فمرة يقولون : هو عربي من قبيلة جعفي من العرب القحطانية ، ومرة يقولون : بل هو فارسي الأصل، ومرة يقولون : بل هو بخاري من بخارى.

أقول : وليس الأمر بتلك الأهمية أكان فارسياً، أم بخارياً، أم عربي الأصل ؟فلا أثر لذلك في شخصية البخاري وحياته ، وهل كان الإسلام يوما للعرب فقط ؟ أم للعجم وحدهم ؟ ومتى كان الإسلام يؤمن بالعصبية القبلية ، أو القومية المقيتة ؟ ويفضل أحدا على أحد بناء عليها، والرسول ﷺ يقول: «ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بتقوى الله»[٣] .

فسيبويه إمام اللغة العربية ليس عربياً، بهذا المعنى العصبي القومي المظلم ، ومع ذلك –ومن باب الأمانة العلمية والتاريخية – فإنني أرى أنه ليس فارسياً، إنما هو عربي الأصل ولد في

(١) سورة الحجرات ، آية ٦ .

(٢) توجيه النظر إلى أصول الأثر ، طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري ، ٢٩٨/١ ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، حلب ، ط١/١٩٩٥ م .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه عبدالله بن المبارك في مسنده ، رقم ٢٣٩ ، تحقيق صبحي السامرائي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١/١٤٠٧ هـ . قال علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦/٣ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

بخاري، وهي على نهر جيحون من بلاد ما وراء النهر ، وبخارى الآن من بلاد أوزباكستان في آسيا الوسطى، وقد دخل أهل بخارى الإسلام في أول خلافة يزيد بن معاوية «٦١هـ» ، فتحها مسلم بن زياد، وأحب أهلها الإسلام ، وبذلوا الكثير في نصرته، وكان منها كثير من أئمة الإسلام، فما وجه اعتراض أعداء السنّة « ؟ فإن البخاري من مجتمع يتكلم العربية ، ويعتنق الإسلام، فما وجه الاعتراض عليه؟»[١] . وأما أنه جعفي نسبة لقبيلة جعفي من قحطان، قال د. أبو سعيد العمروي: «ولما جاءت الفتوحات الإسلامية انتقل الجعفيون إلى العراق، وإلى بخارست ، ونهاوند .... وكان من أعلامهم وأشهر رجال الإسلام قاطبة، إمام المحدثين صاحب الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخاري «[٢] .

شبهة تقديس البخاري: أثار بعض الحاقدين، أو الجاهلين أيضا بحقائق التاريخ، أو المتجاهلين، مكراً، وطعناً، وتشويها ، قالوا : إنكم تقدسون البخاري وترفعونه إلى مكانة الأنبياء والمرسلين ، وتغالون في مدحه كثيراً ، إلى حد العصمة التي هي للأنبياء، وهذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله . قال رشيد أيلالك «ولعل الشخصية الدينية الأكثر تأثيرا في التاريخ الإسلامي، هي شخصية: «محمد بن إسماعيل البخاري»، لما حملته من ملامح جعلت البعض يغالي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء ، أو أكثر ،... ثم قال بعد ذلك : أفردنا هذا الفصل للوقوف على حقيقة الشيخ البخاري لنرى كيف تم تسييج حياته بسياج الأوهام والخرافات ، غلوا في شخصه»[٣] .

أقول : ولن أطيل طويلا عند هذه الشبهة المتهافتة ، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على ضحالة فكر من كتبها ، وعدم معرفته بطبيعة التراث الإسلامي ، وأعلام الأمة وعلمائها ، والكذب الواضح في الاتهام ، فهل ذكر مناقب الرجال وما حباهم الله تعالى من ملكات متعددة ، يعد تقديسا ، ورفعا لمقام النبوة ؟؟ أي تفكير هذا ؟؟ وأي ثقافة ونهج علمي هذا ؟ ، ولماذا انصبت هذه الحملة المسعورة المبرمجة على البخاري وحده دون غيره من أعلام المسلمين ومحدثيهم ؟؟ علما بأن غيره قد نال مدحا وثناء مثله أو أزيد منه ، إلا أن يكون ذلك جزءا من مؤامرة رخيصة لهدم هذه المنارة العلمية الشامخة أولا ، ومن ثم يتبعونه بأئمة الحديث والفقه والتفسير وغيرهم ، ليحققوا مآربهم الدنيئة في النيل من الإسلام وأهله ، ولكن أنى لهم ذلك وفي أمتنا علماء

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، عبدالمهدي عبدالقادر ، ص ٢٣٧ –٢٣٨ ، مرجع سابق . وانظر : إعلاء البخاري ، عبدالقادر بن محمد جلال ، ص ٢١ ، دار سلف للنشر والتوزيع ، ط١/٢٠١٨ م .

(٢) منطقة تثليث وما حولها عبر العصور ، د. أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، ص ٦٦ ، مكتبة دار الطحاوي ، الرياض ، ط٣/ ١٤٢٤هـ . وانظر : الجامع ، محمد عبدالقادر با مطرف ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١ م . وفيديو بعنوان «حقائق صادمة عن البخاري» نشَره موقع «أصوات مغاربية» وشاركه موقع «قناة الحرة».

(٣) صحيح البخاري ، نهاية أسطورة ، رشيد أيلال ، ص ٧٤ –٧٧ ، دار الوطن ، المغرب ، ط١/ ٢٠١٧ م .

متيقظون لكل دسيسة ، هم لها بالمرصاد ، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

قالوا: لقد جرّح البخاريَّ عدد من العلماء ، واعتبروه متروك الحديث ، فليس هو مكان اتفاق في التوثيق بينهم، قال رشيد أيلال :» وصل الأمر ببعض كبار الشيوخ وأعلامهم في علم الحديث، إلى تجريح محمد بن إسماعيل البخاري نفسه ، واعتباره مجروحا ومتروك الحديث ، ... ثم ساق دلبلاً على ذلك : ومن ذلك ما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء «١٢/٤٦٢»، وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل : قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين ، وسمع منه أبي وأبو زرعة ، وتركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق»[2] .

أقول: جواب ذلك من وجهين، أولا : ترك أبي حاتم وأبي زرعة التحديث عنه لا يمكن أن يعني بحال أن الرجل متروك كما زعموا، فليس هذا حال المتروك عند علماء الجرح والتعديل ، قال الحافظ ابن حجر: الطبقة العاشرة : من لم يوثق البتة، وضعف مع ذلك بقادح، وإليه الإشارة بمتروك، أو متروك الحديث، أو واهي الحديث، أو ساقط[3] . وهذا يدل على أن من أثار هذه الشبهة ليس له أدنى معرفة بعلم الحديث، أو رجاله، فكتب الرجال والتاريخ تعج بتوثيق البخاري، ولم نر اثنين من علماء الحديث اختلفوا في هذه الحقيقة. ثانياً: أبو حاتم وأبو زرعة حدّثا عنه وهما من رجال الجرح والتعديل، والعارفين بأحوال الرجال، وتركهما التحديث عنه ياتي في إطار التروي لا غير، لا سيما وقد تناهى إلى مسامعهم كلمة عن البخاري تتعلق بلفظنا بالقرآن وهل هو مخلوق أم لا ؟؟ والحق في ذلك مع البخاري لا سيما وقد علل هو ذلك كما مر في بداية هذا البحث، فأعمالنا وأقوالنا وألفاظنا كلها مخلوقة، ولا علاقة لذلك بالقرآن الكريم لا من قريب ولا من بعيد. ومن جهة أخرى فإنني أُكْبِر في أبي حاتم وأبي زرعة ما فعلاه من جهة عظيم التوثق والاحتياط بالرغم من معرفتهما للبخاري وروايتهما عنه. فالدين أمانة، إلا أنهما لم يقدحا فيه ولم يجرحاه البتة، وهذا دليل على اعترافهما بتوثيقه لا تجريحه، بهذا تندفع هذه الشبهة، ويرد كيد الباغضين والحاسدين إلى نحورهم. ولقد أجاد الذهبي عندما قال عقب ذكر هذه الرواية: إن تركا حديثه أو

(١) سورة الصف، آية ٨ .

(٢) صحيح البخاري، نهاية أسطورة ، رشيد أيلال ، ص ١٤٦ ، مرجع سابق . وبمثل ذلك قال : عدنان ابراهيم في مقالة كتبها على موقع تفسير القرآن الكريم بعناون: مشكلتي مع البخاري ، بتاريخ ٢٠١٢/١/١٦ م، أقول له: ومن انت يا ابراهيم حتى تفتعل لنفسك مشكلة مع البخاري ؟ أم أن طلب الشهرة دفعك ودفع آخرين لفعل هذا ، من باب خالف تعرف .

(٣) تقريب التهذيب ،ابن حجر ، المقدمة ، مرجع سابق .

لـم يتركاه البخاري ثقة مأمون محتج به في العالـم»[١]، ومن ثم فكيف يقبلون برواية الذهبي هذه المرة ؟ ويردونها مرارا ؟؟ ما هذا التناقض؟.

طُعـن في البخاري في جانب أمانته العلمية، وأنه ارتكب الكذب الصريح ، قال فقيه الطائفة شيخ الشريعة الأصبهاني: «ومن وجوه الطعن في البخاري ما يدل على عدم ديانته ووثاقته وتدليسه، وانــه تصـرف في مال الغير بغير إذنه ، مع العلم بكراهته وعـدم رضاه، وارتكب الكذب الصريح، وأقـدم علـى أمر قبيح ، كما يظهر ممـا قاله مسلمة بن قاسم في تاريخه علـى ما نقل عنه ، قال : وسبـب تأليف البخـاري الكتاب الصحيح أن علي بن المديني ألف كتـاب العلل ، وكان ضنينا به لا يخرجـه إلى أحـد، ولا يحدث به لشرفه وعظم خطره، وكثرة فائدته ، فغاب يوما في بعض ضياعه فجـاء البخاري إلى بعض بنيه ورغبه بالمال على أن يرى الكتاب يوما واحدا فأعطاه له فدفعه إلى النسـاخ فكتبوه لـه ورده إليه فلما حضر علي تكلم بشيء فأجابه البخاري بنص كلامه مرارا ففهم القضيه واغتم لذلك فلم يزل مغموما حتى مات بعد يسير ..... وذكر قصة طويلة»[٢] .

أقـول : وهـذه قصة مكذوبـة، مخترعة ، لا أصل لها ، ردّها الحافـظ ابن حجر ، وقد ذكرها فــي التهذيـب، ثم قال: «إنما أوردت كلام مسلمة هذا لأبين فساده فالقصه التي حكاها فيما يتعلق بالعلـل لابـن المديني فإنها غنية عن الرد لظهور فسادها وحسبك أنها بلا إسناد وأن البخاري لما مات علي كان مقيما ببلاده وأن العلل لابن المديني قد سمعها منه غير واحد غير البخاري فلو كان ضنينا بها لم يخرجها إلى غير ذلك من وجوه البطلان»[٣] .

وممـا يرد هذه القصة أن البخاري عرض كتابه علـى جماعة منهم المديني، قال العقيلي : لمـا ألـف البخاري كتاب الصحيح عرضه على علي بن المدينــي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهــي صحيحة»[٤] . ونظرا لمحدودية صفحـات البحث أكتفي بهذه النماذج من الشبه والرد عليها ، علمـا بأن سلسلة الهجوم الشرس على البخاري لا زالت مستعرة ، وهذا لا يزيدنا إلا إيماناً بعظم هذا الكتاب، ومكانة صاحبه»[٥].

والطامة الكبرى التي وصف بها البخاري «الإمام المظلوم»، أنه عميل يهودي جيء به لخدمة

---

(١) سير اعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٦٣/١٢ ، مرجع سابق . وإعلاء البخاري ، عبدالقادر جلال ، ص ٤٠ ، مرجع سابق .

(٢) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع ، شيخ الشريعة ، الأصبهاني ، ص ٩٥ -٩٦ ، مرجع سابق .

(٣) تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، ٤٦/٩ ، مرجع سابق .

(٤) تقدم في رابعا : منزلة صحيح البخاري وثناء العلماء عليه .

(٥) على سبيل المثال، انظر : كتاب الماء الجاري في غسل البخاري ، علي الكوراني العاملي ، نشر نور علي قم المقدسة ، ط٢٠١٨/١ م ، وهو كتاب مليء بالكذب والدس والافتراءات ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

مصالـح اليهود وعقيدتهم ، قال غسان مغارة :» وعليه يمكننا القول بأن البخاري كعميل اسرائيلي مفترض يجب أن يكون مجهول الاصل بحكم الضرورة للمهمة السرية والتي تهدف الى اختلاق أحاديث تنسب للرسول الكريم يكون هدفها إفساد العقيدة وثوابت الدين، طبعا إذا أقدم اليهود على مثل هذه المهمة أو المؤامرة لن يكونوا بالغباء الذي يجعلهم يعترفون بيهودية البخاري لأن العداء المتأصل بين العرب والاسرائيليين كفيل بأن يجعل العرب يرفضون أن يجمع أحاديث نبيهم يهودي»[١] . وساق كلاماً ركيكاً بخصوص اسم البخاري وأصله وانه كذّاب وتكلم بالحديث دون القرآن ونحو ذلك ، مما يدل على جهل وغباء من كتبه ، وانه مأجور ليكتب ما كتب ، ونسي أن التاريخ الحقيقي لا ولن يطمس به وبأمثاله ، أصحاب الأقلام المأجورة ، ليتضح من هذا الكلام السخيف أن هناك مؤامرة حقيقية لهدم برج البخاري وأتباعه ، ولينتبه علماء الأمة والحريصون على دينهم وعقيدتهم من تبعات هذه التصريحات والكتابات ، وما وراءها من خطوات أخرى لتنال من أمثال البخاري للوصول في نهاية المطاف إلى إرساء قناعة لدى الناس أن دينهم مبني على شكوك ، وخرافات لم يثبت منها شيء ، وأن الثابت حقاً هو ما عندهم من عقائد فاسدة ، وتاريخ مزيف ، وروايات مكذوبة لا أساس لها من الصحة ، فأين هم من عدول الأمة الذين يحملون هذا الدين جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المطلب الثاني : شبهات حول صحيح البخاري ، والرد عليها .

أثيرت شبهات حول صحيح البخاري قديماً وحديثا ،ً إلا أن العلماء انبروا للرد عليها وإبطالها ، وبيان أن الدافع من ورائها هو تنفيذ لمشروع الطعن في الإسلام وعلمائه وأهم مراجعه ، من واقع معاداة الإسلام وأهله ، المبني على الحسد والغيظ والحقد الدفين ، المتأصل في نفوسهم منذ اللحظة الأولى لرسالة الإسلام ، وفيما يلي بعض هذه الشبه والرد عليها :

شبهة أنه لا يوجد نسخة أصلية من صحيح البخاري بخط يده ، في العالم كلّه ، كذا قال رشيد أيلال [٢] ، وكان المستشرق الكلداني منجانا (١٨٧٨-١٩٣٧م) قد دوّن هذه الشبهة في دراسته على صحيح البخاري[٣] .

الرد على هذه الشبهة : معلوم أن البخاري كتب نسخته الأصلية بخط يده ، بدليل قوله: «ما وضعت في كتابي «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين»[٤] . وقول العقيلي:

(١) الخدعة الكبرى ، البخاري والمؤامرة اليهودية ، غسان مغارة ، مقال نشر على موقع أهل القرآن ، بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٦ م .
(٢) صحيح البخاري ، نهايو أسطورة ، ص ٢٤١ ، مرجع سابق .
(٣) انظر : مدونة د. أحمد بن فارس السلوم ، تاريخ ٢٠١٥/٥/٢٩ م . فقد أجاد في الرد على شبه منجانا حول صحيح البخاري.
(٤) تقدم في المبحث الثاني .

«لمـا ألف البخاري كتاب الصحيح عرضــه على علي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهـم»[١]، وقال البخـاري: «صنفت جميع كتبي ثلاث مرات»[٢]، وقال: «وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»[٣].

يستفـاد من هذه النصوص أن البخاري كتـب صحيحه بنفسه، بل نسخه ثلاث مرات ، ولكن لا يوجد اليوم نسخة من هذه النسخ التي نسخها بيده، وهذا أمر طبيعي، فألوف المخطوطات التي كتبـت لا يوجـد لها أثر اليوم، إلا أنها مطبوعة ومتداولة وتمـلأ المكتبات، ويستعين بها طلبة العلم والباحثون لتكون مصادر ومراجع ليحوثهم وكتاباتهم، ولم يقل أحد أو يتساءل أين نسخ مصادركم ومراجعكم ؟ لأنه سؤال سخيف ولا قيمة له، وتجاوز لكل الأعراف و «المسالك» العلمية التي تضمن اليوم سلامة الكتب وعدم انتحالها، كالتسجيل في المكتبات الوطنية، والحصول على إذن النشر، والشهرة بين أهل العلم، وتواتر الأخبار، ونحو ذلك من وسائل العلم والإثبات.

ومعلـوم أنه تم نسخ كتـاب البخاري من عدد كبير من تلامذته، حتـى قال محمد بن يوسف الفربري: «سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل»[٤].

« ولم يكونوا يكتفون بما دوّنوه من كلام البخاري ، بل زيادة في الحرص والدقة كانوا يقابلون/ يراجعـون ما نسخوه من صحيح البخاري على نسخة كتاب شيخهم البخاري نفسه، ويصحّحون ما وقـع منهم من خلل أو زلل، وبعد انتهاء النسخ والمقابلـة والمطابقة على نسخ الشيخ نفسه يكتبون على نسختهم وقت انتهائها، وأنها قوبلت على نسخة الشيخ، وبهذا يصبح عندنا نُسخ متعددة طبق الأصل عن نسخة الإمام البخاري نفسه، وأنها حصلت في حياة البخاري نفسه»

وقـد حفـظ التاريخ لنـا أسماء عدد من طـلاب الإمام البخـاري، من أشهرهـم ممن بقيت أسماؤهم ونسخهم إلى يومنا : محمد بن يوسف الفربري ، وإبراهيم بن معقل النسفي ، وحماد بن شاكر النسوي ، وأبو طلحة منصور بن محمد البزدوي ، وأبو عبد الله المحاملي ، وغيرهم ، حيث تتبع بعض الباحثين جميع روايات ونسخ صحيح البخاري وجمعها في مصنف مفيد [٥].

ثـم جـاء من بعدهم جيل لا يحصـون ، سمع (صحيح البخاري) منهـم وقابلوا نُسخهم على نُسـخ التلاميذ الأُوَلِ، حتـى تواترت نسبة الكتاب إلى البخاري لكثـرة النُسخ عليه واتصال الرواية إليه.

---

(١) تقدم في المبحث الثاني .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤٠٣/١٢ ، مرجع سابق ، ومقدمة فتح الباري ، ٤٨٧/١ ، مرجع سابق .

(٣) تقدم في المبحث الثاني . وانظر : إعلاء البخاري ، عبدالقادر جلال ، ص ٥٩ ، مرجع سابق ، فقد أفاد وأجاد .

(٤) تقدم في تلامذته .

(٥) انظر : روايات ونسخ الجامع الصحيح ، د. محمد بن عبدالكريم بن عبيد ، دار إمام الدعوة ، ط١م١٤٢٦ هـ .

ومنــذ يومــه الأول وصحيــح البخاري يُتناقـل عبر الزمن إلـى يومنا هذا بشـكل متواتر بين الناسـ بالرواية والتدوين، بحيث تواطأ العلماء والعامة على روايته ومدارسته وتعلمه وفهمه ، ولذا فلـو ضـاع الأصل الذي خطّه البخاري بيـده فلن يغير لنا ذلك شيئًا؛ لكـون الكتاب قد انتشر وفشا بيـن التلاميذ، وكثرتْ نُسخه التي على كلٍّ منها إسنــادٌ يتصل بالبخاري، وكُتبت عليه الشروحات، وتطابقتْ جميع نُسخه بفضل الله تعالى [١].

أقول : ومن أقرب نسخ شروح البخاري: «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري»، للخطابي المولـود سنــة ٣١٩ ، والمتوفى سنة ٣٨٨ه ، يعني أن الخطابـي عاصر بعض تلاميذ البخاري فأخذ عنهـم، ممــا يؤكد صحة النقل ودفع هذه الشبهة. ودليل آخر : لما عجز المبطلون عن إضافة شيء لصحيح البخاري، لأنه لو كان ليس للبخاري لأمكن الدس والوضع فيه ، فلما عجزوا عن ذلك تبين أن نسبــة الكتــاب لصاحبــه صحيحة . ومما يؤكد ذلــك أيضا أن الحافظ المستملـي[٢] نسخ أصل البخــاري من نسخة الفربري تلميذ البخاري ، قال: «انتسخــت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري»[٣] .

٢- شبهة أن صحيح البخاري مليء بالخرافات والأساطير ، وفيه إساءات في حق الله تعالى، ونبيه، وكتابه، وهكذا .... قال رشيد أيلال: «إن الغلو في صحيح البخاري، وجعله مع كامل الأسف فـوق كتاب الله تعالى الموحى إلـى نبيه، رغم كم الأباطيل والخرافـات والأساطير التي يزخر بها هــذا الكتاب، أصبح من الأمور المسلمة لدى الشيــوخ، بل إن من يتصفح هذا الكتاب، سيقف على إســاءات كبيــرة فــي حق الله تعالــى، وفي حق نبيــه ، وفي حق كتــاب الله تعالى، وفــي حق أمهات المؤمنين، وفي حق الإنسانية جمعاء، وإهانة العقل البشري بشكل لا يمكن وصفه»[٤]. أقول : أرأيتم كيف تجذر العداء لصحيح البخاري ؟؟ لدرجة أن يوصف بهذه الأوصاف التي لا يمكن أن تطلق أي كتــاب مــن كتب الحديث، أو التفسير، أو الفقه، أو حتى على أي كتاب من كتب القصص والروايات المليئة بالإسرائيليات والخزعبلات والأوهام، أو نحو ذلك.

أتحــدى أن يوجــد شخصـ واحد في العالم مــن زمن البخــاري وإلى اليــوم ، يجعل صحيح

(١) انظر مقال : لماذا يحاربون صحيح البخاري ؟ أين نسخة صحيح البخاري ؟ ، فادي قراقرة ، موقع الراصد ، بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٨ م .

(٢) هو ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن أحمد البلخي المستملي ، راوي صحيح البخاري عن الفربري ، وكان ثقة صاحب حديث ، مات سنة ٣٧٦هـ ، شذرات الذهب ، ٤٠٤/٤ ، مرجع سابق .

(٣) حياة البخاري ، القاسمي ،ص ٣٢ ، مرجع سابق . وللمزيد انظر : اعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق محد بن سعيد آل سعود ، جامعة ام القرى ، ط١/ ١٩٨٨ م .

(٤) صحيح البخاري ، نهايو أسطورة ، ص ١٢٠ ، مرجع سابق .

البخـاري فـوق كتاب الله تعالى . مـا هذا الكذب والافتراء ؟؟ من قال ذلـك ؟ وأين ؟ أم أن الذمم والنفوس هان عليها اتهام الآخرين للوثة فكر، أو عمل لأجندة معينة، أو للعاعة من الدنيا .

وأيـن هي الأباطيل والخرافات والأساطير التـي يزخر بها ؟؟؟ وهذه فرية سخيفة لا تستحق الوقـوف عندهـا، إذ أن صحيـح البخاري قـد تلقاه علماء الأمـة بالقبول، قـراءة وحفظا وشرحا وتدريسا وإملاء، ولو كان فيه أساطير لذكرها واحد على الأقل من هؤلاء، ثم أين هي الإساءات في حـق الله تعالى ونبيه وكتابه وأمهات المؤمنين ؟؟ إلى غير ذلك من هرطقات وترهات وخزعبلات أشبـه مـا تكون بأحلام شيطانية لا قيمة لها البتة، فيصدق علـى هؤلاء المثل القائل: صمت دهراً ونطق كفراً، ومثل: ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني.

المبحث الرابع:

معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الأمن لغة واصطلاحا:

أولاً : الأمن لغة : الأمْن ضد أو نقيض الخوف، تقول : أمِن فلان يأمَن أمْنا وأمَنا وأمَنة وأماناً فهو أمِنٌ، وقد أمنتُ فأنا أمِنٌ، وآمنت غيري، من الأمْن والأمان، والأمَنة : الأمْن . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾[١]

والأمانـة ضد الخيانة، والايمان ضد الكفر، والايمـان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب.[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾[٣]. أي الآمن، وهو مكة»[٤] اذا في ضوء ما تقدم فـإن الأمن فـي لغة العرب هو: «الاستقرار والطمأنينة والحياة التـي لا خوف فيها ولا معها، والثقة وعدم الخيانة»[٥].

المطلب الثاني: تعريف الأمن اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء في تحديد مفهوم مصطلح الأمن تبعا للمجال أو الحقل الذي أضيف اليـه الأمن، فهناك الأمن السياسي، والأمن الاقتصـادي، والأمن البيئي، والأمن الغذائي، والأمن الوطني، وهكذا.. «لكن هناك من أطلق تعريفا عاما للأمن اصطلاحاً، منهم قال الجرجاني: «هو:

(١) سورة الانفال ، آية ١١ .

(٢) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ٢١/١٣ وما بعدها ، دار صادر ، بيروت ، ط١/ بلا .

(٣) سورة التين ، آية ٣ .

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، مرجع سابق .

(٥) وانظر : بحث : الامن في المجتمع ، للباحثة : هاجر بنت توفيق المانع ، ص ٢٥ .

«عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»[1] .

قال الماوردي: «واما القاعدة الرابعة - من قواعد صلاح الدنيا وانتظام العمران - : فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة». والأمن المطلق: ما عَمَّ والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال، وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال»[2] .

«حالةٌ من الطمأنينة، والاستقرار التي تسود في الدولة لتتمكن من تحقيق مصالحها، ومصالح أفرادها الضرورية، والحاجية، والتّحسينية»[3]..

المطلب الثالث : تعريف الأمن الفكري:

نظـرًا لحداثة المصطلح فقد تباينت تعريفات الباحثين حول المراد به، لكن معظمها يركز على حماية العقل والفكر، في تصور واضح من البقاء في منهج الوسطية ، بعيدا عن الغلو، دونما إفراط ولا تفريط، ومن هذه التعريفات، ما يلي: قال الدكتور عبدالله التركي: هو: «أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية»[4].

وقال الدكتور سعيد الوادعي : هو: «سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون»[5] .

وخلاصة القول وبالتأمل فيما انتهى إليه الباحثون قي تعريفهم للأمن الفكري : أنه يسعى إلى تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال، وأنه يُعنى بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك»[6].

---

(١) التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ص ٣٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ / ١٩٨٨م . وانظر : التعاريف ، محمد عبدالرؤوف المناوي ، ص ٩٤ ، تحقيق : د. محمد الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١٠ هـ .

(٢) ادب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن البصري الماوردي ، ص ١١٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧م

(٣) تدابير الأمن الداخلي وقواعده العامة في الدولة في ضوء مقاصد الشريعة ، حسام إبراهيم حسين أبو الحاج ، رسالة دكتوراه / الجامعة الاردنية / كلية الدراسات العليا / ٢٠٠٦ م .

(٤) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به. د/عبد الله التركي. ص٥٧.

(٥) الأمن الفكري الإسلامي. د. سعيد الوادعي ، مجلة الأمن والحياة العدد (١٨٧) ، ١٤١٨ه.

(٦) انظر : مفهوم الامن الفكري ، دراسة تأصيلية في ضوء الاسلام ، ماجد بن محمد الهذيلي ، ص ٢٢ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٣٣ هـ .

المطلب الرابع: معالم الأمن الفكري عند البخاري:

فـي ضوء هذه التعريفات، وعند النظر في صحيح البخاري، وفكره وحياته، نقف على معالم الأمـن الفكري عنده، وكيـف اتسم بكل معاني الوسطيـة، والبعد عن طرفي الإفـراط والتفريط ، والحرص علـى سلامة العقيدة الإسلامية وفقاً للكتاب والسنّـة، وتحصين أفراد الأمة من كل زيغ أو ضـلال أو فكـر منحرف ، وضرورة تفعيل فريضة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى غير ذلك من معالم تدل على رسوخه في فهم الإسلام فهما صحيحاً بعيدا عن كل معاني الجهل والتشويش والضلال ، وبيان ذلك فيما يلي :

أولا: إيمـان البخـاري بأن صـلاح النية هو أساس قبـول الأعمال ، وأن صـلاح الفكر متعلق بصـلاح النيـة ، لذلك فإن أول حديث صدّر به صحيحه هو حديث: «إنما الأعمال بالنيات»(١) . قال الحافظ ابن حجر: «وقد صدر الكتاب بترجمة بدء الوحي وبالحديث الدال على مقصوده المشتمل على أن العمل دائر مع النية فكأنه يقول : قصدت جمع وحي السنة المتلقى عن خير البرية على وجه سيظهر حسن عملي فيه من قصدي وإنما لكل امرئ ما نوى فاكتفى بالتلويح عن التصريح»(٢) .

ثانيـا : الإعتصـام بكتاب الله تعالـى، والتمسك بسنة رسول الله صلـى الله عليه وسلم خير حافـظ مـن الإنحراف والضلال: هذه عقيدة البخاري ، وهذا فهمـه الصحيح ، لذلك ترجم بباب مستقـل قوله: «كتاب الإعتصام بالكتـاب والسنة»، وأورد فيه جملة أحاديـث تؤكد معالم عقيدته، منهـا : حديث أنـس بن مالك: «أنه سمع عمر الغد حين بايع المسلمـون أبا بكر واستوى على منبر رسـول الله ﷺ، تشهـد قبل أبي بكر فقال : أما بعد فاختار الله لرسوله ﷺ الذي عنده على الذي عندكـم، وهذا الكتـاب الذي هدى الله بـه رسولكم فخذوا به تهتدوا، ولما هـدى الله به رسوله»(٣) . فالقـرآن الكريـم والسنة النبوية المطهـرة هما أصلا منهـج التلقي، والتمسـك والاعتصام بهما كفيلان لحماية الفرد والمجتمع في أمنه وفكره»(٤) .

يتأكد ذلك أيضا في ضوء تراجمه تحت كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، فقال :

بـاب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وباب الاقتـداء بأفعال الرسول ﷺ، وباب ما يذكر من ذم الرأي ، وهكذ ..» .

---

(١) أخرجه في صحيحه ، حديث رقم ١ . مرجع سابق .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، ٨/١ ، مرجع سابق .

(٣) صحيح البخاري ، حديث رقم ٧٢٦٩ ، مرجع سابق .

(٤) من معاني الأمن الفكري في السنة النبوية ، د. محمد السمان ، مقال نشر في صحيفة الجزيرة ، عدد ١٣٣٥٨ ، تاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٥ م .

ثالثـا : تمتـع البخـاري بعقيدة سليمة ، خالية مـن كل شائبة ، أو انحـراف ، أو شطط ، فهي عقيدة أهل السنّة والجماعة ، ندرك ذلك عند النظر في صحيحه ، وقد ترجم بباب مستقل: كتاب «الإيمـان» وقال : وهـو : قول وفعل، ويزيد وينقص «ثم استدل على ذلك مـن القرآن والسنّة ليؤكد ما ذهب إليه، فساق جملة أحاديث منها : حديث أبي هريرة: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبـة من الإيمـان»[١] . ليدلل على أن الإيمـان قول وعمل ، وهي عقيدة أهـل السنة والجماعة. ثم سـاق بعـد ذلك باب : المسلم مـن سلم المسلمون مـن لسانه ويده» وساق حديـث ابن عمرو بهذا اللفـظ[٢] ، ليدلل علـى أن الإسلام والإيمان شيء واحد. وقوله: «باب قيـام ليلة القدر من الإيمان» وباب: «الجهاد من الإيمان»[٣] وهكذا سائر الأحاديث التي ساقها تؤكد ذلك. بل ترجم بوضوح في باب مستقل، قال: «باب زيادة الإيمان ونقصانه»[٤].

ومن معالم الأمن الفكري عند البخاري أنه لا يجيز تكفير المسلم لأخيه المسلم ، « فهي فتنة امتُحـن المسلمون بها عبر التاريخ، عانت منها الأمة الإسلامية طويلا ، وذاقت مرارتها وتجرعت غُصصهـا ردحـا من الزمن، كمـا نجم عنها من سفك الدمـاء وتناثر الأشلاء وحـل جراءها من نكبـات وأرزاء»[٥]. فأخـرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٦] . أقول : وهذا منهج اهل السنّة وساروا عليه، قـال الطحـاوي: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهـم، ولا نشهد لهم بالجنـة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهـم، ولا نقنطهم، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة»[٧].

رابعـاً: موقفـه من الصحابة رضي الله عنهـم موقفا متوازنا ، ويقف مـن الجميع على نفس المسافـة، لـم يطعـن في أحـد، ولم يغال فـي أحد، ودليـل ذلك أنه فـي كتاب فضائـل الصحابة رضـي الله عنهم أخـرج أحاديث فضائل الخلفـاء الأربعة حسب تفضيـل الله تعالى لهم، وجماعة

(١) صحيح البخاري ، حديث رقم ٩ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ،حديث ١٠ .

(٣) صحيح البخاري ، باب رقم ٢٥ و ٢٦ ، مرجع سابق .

(٤) باب رقم ٤٣ ، من كتاب الإيمان .

(٥) أثر الثقافة الاسلامية في تأصيل مفهوم الأمن الفكري ،ابراهيم بن محمد الخليفة ، جامعة الازهر ،كلية اصول الدين ،ص ١٧

(٦) صحيح البخاري ،حديث رقم ٥٧٥٣ . مرجع سابق .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محد بن أبي العز الدمشقي ، ص ٤٣٢ ، تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، ط٢/١٩٩٠ م .

المسلمين، فبدأ بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، رضي الله عنهم جميعا ، ثم مناقب آل البيت، وهكـذا[1] ... فهـي رسالة واضحة إلى كل من يتهم البخاري ويفتري عليه بعدائه لآل البيت، لنتبين مـن ذلك معلماً آخر من معالم الأمن الفكري عند البخـاري ، يتسم بالإعتدال والوسطية، والفهم الصحيح لموقفنا من الصحابة رضي الله عنهم.

ثم يتضح من ترجمة الباب أنه يرى في معنى الصحابي اصطلاحا، ما ذهب إليه جمهور أهل الحديث، فقال: «ومن صحب النبي، أو رآه من المسلمين ، فهو من أصحابه»[2].

خامســاً: من معالم الأمن الفكري عند البخـاري، دعوته للإعتدال والوسطية، والتحذير من الغلـو والتطـرف والابتداع في الديــن ، يبدو ذلك جليا من خلال تراجم بعض أبواب كتابه ، منها : بـاب ما يكره من التعمـق والتنازع والغلو في الدين والبدع، وساق تحتـه جملة من الأحاديث التي ترهـب من الغلو فـي الدين ، وبين محاسن وفضائل اتباع سنة النبــي ﷺ ففيها كل الخير. وباب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[3]، ومـا أمـر النبي ﷺ بلزوم الجماعـة ، وهم أهل العلم، وباب «كراهية الاختلاف»[4]. وتفسيره للجماعة بأهل العلم دليل على موقفه المتوازن ، بعيداً عن التأثر باجتهادات غيره من أصحاب المدارس الأخرى .

ويكـرر البخـاري في عـدة أبوب إيراد ما يدلل علـى منهجه في فهم الإسـلام وأنه دين يسر وسماحــة ، فقــال: «باب الدين يسر، وقول النبــي ﷺ: «أحب الدين إلــى الله الحنيفية السمحة»، وســاق حديـث أبي هريرة رضي الله عنــه يرفعه: «إن الدين يسر ، ولن يشــاد الدين أحد إلا غلبه، فســددوا وقاربــوا ، وأبشــروا، واستعينوا بالغدوة والروحــة وشيء من الدلجــة»[5]. قال ابن حجر: «ومناسبــة إيراد المصنف لهذا الحديث عقب الأحاديث التــي قبله ظاهرة من حيث أنها تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجـز وينقطع بل يعمل بتلطف وتدريج ليـدوم عمله ولا ينقطع»[6] . وكذلك إخراجه حديث عائشة رضي الله عنها ترفعه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[7]. أقول : هذا المنهج الذي ســار عليــه أصحاب رسول الله ﷺ، ومن اقتدى بهم وسار على نهجهــم، وبه استطاعوا أن يصلوا

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل اصحاب النبي ﷺ ، حديث رقم ٣٦٤٩ وما بعده . مرجع سابق .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل اصحاب النبي ﷺ ، باب رقم ١.
(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٣ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب رقم ٥ ، و٩ . .
(٥) صحيح البخاري ، حديث رقم ٣٩ ، مرجع سابق .
(٦) فتح الباري ، ابن حجر ، ٩٥/١ ، مرجع سابق .
(٧) صحيح البخاري ، حديث رقم ٢٥٥٠ ، مرجع سابق .

إلـى قلوب الناس وعقولهـم، فانتشر الإسلام شرقا وغربا، وحكموا بـه الدنيا ، ولما تحول المنهج والفكـر والأسلـوب ، تغيـر واقع المسلمين إلـى الأسوأ ، قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1]. ذلـك لأن الابتـداع في الديـن آفة خطيرة ، تهـدد الأمن الفكري في المجتمع ، وتصيب أصحابه بأنواع من الاضطراب في التفكير، لأن البدعة «مردُّها إلى استحسان العقول، لا اتباع النصوص» ، وهذا هو مكمن الخطر في النوع من التفكير الذي يودي بصاحبه إلى المهالك»[2].

ومـن مواقفه المتوازنة التـي تدل على إنصاف وعدالة ، ومعاملة الـرواة بما يستحقون حتى مـن روي بالإبتداع منهم، فميزانه العدالـة والضبط، يقول ابن حجر: «ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته»[3]، وقد عـدّ ابن حجر في المقدمة أسماء من رمي بالابتـداع على حروف الهجاء، وذكر منهم: المرجيء، والناصبي، والشيعي، والجهمي، والقدري، وغير ذلك. فإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على صلاح نفسيـة البخـاري ، وإعطاء كل ذي حـق حقه، حتى لو خالفه في مسائل عقديـة ، فالأصل هو قبول الآخر، والتعامل معه بما يرضي الله تعالى ، ويتوافق مع قواعد الشريعة.

هـذه مدرسة البخاري التي تخرج فيها مئات الألوف من طلبة العلم شرقا وغربا ، من كليات الشريعة فـي العالم الإسلامي، والمؤسسات الدينية، والمساجد، وغيرها، والتي لم تخرّج إرهابياً ولا متطرفـاً، ولا صاحب فكر منحرف، أو أجندة مشبوهـة، هذا هو البخاري وهذا صحيحه، وحُقَّ لنا أن نفاخر به وبكتابه.

سادسـاً: مـن عناصر الأمن الفكري : تحصين المجتمع مـن الباطل والضلال ، ولذا جاءت الشريعـة بأمـور منها: «التحذير من الفرق المخالفة لهذا المنهـج الحق» وهذا ما أدركه البخاري وفهمـه جيداً، فأخرج حديث علي بن أبي طالب يرفعه: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة»[4]. ويتوافق مع هذا أيضاً: التحذير من الاختلاف المفضي إلى النزاع ، فالبخاري يدرك خطورة ذلك، فأخرج تحت باب «كراهية الاختلاف» من حديث جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يرفعه:

---

(١) سورة الرعد ، آية ١١ .

(٢) من معاني الأمن الفكري في السنة النبوية ، د. محمد السمان ، مرجع سابق .

(٣) مقدمة الفتح ، ابن حجر ، ١/٣٨٤ ، مرجع سابق .

(٤) صحيح البخاري ، حديث رقم ٣٦١١ ،مرجع سابق . وانظر مفهوم الامن الفكري ، ماجد الهذيلي ، ص ٢٥ ، مرجع سابق .

«اقرؤوا القرآن ما أتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[1].

سابعاً: من معالم الأمن الفكري الواضحة عند البخاري، تصوره المنضبط للتعامل مع الحاكم أو المسؤول، وهو الذي لما ابتلي بتأليب محمد بن يحيى الذهلي بنيسابور الناس عليه، بسبب مسألة خلق القرآن المشهورة، وقد تقدم الحديث عنها، وتآمروا عليه وأخرجوه منها، خرج دون أن يشاغب، أو يفتعل إشكالات، أو يؤلب الناس عليه، علماً بأنه كان ممن يحظى بمحبة الناس، فلو أراد أن تكون معركة لكانت، إلا أن عقيدته ودينه ، وفهمه السليم لسنة رسول الله ﷺ منعته من أي تصرف يسيء له وللسنّة والحديث»[2] .

وساق في صحيحه تحت باب: «قول الله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[3] .

«فطاعة ولاة أمر المسلمين ولزوم جماعتهم من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة، يؤكدون عليها، ويقررونها، لبالغ أهميتها، وعظم شأنها، حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم، فيما ليس فيه معصية لله عز وجل، ومن هنا كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر»[4] .

ثامناً: ومما يؤكد ما نناقشه، تلقي علماء الأمة لصحيح البخاري بالقبول، مما يشكل إجماعاً عبر التاريخ، رغم كل محاولات النيل منه، بدءاً من عصره حين كان يحدّث به تلامذته، إلى يومنا هذا، فقد وضع الله سبحانه وتعالى له قبولاً في قلوب ونفوس الناس، عالمهم وعاميهم، ولا عبرة بالنزر اليسير المخالف، فيكفي أن نقول عن الحديث : أخرجه البخاري، إن هذه المكانة العليّة للصحيح وصاحبه، وما يترتب عليها من أثر إيجابي في كل جوانب العلوم، إنما يشكل حلقة من حلقات الأمن الفكري، والنفسي الذي ينعكس على المجتمع فكراً وبناءً، واستقراراً علمياً «فهو يعُد بإجماع أئمة الإسلام أرقى جهود الأئمة والمحدثين في خدمة السنة النبوية ، وأبرز الصور الواضحة لصحة القواعد التي وضعها المحدثون، للتثبت من سلامة الحديث من المطاعن وصحة نقله عن رسول الله ﷺ»[5] .

---

(١) صحيح البخاري ، حديث رقم ٧٣٦٤ ،

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤٦/١٢ ، مرجع سابق .

(٣) صحيح البخاري ، حديث رقم ٦٧١٨ ، مرجع سابق .

(٤) من معاني الأمن الفكري في السنة النبوية ، د. محمد السمان ، مرجع سابق .

(٥) إعلاء البخاري ، عبدالقادر جلال ، ص ١٠ ، مرجع سابق .

هــذا مــن جهة، ومن جهة أخرى فإن ترتيــب أبوب صحيح البخاري كما هــي عليه الآن، إنما يــدل علــى فقه واســع وعميق، لا يدركــه إلا المتخصصون فــي علم الحديث، ومــراد البخاري من تراجمــه، فكمــال شخصيته – نسبيا – انعكس على كتابه، فهو مجتهد وليس مقلداً، وله آراء كثيرة تفــرد بها، كما أنه استوعب كل أبــواب الدين، عقيدة، وفقهاً، وتفسيراً، وسيــرة، وآداباً، ومناقب، وهكــذا، مترجمــا لكل باب بما يتناســب تماما مع مضمونه، مدللاً على ذلك بمــا ارتآه من روايات انطبــق عليها شرطه، أو لم ينطبق في التراجم، والمعلقات، لئلا يفوِّتَ دليلاً للمسألة، فهذا صنيع عالــم محقق ومستنير. قال ابن حجر: «ثــم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخــرج بفهمــه من المتون معاني كثيــرة فرقها في أبواب الكتاب بحســب تناسبها، واعتنى فيه بآيــات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة قال الشيــخ محيي الديــن : ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديــث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها»(٦).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية :

الإمــام البخــاري عبقريــة فذّة ، وشخصيــة قلّ نظيرها ، نــال إعجاب الكثيريــن من علماء المسلمين ، وغيرهم . ممن عاصروا البخاري وحتى يومنا هذا ، وذكروه بما لم يذكروا به غيره من المدح والثناء .ولا يُعد هذا تقديساً له ، ولا اعتباره معصوما ، فشتان بين الأمرين .

لــم يُذكــر البخاري في كتب التاريخ ، أو كتب الجرح والتعديل بتجريح أو ذمّ أو قدح يحط من مكانتــه ، أو يؤثر في روايته ، أو يُعد سبباً فــي تضعيفه من جهة الرواية والحديث .أو حتى أخلاقيا ،أو سلوكيا ، ونحو ذلك . وما أثير من شبهة أنه جُرّح فهذا مردود وغير صحيح .

يُعــد البخــاري موسوعة علمية بحــق ، فهو محدّث ، وصاحب جرح وتعديــل ، وفقيه ومفسر ، ومجتهد ، وصاحب تصانيف كثيرة .

تم استهداف البخاري وصحيحه بحملة تشكيك وقدح وذم – وهي معاصرة – دون غيره من كتب الحديث لنصبح على يقين أن هناك حملة ممنهجة وراءها مشروع مشبوه للطعن في مصادر المسلمين الموثوقة ، بعد أن عجزوا غن الطعن في القرآن الكريم .

البخــاري شخصيــة متوازنــة ، وذات عقلية منظمــة ، وهو مدرك لما يفعلــه تماما، فلم يكن

(٦) مقدمة فتح الباري ، ابن حجر ،٨/١ ، مرجع سابق .

عشوائيـا ، أو فوضويـا ، بـل كان يمثل القدوة في علمـه وحياته، مما انعكـس إيجابيا على صحيحه وترتيبه وتبويبه .

أحاديـث صحيح البخاري غاية في الصحة ، وما انتقـده أهل العلم قديما في بعض أحاديثه بنسبة لا تتجاوز ١٪ من عدد أحاديثه ، فقد أجيب عنها ، إلا النادر اليسير ، مما يؤكد أن البخاري برئ مما نسب إليه من طعن وتشكيك في أحاديث صحيحه .

نُسـخ صحيح البخاري موجودة ، وتـم تداولها عبر الأجيال المتعاقبة ، حتى لو فقدنا صحيح البخـاري عن بكـرة أبيه ، لما ضاع من السنـة والحديث شيء ، فهي موجـودة في كتب المحدثين الآخرين ولله الحمد .

حظـي صحيح البخـاري باهتمام كثير من أهـل العلم ، ما لم ينله غيره مـن كتب الحديث ، رواية ، ودراسة ،وتدريسا ، وشرحا ، ونحو ذلك .

جوانـب الأمن الفكري ظاهرة عنـد البخاري في صحيحه بغزارة وافـرة ، سواء في الجانب العقدي ، أو الفقهي ، أو السلوكي ، أو الإجتماعي ، أو غيرها .

بالرغـم من كل محاولات التضييق على البخاري فـي حياته ، والإساءة له من بعض أقرانه ، إلا أنه لم يسجل عليه كلمة نابية ، أو قدح أو ذم أو تشهير بأحد ، فإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على عظيم أخلاقه ، وسعة صدره ، وكبير حلمه .

توصيات:

أرى أن يتم تشكيل لجنة من العلماء المختصين والمعروفين في العالم الإسلامي لدراسة كل ما أثير حول البخاري من انتقادات وشبه وإشكالات ، وأن يتم دراستها والرد عليها بأسلوب علمي، وبالأدلـة والبراهيـن ، وبإنصاف أيضا ، فـإن كان هناك نقد في مكانه ، لا بد من قبوله ، والتعامل معه بكل صدر رحب ، فنحن لسنا ممن يقول بعصمة البخاري ولا غيره .

أن يتـم اختيـار رواية الفربري لأنهـا أقدم رواية وأقربها من البخـاري ، لتكون أصلا لجميع الروايات الأخرى ، وأن يتم مقابلتها مع رواية الفربري ، وكذلك النظر في أقدم النسخ لتكون جنبا إلـى جنـب مع هذه الروايات ، لنضمن عـدم خلط الروايات بعضها ببعـض ، وسلامة باقي النسخ الأخرى .

الاستئنـاس بكل ما كتب حول البخاري وصحيحه ، والاستفادة من الرسائل والبحوث العلمية،

وتكوين موسوعة كاملة حول البخاري وصحيحه [١].

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

إعلاء البخاري، عبدالقادر بن محمد جلال ، دار سلف للنشر والتوزيع ،ط١/٢٠١٨ م .

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب ، علي بن هبة الله بن ماكولا ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيي المعلمي اليماني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ، ط١/١٩٦٣.

أثر الثقافة الاسلامية في تأصيل مفهوم الأمن الفكري ، ابراهيم بن محمد الخليفة ، جامعة الازهر، كلية اصول الدين .

أجوبة العلماء عن خبر سحر النبي صلى الله عليه و سلم ، أحمد بن عبد العزيز القصيِّر، موقع ملتقى أهل الحديث ، ٢٠١٨/٧/٣ م .

أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن البصري الماوردي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٨٧م

أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق محد بن سعيد آل سعود ، جامعة ام القرى ، ط١/ ١٩٨٨ م .

الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به. د/عبد الله التركي .

البداية والنهاية ، ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩١م.

تأويل مختلف الحديث ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد محيي الدين الأصفر ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط٢/١٩٩٩ م .

تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١/١٩٩٢ م

تاريخ بغداد «مدينة السلام»، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، ط١/٢٠٠١م

تاريخ مدينة دمشق ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي « ابن عساكر « ، تحقيق محب

(١) انظر : روايات ونسخ الجامع الصحيح ، د. محمد بن عبدالكريم ، ص ٩٣ –٩٥ ، مرجع سابق.

الدين عمر بن غرامة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

تدابير الأمن الداخلي وقواعده العامة في الدولة في ضوء مقاصد الشريعة ، حسام إبراهيم حسين أبو الحاج، رسالة دكتوراه / الجامعة الاردنية / كلية الدراسات العليا / ٢٠٠٦ م .

تدريب الراوي ، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .

تذكرة الحفاظ ، محمد بن طاهر بن القيسراني ، تحقيق حمدي السلفي ، دار الأصمعي ، الرياض ، ط١/١٤١٥ هـ .

التعاريف ، محمد عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .١٤١٠ هـ .

التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ / ١٩٨٨م .

تغليق التعليق ، ابن حجر ، تحقيق سعيد القزقي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، عمان ، ط١/١٤٠٥ هـ

التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت

تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط١/١٩٨٦

التقييد ، محمد بن عبدالغني البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/١٤٠٨ هـ .

تهذيب الأسماء ، يحيى بن شرف النووي ، ٨٩/١ ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ط١/١٩٩٦م

تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي ، تحقيق د. بشار عواد ، مؤسسسة الرسالة ، بيروت ، ط١/١٩٨٠م .

توجيه النظر إلى أصول الأثر ، طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، حلب ، ط١/١٩٩٥ م .

الثقات ، محمد بن حبان أبو حاتم البستي ، تحقيق محمد عبدالمعيد خان ، دار المعارف العثمانية ، ط١/١٩٧٣م .

الجامع ، محمد عبدالقادر با مطرف ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١ م .

جزء فيه ترجمة البخاري ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق ابراهيم بن منصور

الهاشمي ، مؤسسة الريان ، ط١/٢٠٠٢م .

الحطـة في ذكـر الصحاح الستة ، صديق حسـن القنوجي ، دار الكتـب التعليمية ، بيروت ، ط١/١٩٨٥م .

حيـاة البخاري ، محمد جمال الديـن القاسمي ، تحقيق محمود الأرنـاؤوط ، دار النفائس ، ط١/١٩٩٢م .

خلاصة تذهيب التهذيب ، ابن حجر ، ٣٢٧/١ ، دار الفكر ، بيروت ، ط١/١٩٨٤ م .

دفع الشبهات عن السنة النبوية ، عبدالمهدي عبدالقادر ، مكتبة الايمان ، ط١/٢٠٠١ م

روايـات ونسـخ الجامع الصحيـح ، د. محمد بن عبدالكريـم بن عبيد ، دار إمـام الدعوة ، ط١م١٤٢٦ هـ .

زاد المعـاد فـي هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر الدمشقي ، ابن قيم الجوزية ، ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣/١٩٩٨ م .

السنن الأبين ، محمد بن عمر بن محمد الفهري ، تحقيق صلاح المصراتي ، مكتبة الغرباء الاثرية ، المدينة المنورة ، ط١/١٤١٧هـ .

سيـر أعـلام النبلاء ، محمد بن أحمـد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنـاؤط ، وصالح السمر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١١/١٩٩٦م .

شـذرات الذهـب في أخبار من ذهـب ، عبدالحي بن احمد الدمشقي ، ابـن العماد ، تحقيق عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط١/١٩٨٩م

شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة ، اللالكائي ، هبة الله بن الحسن الطبري ، تحقيق نشأت المصري، دار البصيرة ، الاسكندرية ، ودار الآثار ،صنعاء ، بلا .

شـرح العقيـدة الطحاوية ، علـي بن علي بن محد بـن أبي العز الدمشقـي ، تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٢/١٩٩٠ م .

شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، ابن حجر العسقلاني ، شرح طارق بن عوض الله، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١/٢٠٠٩ م .

شـروط الأئمـة الخمسة ، أبو بكـر محمد بن موسى الحازمي ، دار الكتـب العلمية ، بيروت ، ط١/١٩٨٤ م .

شروط الأئمة الستة ، محمد بن طاهر المقدسي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١/١٩٨٤ م

الشفـا بتعريف حقـوق المصطفى ، القاضـي عياض بن موسى بن عياضـ اليحصبي ، دار سعادات ، مطبعة عثمانية ، ١٣١٢ هـ .

صحيــح البخاري ، البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ /١٩٨٧ م

صحيــح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيــق عامر حسن صبري ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ط١/١٤١٤ هـ

صحيح البخاري ، نهاية أسطورة ، رشيد أيلال ، دار الوطن ، المغرب ، ط١/ ٢٠١٧ م .

طبقــات الشافعية الكبرى ، عبدالوهاب بن علي السبكــي ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار احياء الكتب العربية،

علــوم الحديث، ابــن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الفكــر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، بلا .

عمدة القاريء ، بدر الدين محمود بن احمد العيني ، دار احياء التراث ، بيروت .

فتــاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء ، عكاشة عبدالمنان الطيبي ، مكتبة التراث الاسلامي ، ط١/١٩٩٤ م

فتــح البــاري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٧٩هـ

القــول الصــراح في البخاري وصحيحه الجامع ، شيخ الشريعة ، الأصبهاني، قدم له آية الله جعفر السباني ، وحققه حسين الهرساوي ، مؤسسة الإمام الصادق ،ط١/١٤٢٢هـ

لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١/ بلا .

المــاء الجــاري في غســل البخاري ، علــي الكوراني العاملــي ، نشر نور علي قــم المقدسة ، ط١/٢٠١٨

مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

مجمــوع فتــاوى ابن تيمية ، أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيــق عامر الجزاز وأنور الباز ، دار الوفاء .

المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل ، الحافظ محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري ، تحقيق احمد بن فارس السلوم ، دار ابن حزم ، ط١/٢٠٠٣ م .

مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف النووي ، دا رإحياء التراث ، بيروت ، ط٢/ ١٣٩٢ هـ .

مسنــد الحميدي ، أبو بكر ،عبدالله بن الزبير ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، القاهرة

مسنـد عبـدالله بـن المبارك ، تحقيـق صبحـي السامرائي ، مكتبـة المعـارف ، الرياض ، ط١/١٤٠٧هـ

معالم السنن ، حمد بن محمد الخطابي البستي ، اعتنى به : محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، حلب ، ط١/١٩٣٤م .

معجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م

معجـم شيـوخ أبي بكـر الاسماعيلي ، تحقيق زيـاد محمد منصور ، مكتبـة العلوم والحكم ، المدينة النمتورة ، ط١/١٤١٠هـ

مفهوم الامن الفكري ، دراسة تأصيلية في ضوء الاسلام ، ماجد بن محمد الهذيلي ، ،

منطقــة تثليـث وما حولها عبـر العصور ، د. أبـو سعيد عمر بن غرامة العمـري ، مكتبة دار الطحاوي ، الرياض ، ط٣/ ١٤٢٤هـ .

منهــاج السنة النبوية ، احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط١/١٩٨٦ م .

موسوعــة الاعجــاز العلمي في الحديـث النبوي ، د.أحمد شوقي ابراهيـم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط١/٢٠٠٦

نيل الاوطار ، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٧٣ م .

هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق شعيب الارناؤوط وعادل مرشد ، دار الرسالة العالمية ، ط١/٢٠١٣م .

وفيــات الأعيــان ، أحمد بن محمد بن خلـكان ، تحقيق احسان عبـاسـ ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م .

البحوث

الأمن الفكري الإسلامي. د. سعيد الوادعي ، مجلة الأمن والحياة العدد (١٨٧) ، ١٤١٨ه.

الأمن في المجتمع ، بحث للباحثة : هاجر بنت توفيق المانع . .

الخدعــة الكبــرى ، البخاري والمؤامــرة اليهودية ، غسان مغارة ، مقــال نشر على موقع أهل القرآن ، بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٦

الــداء والــدواء في جناحي الذبــاب ، د. مصطفى ابراهيم حسن ، بحث تــم نشره في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرأن والسنة ، بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٥ م .

روايــات منتقــدة في الصحيحين بدعــوى مخالف العقــل ، عرض ونقد ، خالــد الطحاينة ، بحــث مقدم لمؤتمر : الانتصــار للصحيحين المنعقد في الفترة من : ١٤-٢٠١٠/٧/١٥ م ، بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية .

فيديــو بعنوان «حقائق صادمــة عن البخاري» نشَــره موقع «أصوات مغاربيــة» وشاركه موقع «قناة الحرة».

لماذا يحاربون صحيح البخاري ؟ أين نسخة صحيح البخاري ؟ ، مقال لفادي قراقرة، موقع الراصد ، بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٨ م .

المــدرج في الحديث النبوي الشريــف ، مفهومه ودراسة على نماذج مــن صحيح البخاري ، إعــداد أ.د . محمد الرعود – صاحب هذه البحث – مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الكويت ، مجلد ١٨ ، عدد ٥٣ ، سنة ٢٠٠٣ م

مدونة د. أحمد بن فارس السلوم ، تاريخ ٢٠١٥/٥/٢٩ م .

المعجــزات العلميَّة في الأحاديــث الشريفة النبويَّة ، حديث الذبــاب ، بقلم الأستاذ العلامة الزيتونيّ ، محمّد البشير النيفر ، موقع الألوكة الشرعية ، بتاريخ : ٢٠١٦/٨/٣٠م

مشكلتي مع البخاري ، مقالة لعدنان ابراهيم ،كتبها على موقع تفسير القرآن الكريم ، بتاريخ ٢٠١٢/١/١٦

مــن معانــي الأمن الفكري فــي السنة النبوية ، د. محمــد السمان ، مقال نشــر في صحيفة الجزيرة ، عدد ١٣٣٥٨ ، تاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٥ م .

الدكتور خالد حسين عيسى كرم
عميد كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا
السودان

صحيح الإمام البخاري : منزلته وأثره في الأمن الفكري

المقدمة :

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمـام المرسلين سيدنا محمد عليه من ربه أفضل الصلاة و أتم التسلم وبعد :

إن مـن نعـم الله العظيمـة على هذه الأمـة أن حفظ لها مصـدري التلقي - القـرآن الكريم والسنـة النبويـة الشريفة - قال تعالـى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ سورة الحجر الآية: ٩ .

وقـد خُصَّـت هذه الأمة بالإسنـاد الذي لم يكن في الأمـم السابقة قال الإمـام عبد الله بن المبـارك - رحمـه الله -: «الإسنـاد من الدين ولولا الإسناد لقال من شـاء ما شاء» وقد سخر الله رجـالًا لحفظ الوحيين من التحريف والتبديل وبخاصة السنة فقد عمد أعداء الدين إلى دسِّ عدد مـن الأحاديث الموضوعة المختلقة لتشويه الديـن وتضييعه ، و إثارة شبهات حول السنة ، فانبرى مـن سخَّـره الله من أهل العلم لتنقية السنـة من الكذب ووضعوا قواعـد وضوابط صارمة لمعرفة المقبـول مـن المردود من السنـة ، وأول من صنف فـي الصحيح المجرد هو الإمـام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - و قد كتب الله لكتابه الصحيح القبول فإنه أصح الكتب بعـد كتاب الله عز وجل وهذا بشهادة جمع غفير من العلماء ، فصار صحيح البخاري هو المصدر والمرجع الذي تتلقى منه الأمة دينها واعتنى به العلماء عناية فائقة شرحًا وتدريسًا وحفظًا ، وهذا أمر مزعج بالنسبة لأعداء الإسلام لأن وحدة الأمة تبدأ بوحدة مصادر التلقي عندها فعمد أعداء الإسـلام إلى أن يكدروا هذا المصدر والمعين الصافي فيطعنوا ويشككوا فيه بشبه واهية وحالهم كحال من أراد أن يناطح الجبال بقرون من طين فإن صحيح البخاري منزلته عالية عند المسلمين ولـن تنجـح هذه المحاولات التي تظهر بين الفينة والأخرى للطعـن فيه فقد تكفل الله بحفظ دينه والله لا يخلف الميعاد .

ملخص البحث:

هـذا البحـث يهدف إلى بيان منزلـة ومكانة صحيح البخـاري عند علمـاء السنة والجماعة ودحض شبه المشككين وبيان أثره في الأمن الفكري .

وقـد اتبـع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، و احتـوى البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول : منزلة صحيح الإمام البخاري عند علماء السنة والجماعة

المبحث الثاني : الشبه المثارة حول الصحيح والرد عليها

المبحث الثالث : أثر الصحيح في الأمن الفكري

مشكلـة البحـث : لا شك أن صحيح البخـاري عند أهل السنة والجماعة هـو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك ، ولكن نجد أن بعض الناس قديمًـا وحديثًـا شككوا في هذا الإجماع وقالـوا إن بصحيح البخاري أحاديـث ضعيفة بل وتخالف القـرآن والعقيـدة والعقل ، بل وطالب بعضهـم الأزهر بتنقية صحيح البخـاري من هذه الأحاديث التي يزعمون أنها تخالف القرآن والعقيدة وهذا البحث يعالج هذا الإشكال من خلال الجواب عن الأسئلة التالية :

١. هل أحاديث صحيح البخاري كلها صحيحة ؟

٢. كيف نجيب على الأحاديث التي في ظاهرها تعارض لما جاء في القرآن ؟

٣. كيف نجيب على الأحاديث التي تخالف القواعد الحديثية في تصحيح الحديث عند علماء الحديث والتي روى فيها البخاري لرواة تكلم فيهم ؟

المبحث الأول: منزلة صحيح البخاري عند أهل السنة والجماعة

مـن المسلّمات عند المسلمين أن للصحيحين منزلة سامية عظيمة، وأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله -عز وجل-، وقد تكاثرت وتضافرت نصوص العلماء في بيان هذا المعنى وتقريره.

قـال ابن الصلاح -رحمه الله-: «جميع ما حكـم مسلم بصحته من هذا الكتاب فهو مقطوع بصحتـه، والعلـم النظري حاصـل بصحته في نفس الأمـر، وهكذا ما حكم البخـاري بصحته في كتابـه؛ وذلـك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى مـن لا يُعتد بخلافه ووفاقه فـي الإجماع، والذي نختـاره أن تلقـي الأمة للخبـر المنحط عن درجة التواتـر بالقبول يوجب العلـم النظري بصدقه، خلافًـا لبعض محققي الأصوليين حيث نفي ذلك؛ بِناء علـى أنه لا يفيد في حق كل واحد منهم إلا

الظـن، وإنمـا قَبِله لأنه يجب عليه العمل بالظـن، والظن قد يخطئ . وهذا مندفع ؛ لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ »[١].

وقال النووي –رحمه الله–:

«اتفـق العلمـاء – رحمهـم الله – علـى أنّ أصح الكتب بعـد القرآن «الصحيحـان» البخاري ومسلم، و تلقتهما الأمة بالقبول»[٢].

وقال ابن تيمية –رحمه الله–:

« وَأَمّـا كُتُـبُ الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفَةُ : مِثْلَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، فَلَيْسَ تَحْـتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ كِتَابٌ أَصَحُّ مِنْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمِ بَعْدَ القرآن»[٣].

وقـال أيضًا:» وَالْبُخَارِيُّ أَحْـذَقُ وَأَخْبَرُ بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ مُسْلِمٍ، وَلِهَـذَا لَا يَتَّفِقَانِ عَلَى حَدِيثٍ إلَّا يَكُونُ صَحِيحًا لَا رَيْبَ فِيهِ»[٤].

وقال العيني:

«اتفـق علماء الشرق والغرب، على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصح من صحيحي البخاري ومسلم»[٥].

ومما يدل على قدر «صحيح الإمام البخاري» ومكانته قوله هو نفسه :» صنّفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرّجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»[٦].

قال الإمام ابن بطال:

حدثنـي أبو بكر الرازي قال : كنـت بأصبهان عند الشيخ أبي نعيم أكتب عنه الحديث ، وكان هنـاك شيخ آخر يعـرف بأبي بكر بن علي، وكان عليه مدار الفتيا ، فحسـده بعض أهل البلد فبغّاه عنـد السلطـان، فأمر بسجنـه ، وكان ذلك في شهر رمضـان ، قال أبوبكر : فرأيـت النبي – عليه السـلام – فـي المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه لا يفتر من التسبيح ، فقال لي النبي – عليه

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو ، تحقيق : موفق عبدالله عبدالقادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ١/ ٨٥

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ . ١ / ١٤

(٣) الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ هـ . ٥ / ٨٤

(٤) المصدر السابق ١٨ / ١٩

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني الحنفي ١ / ١١

(٦) تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي٢ / ١٤

السلام - : قل لأبي بكر بن علي : يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه ، فأصبحت فأتيت إليه وأخبرته بالرؤيا ، فدعا به فما بقي إلا قليلاً حتى أخرج من السجن . ففي هذه الرؤيا شهادة النبي ﷺ لكتاب البخاري بالصحة بحضرة جبريل - صلى الله عليه وسلم - والشيطان لا يتصور بصورة النبي في المنام[1] .

هل أحاديث البخاري كلها صحيحة ؟

أحاديث صحيح البخاري كلها صحيحة ويحتج بها ولا يجوز الطعن فيها أو تضعيف شيء منها وذلك لإجماع الأمة على صحتها وتلقيها بالقبول ولالتزام الإمام البخاري بصحتها و إليك ما قاله علماء الحديث في هذا الشأن .

قال الشوكاني -رحمه الله-: «واعلم أن ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما جاز الاحتجاج به من دون بحث لأنهما التزما الصحة وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول»[2].

وقال الدهلوي -رحمه الله-: «أما الصحيحان: فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهوِّن أمرهما فهو مبتدع غير سبيل المؤمنين»[3].

وقال الشيخ أحمد شاكر-رحمه الله-:

«الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين،وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمور:أن أحاديث»الصحيحين»صحيحة كلها،ليس في واحد منها مطعن أو ضعف . وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث، على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه . وأما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحدٌ فيها فلا يهولنك إرجاف المرجفين، و زعم الزاعمين أن في «الصحيحين» أحاديث غير صحيحة، و تتبع الأحاديث التي تكلموا فيها، و انتقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم، و الحكم عن بينة، والله الهادي إلى سواء السبيل»[4]

ولكي يكون الحكم دقيقًا ومنصفًا يجب أن نعلم أن ما في البخاري من الأحاديث والآثار ينقسم إلى أقسام:

(١) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ١٠ / ١١٠

(٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ١ / ١

(٣) الحطة فى ذكر الصحاح الستة ، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي ١ / ١٠٤

(٤) منظومة مصباح الراوي في علم الحديث ، عبد الله بن فودي رحمه الله تعالى ١١٨٠ - ١٢٤٥هـ ، دار العلم للطباعة والنشر ، دراسة وتحقيق وشرح: محمد المنصور إبراهيم ١ / ٤٧

القسـم الأول : الأحاديث والآثـار المتصلة الإسناد وهذه هي التي التـزم البخاري بأن تكون صحيحة حيث قال : الجامع المسند ... أي المتصل الإسناد فهو ملتزم بصحة الأحاديث المسندة المتصلة الإسناد وهذه كلها صحيحة ليس فيها حديثٌ ضعيفٌ .

القسـم الثانـي : الأحاديث المعلقـة والمعلق هو ما حذف من إسنـاده راو فأكثر على التوالي وهـذا النوع في البخاري يأتي به فـي التراجم أي عناوين الأبواب غالبًا أو في الشواهد والمتابعات وهـذا ليس مـن مقصود ولا موضوع الكتاب فإنما هي مجرد عناوين أو للاستشهاد فقط والبخاري يعلـق الحديث لأسباب منها : كون الحديث معروفًا مـن جهة الثقات عمن علقه عنه أو لكونه ذكره متصـلًا في موضع آخـر من كتابه وهذا فيما يورده أصلًا أو مقصودًا لا في معرض الاستشهاد لأن الشواهد يحتمل فيها ما ليس من شرط الصحيح معلقًا كان الشاهد أو موصولًا .

قـال العلماء عرفنا من خلال التتبـع والاستقراء أن ما جاء به البخاري من المعلقات ينقسم إلى نوعين :

النـوع الأول : ما يوجد موصولًا في موضع آخر وإنما يورده معلقًا حيث يضيق مخرج الحديث ـ أي ليس له طرق أخـرى صحيحة متصلة عنده ـ فمتى ضاق المخـرج واشتمل المتن على أحكام عديدة فإنه يكرره مختصرًا في الإسناد خشية الإطالة

النوع الثاني : ما لا يوجد عند البخاري إلا معلقًا وهو على صورتين

الأولى : أن يورده بصيغة الجزم فهو صحيح ويبقى النظر في رجاله فمنهم ما يلتحق بشرطه ومنهم ما لا يلتحق

الثاني : ما جاء به بصيغة التمريض فهذا محل بحث وقد جاء الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ووصل كل المعلقات التي في صحيح البخاري في كتاب سماه تغليق التعليق .

القسـم الثالث : الشواهـد والمتابعات وهي الحديـث الذي يشارك فيه رواتـه رواة الحديث الفـرد لفظًا ومعنـى ، أو معنى فقط مع الاختلاف في الصحابـي إن كان شاهدًا أو مع الاتحاد في الصحابـي إن كان متابعـة ، وهذا القسم قد يوجد منه ما فيه بعض الضعف ولكن أصله محفوظ عنده بسند صحيح فتكون الشواهد والمتابعات ليست من أصل الصحيح .

والخلاصـة أن البخـاري التـزم بصحة الأحاديـث المسنـدة المتصلة الإسنـاد وهذه كلها صحيحة لا يوجد حديث من بينها ضعيف فمن ادعى أن بصحيح البخاري أحاديث ضعيفة مستدلًا علـى قوله ببعض المعلقات أو الشواهد أو المتابعات فهذا يدل علـى جهل بعلم الحديث وبصحيح البخاري .

المبحث الثاني : الشُّبَه المثارة حول الصحيح والرد عليها :

أثـار أعداء الإسلام وأعداء السنة شبه كثيرة حول صحيح البخاري تهدف إلى التشكيك في صحتـه والاحتجاج به سعيًا منهم الى هـدم المصدر الثاني من مصادر الدين حتى يضيع الدين، وأنـا لهم ذلـك والله عز وجـل يقـول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الحجر الآية: ٩) ، فكما أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن تكفل كذلك بحفظ السنة لأن حفظها من حفظ القرآن فهي الشارحة والموضحة والمبينة والمفصلة لما في القرآن ، فالاعتداء على صحيح البخاري، القصد منه إهدار بقية السنة ومن الشبه المثارة حول الصحيح :

الشبهـة الأولـى : أن هنالـك علمـاء كبـار انتقـدوا أحاديث في صحيـح البخـاري كالإمام الدارقطني، وابن حزم ، ومسلم ، وغيرهم .

والرد على هذه الشبهة :

ثانيًـا : أن جميع الأئمة الذيـن انتقدوا البخاري يعتقدون أنه أصـح الكتب بعد كتاب الله عز وجل.

ثالثًـا: أن كل العلمـاء الذيـن انتقدوا البخـاري يُقرُّون لـه بإمامته وعلو كعبه فـي هذا العلم وارتفاع منزلته في علم العلل .

رابعًا: أن الباعث الذي دفع هؤلاء العلماء لنقد البخاري هو حماية الصحيح وحفظه .

خامسًا: الذين انتقدوا ما في البخاري هم أئمة كبار وحفاظ مطلعون على الأسانيد وعارفون بعلل الحديث .

سادسًـا : الأحاديث التي انتقدوها ليست لبيان أنها ضعيفة وإنما لبيان أنها لم تكن بالدرجة التي اشترطها البخاري .

سابعًا : أكثر الأحاديث التي انتقدوها على البخاري كان الحق فيها مع البخاري .

ثامنًـا : أكثر هـذه الأحاديث المنتقدة على البخاري لم تكن من موضوع الكتاب وإنما ذكرها البخاري استئناسًا في الشواهد والمتابعات .

من انتقد البخاري من الأئمة :

١. الإمـام أحمـد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معيـن وهم من شيوخه ، انتقدوه في أربعة أحاديث كما قال العقيلي وقال الحق فيها مع البخاري .

٢. الإمـام مسلم في حديث واحد حديث الإسراء وكان الانتقاد ليس في أصل الحديث و إنما

في تقديم وتأخير وزيادة ونقص بعض ألفاظه .

٣.أبو زرعة الرازي في ثلاثة أحاديث .

٤. أبو حاتم الرازي في ثمانية أحاديث .

٥.الترمذي في حديث واحد .

٦. ابن عمار الشهيد .

٧. أبو بكر الإسماعيلي في حديث واحد .

٨ . ابن حزم الظاهري في حديثين .

٩. الدارقطني في مئة وعشرة أحاديث وقد رد على الدارقطني جمع من العلماء منهم الحافظ ابن حجر ناقشها في هدي الساري حديثًا حديثًا وبيَّن فيها أن الحق مع البخاري .

أما ما نسب للإمام الذهبي أنه انتقد حديث من عادى لي وليًّا وقال لولا هيبة الصحيح لقلت هذا الحديث موضوع فنسبة هذا الكلام للذهبي كذب واختلاق عليه .

الخلاصة : هل يعقل بعد هذا البيان أن يطعن طاعن في صحيح البخاري بحجة أن هنالك أئمة ضعفوا أحاديثه وهي قليلة جدًّا مقارنة لما رواه البخاري من آلاف الأحاديث التي لم ينتقدها أحدٌ في صحيحه ، ومع ذلك ما انتقد عليه كان الحق فيه معه ـ رحمه الله ـ اللهم إلا أن يكون هذا الطاعن صاحب هوى وضلالة وهو كذلك.

الشبهة الثانية : روى البخاري في صحيحه عن ثمانين راويًا متكلم فيهم من جهة العدالة والضبط .

والجواب على هذه الشبهة الواهية يقال :

أولًا : الرواة الذين روى لهم البخاري هم بالآلاف في صحيحة فلا يضير هذا العدد القليل مع هذا الكم الكبير من الرواة .

ثانيًا : لا يروي البخاري حديثًا في الأصول إلا بعد التأكد من عدالة راويه وأنه بلغ الدرجة العليا في التوثيق وهذا باتفاق الأئمة أما في الشواهد والمتابعات فأحيانًا يروي البخاري عن هؤلاء المتكلم فيهم على نحو أن صحة الرواية ثبتت عند البخاري .

ثالثًا : البخاري إمام في العلل ينتقي ما ثبت عنده من روايات هؤلاء المتكلم فيهم .

رابعًا : هؤلاء الرواة المتكلم فيهم في الصحيح ليسوا على درجة واحدة و إنما درجات وهي :

١.أن يكون الصواب في الراوي المتكلم فيه أن البخاري يرى أنه ثقة بخلاف من تكلم فيه

مثل عكرمة .

٢. أن يكـون الراوي المتكلم فيه ضعيفًا إذا انفرد بالرواية أما في حال الموافقة يقبل حديثه مثل أفلح الأنصاري .

٣. أن يكـون الـراوي مضعفًا إذا روى عن شيخ معين مثل معمـر بن راشد عن ثابت البناني ، فإذا روى عن غير ثابت فحديثه صحيح .

٤. أن يكون الراوي مضعفًا بسبب الاختلاط والتغير فالبخاري يروي عنه حديثًا قبل الاختلاط والتغير مثل حصين بن عبد الرحمن الأسلمي .

الشبهة الثالثة : أن في صحيح البخاري أحاديث تخالف القرآن مثل أحاديث الشفاعة وغيرها مما يؤكد عدم التسليم لكل ما جاء به البخاري في صحيحه .

والرد على هذه الشبهة هو أن يقال:

أولًا : يستبعد تمامًا على عالمٍ في مثل قامة الإمام البخاري أن يأتي بأحاديث تعارض القرآن وهو يشترط في صحة الحديث السلامة من الشذوذ والعلة .

ثانيًـا : يستبعـد تمامًا أن تمر هـذه الأحاديث على الحفاظ والأئمة والعلمـاء الكبار في عهد البخـاري ومن جـاء بعده فلا يذكرون هذا التعارض بل يصرحون أن الأحاديث الصحيحة لا يمكن أن تعارضـ القـرآن وأنكروا على من يعارض الأحاديث بالقـرآن ، نقل ابن عبد البر – رحمه الله – فـي كتـاب: التمهيد عن الإمام أحمد، قال: «إن الذين يعارضون الأحاديث بظاهر القرآن عملهم منكـر، لا ينبغـي أن تعترض على الأحاديـث بظاهر القـرآن؛ لأن القرآن حمال ذو وجـوه، والسنة بينـت القـرآن، فينبغـي أن يؤخذ بالمبيِّـن»، وهذا معنى قول يحيـى بن أبي كثير رحمـه الله:» إن السنــة قاضيــة على كتاب الله، وهــذا أيضًا كلام الإمـام الدارمي ، وابن عبد البـر ، وجماعة من السلف. ومن أمثلـة ذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ (البقـرة:٢٢٣) ، قـال الشافعي رحمه الله: هذه الآيـة حجة لمن ذهب إلى جـواز آتيان المرأة في دبرهـا ، ولكن صحَّ عندنا حديثان في منع آتيان المرأة في دبرها فالسنة قضت على أحد المعنيين فـي كتـاب الله، وهذا معنى أن السنة قاضية على كتاب الله. أي: أن هناك لفظة في القرآن تحتمل معنيين، فتآتي السنة فتقضي بين المعنيين « ، وتقول: المعنى الأول هو المراد، والثاني غير المراد أو العكس فمن الجهل أن نقول في هذا المثال أن الحديثين اللذين يحرمان آتيان المرأة في دبرها ضعيفان ومردودان لأنهما يعارضان قوله تعالى : ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ (البقرة:٢٢٣)

الشبهــة الرابعــة : حول الإمام البخاري نفسه وأن نسبه غير عربي في إشارة مبطنة أنه ربما يخطئ في الفهم للأحاديث التي هي باللغة العربية والرجل أعجمي

والــرد على هذه الشبة يقــال: إن البخاري بلغ مبلغًا عظيمًا في العلــم وقد أثنى عليه شيوخه وأقرانــه وتلامذتــه وأصدقاؤه وأعــداؤه العرب والعجم منهــم ولذلك لا يضيره بعــد هذا أن يكون أعجميًّا وكلنا نعلم أن إمام اللغة العربية سيبويه لم يكن عربيًّا بل كان أعجميًّا .

ثناء العلماء على البخاري :

كان ابــن صاعــد إذا ذُكر البخاري قال: ذاك الكبش النطاح؛ يعني الذي لا يقف أحدٌ معه في الحلبة، إذا نطح أسقط من يناطحه في الحال، يعني: صاحب حجة بيِّنة دامغة .

روي ابــن حجــر العسقلاني أكثر من مرة قصة مسلم مع البخاري: «لما سأل مسلمٌ البخاري – ومسلــم معــروف أنه من تلاميذ البخــاري ، تتلمذ عليه خمس سنوات وهــو عربي من بني قشير وهــي قبيلة عربية معروفــة عن حديث كفارة المجلس، فقال البخاري: هــذا حديث مليح وله علة، فارتعد مسلم وتغير وجهه، وقال: أخبرنيها، فلما أخبره الإمام البخاري بهذه العلة، قال له مسلم : دعني أقبل قدميك يا أستاذ الأستاذين، وطبيب الحديث في علله، أشهد أنه لا يبْغضك إلا حاسد» مطلوب فإذا كان الإمام بهذه الجلالة هل يكون جاهلًا بالعربية ؟ أو يؤثر فيه كونه أعجميًّا ؟ اللهم إلا الحسد والبغضاء التي ذكرها الإمام مسلم .

هــذه هــي أبرز ما يثار حول صحيح الإمام البخاري من شُبَهٍ ويوجد غير ما ذكرت وكلها شبه متهافتة دلَّت على جهل أصحابها وأنهم يريدون هدم الدين من خلال هدم مصدر التلقي فيه وأنا لهم هذا ؟!

المبحث الثالث: أثر صحيح البخاري في الأمن الفكري:

الأمن الفكري هو مصطلح حديث وقد عرفه العلماء بعدة تعريفات نختار منها أحسنها

فالأمن الفكري هو : سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو و التَّنطُّع أو إلى الإلحاد والعلمانية الشاملة .

ومــن خلال هذا التعريف نجــد أن صحيح الإمام البخاري له أثــر عظيم في تدعيم وترسيخ الأمن الفكري لدى المسلمين وذلك بالآتي :

ثانيًــا : بمناقشة أفكار ومناهج الفرق التي تعد مهددًا للأمن الفكري ، حيث نجد في صحيح

البخـاري معظم الكتب والأبواب تناقش أصول ومعتقدات الفـرق التي تمثل مهددًا للأمن الفكري ومن أمثلة ذلك نجد أن البخاري بنى كتاب الإيمان على قضيتين أساسيتين وهما :

الأولى : أن الإيمان يزيد وينقص بل عقد أبوابًا بهذا المسمى أو قريبة من هذا المسمى حيث قـال باب زيادة الإيمـان ونقصانه وَقـوْل اللَّه تَعَالَـى ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ وَقَالَ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ . باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ... وهكذا .

والثانية : أن الإيمان قول وعمل وبوَّب على ذلك أبواب كثيرة .

وهو بذلك يرد على المرجئة الذين يقولون : إن الإيمان هو مجرد الاعتقاد والقول ، والكرامية الذيـن يقولـون : إن الإيمان هو قول فقط وأن إيمان جبريل كإيمان إبليس ولا شك أن هذا الاعتقاد مهدد فكري خطير وله تبعات خطيرة ، وكذلك يرد على الخوارج الذين يقولون : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فإما أن يكون أو لا يكون ؛ فيكفرون مرتكب الكبيرة ويخلدونه في النار ، ويرد كذلك على المعتزلـة الذيـن يجعلون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتيـن ولكنه في نهاية الأمر هو مخلد فـي النار فيتفقون مع الخـوارج في الحكم . فعالج البخاري هذه المهددات الفكرية كلها من خلال كتاب الإيمان وغيره من كتب الصحيح.

قـال الحافظ ابن حجر فـي أول شرحه لكتاب الإيمان: «وَالْكَلَام هُنَا فـي مَقَامَيْن : أَحَدهمَا كَوْنـه قَـوْلًا وَعَمَلًا ، وَالثَّانِي كَوْنه يَزِيد وَيَنْقُصـ . فَأَمَّا الْقَوْل فَالْمُرَاد بِهِ النُّطْـق بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَمَّا الْعَمَـل فَالْمُـرَاد بِهِ مَا هُوَ أَعَمّ مِنْ عَمَـل الْقَلْب وَالْجَوَارِح ، لِيَدْخُل الِاعْتِقَـاد وَالْعِبَادَات . وَمُرَاد مَنْ أَدْخَـلَ ذَلِـكَ فِي تَعْرِيف الْإِيمَان وَمَـنْ نَفَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَـر إِلَى مَا عِنْد اللَّه تَعَالَـى، فَالسَّلَف قَالُوا هُـوَ اعْتِقَـاد بِالْقَلْبِ ، وَنُطْق بِاللِّسَـان ، وَعَمَل بِالْأَرْكَانِ وَأَرَادُوا بِذَلِـكَ أَنَّ الْأَعْمَال شَرْط فِي كَمَاله . وَمِـنْ هُنَا نَشَأَ ثَمَّ الْقَـوْل بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْص كَمَا سَيَأْتِي . وَالْمُرْجِئَة قَالُـوا : هُوَ اعْتِقَاد وَنُطْق فَقَطْ . وَالْكَرَامِيَّة قَالُوا : هُوَ نُطْق فَقَطْ. وَالْمُعْتَزِلَة قَالُوا : هُوَ الْعَمَل وَالنُّطْق وَالِاعْتِقَاد وَالْفَارِق بَيْنهمْ وَبَيْن السَّلَـف أَنَّهُمْ جَعَلُـوا الْأَعْمَال شَرْطًا فِي صِحَّتـه وَالسَّلَف جَعَلُوهَا شَرْطًا فِي كَمَالـه . وَهَذَا كُلّه كَمَا قُلْنَـا بِالنَّظَـر إِلَى مَا عِنْد اللَّه تَعَالَى . أَمَّا بِالنَّظَر إِلَى مَا عِنْدنَا فَالْإِيمَان هُوَ الْإِقْرَار فَقَطْ ، فَمَنْ أَقَرَّ أُجْرِيَتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَام فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يُحْكَم عَلَيْهِ بِكُفْرٍ إِلَّا إِنْ اِقْتَرَنَ بِهِ فِعْل يَدُلّ عَلَى كُفْره كَالسُّجُودِ لِلصَّنَـم ، فَـإِنْ كَانَ الْفِعْل لَا يَدُلّ عَلَى الْكُفْر كَالْفِسْقِ فَمَنْ أَطْلَقَ عَلَيْـه الْإِيمَان فَبِالنَّظَرِ إِلَى إِقْرَاره، وَمَنْ نَفَيَ عَنْهُ الْإِيمَان فَبِالنَّظَرِ إِلَى كَمَاله، وَمَنْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْكُفْر فَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّهُ فَعَلَ فِعْل الْكَافِر، وَمَـنْ نَفَـاهُ عَنْهُ فَبِالنَّظَرِ إِلَى حَقِيقَته . وَأَثْبَتَتْ الْمُعْتَزِلَة الْوَاسِطَة فَقَالُوا: «الْفَاسِق لَا مُؤْمِن وَلَا كَافِر

«وَأَمَّا الْمَقَام الثَّانِي فَذَهَبَ السَّلَف إِلَى أَنَّ الْإِيمَان يَزِيد وَيَنْقُص»[1].

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «تفاضل المؤمنين في أعمالهم لا شك فيه ، وأن الذى خرج من النار بما في قلبه من مقدار حبة من خردل من إيمان معلوم أنه كان ممن انتهك المحارم وارتكب الكبائر ، ولم تفِ طاعته لله عند الموازنة بمعاصيه . ومن أطاع الله وقام بما وَجَبَ عليه وبرئ من مظالم العباد فلا شك أن عمله أفضل من عمل الرجل المنتهك . وقد مَثَّل ذلك – صلى الله عليه وسلم – بالقمص التي كانت تبلغ الثدي ، وبقميص عمر الذى كان يجرُّه ، ومعلوم أن عمل عمر في إيمانه أفضل من عمل من بلغ قميصه ثدييه . فإيمانه أفضل من إيمانه بما زاد عليه من العمل، وتأويله – صلى الله عليه وسلم – ذلك بالدين يدل أن الإيمان الواقع على العمل يُسمى دينًا ، كالإيمان الواقع على القول . وهذا يرُدُّ قول أهل البدع الذين يزعمون أن إيمان المذنبين كإيمان جبريل، وأنه لا تفاضل في الإيمان، وقولهم غلط لا يخفي ، لأن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وسائر الخلق يملُّون ويفترون . فكيف يبلغ أحدٌ منهم منزلتهم في العمل ، وفي كتاب الله حجةٌ لتفاضل المؤمنين في الإيمان ، وذلك أن إبراهيم سأل ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ، فطلب المعاينة التي هي أعلى منازل العلم التي تسكن النفوس إليها ، وتقع الطمأنينة بها ، ولا يجوز أن نظن بإبراهيم خليل الله ونبيه أنه حين سأل المعاينة لم يكن مؤمنًا ، أو أنه اعترضه شك في إيمانه . والدليل على صحة هذا قوله لربه حين قال له : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة : ٢٦٠) ، فأوجب لنفسه الإيمان قبل أن يعاين ما طلب معاينته، وعَذَرَهُ الله تعالى في طلب ذلك، لأن المعاينة أشفى ويهجم على النفوس منها ما لا يهجم من الخبر[2] .

ثانيًا : من خلال بيان وسطية وسماحة الإسلام وذكر الأحاديث التي تنهى عن الغلو والتطرف والتَّنطُّع في الدين وتعظيم حرمة الدماء والتحذير من التكفير وبيان خطره وتحريم ظلم أهل الكتاب والغدر بغير المسلمين وبيان وجوب النصح للحاكم وتحريم الخروج عليه ، فمن التزم هذه الأحاديث وأصلها في حياته لا شك أنه يكون من أهل الوسطية والاعتدال والبعد عن التَّنطُّع والتطرف والتفجير والتكفير، فجزى الله الإمام البخاري خيرًا إذ نقل لنا منهج الإسلام الصحيح المعتدل.

النتائج والتوصيات:

أن غالبية من يشكك في صحيح البخاري ويطعن في السنة هم من غير أهل الاختصاص ولا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ١ / ٢٠

(٢) شرح صحيح البخاري ١ / ٧٥

علاقـة لهم بالقواعد والضوابط التي وضعها علماء الحديث لقبول الحديث أو رده ولذلك يطعنون فـي السنـة بمجرد زعمهم أنها تخالف عقولهم أو أنها تعارض القرآن ، ولا يمكن للسنة الصحيحة أن تعارض العقل السليم أو القرآن .

لا تتعرض للحديـث الذي في صحيح البخـاري ، حتى وإن كان أحد رواته قـد تكلم فيه أهل العلـم، يعني: لا نعامل البخاري كالطبرانـي لأن الطبراني في معاجمه يورد الأحاديث الغريبة دون انتقاء، أما البخاري فإن له انتقاء واختيارًا، والاختيار هذا لا يُهدر أبدًا؛ لأنه من أقوى المرجحات، فكلمـا كان الإمـام أفهم وأعلم وأذكى وشهـد له الكل فإن ترجيحه له قيمـة، وهذا متفق عليه بين أهل الدنيا جميعًا في كل الصناعات، يعني: عندما يكون هناك طبيب متخصص في مرض معين، وممارس عمله خلال خمسين سنة، واختلف هو وممارس للطب مدة عام فقط .

البخـاري التـزم بصحة الأحاديث المسنـدة المتصلة الإسناد وهذه كلهـا صحيحة لا يوجد حديـث مـن بينها ضعيف فمن ادعـى أن في صحيح البخـاري أحاديث ضعيفة مستـدلًا على قوله ببعض المعلقات أو الشواهد أو المتابعات فهذا يدل على جهل بعلم الحديث وبصحيح البخاري .

أن ما انتقده الأئمة والحفاظ على البخاري أحاديث يسيرة مقارنة لما رواه في صحيحه ومع ذلك بعد البحث والتدقيق كان الحقُّ مع البخاري .

صحيـح البخاري لـه أثر عظيم علـى المحافظة علـى الأمن الفكري وذلك مـن خلال بيان وسطية وسماحة الإسلام وذكر الأحاديث التي تنهى عن الغلو والتطرف و التَّنطُّع في الدين وتعظيم حرمـة الدماء والتحذير من التكفير وبيان خطره وتحريم ظلم أهل الكتاب والغدر بغير المسلمين وبيـان وجوب النصح للحاكـم وتحريم الخروج عليه ومناقشة مهـددات الأمن الفكري من الأفكار والأصول التي وضعتها الفرق التي تهدد الأمن الفكري مثل المعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم .

الأمـن الفكري هو أهم مكونـات الأمن بصفة عامة بل هو أسماها وأساس وجود الأمن العام واستمراره لذلك لا بد أن تتظافر كل الجهود في العمل على نشر الأمن الفكري .

الأمـن الفكـري يتعلق بالمحافظة على الدين الذي هو أحـد الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية لحمايتها والمحافظة عليها والتأكيد على أهميتها .

إن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد وحمايته من الانحراف و البعد عن المنهج الحق و وسطيـة الإسـلام ؛ لذلك فإن الإخلال به يعرض الإنسـان لأن يكون عمله هباءً منثورًا لا ثقل له في ميزان الإسلام .

التوصيات :

نحتـاج إلـى مزيد من المؤتمرات والنـدوات التي تناقش قضية الأمن الفكـري وتنشر وتعلم وسطية واعتدال الإسلام .

إنشـاء قناة فضائية باسم الإمام البخاري لشـرح صحيحة وبث ثراثه العلمي وغير ذلك من الجوانب التي تتعلق بالإمام البخاري .

نحتاج إلى عمل مقاطع قصيرة وسهلة الفهم من علماء متخصصين في رد الشبه التي تثار حول صحيح البخاري وتنشر وتبث هذه المقاطع عبر وسائل التواصل المختلفة محاربة للمشككين والطاعنين .

إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة لنشر السنة والدفاع عنها ورصد الانحرافات والمهددات الفكرية والتعقيب عليها والجهاد الفكري ضدها ، في جميع أنحاء العالم .

فسـح المجال فـي وسائل الإعلام بشتى صورهـا وألوانها للعلماء الربانيـن والمتخصصين لنشر الوعي والتعريف بسماحة الدين وعرض الإسلام بصورته الصحيحة التي تقوم على الوسطية والاعتدال .

قائمة المراجع والمصادر :

صيانـة صحيح مسلـم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقـاط والسقط ، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو ، تحقيق : موفق عبدالله عبدالقادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ .

المنهـاج شرح صحيـح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شـرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ .

الفتـاوى الكبـرى ، أحمد بن عبد الحليم بـن تيمية الحراني أبو العبـاس ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ هـ .

تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت

عمـدة القاري شرح صحيح البخـاري ، بدر الدين العيني الحنفـي ، ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث ، قام بتنسيقه وفهرسته أسامة بن الزهراء – عفا الله عنه – لملتقى أهل الحديث .

الحطـة فـي ذكر الصحـاح الستة ، أبو الطيـب السيد صديـق حسن القنوجـي ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية

منظومة مصباح الراوي في علم الحديث ، عبد الله بن فودي رحمه الله تعالى ١١٨٠ – ١٢٤٥هـ ، دار العلم للطباعة والنشر، دراسة وتحقيق وشرح: محمد المنصور إبراهيم الباحث: بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي سكتو ، نيجيريا .

شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفي : ٨٥٢هـ) ، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

خنوف شعيب
قسم التاريخ، جامعة باجي مختار – عنابة

شُبُهات ومُفتريات حول الإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) وكتابه «الصحيح»

مقدمة :

نتناول في هذا البحث موضوع :شُبهات ومُفتريات حول الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه «الجامع الصحيح »،وقد بدأت في هذا البحث من حيث انتهى الكاتب المغربي رشيد إيلال في كتابه «نهاية أسطورة »حيث قال :«... مع الإشارة إلى أن هاته النسخ كلها لا وجود لنسخة أصلية لها ،...بل هي مجرد نسخ منسوبة إليهم من نساخ أغلبهم مجهولين ،ورغم ذلك يصر هؤلاء الشيوخ بأن صحيح البخاري من تأليف محمد بن اسماعيل البخاري ،..رغم كل هاته الحقائق ،....ليحكموا بيننا وبين هؤلاء ،من منا المصيب ومن المخطئ » [١]، ثم قال بعدها:«... وحتى أولئك الذين يظن أنهم من أوصلوا لنا صحيح البخاري أو نقل عبرهم إلى باقي الأجيال ،يؤكدون على أن ما ألفه الشيخ البخاري هو كتاب لم يكتمل ،ويشهدون أيضا وبملئ إرادتهم حسب نفس ....،ويخفون الحقيقة المرة كل هذا ليعيش الكهنوت » [٢]،ليخلص إلى القول بأنه :«... من حقنا إذن أن نقول لهم –أي أهل الحديث –إن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف ،لاأصول له ،ولا حقيقة لوجوده ،فهو كتاب لقيط ،جمع بين طياته أهواء أناس ،وضعوا فيه ماأرادوا ليبرروا أفعالهم ...» [٣].

وبناءا على ما سبق ذكره ،ركزت في هذا البحث على خمس نقاط هي في أصلها ردود على شبهات ومفتريات وردت في كتاب الكاتب المغربي رشيد أيلال ،منها حول أسطورة الإمام البخاري ؟وعدم نسبة الكتاب «الجمع الصحيح» له؟ وأيضا التشابه بين ماورد في الصحيح –خاصة عند ذكر المعراج– بالديانة الزرادشتية ؟وصحيح البخاري المتداول هو غير الصحيح الذي نقل عن

(١) صحيح البخاري نهاية أسطورة،ط٠١، دار الوطن ،الرباط ،٢٠١٧،ص:٢٧٨.

(٢) نفس المرجع،ص: ٢٨٠.

(٣) نفس المرجع،ص: ٢٨٠.

البخـاري بواسطة الفربري ؟ وأيضا شبهات حول الحديث النبوي الشريف والإكتفاء فقط بالقران الكريم كمصدر للتشريع ؟

وقـد اجتهـدت كثيرا في ذكر أقوال العلماء والمُحدثين مـن أصحاب التراجم والطبقات ،وحاولـت الإختصـار قدر الإمكان نُزولا عند رغبة القائمين على هـذا الملتقى ،وفي الختام أسال الله تعالـى التوفيق والسـداد ،والإخلاص في القول والعمل، وهو الموفق لمـا يحبه ويرضاه ،وعلى الله قصد السبيل.

التعريف بالإمام محمد بن إسماعيل البخاري:

اسمه ونشأته:

هـو محمـد بـن اسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بردزبـة الجعفي [١]، ولد في الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببُخارى ،وهي من أعظم مدن ما وراء النهر [٢] ،وأما عن والـده اسماعيـل بـن ابراهيم فقد كان عالما يـروي عن حماد بن زيد ومالـك روى عنه العراقيون [٣]،قـال البخاري في تاريخه: «اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي ابو الحسن راى حماد بن زيـد صافح ابن المبارك بكلتا يديـه وسمع مالكا»[٤]، قال الذهبي «وكان أبـو البخاري من العلماء الورعيـن وحدث عن ابـي معاوية وجماعة وروى عنه أحمد بن جعفر ونصر بن الحسين» [٥]، و قال عنـه صاحـب إرشاد السـاري - أي عن البخاري -: «هـو الإمام حافظ الإسـلام خاتمة الجهابذة النقـاد الأعـلام شيخ الحديـث وطبيب علله في القديـم والحديث ،إمام الأئمـة عجما وعربا، ذو الفضائـل التي سارت بها السـراة شرقا و غربا ،الحافظ الذي لا تغيب عنه شاردة والضابط الذي استوت لديه الطارفة والتالدة»[٦].

وممـا يـدل على شهـرة والده -والد البخاري- في طلب الحديث مـا حكاه البخاري فقال : «كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص ،أسمع كتاب الجامع -جامع سفيان- في كتاب والدي، فمر أبـو حفص على حرف ،ولم يكن عندي ماذكـر، فراجعته، فقال الثانية كذلـك، فراجعته الثانية، فقـال كذلـك، فراجعته الثالثـة ،فسكت سويعة، ثم قال: مـن هذا ؟ فقالوا: هذا بـن إسماعيل بن

---

(١) الذهبي :سير اعلام النبلاء ،ج ١٢ ، ص: ٣٩٢وما بعدها .

(٢) ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج١ ، ص: ٣٥٣وما بعدها.

(٣) البخاري :التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ نشر ، ج١، ص:٣٤٢-٣٤٣.

(٤) البخاري :نفس المصدر ، ج١،ص: ٣٤٣.

(٥) الذهبي :تاريخ الإسلام ، ج١٢ ، ص: ٣٩٤.

(٦) القسطلاني ابن الخطيب :ارشاد الساري ، ص: ٣٠.

ابراهيم »[1].

ولقد كان للبيئة التي نشأ فيها الإمام البخاري دور مهم في مسيرة نشأته .فالمسلمون في زمان الإمام البخاري ،وقبله كانوا قد اقبلوا على سماع الحديث، وطلبه، وروايته، وتنافسوا في تكثير الشيوخ، والطرق، والرواية ،حتى قدر عدد مجلس الشيخ الواحد بالآلاف الكثيرة .

حدثوا عن مجلس سليمان بن حرب –شيخ البخاري – أنه كان يحضره ما يقدر بأربعين ألفا، وكان يجتمع عند علي بن عاصم أكثر من ثلاثين ألفا. وذكر الذهبي في ترجمة يزيد بن هارون أنه كان يحضر في مجلسه سبعون ألفا .

إن مثل هذه المجالس المكتضة بطلبة الحديث ،لابد وأنها تركت البصمات الظاهرة الواضحة في حياة الإمام البخاري ،ونشأته العلمية ،إلى جانب ما كان يتمتع به الإمام من أدوات اكتساب العلم ،وتحصيله وهو الصبر والذكاء والحفظ [2].

تحصيله العلمي :

كانت بدايات الإمام البخاري في الكُتاب بمسقط رأسه بخارى ،ثم بعدها ارتحل إلى مكة، والكوفة والبصرة ومصر والشام،يقول الإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ) : «دخلتُ إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ،ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين»، وقال أيضا: «دخلت بغداد ثمان مرات، وكل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي آخر مرة ماودعته: يا أبا عبدالله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان ،فأنا الآن أذكر قول أحمد»[3] .

فقد خرج سنة ٢١٠هجرية وعمره ست عشرة سنة لآداء الحج رفقة والدته وأخيه ،فلما فرغ من الحج، رجع أخوه وأمه، وأما هو فقد بقي يتنقل في الحجاز بلاد الحرمين، يتلقى من شيوخها، فقد سمع ببلده من الكثير من العلماء منهم: محمدبن سلام البيكندي، ومحمدبين

(١) ابن عساكر :تاريخ بغداد، ج ٢،ص: ١١.

(٢) ذكر محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبدالله :كيف كان بدء أمرك ؟قال :ألهمت حفظ الحديث ،وانا في الكتاب، فقلت: كم كان سنك ؟فقال :عشر سنين ، أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر ،فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره .يقول :فلما طعنت في ست عشرة سنة ،كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة ،فلما حججت رجع أخي بها – يعني أمه –فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة ،والتابعين، وأقاويلهم ،وذلك أيام عبيدالله بن موسى ،وصنفت كتاب التاريخ عند قبر الرسول في الليالي المقمرة .الذهبي :السير، ج١٢،ص:٣٩٧.

(٣) السبكي :طبقات الشافعية ،ج٢،ص:٢١٧.

يوسف البيكندي، وعبدالله بن محمد المسندي ،وهارون بن الاشعث وغيرهم [١].

كمـا سمع ببلخ، ومرو ،ونيسابـور والري وبغداد والمدينة وواسـط ومصر ودمشق وعسقلان وحمص [٢].

وممـن أخذ عنهم البخاري بمكة :أبو الوليـد احمد بن محمد الازرقي (ت ٢١٧هـ) ،وعبدالله بـن يزيد المقرئ (ت٢١٣هـ) ،وإسماعيل بن سالم الصائـغ، وأبوبكر عبدالله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)وغيرهم [٣].

وممـن اخذ عنهم البخـاري بالمدينة :إبراهيم بن المنذر الحزامـي (ت ٢٣٦هـ)، ومطرف بـن عبـدالله (ت ٢٢٠هـ) ،وابراهيـم بن حمزة (ت ٢٣٠هــ)، وأبو ثابت محمد بـن ابي عبيدالله، وغيرهم.

وممـن أخذ عنهم الامـام البخاري بالشـام: محمد بن يوسـف الفريابـي (ت ٢١٢هـ) ،وأبو النصر اسحاق بن ابراهيم (ت ٢٢٧هـ)، وأبو اليمان الحكم بن نافع (ت ٢٢٢هـ)، وحياة بن شريح (ت٢٢٤هـ)وغيرهم.

وببخارى أخذ الإمام البخاري عن : محمد بن سلام البيكندي ،ومحمدبن يوسف البيكندي، وعبدالله بن محمد المسندي (ت ٢٢٩هـ) ،وهارون بن الأشعث وغيرهم [٤].

قـال الإمـام البُخاري (ت ٢٥٦هـ): «أُلهمتُ حفظ الحديـث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، وخرجتُ من الكُتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ،فقال يوما فيما يقرأعلى النـاس: سفيـان، عن أبـي الزبير، عـن إبراهيم . فقلـتُ له: إن أبـا الزُبير لم يرو عـن إبراهيم. فانتهرنـي، فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل، ثم خـرج، فقال لي: كيف يا غلام ؟قلت: هو الزبير بـن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلحه، وقـال: صدقت. فقال للبُخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت ؟قال: ابن إحدى عشرة سنة» [٥].

وقـال أيضـاً: «فلما طعنتُ في ثمان عشرة سنة، جعلـتُ أُصنفُ قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيدالله بن موسى، وصنفتُ كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي ﷺ، في

(١) السبكي :نفس المصدر ،ج٢،ص:٢١٣.

(٢) السبكي :نفس المصدر ،ج٢،ص:٢١٣-٢١٤.

(٣) السبكي :نفس المصدر ،ج٢،ص:٢١٣-٢١٤.

(٤) السبكي :طبقات الشافعية ،ج٢،ص:٢١٣.

(٥) السبكي :نفسالمصدر ،ج٢،ص:٢١٦.

الليالي المُقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ،إلا أني كرهتُ تطويل الكتاب»[١].

وقد برز الإمام البخاري في زمن ظهرت فيه الفرق الكلامية كالجهمية والمُعتزلة وكثرت فيها شبهاتهم وأباطيلهم، قال الذهبي (ت ٧٧٤هـ) :«كانت الاهواء والبدع خاملة في زمن الليث، ومالك، والاوزاعي، والسنن ظاهرة عزيزة .فأما في زمن احمد بن حنبل، واسحاق، وابي عبيد، فظهرت البدعة، امتحن ائمة الاثر، ورفع اهل الاهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم ،فاحتاج العلماء الى مجادلتهم بالكتاب والسنة ،ثم كثر ذلك ،واحتج عليهم العلماء ايضا بالمعقول ،فطال الجدال، واشتد النزاع ، وتولدت الشبه»[٢].

وقد كانت لأئمة الحديث سجالات وردود على المتكلمين عن طريق – الذين ردوا على المتكلمين – المصنفات الكثيرة خلال القرن ٣هـ/٩م ،كشفوا فيها مغالطات المتكلمين ودحضوا فيها شبهاتهم ،منها :خلق أفعال العباد، والرد على الجهمية ،لمحمد بن اسماعيل البخاري، والرد على القدرية، لمالك بن أنس ،والرد على أهل الاهواء، والرد على البراهمة، لمحمد بن ادريس الشافعي، والرد على الزنادقة والجهمية لعبدالعزيز الكناني، ونفي التشبيه ،والرد على الزنادقة، والإيمان ،لأحمد بن حنبل، والتبصير في معالم الدين لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) [٣].

وقد ذكر المؤرخ شمس الدين الذهبي (ت ٧٧٤هـ) طائفة من المتكلمين بعد المائة الثانية – ممن برزوا خلال عصر الإمام البُخاري رحمه الله – فقال : «وممن كان بعد المائتين — أي خلال القرن ٣هـ/٩م – ،من رؤوس المتكلمين والمعتزلة، بشر بن غياث المريسي العدوي ،مولى آل زيد بن الخطاب، وأبوسهل بشر بن المعتمر الكوفي الأبرص، من كبار المعتزلة ومصنفيهم، وأبو معن ثمامة بن أشرس النميري البصري، وأبو اسحاق ابراهيم بن سيار البصري النظام، وهشام بن الحكم الكوفي الرافضي المجسم، وضرار بن عمرو الذي تنسب إليه الضرارية، وأبو المعتمر معمر بن عباد وقيل معمر بن عمروالبصري العطار، وهشام بن عمروالفوطي، وداود الجواربي، والوليد بن أبان الكرابيسي، وابن كيسان الأصم، وأبو موسى الفراء البغدادي، وأبو موسى البصري الملقب بالمرداز، وجعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر، وآخرون»[٤].

كما تضمن كتاب «خلق أفعال العباد» لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ،العديد

(١) السبكي :نفس المصدر ،ج٢،ص:٢١٦.

(٢) الذهبي :سير أعلام النبلاء ،ج٨،ص:١٦٢.

(٣) خالدكبير علال: منهج اهل الحديث في الرد على المتكلمين –أسسه وتطبيقاته–، دار كنوز الحكمة، الطبعة ٠١، الجزائر، ٢٠١٢، ص:٩.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج١٠،ص:٤٤١-٤٤٢.

مـن الردود على الجهميـة والمعتزلة وغيرهم من متكلمة ذلك العصـر –القرن ٣هـ/٩م .،استند فيـه الإمـام محمد بن اسماعيـل البخاري على القـرآن الكريم والحديث النبـوي الشريف وأقوال الصحابـة والتابعين وتابعي التابعيـن ،بالإضافة إلى الثابت من اللغة العربيـة لتقرير عقيدة أهل السنـة والجماعة من عصر النبوة إلى غايـة عصرالإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ) ،حيث مثل الكتاب ثـروة فكرية كُبرى ،مثلت سعـة أفق علماء أهل الحديث باعتمادهم علـى صحيح المنقول وصريح المعقول عن طريق المناظرات والمناقشات والإلزامات والأقوال دلت كلها على أن كثيرا من علماء أهل الحديث كانوا على علم بمقالات عصرهم الكلامية وخطرها على الدين ،فردوا عليها ووجهوا لها انتقادات قاتلة في أسسها وتطبيقاتها صونا للدين وحفاظا على الأمة وأمنها الفكري ،مما يفند ويُبطل اتهامات المتكلمين لعلماء الحديث بضيق الأفق من جهة ومعاداة العقل من جهة ثانية .

نقض شُبُهات ومفتريات حول الإمام البخاري وصحيحه :

نتناول في هذا البحث موضوع :شُبهات ومُفتريات حول الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه «الجامع الصحيح » ،وقد بدأت في هذا البحث من حيث انتهى الكاتب المغربي رشيد إيلال فـي كتابـه «نهاية أسطورة» حيث قال: «... مع الإشارة إلى أن هاته النسخ –كتاب الصحيح -كلها لا وجود لنسخة أصلية لها ،...بل هي مجرد نسخ منسوبة إليهم من نساخ أغلبهم مجهولين ،ورغم ذلـك يصر هؤلاء الشيوخ بأن صحيح البخاري من تأليف محمد بن اسماعيل البخاري ،..رغم كل هاتـه الحقائق ،....ليحكموا بيننا وبين هؤلاء ،من منا المصيب ومن المخطئ»[(١)] ، ثم قال بعدها: «... وحتى أولئك الذين يظن أنهم من أوصلوا لنا صحيح البخاري أو نقل عبرهم إلى باقي الأجيال، يؤكـدون علـى أن ما ألفه الشيخ البخاري هو كتاب لم يكتمل ،ويشهدون أيضا وبملئ إرادتهم حسب نفسـ ....،ويخفـون الحقيقة المرة كل هذا ليعيش الكهنوت»[(٢)] ،ليخلصـ إلى القول بأنه: «... من حقنـا إذن أن نقول لهم -أي أهل الحديث- إن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف، لاأصول له، ولا حقيقـة لوجوده ،فهـو كتاب لقيط ،جمع بين طياتـه أهواء أناس ،وضعوا فيه مـاأرادوا ليبرروا أفعالهـم ...»[(٣)] ، وبناءا على ما تقدم يمكننا طرح التساؤلات الآتية : هل صحيح بأن كتاب «صحيح البخـاري» أسطورة ؟؟وهل صحيح بأن محمـد بن اسماعيل البخاري هو ليس مؤلف كتاب «صحيح الجامـع» المشهور ؟وهل تأثر الإمام البخاري بتعاليـم الديانة الزرادشتية ؟وهل ما وصل إلينا من صحيـح الإمـام البُخاري هو فقط عن طريق رواية الفربـري (ت ٣٢٠هـ)؟وما هي مواطن النقص

(١) صحيح البخاري نهاية أسطورة،ط٠١،دار الوطن ،الرباط ،٢٠١٧،ص:٢٧٨.

(٢) نفس المرجع،ص: ٢٨٠.

(٣) نفس المرجع،ص: ٢٨٠.

التـي مست كتاب صحيـح البخاري ؟وما هي القيمـة العلمية والمنهجية لكتـاب «صحيح البخاري نهاية أسطورة» للكاتب المغربي رشيد إيلال ؟

كتاب «صحيح البخاري «بين الحقيقة والخيال:

ظهـرت في الآونة الأخيرة كتابات حاولت التشكيـك في شخصية الإمام محمد بن اسماعيل البُخـاري تارة، وكتابـه «صحيح البخاري «تارة أخـرى ،ونحن في هذا المبحـث سنتناول بالبحث تاريـخ دخول كتاب «صحيح البخاري «إلى بلاد الغـرب الإسلامي (مغرب إسلامي وأندلس) ،وقد اقتصرنـا علـى بلاد المغرب الإسلامـي والأندلس لكـون صاحب «نهاية أسطـورة «مغربي الأصل والنشـأة ،فأردنا التركيز على جهود علماء بلاد المغـرب الإسلامي والأندلس في العناية بصحيح البُخاري دفعا للشبهة وتتميما للفائدة، وكذا أشهر الروايات التي وردت بلاد الغرب الإسلامي .

وإن المُتأمـل فـي كتب التراجم والطبقات يجد أسماء العديد من العلماء ممن رحل إلى بلاد المشـرق الإسلامي بهـدف الإستفادة من شيوخها وعلمائها ومُحدثيهـا والنهل من معين الحديث النبوي الشريف بما في ذلك كتاب «المُسند الصحيح لمحمد بن اسماعيل البُخاري».

فمنـذ وصـول كتاب صحيـح البخاري بـلاد المغرب الإسلامـي والأندلـس ،ازدانت محافل بعضـ علماء الحديث بصحيح البخاري وتفسير غريبه وإيضاح مشكله وبيان فقهه وأقبل على تلك المجالـس العلماء وطلبة العلم رواية ودراية بشغـف كبير وصار حافزا للعلماء في الرحلة إلى بلاد المشـرق الإسلامي ،وقدأشار المؤرخ تاج الدين السُبكي إلى قيمة كتاب البخاري بقوله : «...وأما كتابـه- محمد بـن اسماعيل البخاري - الجامع الصحيح فأجل كُتب الإسلام ،وأفضلها بعد كتاب الله،ولا عبرة بمن يرجح عليه صحيح مسلم، فإن مقالته هذه شاذة ،لا يعول عليها»[(١)] .

وبعدمـا فرغ الإمام البخـاري من كتابة «الصحيـح الجامع» «عرضه على شيـوخ زمانه علي المدينـي (ت ٢٣٤هــ) ، ويحي بن معيـن (ت ٢٣٣هـ) ، وأحمـد بن حنبل (ت ٢٤١هــ) ، وغيرهم، فامتحنوه، فكلهم قال له: كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث، قال العُقيلي :والقول فيها قول البُخاري، وهي صحيحة»[(٢)] .

يقول المؤرخ الذهبي (ت ٧٧٤هـ) : «...وأما «الصحيح» فهو أعلى ماوقع لنا من الكتب الستة فـي أول مـا سمعت الحديث ،وذلك في سنة اثنتين وتسعين وستمائة فماظنك بعلوه اليوم وهو سنة

(١) السبكي :طبقات الشافعية ،ج٢،ص:٢١٥.

(٢) ابن خير الإشبيلي : فهرسة ابن خير الإشبيلي ، دار الكتب المصرية اللبنانية ،تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط١٠،١٤١٠هـ/١٩٨٩م،، ج١ ، ص: ١١٧.

خمس عشرة وسبع مائة ،لو رحل الرجل من مسيرة سنة لسماعه لما فرط ،كيف وقد دام علوه إلى عام ثلاثين، وهو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث، وذلك لأن أبا عبدالله أسن الجماعة ،وأقدمهم لُقيا للكبار ،أخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة عن رجل عنهم » [١].

وقد احتفظت لنا كتب التراجم والطبقات بأسماء العديد من العلماء الذين اعتنوا بصحيح البُخاري ،وكانت لهم رحلات إلى كل من مكة ومصر والشام وخراسان والقيروان وفاس وأيضا إلى بلاد الأندلس بصدد الأخذ عن الشيوخ الثقات ذوي الإجازة في تدريس صحيح البُخاري مشرقا ومغربا .

قال ابن كثير (ت٧٤٨هـ) :«وقد رُوِي البُخاري من طريق الفربري –كما هي رواية الناس اليوم من طريقه –وحماد بن شاكر ،وابراهيم بن معقل ،وطاهر بن محمد بن مخلد ،وآخر من حدث عنه به أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي النسفي ،وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة » [٢]، وهوما يفيد بأن صحيح البخاري برواية الفربري كان متداولا ومنتشرا زمن الإمام الحافظ ابن كثير خلال القرن الثامن الهجري /١٤م ؟.

أسانيد المغاربة والأندلسيين حُفاظ الصحيح من غير طريق الفربري :

والملاحظ في كتب التراجم والطبقات أيضا يجد أن بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، قد اعتمد أهلها على أربع روايات لصحيح البخاري ،أما الرواية الأولى : عن طريق كريمة المروزية (ت ٤٦٣هـ) [٣]عن الكشمهيني ،أو عن طريق أبي ذر الهروي مباشرة عن شيوخه الثلاثة (المستملي – الكشميهني – الحموي) عن الفربري عن البخاري، وقد أشار ابن الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) إلى أن هذه الرواية هي الأتقن من بين جميع الروايات لإتقانها وضبطها، فقال ابن حجر (ت٨٥٦هـ) : «وقد انتهى الغرض الذي أردته، من التوصيل الذي أوردته ،فليقع الشروع في الشرح والاقتصار على أتقن الروايات عندنا وهي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة ،لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها، مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها» [٤].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص: ٤٠٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ج١٤، ص: ٥٢٧-٥٢٨.

(٣) قال عنها الذهبي: «الشيخة العالمة ،الفاضلة ،المسندة ،أم الكرام، كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية ،سمعت من أبي الهيثم الكشمهيني «صحيح البخاري»، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي ،وعبدالله بن يوسف بن باموية الأصبهاني. وكانت إذا روت قابلت بأصلها، ولها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد» أنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ،ص:٢٣٣.

(٤) ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص:١١.

وأما الرواية الثانية: عن طريق النسفي بن معقل عن البخاري.

وفي نفس السياق - رواية أبي اسحاق ابراهيم بن معقل النسفي - قال ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م): «أن رواية محمد بن يوسف الفربري فيها زيادة على رواية النسفي نحوا من تسع أوراق من نسختي -ابن خير - وقد أعلمت على الموضع -أول كتاب الأحكام من البخاري - من كتابي -الفهرسة-» [١].

وأما الرواية الثالثة :عن طريق أبي اسحاق البلخي المستملي عن الفربري عن البخاري .

كما عدد المؤرخ الذهبي (ت ٧٧٤هـ) أسماء الشيوخ من رواة «الصحيح « عن الفربري فقال :«حدث عنه- محمد بن يوسف الفربري - :الفقيه أبو زيد المروزي ،والحافظ أبوعلي بن السكن وأبوالهيثم الكشميهني ،وأبو محمد بن حمويه السرخسي ،ومحمد بن عمر بن شبويه ،وأبو حامد أحمد بن عبدالله النعيمي ،وأبو اسحاق ابراهيم بن أحمد المستملي ،واسماعيل بن حاجب الكشاني، ومحمد بن محمد بن يوسف الجرجاني وآخرون .والكشاني آخرهم موتا » [٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن آخر من روى «صحيح البخاري «هو ليس الفربري المتوفى سنة٣٢٠هجرية ،بدليل ماذكره الذهبي (ت ٧٧٤هـ):فقال :« ويُروى -ولم يصح -أن الفربري قال :سمع «الصحيح « من البخاري تسعون ألف رجل ،ما بقي أحد يرويه غيري »،ثم عقب الإمام الذهبي على ذلك بقوله :« قد رواه بعد الفربري أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي النسفي، وبقي إلى سنة تسع وعشرين وثلاث مائة » [٣].وإلى قريب من ذلك أشار المؤرخ تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) حيث قال: «وآخر من روى عنه - محمد بن اسماعيل البُخاري - الجامع الصحيح منصور بن محمد البزدوي ،المتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة » [٤]،وقد أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) إلى بعض رواة الصحيح ممن عاشوا بعد البزدوي بقوله فقال: «وقد عاش بعده - أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي (ت ٣٢٩هـ) ممن سمع من البخاري: القاضي الحسين بن اسماعيل المحاملي ببغداد، ولكن لم يكن عنده الجامع الصحيح ، وإنما سمع منه مجالس أملاها ببغداد في آخر قدمة قدمها البخاري، وقد غلط من روى الصحيح من طريق المحاملي غلطا فاحشا» [٥]. .،ثم اعقب ذلك بنوع من التشكيك حول آخر من روى الصحيح عن

(١) ابن خير: الفهرسة،ج١، ص:١٢٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج١٥، ص:١١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص:١٢.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص:٢١٥.

(٥) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ص:٨.

البخـاري فقـال – السبكـي – :«وآخر من زعم أنـه سمعه منه صوتا ،أبو ظهيـر عبد الله بن فارس البلخي ،المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة » [١].

قـال ابـن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) :«اتصلت لنا رواية البُخاري أيضا من رواية أبي طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه» [٢].

وأما الرواية الرابعة: عن طريق ابن السكن عن الفربري عن البخاري .

وممن روى عن كريمة المروزية عن الكشمهيني ،نذكر :

أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الأنصاري الشارقي الواعظ ،(ت ٥٠٠هـ) ،يكنى أبا العباس ،سمع بالمشرق من كريمة المروزية ،والقاضي ابي بكر بن صدقة وابي الليث السمرقندي وغيرهم، قال ابن بشكوال :«دخل العراق ،وفارس ،والأهواز ،ومصر ،ثم انصرف إلى الأندلس وسكن سبتة وفاس وغيرهما ،توفي بشرق الأندلس » [٣].

ابراهيـم بـن محمد بن سليمـان بن فتحون ،من أهـل اقليش ،وقاضيها ،رحـل إلى المشرق ،فسمـع بمكة مـن كريمة المروزية وغيرها قال عنـه ابن بشكوال :«عني بالحديـث ونقله ،وروايته وجمعه» [٤].

محمـد بن أبي نصر فتوح بن عبـد الله (ت٤٨٨هـ) ،الأزدي الحُميـدي، من جزيرة ميورقة، رحـل إلـى المشرق سنة ثمـان وأربعين وأربعمائة ،ولقـي بمكة كريمة المروزيـة وغيرها ،له كتاب حسن جمع فيه بين صحيحي البخاري ومسلم ،أخذه الناس عنه » [٥].

وممن روى عن أبي ذر الهروي ،نذكر :

محمـد بن شريح بن احمد بن محمد (ت ٤٧٦هـ) ،مـن أهل اشبيلية ،رحل إلى المشرق سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ،وسمع من أبي ذر الهروي صحيح البخاري ،وأجاز له [٦].

جعفـر بن يحـي بن وهب بن عبدالمهيمـن الفهري (ت ٣٧٠هـ) ،سمـع بقرطبة من أحمد بن

(١) السبكي :طبقات الشافعية،ج٢، ص:٢١٥.

(٢) ابن حجر :فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ص:٨.

(٣) ابن بشكوال :الصلة ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصرية اللبنانية ،ط١٠١،١٤١٠هـ/١٩٨٩م،مصر لبنان ،ج٢، ص:١٢٥-١٢٦.

(٤) ابن بشكوال : الصلة، ج٢، ص:١٦٢-١٦٣.

(٥) ابن بشكوال : الصلة، ج٢، ص:٨١٩.

(٦) ابن بشكوال: الصلة ، ج٢، ص:٨٠٩.

سعيد ،ومحمد بن معاوية القرشي،وغيرهم .«رحل إلى المشرق ،سمع من أبي زيد المروزي :راوية كتاب البخاري » [١].

حباشة بـن حسن اليحصبي (ت٣٧٤هـ) ،من أهل القيروان ،يكنى أبا محمد سمع بالقيروان مـن أبي الحسن زيـاد ،ومن ابراهيم بن عبدالله الزُبيدي المعروف بالقلانسي وغيرهم ،رحل إلى المشرق ،فلقي جماعة من محدثي المشرق،وسمع كتاب البخاري من أبي زيد المروزي» [٢].

عبدوس بن محمد بـن عبدوس (ت٣٩٠هـ) ،من أهل طليطلة،رحـل إلى المشرق سمع بمكة من محمدبن الحسين الآجري ،وأبي العباس الكندي وغيرهما.

ودخل الشام ،وكتب بها عن أحمد بن صالح الرملي ،وأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المقدسـي ،المعروف بالجلا ،وأبي زيـد المروزي راوية كتاب البخاري ،سمـع منه بعض الكتاب ، وأجاز له بعضه» [٣].

محمـد بن يحي بـن زكرياء بن يحي التميمـي (ت٣٩٤هـ) ،المعروف بابـن برطال ،من أهل قرطبـة ،سمع بقرطبـة من أحمد بن خالد يسيـرا ،وسمع من قاسم بن أصبـغ كثيرا ،ومن محمد بـن عيسى بن رفاعة وغيرهم ،قال عنه ابـن الفرضي :«كان شيخا مسمتا ،جميلا ،وقورا ،حليما ، متواضعا ،وقد حدث بكتاب البخاري عن أبي علي بن السكن ،وقرأته عليه ،وسمعه معنا جماعة من الشيوخ والكهول » [٤].

محمـد بن اسماعيل بن محمد الأنصاري (ت ٣٩٤هـ) ،من أهل رية ،يكنى أبا عبدالله ،سمع مـن شيوخ بلده فـي وقته ،«رحل الى المشـرق أول سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائـة ،وهوابن اثنين وعشرين سنة ،سمع بمصر من جماعة من المحدثين منهم أبو عمرو عثمان بن محمد السمرقندي قـدم عليهم من تنيس ، وأبو محمد بن الـورد وسمع من حمزة بن محمد الكناني السنن للنسائي ، ومن أبي علي بن السكن السُنن للبُخاري» [٥].

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي ،(ت ٤٧٤هـ) ،فقيه متكلم ،محدث ،إمام متقـدم مشهـور ،روى بالأندلس عن جماعة ،منهم :مكي ،وغيره وتفقه ،ثم رحل إلى المشرق وروى فأكثـر روى عـن أبي ذر الهروي ،وأبي علـي الحسين بن علي البغدادي ،أقـام بالحجاز مع أبي ذر

(١) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:١٢٢.

(٢) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،تحقيق السيد عزت العطار الحسني ،ط١٩٨٨،٢م،ج١ ، ص:١٥٢-١٥٣.

(٣) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:٢٨٣.

(٤) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج٢ ، ص:١٠٧-١٠٩.

(٥) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج٢ ، ص:١١٠.

الهـروي ثلاثة أعـوام يخدمه فيها ،«ثم انصرف الـى الاندلس وقد نال حظا وافـرا من العلم،وله تواليف تدل على معرفته ،وسعة علمه،كان أعلم عصره علما وديانة » [١].

عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن جعفر الاموي (ت٤٠٠هـ) ،المعروف بالاصيلي ،«كان مـن كبار أصحـاب الحديث والفقه» [٢]،قال عنه الضبي :«رحـل فدخل القيروان ،وسمع بها ،ثم رحل منها مع أبي ميمونة دراس بن اسماعيل الفاسي الفقيه الزاهد وغيره ،وبمكة من جماعة ،ومن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد المروزي الفقيه صحيح أبي عبدالله البخاري ،عن محمد بن يوسف الفربري،عنه » [٣].

أحمدبـن محمـد بن مغيث الصدفي ،من أهل طليطلـة ،(ت ٤٥٩هـ) ،قال عنه ابن بشكوال : «رحل إلى المشرق ،وروى عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي ،وأجاز له وسمع من أبي بكر محمد بن علـي الغـازي المطوعي ،وغيرهما وجلب كتبا صحاحا رويت عنـه ،وكتب الى شيخنا ابي محمد بن عتاب باجازة مارواه » [٤]،وقال أيضا «وكان يحفظ صحيح البخاري ويعرف رجاله » [٥].

عطية بن سعيد بن عبدالله (٤٠٨هـ) ، قال ابن بشكوال :«قرئ عليه –كونه كان كفيفا – بمكة صحيح البخاري، روايته عن اسماعيل بن محمد الحاجي، عن الفربري، عن البخاري، وكان الذي يقرأ عليه هو ابو العباس أحمد بن الحسن الرازي » [٦].

الـوراق محمد بـن علي بن أحمد بن محمود ،سمـع بمكة من أبي العباسـ أحمد بن الحسن الـرازي، وأبي ذر عبد بـن احمد الهروي وغيرهما ،قال عنه ابن بشكـوال :«كان حسن الخط ،وقد كتـب مـن صحيح البخاري غيـر ما نسخة ،هي بأيـدي الناس، حدث عنه أهـل الأندلس أبو الوليد الباجـي ،وأبـو عمر بن مغيث وغيرهـم » [٧]، وقوله «هي بأيـدي الناس»، يفيد بـأن الصحيح كان متداولا وبكثرة يمتلكه العامة والخاصة في تلك الفترة .

محمـد بن احمد بن عيسى بن محمد بن منظور،القيسي (ت ٤٦٩هـ) ،من أهل اشبيلية، قال عنـه ابن بشكـوال :«كان من أفاضل الناس ،حسـن الضبط ،جيد التقييد للحديـث، كريم النفس

(١) الضبي :بغية الملتمس في تاريخ أخبار رجال أهل الأندلس ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصرية اللبنانية ، ط١٤١٠،١هـ/١٩٨٩م،ج٢ ، ص:٣٨٥–٣٨٦.،أنظر:ابن بشكوال :الصلة ،ج١،ص:٣١٧–٣١٩.

(٢) الضبي :بغية الملتمس ،ج٢ ، ص:٤٤٠–٤٤١.

(٣) الضبي :بغية الملتمس ،ج٢ ، ص:٤٤٠–٤٤١.

(٤) ابن بشكوال :الصلة ،ج٢ ، ص:١٠٨.

(٥) ابن بشكوال :نفس المصدر ،ج٢ ، ص:١٠٨.

(٦) ابن بشكوال : نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٦٥١–٦٥٣.

(٧) ابن بشكوال : نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٧٨٥.

خيـارا» [١]،رحل إلـى المشرق ولقي بمكة أبا ذر عبد بن أحمد وصحبـه وجاور معه مدة وكتب عنه الجامع الصحيح للبخاري [٢].

أحمـد بـن عمر بن أنس بن دلهاث بن أنس بن فلهـدان المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ)، مـن أهل المرية، رحل مـع أبويه إلى المشرق سنة سبـع وأربعمائة ،فسمع بالحجـاز سماعا كثيرا مـن أبي العباس الرازي وغيره ،«وصحب الشيـخ الحافظ أبا ذر عبد بن أحمد الهروي ،وسمع منه صحيـح البخاري مـرات» [٣]، وسمع من جماعة من المحدثين من أهـل العراق وخراسان والشام والوارديـن علـى مكة، أهـل الرواية والعلم ولم يكن لـه بمصر سماع، قال عنه ابـن بشكوال :«كان معتنيا بالحديث ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو إسناده، سمع الناس منه كثيرا ، وحدث عنه من كبار العلماء كابي عمر بن البر ،وأبو محمد بن حزم وغيرهم » [٤].

كمـا بين المُحدث والحافظ أبو الوليـد الباجي (ت ٤٧٨هـ) أسانيد كتـاب صحيح البُخاري الذي اعتمد عليه فقال :«وأسانيد ماذكرت فيه عن صحيح البخاري فحدثنا به أبو ذر قراءة عليه قـال :أخبرنا أبو محمد الحموي وأبو اسحاق المستملي وأبو الهيثم الكشمهيني قالوا:أنا محمد بن يوسـف الفربري قال:أنـا محمد بن اسماعيل البخاري ...» [٥]،وهو ما يـدل على أن مابين الباجي والإمام البخاري ثلاث رجال [٦].

وأشار أيضـا الحافـظ ابـو الوليد الباجـي (ت ٤٧٨هـ) إلـى الإختلاف الذي وقـع في نسخة الفربـري عـن باقي نسخ الـرواة الآخرين ،ممـا لا يدع مجالا للشـك ،فقال :«وقـد أخبرنا أبو ذر عبـد بـن أحمد الهروي الحافظ ،ثنا أبو إسحاق المستملي ابراهيـم بن أحمد قال :انتسخت كتاب البُخـاري من أصله كان عند محمد بن يوسف الفربـري فرأيته لم يتم بعد وقد بقيت عليه مواضع

(١) ابن بشكوال: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٨٠٣.

(٢) ابن بشكوال: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٨٠٤.

(٣) ابن بشكوال: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:١١٥-١١٦.

(٤) ابن بشكوال : نفس المصدر ،ج٢ ، ص:١١٧.

(٥) الباجي: التعديل والتجريح لمن خرج له البُخاري في الصحيح، إعتناء علي ابراهيم مصطفى ،ط٠١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،٢٠١٠م ، ص:٢٣.

(٦) لقد بين الباجي سبب تأليفه لكتاب التعديل والتجريح ،فقالابو الوليد الباجي (ت ٤٧٨هـ): «...فإنك سألتني أن أصنف لك كتابا آتي فيه بأسماء من روى عنه محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه من شيوخه ومن تقدمهم إلى الصحابة رضي الله عنهم ،وأثبت فيه ما صح عندي من كناهم وأنسابهم وما ذكره العلماء من أحوالهم ،ليكون مدخلا للناظر في هذا العلم الى معرفة أهل العدالة من غيرهم ،وسببا إلى معرفة كثير من الرواة والوقوف على طرف من أخبارهم ،فأجبتك إلى ذلك لما رجوت فيه من جزيل الثواب وتحريت الصواب جهدي ،واستنفدت في طلبه وسعي ،والله أسأل أن يوفقنا له وينفعنا به ،ويعين الناظر فيه على حسن قصده وجميل مذهبه برحمته ،وأنا إن شاء الله آتي بما شرطته في أسماء الرجال على حروف الهجاء بالتأليف المعتاد في بلدنا» أنظر :الباجي :التعديل والتجريح ، ص:٢٣.

مبيضة كثيرة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا ،ومنها أحاديث لم يترجم فأضفنا بعض ذلك الى بعض»[1]، وهذا قول المستملي بينه وبين البُخاري رجل واحد - وهو محمد الفربري - وبينه وبين أبي الوليد الباجي رجل واحد - وهو أبو ذر الهروي - وهذا ليس طعنا في البخاري وإنما هو من قبيل الإشارة إلى بعض المواضع في نهاية صحيح البخاري من تقديم بعض التراجم وكذا بعض الأحاديث التي قُدمت وأُخرت، ومما يُؤكد هذا ماذكره أبو الوليد الباجي فقال: «ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي اسحاق المستملي ،ورواية أبي محمد السرخسي ،ورواية أبي الهيثم الكشميهني، ورواية أبي زيد المروزي وقد انتسخوا من أصل واحد –وهو محمد بن يوسف الفربري – فيها التقديم والتأخير وإنما ذلك بحسب ماقدر كل واحد منهم في ما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه ،ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينهما أحاديث»[2]، والغريب في الأمر هو لماذا أغفل الكاتب إيلال هذه الفقرة من كتابه بالرغم من أنه أشار إليه في كتابه مما يفيد على أنه اطلع عليه؟.

ويُعزز هذا الطرح ،قول الحافظ أبوعلي الغساني الجياني (ت ٤٩٨هـ/١٠٩٧م) مُشيرا إلى وجه الفرق بين روايتي محمد بن يوسف الفربري (ت ٣٢٠هـ)وإبراهيم بن معقل النسفي(ت ٢٩٥هـ) فيقول: «ورويناعن أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهاني ،عن إبراهيم بن معقل :أن البُخاري –محمد بن اسماعيل – أجاز له آخر الديوان من أول كتاب الأحكام إلى آخر الديوان عن رواية الفربري قد علِّمتُ على الموضع في كتابي»، ثم يضيف أوجه الفرق فيقول : «وذلك من باب قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. روى النسفي من هذا الباب تسعة أحاديث، آخرها بعض حديث عائشة في الإفك، ذكر منه البُخاري كلمات استشهد بها ،وهو التاسع من أحاديث الباب، خرّجهُ عن حجاج عن النميري عن يونس ،عن الزهري بإسناده عن شيوخه عن عائشة. وروى الفربري زائدا عليه –عن النسفي- من أول حديث قتيبة عن مغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها» إلى آخر مارواه الفربري عن البخاري من الديوان ، وهو تسع أوراق من كتابي»[3].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، هو كيف أهمل الكاتب رشيد إيلال هذه العبارة من كتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل ؟ على الرغم من أنه أعتمد - أي إيلال - على الكتاب في

(١) الباجي: التعديل والتجريح، ص:٤٢.

(٢) الباجي: التعديل والتجريح ، ص:٤٢.

(٣) الجياني الغساني أبوعلي الحسين بن محمد:تقييد المهمل وتمييز المشكل ،تح.علي بن محمد العمران وآخر،ط٠١،دار علم الفوائد للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية،ج١ ،ص: ٦٢.

إنجـازه للجـدول الإحصائي للروايات والذي هو في الحقيقة من إنجـاز أبي علي الغساني الجياني (ت٤٩٨هـ) ترجمه الكاتب إيلال في شكل جدول ؟ هل نسيها أم تناساها ليُظهر مُفترياته؟.

ومما يُؤكد على خُلو الوهم في نُسخ البُخاري ومُسلم ولكن الذي وقع فمن بعض النُساخ والرُواة بعـد تلامذته ،هو قـول الحافظ أبوعلي الغسانـي الجياني (ت ٤٩٨هـ/١٠٩٧م) فـي مقدمة كتابه الثانـي والذي بعنـوان «التنبيه على الأوهام الواقعة في المُسنـد الصحيح للبُخاري» فقال الحافظ أبوعلـي: «...واعلـم وفقك الله ،أنه ينـدُرُ للإمامين –البُخاري ومُسلم –مواضـع يسيرة من هذه الأوهـام، أولمن يفوقهما من الـرُواة ،لم تقع في جملة ما استدركه الشيخ الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني عليهما ،ونبه على بعض هذه المواضع أبو مسعود الدمشقي الحافظ،وغيره من أئمتنا ،فرأينا أن نذكرها في هذا الكتاب ،لتتم الفائدة بذلك، والله المُوفق للصواب»[١].

وفيمـا يخص أسلوب ومنهج الإمام البُخاري فـي صحيحه الجامع معروف لدى العلماء منذ القديم ، فقد قال عنه ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) : «قال الشيخ محيي الدين نفع الله به :ليس مقصـود البُخاري الإقتصار علـى الأحاديث فقط ،بل مراده الإستنبـاط منها ، والإستدلال لأبواب أرادهـا ، ولهـذا المعنى أخلى كثيرا مـن الأبواب عن اسناد الحديث واقتصـر فيه على قوله : «فيه فلان عن النبي ﷺ» أو نحو ذلك ، وقد يذكر المتن بغير إسناد ،وقد يورده معلقا ، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الإحتجاج للمسألة التي ترجم لها ،وأشار إلى الحديث لكونه معلوما»[٢].

كمـا تجـدر الإشارة إلى أن أبا عبدالله محمد بن يوسف الفربري ،سمع من الإمام محمد بن اسماعيـل البخاري كتابه «الصحيـح» مرتين ،الأولى بفربرسنـة ٢٤٨هـ،والثانية بعد محنة الإمام البخاري ،ببخارى سنة ٢٥٢هـ، بدليل قول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) : «اتصلت لنا روايـة البخـاري عنه من طريق ابي عبدالله محمد بن يوسف بـن مطر بن صالح بن بشر الفربري ،وكانـت وفاتـه في سنة عشرين وثلاثمائـة ،وكان سماعه للصحيح مرتين :مـرة بفربر سنة ثمان وأربعين ،ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين –الطريق الأولى»[٣].

وممـن أخذ عن كريمة المروزيـة والهروي، عبدالرحمن بن محمد بـن طاهر ،المرسي (ت ٤٦٩هـ) ،وعبدالرحمـن بـن عبـدالله بن اسد الجهنـي (ت ٤٨٠هـ) ،مـن أهل طليطلـة ،رحل الى

---

(١) الجياني الغساني أبوعلي الحسين بن محمد:التنبيه على الأوهام الواقعة في المُسند الصحيح للبُخاري،تح.محمد أبو الفضل، ط٠١،مطبعة النجاح الجديدة ،المملكة المغربية،ص: ٢١.

(٢) القسطلاني ابن الخطيب :ارشاد الساري، ص: ٣٤.

(٣) ابن حجر :فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ص:٧.

المشرق واخذ عن ابي ذر الهروي ،قال عنه ابن بشكوال : «كان ثقة فيما رواه ،مسندا لما جمعه»[1].

ومما يدل على أن كتاب «صحيح البخاري «متواجدا ومتداولا ،ما ذكره المؤرخ ابن الفرضي في ترجمة حافظ الاندلس في وقته ،وراوي «صحيح البُخاري» في قرطبة ،عبدالله بن ابراهيم بن محمد الأصيلي(ت ٣٩٢هـ) ،من أهل أصيلة،ويُكنى أبا محمد ، قال عنه ابن فرحون:«حج فلقي بمكة سنة ثلاث وخمسين أبا زيد المروزي وسمع منه البُخاري ،وسار إلى العراق ،فلقي بها الأبهري رئيس المالكية ،وأخذ عنه الأبهري أيضا ،وسمع ببغداد عرضته الثانية في البُخاري من أبي زيد ،وسمعه أيضا من أبي أحمد الجرجاني ،وهما شيخاه في البُخاري وعليهما يعتمد فيه،ورجع إلى الأندلس بإثر موت الحكم (ت ٣٦٦هـ) ،وإليه انتهت الرئاسة بالأندلس في المالكية » [2]،وقال عنه المؤرخ ابن الفرضي :«رحل إلى المشرق ،ورجع إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر ،فشُور ،وقرأ عليه الناس كتاب البُخاري رواية أبي زيد المروزي ،وغير ذلك» [3]،فدل هذا على أن الكتاب «الجامع الصحيح للبُخاري « رواية أبي زيد المروزي عن شيوخه الثلاثة عن الفربري ،كان بأيدي الناس في قرطبة ببلاد الأندلس زمن الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ).

وقد أخذ عن الأصيلي أبي محمد عبدالله كتاب «صحيح البخاري» جلة من العلماء من المغاربة والأندلسيين ،نذكر منهم:

داود بن خالد الخولاني،يكنى أبا سليمان ،من أهل مالقة ،«حدث عن أبي محمد بن عبدالله بن إبراهيم الأصيلي بصحيح البخاري » [4].

سراج بن عبدالله بن محمد بن سراج (ت ٤٥٦هـ) ،قال عنه ابن بشكوال: «سمع من أبي محمد عبدالله بن ابراهيم الأصيلي ،صحيح البخاري أجازه له قبل وفاته بيسير ،وسمعه أيضا – صحيح البخاري- من ابن برطال»[5].

سيد بن أحمد بن محمد الغافقي (ت ٤٥٤هـ) ، سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي وغيره ،وأخذ عن ابي القاسم بن مدير صحيح البخاري»[6].

محمد بن أحمد ،ابن الأنصاري ،من أهل سرقسطة ،سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي

(١) ابن بشكوال :الصلة ،ج٢ ، ص:٥٠٥،٥٠١.

(٢) ابن فرحون المالكي :الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ،ط٠١،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،١٩٩٦م، ص:٢٢٤-٢٢٥.

(٣) ابن الفرضي :تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:٢٩٠-٢٩١.

(٤) ابن بشكوال :الصلة ،ج٢ ، ص:٢٩٠.

(٥) ابن بشكوال :الصلة ،ج١ ، ص:٣٥٣-٣٥٤.

(٦) ابن بشكوال :الصلة ،ج٢ ، ص:٤١٩.

صحيح البخاري، وبقراءته عليه سمعه أبو عبدالله بن عابدوغيره، قال عنه ابن بشكوال: «كان مشهورا بالعلم والفضل»[١].

وممن أخذ كتاب «صحيح البخاري» من المغاربة ،رواية النسفي (ت ٢٩٤هـ) ،نذكر :

قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٦هـ) : «اتصلت لنا رواية البخاري أيضا من طريق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي ، وكان من الحفاظ وله تصانيف ،وكانت وفاته سنة أربع وتسعين ومائتين ،وكان فاته من الجامع أوراق رواها بالإجازة عن البخاري ،نبه على ذلك أبوعلي الجياني في تقييد المهمل .الطريق الثانية»[٢].

أصبغ بن قاسم بن أصبغ (ت ٣٦٣هـ) ،من أهل استجة ،يكنى أبا القاسم، «رحل إلى المشرق،فسمع بمكة: من أبي جعفر العقيلي، وابن الأعرابي ومن أبي محمد صالح بن محمد الأصبهاني،سمع منه: كتاب محمد بن اسماعيل البخاري ،حدثه به عن أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن معقل النسفي من أهل نسف عن البخاري»[٣]،

محمد بن فرج بن سبعون النحلي ،المعروف بابن أبي سهل (ت ٣٦٤هـ) ،من أهل بجانة، سمع من شيوخ بلده ورحل الى المشرق فسمع بمكة من أبي سعيد بن الأعرابي كثيرا ومن غيره، وروى مصنف البخاري رواية النسفي، استقدمه المستنصر بالله إلى قرطبة ربيع الآخر سنة إحدى وستين وثلاث مائة ،فسمع منه غير واحد من العلماء»[٤].

وممن أخذ كتاب «صحيح البخاري» من المغاربة والأندلسيين ،رواية ابن السكن عن الفربري (ت ٣٢٠هـ) ،نذكر :

أحمد بن محمد بن يحي بن الحذاء ،أبو عمر «فقيه، قرطبي، محدث، حافظ مشهور»[٥]، قال عنه الضبي: «يروي عن أبي محمد بن أسد ،عن أبي علي بن السكن عن الفربري كتاب البخاري، روى عنه أبو الحسن بن مغيث ،شيخ أشياخي»[٦]، ثم قال الضبي: «وكان سماع ابن مغيث عليه لكتاب البُخاري بقراءة أبي علي الغساني»[٧].

---

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص:٧٤٥.

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ص:٧-٨.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:٩٥-٩٦.

(٤) ابن الفرضي: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٨١.

(٥) الضبي: بغية الملتمس ،ج١ ، ص:٢٠٦.

(٦) الضبي: نفس المصدر ،ج١ ، ص:٢٠٦.

(٧) الضبي: نفس المصدر ،ج١ ، ص:٢٠٦.

المهلـب بـن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة (ت ٤٢٠هـ) ،قال عنه الضبي :«وله كلام في شرح الموطأ،وفي شرح كتاب الجامع لابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري » [١].

يونس بـن محمد بن مغيث بـن محمد بن يونس بن عبـدالله (٥٣١هـ) ،قـال الضبي :«فقيه ،محـدث ،عارف متقدم ،مشهور حافظ » [٢]،قال الضبي :«يروي عن محمد بن فرج ،مولى الطلاع ،وعـن ابي عمر أحمد بن محمد بن يحي بن الحذاء ،سمـع عليه الجامع الصحيح للبخاري ،رواية ابـن السكن ،بقـراءة أبي علـي الغساني ،قال :سمعته علـى أبي محمد عبدالله بـن أسد ،عن ابن السكن ،عن الفربري ،عن البُخاري » [٣].

سعيـد بن سعيد بـن سعد بن جزي (ت٣٧٨هـ) ،بلنسي ،أبو عثمان ،رحل إلى المشرق ،وسمع بمصر على أبي علي بن السكن صحيح البخاري وكتبه عنه سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [٤].

وممن أخذ كتاب «صحيح البخاري » من المغاربة والأندلسيين ،رواية المستملي عن الفربري (ت ٣٢٠هـ) ،نذكر :

عبدالرحمـن بـن عبدالله بن خالـد الهمداني الوهرانـي ،يعرف بالخراز،رحـل الى العراق ،وغيرهـا ،وسمع ابا بكـر أحمد بن جعفر بن مالك بـن حمدان القطيعي ،وأبـا إسحاق البلخي – المستملـي – صاحـب الفربري ،وأبا بكر محمد بن صالح الأبهري ،وأبا العباس تميم بن محمد بن أحمد ،روى عنه الإمامان ابن عبدالبر وابن حزم [٥].

عناية عُلماء بلاد المغرب الإسلامي والأندلس بصحيح البُخاري :

١/من عُلماء بلاد المغرب الإسلامي :

زكريـاء بن بكر بن أحمدالغساني(ت٣٩٣هــ) ،يعرف بابن الاشج،من اهل تيهرت ،رحل إلى المشرق،قـال عنـه ابن الفرضي :«حدث بكتـاب البخاري وغيرذلك من روايتـه وسمعنامنه كثيرا وكتب عنه غير واحد» [٦].

عبـدالله بن عيسى الشيبانـي (ت ٥٣٠هـ) ،قال عنه ابن بشكوال :«محدث حافظ متقن ،كان

(١) الضبي: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٦٣١.

(٢) الضبي: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٦٨٩.

(٣) الضبي: نفس المصدر ،ج٢ ، ص:٦٨٩.

(٤) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة ،السفر ٤، ص:١٢.

(٥) الضبي: بغية الملتمس ،ج٢ ، ص:٤٧٦.

(٦) ابن الفرضي : تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:١٧٩-١٨٠.

يحفظ صحيح البخاري ،وسنن أبي داود عن ظهر قلب » [١].

عبـدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد النفزي (ت ٥٣٨هــ) ، «سمع بسبتة من أبي محمد حجاج بن قاسم صحيح البخاري ،عن أبي ذر الهروي ،وأخذ عن جماعة سواه» [٢].

غالــب بن عبدالرحمن بن غالب (ت ٥١٨هـ) ،رحل الى المشرق سنة تسع وستين واربعمائة، ولقي أباعبدالله الحسين بن علي الطبري وغيره، قال ابن بشكوال :«ولقي بالمهدية أبا عبدالله بن محمد بن معاذ التميمي وأخذ عنه صحيح البخاري، عن أبي ذر وغيره » [٣].

ومما يفيد اعتناء أهل المغرب الإسلامي بكتاب «صحيح البخاري «،ما نقله ابن بشكوال في ترجمة عبدالرحمن بن عبدالله الهمذاني الوهراني أبو القاسم (ت٤١١هـ) ،حيث قال ابن بشكوال :«أخبرنـا محمد بـن عتاب رحمه الله، قال:أنـا أبو القاسم حاتم بن محمـد ،ونقله من خطه،قال :أملـى علينـا أبو القاسم عبدالرحمــن الهمذاني، قال :لما وصلت إلى مــرو ،من مدائن خراسان، سمعت الجامع الصحيح على محمد بن عمر بن شبوية المروزي » [٤].

–أحمد بن نصر الداودي الأسدي (٤٠٢هـ) ، ابو جعفر، من أئمة المالكية بالمغرب ،قال عنه ابــن فرحــون : «كان بطرابلس وبها أصل كتابه في شرح الموطــأ ثم انتقل الى تلمسان ،وكان فقيها فاضلا متقنا مؤلفا جيدا، الف كتابه «النصيحة في شرح البخاري»» [٥].

–أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري (ت ٦٢٦هـ) ،من أعيان فقهاء المالكية ،نزل الإسكندريــة واستوطنها ودرس بهــا ،قال عنه ابن فرحون :«كان من الأئمــة المشهورين ،والعلماء المعروفيــن ،جامعــا لمعرفة علــوم منها :علــم الحديث والفقــه والعربية ،وله كتــاب اختصر فيه صحيحي البخاري ومسلم» [٦].

–أحمد بن محمدبن منصور بن ابي القاسم (ت ٦٨٣هـ) ،له كتاب على تراجم البخاري [٧].

٢/من عُلماء بلاد الأندلــس:

أحمــد بــن اسحاق بن مروان بن جابــر الغافقي(ت٣٧٢هـ) ،من أهل قرطبــة ،يكنى أبا عمر

(١) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٤٧.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٤٧–٤٤٨.

(٣) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٦٥٣.

(٤) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٧٥–٤٧٦.

(٥) ابن فرحون: الديباج المذهب ، ص:٩٤.

(٦) ابن فرحون: الديباج ، ص:١٣١.

(٧) ابن فرحون: الديباج ، ص:١٣٣.

،«كتب كتاب محمد بن اسماعيل البخاري في السنن» [١]،

محمـد بن عثمـان الأزدي السرقسطي،خرج الى المشرق من سرقسطـة حدثا فأقام هناك ،وأدب بمصر وسمع سماعا كثيرا ،روى كتاب البخاري عن علي بن صالح الهمداني » [٢].

الحميـدي ،محمد بـن فتـوح (ت٤٨٨هـ) ،ابو عبدالله ،«فقيـه ،عالـم ،محدث،حافظ،إمام متقـدم في الحفـظ والاتقان ،روى بالأندلس عـن جماعة ،منهم ابو عمربـن عبدالبر ،وابو محمد علـي بن أحمد،وأبو العباس العـذري . «له تواليف تدل على معرفته وحفظه منها :كتاب الجمع بين الصحيحين ،كان نسيج وحده حفظا ومعرفة بالحديث ورجاله» [٣].

أحمـد بـن محمد بن عمر بـن ورد التميمـي (ت ٥٤٠هـ) ،قـال عنه الضبـي :«فقيه ،حافظ مشهور،محـدث ،ألـف في شرح البخاري كتابا كبيرا ظهر علمه فيـه،وكان أوحد زمانه فقها وعلما ومعرفة وفهما وذكاءا » [٤].

أحمـد بن رشيق الكاتب،أبو العباسـ (ت ٤٤٠هـ) ،نشأبمرسية ،وانتقل إلى قرطبة ،قال عنه الضبـي :«وطلب الادب فبـرز فيه ،وسبق في صناعة الرسائل مع حسـن الخط المتقن على نهايته ،وتقـدم فيهما ،وشارك في سائر العلوم ،له كلام مدون علـى تراجم كتاب الصحيح لابي عبدالله البخاري ومعاني ما أشكل من ذلك » [٥].

سليمـان بن ابـي القاسم نجاح ،مولى المؤيد بالله «كتب بخط يده كتاب البخاري ،في عشرة أسفار ،وكتاب مسلم في ستة ،وقرأهما معا على الباجي ،وعلى ابي العباس العذري مرات ،واحتفل فـي تقييدهمـا حتى صار كل واحد منهما أصلا يقتدى به .قـال الضبي «رحلت إلى بلنسية في عام ستـة وتسعيـن ،وقابلت بهما كتابـي ،وانتفعت بهما ،وأُخبـرت أن أبا علي بن سكـرة الحافظ قابل أصليه بالكتابين المذكورين ،وناهيك بهما صحة وتقييدا وضبطا » [٦].

حسيـن بن محمد بن أحمدالغساني (ت ٤٩٨هـ) ،أصلهم من الزهراء ،قال عنه ابن بشكوال :«ذكـره شيخنـا ابن مغيث فقـال :كان من اكمل ما رايت علما بالحديـث ،ومعرفة بطرقه ،وحفظا لرجاله ،عانى كتب اللغة واكثر من رواية الاشعار ،جمع بين سعة الرواية مالم يجمعه احد ادركناه

(١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١، ص:٢٠.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج٢، ص:٦٧.

(٣) الضبي: بغية الملتمس ،ج١، ص:١٦١.

(٤) الضبي: بغية الملتمس ،ج١، ص:٢١٠.

(٥) الضبي: بغية الملتمس ،ج١، ص:٢٢٤-٢٢٥.

(٦) الضبي: بغية الملتمس ،ج٢، ص:٣٨٦.

،وصحـح من الكتب ما لـم يصححه غيره من الحفاظ ،كتبه حجة بالغة »،ثم قال :«وجمع كتابا في رجـال الصحيحين سماه «تقييـد المهمل وتمييز المشكل»وهو كتاب مفيد » [١]،ثم قال ابن بشكوال :«كان مـن جهابذة المحدثيـن ،وكبار العلماء المسندين ،وعني بالحديـث وكتبه وروايته ،وضبطه ،وكان حسـن الخـط ،جيـد الضبـط،وكان له بصـر باللغة و الاعـراب ،ومعرفة بالغريـب والشعر والأنسـاب ،وجمـع من ذلك كله مالم يجمعه احـد في وقته » [٢]،ويؤيد ذلـك أن جل العلماء الذين جـاؤوا من بعده قد اعتمـدوا على كلامه في أوهام الرواة في الصحيحيـن كما في فتح الباري في مواضع كثيرة جدا ،وعمدة القاري ،والمعلم للمازري ،والقاضي عياض ،والنووي وغيرهم .

حسيـن بـن محمد بن فيرة بـن حيون بن سكـرة الصدفي(ت ٥١٤هـ) .مـن اهل سرقسطة ،يكنـى ابا علي ،قال عنه ابـن بشكوال :»«كان عالما بالحديث وطرقه ،عارفـا بعلله واسماء رجاله ونقلته ،يبصر المعدلين منهم والمجرحين ،وكتب بخطه علما كثيرا وقيده ،وكان حافظا لمصنفات الحديـث ،قائما عليها ،ذاكـرا لمتونها وأسانيدهـا ورواتها،وكتب منها صحيـح البخاري في سفر ،وصحيح مسلم في سفر » [٣].

عبدالله بن محمد بن عبدالله الجدلي (ت٤٤٤هـ) ،له رحلة الى المشرق لقي فيها أبا الحسن القابسي ،وأخذ عنه صحيح البخاري [٤].

عبدالله بن أحمد بن عبدالملك بن هاشم ،المعروف بابن المكوي (ت ٤٤٨هـ) ،«سمع صحيح البخاري من ابي محمد بن اسد» [٥].

عبـدالله بن سعيد بن لباج الامـوي الشنتجالي (ت ٤٣٦هـ) ،«رحل الـى المشرق سنة احدى وتسعين وثلاث مائة ،وصحب أبا ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ ،واختص به وأكثر عنه » [٦].

عبـدالله بن أحمد بن سعيـد بن يربوع بن سليمـان (ت ٥٢٢هـ) ،أصله مـن شنتبرية ،سكن قرطبة ،روى ببلده عن أبي عبدالله محمج بن أحمد بن منظور ،وسمع منه صحيح البخاري عن أبي ذر، «كان حافظا للحديث وعلله، عارفا بأسماء رجاله ونقلته ،يبصر المعدلين منهم والمجرحين، ضابطا لما كتبه، ثقة فيما رواه، وكتب بخطه علما كثيرا»[٧].

(١) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٢٣٣-٢٣٤.
(٢) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٢٣٤.
(٣) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٢٣٧.
(٤) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٢٩٠.
(٥) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٢٢.
(٦) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤١٦-٤١٨.
(٧) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٤٥.

محمـد بـن يحي بن هاشم الهاشمي ،من أهل سرقسطة ،سئـل عنه ابو علي بن سكرة فقال :«رجل صالح ،كان يحفظ الموطأ،والبخاري ،رأيته يقرأمن حفظه كتاب البخاري على الناس فيما بين العشائين بالسند والمتابعة لا يخل بشيء من ذلك » [١].

محمـد بن خلف بن سعيـد بن وهب (ت ٤٨٥هـ) ،قال عنه ابن بشكـوال :«له تاليف في شرح البخاري ،سمع منه، وكان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم » [٢].

محمـد بن خلف بن مسعود بـن شعيب (ت٤٨٥هـ) ،من أهل قرطبة ،رحل الى المشرق وسمع بمكة من ابي ذر الهروي صحيح البخاري سنة خمس عشرة واربعمائة ،قال عنه ابن بشكوال :«كتب هنـاك –بمكـة –صحيح البخاري وغيره ،كان جيد الخط ،سريـع الكتابة ،ثقة فيما رواه وعني به » [٣].

محمد بن احمد بن مسعود بن مفرج (ت٥٠١هـ) ،من اهل مدينة شلب ،سمع من ابي عبدالله بن منظور باشبيلية صحيح البخاري » [٤].

محمـد بن حسين بن احمـد بن محمد الانصاري (ت ٥٣٢هـ) ،من اهل المرية ،قال عنه ابن بشكـوال :«كان معتنيا بالحديث ونقله،منسوبا الى معرفته عالما باسماء رجاله ،وحملته،وله كتاب حسن جمع فيه بين صحيحي البخاري ومسلم ،أخذه الناس عنه » [٥].

محمد بن ابراهيم بن غالب (ت ٥٣٢هـ) ،سمع من ابن منظور صحيح البخاري [٦]،

مفـرج بن محمد بن الليـث ،ابو القاسم (ت٤٣٨هـ) ،من اهل قرطبـة ،روى عن ابي عبدالله الاصيلـي ،سمـع منه صحيح البخاري ،حدث به عن ابي القاسـم هذا ابو عبدالله محمد بن خليفة المالقي القاضي سمعه . [٧].

المهلـب بن ابي صفرة الاسدي ،من أهل المرية ،رحل الى المشرق وروى عن ابي ذر الهروي وغيـره ،قال عنه ابن بشكوال :«كان من أهل العلـم ،والمعرفة والذكاء ،والفهم من اهل التفنن في العلوم ،والعناية الكاملة بها ،وله كتاب في شرح البخاري أخذه الناس عنه » [٨].

---

(١) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨٠٩.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨١٥.

(٣) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨١٧.

(٤) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨٢٦.

(٥) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨٤٦–٨٤٧.

(٦) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨٤٧.

(٧) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٨٩٢–٨٩٣.

(٨) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٩٠٣–٩٠٤.

هشام بن عبد الرحمن بن عبدالله (ت٤٢٣هـ) ،من اهل قرطبة ،قال عنه ابن بشكوال :«كان خيـرا فاضلا ، جيد المعرفة، حسن الشروع في الفقـه ،والحديث، دؤوبا على النسخ ،جماعة للكتب ،جيد الخط،وله كتاب في تفسير البخاري ،على حروف المعجم ،كثير الفائدة » [١].

يونـس بـن محمد بـن تمـام الأنصـاري (ت ٤٧٨هـ) ،من أهـل طليطلة ،له عنايـة بصحيح البخاري[٢].

خديجـة بنت أبي محمد عبـد الله بن سعيد الشنتجالي ،قال عنها ابـن بشكوال :«سمعت مع أبيهـا مـن الشيخ أبـي ذر عبد بن أحمد الهـروي :صحيح البخـاري وغيره ،وقدمت مـع أبيها إلى الأندلس ،وبها توفيت » [٣].

وتجـدر الإشـارة أيضـا إلـى أن الحافظ ابـن خير الاشبيلي مـن علماء القـرن ٦الهجري /١١الميـلادي (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م) ،قـد بدأ بصحيـح البخاري عند ذكـره للمُصنفات المسندة فـي كتابـه «فهرسة ابن خيـر الاشبيلي» فقال : «مُصنـف الإمام أبي عبدالله محمـد بن إسماعيل البخاري وهو الجامع للمسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»[٤].

ثـم تحـدث عن روايـة شريح بن محمد بـن شريح عن أبـي ذر عبد بن أحمـد بن محمد بن عبـدالله الهـروي، فقال ابن خيـر (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م) : «قـال محمد بن شريـح :سمعته – كتاب الصحيح –عليه – من أبي ذر الهروي – في المسجد الحرام عند باب الندوة سنة ٤٠٣هـ»[٥].

ونقل عن الراوي الثاني، وهو ابن منظورأنه قال :«سمعته – صحيح البخاري – عليه – من أبي ذر الهروي – في المسجد الحرام عند باب الندوة سنة ٤٣١هـ» [٦].

ومـا يهمنا في هذه الرواية هو أن الحافظ ابن خير الاشبيلي (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م) ،قد وظف مصطلحات هامة خاصة بعلم الرواية فقال : «أما رواية أبي ذر عبدبن أحمد بن محمد بن عبدالله الهـروي الحافظ ،فحدثنـي بها شيخنا الخطيب أبـو الحسن شريح بن محمد بـن شريح المقرئ ،قـراءة عليـه، بلفظي مـراراً وسماعاً مـراراً، قال :حدثني بـه أبي، رحمـه الله، سماعا من لفظه

(١) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٩٣٤-٩٣٥.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٩٨٤.

(٣) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٩٩٦.

(٤) ابن خير الإشبيلي: الفهرسة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٠١، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ،مصر لبنان،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،ج١، ص:١١٦-١١٧.

(٥) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر، ج١ ، ص:١١٦.

(٦) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر، ج١ ، ص:١١٦.

،وأبوعبـد الله محمد بن أحمد بن عيسى ابن منظور القيسي ،رحمه الله ،سماعا عليه ،قالا:حدثنا بها أبو ذر عبد بن أحمد الهروي سماعا عليه .» [1].

ثـم أضـاف الحـافظ والمحدث ابن خير الإشبيلـي (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م) عند نقله لكلام ابن منظـور فقـال :« سمعتـه – صحيح البخـاري – عليه – من أبـي ذر الهروي– فـي المسجد الحرام عنـد باب الندوة سنة ٤٣١هـ، وقرئ عليـه – أبو ذر الهروي – مرة ثانية وأنا –ابن منظور – أسمع، والشيـخ أبـو ذر ينظر في أصله ، وأنا – ابـن منظور – أصلح في كتابي هذا فـي المسجد الحرام، عنـد بـاب الندوة في شوال من سنـة ٤٣١هـ» [2]، الأمر الذي يفيد الحرص فـي التثبت في السماع والمناولـة وكـذا مقابلة الشيخ أبي ذر الهـروي للنسخ المسموعة عنه مع نسختـه الأصل ،وهذا ما يفسـره مـا ذكره الحافظ بـن خيرالإشبيلي في مقدمة فهرسته مستدلا بـكلام للإمام البخاري، حيـث قال: «وقال البخـاري في مصنفه :قال لنـا الحميدي :كان عند ابن عيينـة حدثنا وأخبرنا، وأنبأنـا ، وسمعـت واحدا وقال أحمد بن حنبل : إذا حدثك العالم وحدك فقل: حدثني، وإذا حدثك فـي مـلأ فقل حدثنا ، وإذا قرأت عليه فقل: قرأت عليه، وإذا قرئ عليه فقل: قرئ عليه وأنا أسمع»، ثـم قال ابن خيـر الإشبيلي بعدهـا مستحسنا كلام أحمد بـن حنبل فقال :«لأنـه أبلغ في التحري وأعدل في حسن التوقي » [3].

والشاهـد من هـذا الكلام أن أبـا ذر الهروي كان شديـد التحري بحيـث كان يروي صحيح البخاري على الطلبة ثم يقابل نسخته مع ما ألقاه على الطلبة ،زد على ذلك لم ينقل عن كل أولئك العلماء وطلاب العلم ممن تتلمذ على الشيخ أبي ذر الهروي أن في نسخته نقصا كبيرا مع كونه على علم تام بأن من وظائف تأدية العلم وتبليغه «أن يتحرى نقل الحديث باللفظ الذي سمعه، وأن يروي الكتـاب كمـا عرضه على الشيخ من غيـر زيادة ولانقصان . ولا تبديل لفظ بلفـظ آخر» [4]، وأيضا لكونهم – الشيوخ والعلماء – كانوا قريبي عهد من عصرالإمام البُخاري ؟؟؟؟.

ثـم إنـه بقوله عن الشيخ ابـي ذر الهروي «ينظر فـي أصله ، وأنا – ابن منظـور – أصلح في كتابي هذا في المسجد الحرام ،عند باب الندوة في شوال من سنة ٤٣١هـ» [5]، مما يفيد أيضا بأن الهروي قد إلتزم بشروط الإجازة المأثورة عن الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)والتي منها «أن يكون الفرع

(١) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر ، ج١ ، ص:١١٧.

(٢) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر ، ج١ ، ص:١١٧.

(٣) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر ، ج١ ، ص:٣٦.

(٤) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر ، ج١ ، ص:٣٤.

(٥) ابن خير الإشبيلي: نفس المصدر ، ج١ ، ص:١١٧.

معارضا بالأصل حتى كأنه هو» [1].

وإلى قريب من ذلك ،ذكر المؤرخ الذهبي (ت ٧٧٤هـ) في ترجمته للشيخة العالمة كريمة المروزيـة فقال: «الشيخـة العالمة، الفاضلة، المُسندة، أم الكرام ،كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، سمعت من أبي الهيثم الكشمهيني «صحيح البخاري»، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسـي، وعبـدالله بن يوسف بن باموية الأصبهاني. وكانـت إذا روت قابلت بأصلها ،ولها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد » [2].

ونفسـ الأمر مع المـؤرخ الضبي (ت ٥٩٧هـ) ،الذي ذكر عند ترجمتـه لحُسين بن محمد بن أحمد الغسانـي (ت ٤٩٨هــ) ، فقال الضبي «رحلتُ إلى بلنسية في عـام ستة وتسعين، وقابلت بهما - نُسختَـي الغسانـي الجياني (ت ٤٩٨هـ)- كتابـي، وانتفعت بهما، وأُخبـرت أن أبا علي بن سكرة الحافـظ قابـل أصليه بالكتابين المذكوريـن، وناهيك بهما صحة وتقييدا وضبطـا» [3]، مما يزيل الشكـوك والأوهام حول عـدم صحة وضبط وتقييد تلـك الأصول التي انتقلت مـن روايات أبي ذر الهروي والمروزي ،وأيضا رواية كريمة المروزية عن الكشمهيني وغيرها من الروايات .

ختاما لما سبق ،يتضح لنا بأن كتاب «صحيح البخاري» خلال القرنين ٤-٦الهجريين /١١-١٣م ،كان متداولا وبكثرة في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وأيضا نلاحظ بروز شيوخ تصدروا روايـة الصحيـح للبخـاري في كل من مكـة والعـراق ومدائن خراسـان ومصر وقرطبـة وتيهرت والمهدية بتونس، نذكر منهم الحافظ أبي ذر الهروي (ت ٣٤٣هـ) بمكة المكرمة، وكريمة المروزية روايـة عنه (ت ٤٦٤هـ) ،و الأبهري بالعراق، وأبي عبدالله الأصيلي بقرطبة (ت ٣٩٢هـ)، والحافظ محمـد بن حجاج بن القاسم بسبتة ، والحافـظ أبو عبدالله بن محمد بن معاذ التميمي بالمهدية بتونسـ وغيرهم من العلماء، كمـا كان يتم عن طريق السماع والمناولـة والإجازة، وكانت الإجازة أفضل من غيرها.

ومـن العلماء المغاربـة والاندلسيين الذين اعتنـوا بصحيح البخاري شرحـا وتدريسا نذكر منهم:

---

(١) قال ابن خير الإشبيلي: «اعلموا رحمكم الله أن الإجازة أمر ضروري في الرواية ،وبها تكتمل. ولاغنى لطالب الحديث عن الإجازة .سمع ما يحمله عن المحدث ،أو عرضه عليه ،أو سمعه بعرض غيره عليه ،لجواز الغفلة والسنة والإسقاط والتصحيف والتبديل عليهما أو على أحدهما .فإن كان المحدث هو القارئ بلفظه فجائز السهو على المستمع وذهاب ما يقرأ عليه فإذا أضيفت الإجازة» أنظر :نفس المصدر ، ج١، ص:١١٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٨،ص:٢٣٣.

(٣) الضبي: بغية الملتمس ،ج٢ ، ص:٣٨٦.

عبدالرحمــن بــن بشــر بــن الصــارم الغافقي،يكنــى ابــا سعيد،قــال ابــن الفرضــي فــي ترجمته:«اخبرنــا محمدبــن احمدبــن يحي قال :نا محمدبــن محمد بن معــروف النيسابوري قال :ناعبدالرحمــن بن الفضل الفارسي قال :نا محمدبن اسماعيل البخاري قال :نا يحي بن بكير عن الليث قال :.................» [١]،

أحمد بن محمدبن أحمدبن عيسى بن منظور،أبو القاسم الإشبيلي ، قال عنه الضبي :«فقيه، محدث،مشهور» [٢].

بقي بن مخلد ،أبو عبدالرحمن (ت٢٧٦هـ) ،ومن مصنفاته في علم الحديث كتابه في فتاوى الصحابـة والتابعين ومــن دونهم قال عنه ابن حزم: «ومنها – كتــب الحديث – مصنفه في فتاوى الصحابـة والتابعيــن وكان متخيرا لا يقلــد أحدا، وكان ذا خاصة من أحمد بــن حنبل ،وجاريا في مضمــار أبــي عبدالله البخاري، وأبي الحسيــن مسلم بن الحجاج النيسابــوري، وأبي عبدالرحمن النسائي رحمة الله عليهم » [٣].

عبدالرحمــن بــن محمد بن عيسى بن فطيســ (ت٤٠٢هـ) ،قال عنه ابــن بشكوال :«كان من جهابــذة المحدثين، وكبار العلماء والمسندين، حافظــا للحديث وعلله، منسوبا الى فهمه واتقانه، عارفــا بأسمــاء رجاله ونقلته، يبصر المعدلين منهم والمجرحين، ولــه مشاركة في سائر العلوم ، وتقــدم في معرفة الآثار والسيــر والأخبار ،وعناية كاملة بتقييد السنــن والاحاديث المشهورة»[٤]، ثــم قــال :«وكان له وراقون ينسخون له دائما ،وكان قــد رتب لهم على ذلك راتبا معلوما ،وكان متى علــم بكتــاب حسن عنــد أحد من النــاس طلبــه للابتياع منه وبالــغ في ثمنه فإن قــدر على ابتياعه وإلا انتسخــه منــه ورده عليــه » [٥]،[٦]، –القاضــي عياض بن موسى بن عياضــ السبتي اليحصبي (ت٥٤٤هــ) ، سبتــي الدار والميــلاد، أندلسي الأصل ،قال عنــه ابن فرحــون :«كان إمام وقته في الحديــث وعلومه ،عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا ،عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ،حافظا لمذهب مالك ،خطيبا ،له كتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطــأ و البخــاري ومسلم وضبط الألفــاظ والتنبيه على مواضع الأوهــام والتصحيفات ،وضبط

(١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم،ج١ ، ص:٢٩٨.

(٢) الضبي: بغية الملتمس ،ج١ ، ص:٢١١.

(٣) الضبي: بغية الملتمس ،ج١ ، ص:٣٠٢.

(٤) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٦٨–٤٦٩.

(٥) ابن بشكوال: الصلة ،ج٢ ، ص:٤٦٩.

(٦) الباجي: التعديل والتجريح ، ص:٢٣.

أسماء الرجال ،وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه »[1]،

–ابـن الخراط ،عبدالحق بن عبدالرحمـن بن عبدالله الاشبيلي ،(ت ٥٨١هـ) ،قال عنه ابن فرحـون :«كان عالما بالحديث وعلله ،عارفا بالرجال ،موصوفا بلـزوم السنة ،وصنف كتبا عديدة :منهـا الجمـع بين الصحيحيـن ،وكتاب في الجمع بيـن المصنفات الستة ،وكتـاب في المعتل من الحديـث ،وكتاب المرشد يتضمن حديث مسلم كلـه ومازاد البخاري على مسلم ،وكتاب ماوقع في الموطأ مماليس في مسلم والبخاري »[2]،

–علـي بن محمد بن خلـف المعافري ،ابن القابسي (ت ٤٠٣هــ) ،«كان واسع الرواية ،عالما بالحديث وعلله ورجاله ،فقيها أصوليا ،متكلما مؤلفا مجيدا ،يضبط كتبه بين يديه ثقات أصحابه– كونه كان كفيفا – والذي ضبط له البخاري أي سماعه على ابي زيد بمكة أبو محمد الأصيلي »[3]،

–علـي أبـو الحسن بن خلف بن بطـال البكري (٤٤٩هـ) ،ابـن اللجام ،«كان مـن أهل العلم والمعرفة والفهم ،عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد منه ،وألف شرح البخاري »[4]،

–علـي بن محمد بن منصور بـن المنير ،قال عنه ابن فرحون :«له شـرح على البخاري ،في عـدة أسفار ،لم يعمل علـى البخاري مثله :يذكـر الترجمة ويوردعليها أسئلـة مشكلة حتى يقال لا يمكن الانفصال عنها ثم يجيب على ذلك »[5]،

–الشيخ أبو ذر الهروي عبيدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن عفير (ت ٤٣٥هـ) ،أصله من هراة وتمذهب بمذهب مالك ولقي جلة من أعلام المذهب ،وأخذ عنهم كالقاضي ابن القصار ونظرائه ،قال عنه ابن فرحون : «وغلب عليه الحديث ،فكان فيه إماما ،سمع من المستملي والحموي ،وأبي الهيثم السرخسي ،وعليهم عول في البخاري ،وألف كتابين أحدهما فيمن روى عنه الحديث اشتمـل على نحو ألف ومائة اسم ، وله كتابه الكبيـر «في المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم»، وكتاب الجامع وغيرها»[6]،

–قاسـم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بـن أحمد الرعيني (ت ٥٩٠هـ) ،قال عنه ابن فرحون :«كان عالما بكتاب الله تعالى ،قراءة وتفسيرا ولحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه

(١) ابن فرحون: الديباج ، ص:٢٧٠،٢٧٢.

(٢) ابن فرحون: الديباج ، ص:٢٧٦–٢٧٧.

(٣) ابن فرحون: الديباج ، ص:٢٩٦–٢٩٧.

(٤) ابن فرحون: الديباج ، ص:٢٩٨.

(٥) ابن فرحون: الديباج ، ص:٣٠٧.

(٦) ابن فرحون: الديباج ، ص:٣١١–٣١٢.

،وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ،ومسلم والموطأ،يصحح النسخ من حفظه،ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها » [١]،

–محمـد القاضي أبو عبدالله بن خلف بن سعيـد (ت٤٨٠هـ) ،قال ابن فرحون :«له في شرح البخاري كتاب كبير حسن ،ورحل إليه الناس وسمعوا منه » [٢]،

–محمد بن ابراهيم بن محمد ابن عيشون المروزي،قال عنه ابن فرحون :«كان نسيج وحده أصالة عريقة وسجية على السلامة مقصورة ،مبرزا في فنون إماما في القراءة ،والحفظ ،ومعرفة العروض متضلعا لصناعة الحديث وتاريخ الرجال ،قرأ على القاضي أبي جعفر بن فركون عند قدومه على بلده قاضيا بالقراءات السبع ،وسمع من الغافقي البخاري بين سماع وقراءة وتفقه» [٣]،

–محمـد بن خلف بن موسى الأوسي (ت ٥٣٧هـ) ،من أهل إلبيرة ،«له شرح مشكل ماوقع في الموطأوصحيح البخاري » [٤]،

–المهلب بن أبي صفـرة ،أبو القاسم بن أحمد بن أسيـد (ت ٤٣٣هـ) ،قال عنه ابن فرحون :«كان أبـو القاسـم من كبار أصحـاب الأصيلي ،وبه حيي كتاب البخـاري بالأندلس ،لأنه قرأه أيام قراءتـه وشرحه ،واختصره اختصارا مشهورا ،سمـاه «النصيح في اختصار الصحيح «وعلق على صحيح البخاري تعليقا حسنا » [٥]،

–أحمـد بن أبـي محمد هارون بن أحمد بن جعفر بن عبدالملـك :أبو عمر (ت ٦٠٩هـ) ،قال عنـه ابـن عبدالملك :«كان مـن أكابر المحدثين الجلـة الحفاظ المسندين للحديـث والآداب بلا مدافعـة يسرد الأسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شـيء منها »،وقال عنه ابن نذير :«لازمته مـدة من ستة أشهر لم أر أحفظ منـه وحضرت سماع الموطأ وصحيح البخاري سنة فكان يقرأمن كل واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لايتوقف في شيء من ذلك » [٦]،فدل هذا على إعتناء أبي عمر بصحيح البخاري .

–علـي بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ) ،سمع صحيح البخاري

---

(١) ابن فرحون: الديباج، ص:٣٢٠–٣٢١.

(٢) ابن فرحون: الديباج، ص:٣٦٩.

(٣) ابن فرحون: الديباج، ص:٣٨٥–٣٨٦.

(٤) ابن فرحون: الديباج، ص:٤٠٢–٤٠٣.

(٥) ابن فرحون: الديباج، ص:٤٢٧.

(٦) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ١،القسم ٢ ، ص:٥٥٦–٥٦٢.

على أبيه أبي محمد عبدالرحمن ولزم أبا إسحاق بن ملكون مدة » [١]،

– محمـد بـن اسماعيل بـن محمد بـن خلفـون الأزدي (ت٦٣٦ه) ،قال عنه ابـن عبدالملك :«كان مـن متقني صناعة الحديث ،متقدما في معرفـة رواته وتمييز طبقاتهم وأحوالهم » [٢]،ومن مصنفاتـه في مجال علم الحديث شروحات لصحيح البخاري منهـا :»التعريف بأسماء الصحابة المخـرج حديثهم في الصحيح «وكتاب «المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم مجلد ،وكتاب «رفع التماري فيمن تكلم فيه من رجال البخاري » [٣]،

– محمـد بن عبدالملك بن زهر ابن الحاج عبدالملك (ت ٥٩٥هـ) ، روى عن أبي بكر عاصم النحـوي البطليوسي وتأدب به في العربية ،وروى عن شيوخ بلـده والوافدين عليه ،«ومما اشتهر به حفظ «صحيح البخاري «إسنادا ومتنا » [٤]،

– محمد بن عبدالحق بن سليمان العمري (ت ٦٢٥هـ) ،تلمساني ،ندرومي الأصل ،«كان راوية للحديث فقيها حافظا متفننا في علوم جمة بارع الكتابة ،له كتب كثيرة منها :كتاب مختار المختار ،بيـن يـدي مختصر كتاب البخاري في سفر كبير » [٥]،وله أبيـات شعرية في عد أحاديث البخاري من ذلك قوله :

جميع أحاديث الصحيح الذي روى ×××××البخاري خمسة وسبعون في العدد.

وسبعة آلاف تضاف وما مضى××××× إلى مائتين عد ذاك أولو الجد [٦].

– محمـد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفـارازي (ت٦٢١هـ) ،روى عن أبيه وأبي عبدالله التجيبي ،«كان من أهل بيت علم ونباهة حافظا للحديث يستظهر حفظا صحيح البخاري أو معظمه ،ذا حظ من الفقه ،وتقدم في معرفة الآداب » [٧]

– أم العـز بنـت محمـد بن علي بن أبـي غالب العبـدري (ت٦١٦هـ) ،روت عـن أبيها ،«ومن مروياتها عنه– أبيها – :صحيح البخاري ،قرأته عليه مرتين » [٨]

–عمر مودود بن عمر السلماسي من أهل سلماس من بلاد فارس (ت ٦٣٩هـ) ،«روى بأصبهان

(١) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ٥،القسم ١، ص:٢٤٨–٢٤٩.

(٢) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ٦، ص:١٢٨–١٣٠.

(٣) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ٦، ص:١٣٠.

(٤) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ٦، ص:٣٩٨–٤٠٠.

(٥) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر ٨، تحقيق بن شريفة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، القسم ١، ص:٣٢٠–٣٢١.

(٦) ابن عبدالملك :الذيل والتكملة، السفر ٨،القسم ١، ص: ٣٢١.

(٧) ابن عبدالملك :الذيل والتكملة، السفر ٨،القسم ١، ص: ٤٨٢–٤٨٣.

(٨) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة ،السفر ٨،القسم ١، ص: ٣٦٢.

عن أبي عبدالله محمد بن محمود ابن الفرج الهمذاني سمع عنه صحيح البخاري » [1]

-أحمد بن محمد بن عمر التميمي ،أبو القاسم بن ورد (ت ٤٩٨هـ) ،كان أبوه من أهل القيروان ،ورد المرية فوطنها إلى أن مات بها ،ونشأ ابنه هذا – ابو القاسم- «فكان عالمها المنظور إليه ،وحبرها المجمع عليه ،مع التحقيق ودقة النظر ،ولطف الإستنباط ،وتوقد الذهن» [2] ،تتلمذ على يد القاضي أبي عبدالله بن المرابط واختلف اليه قديما ،وسمع منه وأجازله جميع مروياته عن الطلمنكي ،وابن ميقل ،وأبي عمروالمقرئ والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم .ورحل إلى سجلماسة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ،فسمع بها صحيح البخاري من أبي محمد ،بكار بن نزهون بن الغرديس ،وكان قد حج قديما ،وسمع الكتاب من أبي ذر ،وعمر طويلا حتى انفرد بروايته ،ثم رحل الى قرطبة فسمع الموطأ ،وصحيح البخاري [3].

-أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم المعافري (ت٥٥٠هـ) ،له سماع من أبي علي الغساني الجياني وسمع ايضا من ابي محمد الركلي صحيح البخاري [4].

-احمد بن مالك بن مرزوق بن مالك بن عباس الطرطوشي (ت٥٥٣هـ) ،له رواية عن أبيه ،وعن أبي محمد البطليوسي ،تفقه بأبي محمد بن أبي جعفر ،وأجاز له أبو علي الغساني بعد سماعه عليه الموطأ ،وصحيح البخاري » [5].

-أحمد بن عبدالرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي ،المرسي (ت ٥٦٣هـ) ،«سمع من أبي علي موطا مالك ،وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي وغير ذلك » [6].

-اسماعيل بن أحمد بن محمد بن اسماعيل الأسلمي ،المعروف بابن فهدة ،أخذ عن أبي علي بمرسية ،وقرأ عليه بجامعها صحيح البخاري قال ابن الآبار :«وقفت على خطه بذلك سنة سبع وخمسمائة » [7].

ختاما لهذا المبحث ،يتبين لنا أن صحيح البخاري كان متداولا وبكثرة في المغرب الإسلامي والاندلس بدءا من أواخر القرن ٤هـ/١٠م إلى غاية آواخر القرن ٧الهجري /١٣الميلادي ،كما برزت خلال هذه الفترة العديد من الشروحات والإستدراكات على كتاب صحيح البُخاري .

(١) ابن عبدالملك: الذيل والتكملة ،السفر ٨،القسم ٢، ص: ٥٥٠.
(٢) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٣١-٣٢.
(٣) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٣٢.
(٤) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٤٦.
(٥) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٤٦.
(٦) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٥٣.
(٧) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص: ٧٥.

تضمن كتاب «صحيح البخاري نهاية أسطورة »[١]للكاتب المغربي رشيد إيلال أخطاء وأباطيل كثيرة تتعلق بتدوين السنة النبوية ،وبشخصية الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ،وبكتابه الجامع الصحيح ،وغيرها من المواضيع المتنوعة المتعلقة بالعمل بمضمون القران وتاريخ تدوين الحديث النبوي .وهذه المواضيع هي التي سنبين من خلالها أخطاء أيلال وأباطيله .

(أ)خرافة النزاهة والأمانة العلمية عند رشيد إيلال :

أورد رشيد إيلال طائفة من النُقول في كتابه «نهاية أسطورة » ،تتعلق ببعض الكُتب ،ككتاب تذكرة الحفاظ للذهبي ،وجامع بيان العلم وأهله لابن عبدالبر ،ولكنه لم يكن أمينا في النقل ،ومارس التحريف والتغليط والتدليس بهدف تمرير خرافاته وترهاته .وذلك للشواهد الآتية :

الشاهد الأول ،أنه عندما ذكر مراسيل ابن أبي مليكة التي ذكرها الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ » ،فقال ايلال :«حيث ورد في تذكرة الحفاظ عند للذهبي «من مراسيل ابن أبي مليكة»أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال :إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد إختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه »[٢]. ،هذا قول ابن أبي مليكة ،لكن إيلالا لم يذكر لنا ما ذكره الإمام الذهبي بعدها حيث قال –الإمام الذهبي – مُعلقا :« أن مُراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية ،ألا تراه – الصديق – لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السُنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهربثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج »[٣]. ،فدل هذا على أن شبهة القول التعلق بالقرآن الكريم هي من فعل الخوارج ،ولسنا ندري لماذا أغفل رشيد إيلال كلام الإمام الذهبي هل نسيه أم أنه تناساه ؟؟؟؟.

الشاهد الثاني ،أنه عندما أشار إلى مبحث منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه ،اقتصر على أحاديث المنع التي ذكرها ابن عبدالبر النمري في كتابه «جامع بيان العلم وفضله » ،ولم يُشر إلى باب الرخصة في كتاب العلم ،والذي تضمن الأحاديث النبوية الواردة في الإذن في

(١) ط١، دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر ،المملكة المغربية ،٢٠١٧.

(٢) إيلال رشيد :نفس المرجع ،ص:١٧-١٨.

(٣) الذهبي شمس الدين :تذكرة الحفاظ ،دون تحقيق ،ط١ ،دون تاريخ نشر ،ج١ ،ص:٣.

كتابة الحديث عن رسول الله ﷺ لان فيها التفصيل الكثير[1].

واقول ان الكاتب ايلال لم يكن أمينا فيما نقله عن الحافظ الذهبي و الحافظ ابن عبد البر، فقد مارس التحريف والتغليط والتدليس ،في ذكره لموقف ابن عبد البر النمري وتوجيهه ليدعم به رأيه في تاريخ تدوين الحديث الشريف .وهذا واضح من خلال ما قرره في مبحث النهي عن تدوين العلم كما تقدم .

خرافات تتعلق بالحديث والسيرة النبوية :

أورد رشيد ايلال طائفة من الخرافات في كتابه «صحيح البخاري نهاية اسطورة « ،تتعلق بالحديث والسيرة النبوية ،من دون ان يؤيدها باي تحقيق علمي صحيح ،ولا رواية تاريخية صحيحة ،نذكر منها ثلاث خرافات ،أولها عبر عنها بقوله :«ان الاهتمام بالحديث لم يكن موجودا في القرن الأول » ،كما عبر عنه بلفظ «الكهنوت »[2].وقوله هذا زعم باطل شرعا وعقلا وتاريخا ،فأما شرعا فإن القران الكريم أمر في آيات كثيرة بوجوب الأخذ بالسنة النبوية ،كقوله تعالى :«وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب »الحشر :٧وقوله تعالى :«فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »النساء :٦٥وقوله تعالى :«يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولاتبطلوا اعمالكم)محمد :٣٣،وقوله تعالى :«من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا »النساء :٨٠،وهذه الأوامر تستلزم الاستجابة من المسلمين ،والتي تعني الإهتمام بالحديث النبوي .

وأما عقلا فبما أن النبي –عليه الصلاة والسلام –هو رسول الله المأمور بتبليغ الدعوة ،وهو الشارح والمترجم العملي للقران والمبين له ،وبما أن القران ذكر أمورا كثيرة مجملة تركها للسنة النبوية لتبينها ،كتفاصيل الصلاة والزكاة والحج فهذا يعني أنه لا يمكن للمسلمين الإستغناء عن السُنة .وهذا يستلزم حتما الاهتمام بالحديث النبوي منذ بداية الدعوة الإسلامية وما بعدها خلال العهدين الراشدي والأموي .

(ب) خرافة إنعدام مخطوطات «صحيح البُخاري « في وقتنا الراهن :

درج الكاتب رشيد إيلال في كتابه «نهاية أسطورة « إلى القول بعدم وجود لنسخ أصلية

---

(١) ابن عبد البر :جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،إدارة المطبعة المنيرية ،مصر ،دون تاريخ نشر ،ج١ ،ص:٧٠وما بعدها .

(٢) ط٠١ ،دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر ،المملكة المغربية ،٢٠١٧.

مخطوطـة لصحيح البُخاري ،وإن وجدت فهي لنُسـاخ أغلبهم مجهولين ،ليتحامل في الأخير على إصرار عُلماء الحديث على أن صحيح البُخاري من تأليف الإمام البُخاري ؟؟؟،فقال الكاتب رشيد إيـلال :«... مـع الإشارة إلى أن هاته النسخ كلهـا لا وجود لنسخة أصلية لها ،...بل هي مجرد نسخ منسوبة إليهم من نساخ أغلبهم مجهولين ،ورغم ذلك يصر هؤلاء الشيوخ بأن صحيح البخاري من تأليـف محمد بن اسماعيل البخاري ،..رغم كل هاته الحقائق ،....ليحكموا بيننا وبين هؤلاء ،من منا المصيب ومن المخطئ » [١].

والجواب هو أن الكاتب رشيد إيلال قد جانب الصواب في هذه المسألة ،حيث وجدت العديد مـن النسخ المخطوطة لصحيح البُخاري في كل مـن المملكة المغربية ،والنمسا ،وبلغاريا وغيرها من دول العالم بدليل الشواهد الأتية :

الشاهـد الأول :أنـه توجد نُسـخ لصحيح البُخاري فـي صوفية ببلغاريا ،تحـت رقم(٣٠٣/ تسلسل ٢٧ ،حديث)بعنـوان :الجامع الصحيح ،المشهور ب«صحيح البُخاري « ،تأليف أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البُخاري ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م.

الجـزء الثالث مـن تجزئة أربعة أجزاء مـن الكتاب ،تاريخـه ٤٠٧هـ/١٠١٦م. ،ورقات برقم op.801 [٢].

وأيضـا توجد نسخة بعنـوان :الجامع الصحيح للبُخاري ،الجـزء الثاني من نسخة في مكتبة برلين ،برقم ١١٥٦ ،تاريخها ٤٢٤هـ/١٠٣٣م.

وأيضـا نسخة أخرى «الجامع الصحيح للبُخاري « ،نسخة في دار الكتب ،عليها سماع تاريخه ٤٩٥هـ/١١٠٢م ،وقد نشر موريتز نموذجا من خطها (p.Lmoritz.128) [٣].

الشاهـد الثانـي :أنه توجد عشـر (١٠)مخطوطـات لصحيح البُخاري فـي مؤسسة الملك عبدالعزيز بالدار البيضاء بالمملكة المغربية [٤]،وهي كالآتي :

المخطوطـة الأولى :تحت رقم ١٩٦ ،صحيـح البخاري،البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت

(١) صحيح البخاري نهاية أسطورة،ط٠١ ،دار الوطن ،الرباط ،٢٠١٧،ص: ٢٧٨.

(٢) عدنان درويش: فهرسة المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية (كيريل وميتودي)بصوفية في بلغاريا ،دمشق ، ١٩٦٩ ،ص:٢٠٩.

(٣) كوريكس عداد: أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م،دار الرشيد للنشر ، العراق ،١٩٨٢م،ص:١٢-١٣.

(٤) محمد القادري وآخران :فهارس المخطوطات العربية والأمازيغية ،مؤسسة الملك عبدالعزيزآل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية ،الدر البيضاء ،٢٠٠٥م،المجلد ١ ،ص: ٦٣-٦٧.

٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ،أولها :بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الأدب باب قول الله عز وجل ووصينا الإنسان بوالديه .حدثنا أبا الوليد .....،آخرها :باب هل يأمر الإمام رجلا فيضرب الحد ....،كاتبه محمدبن محمد الطيب العلوي البلغيثي ...وفي ضحوة يوم الجمعة ١٢٥١هـ،١٤٢ورقة ،٢٢س خط مغربي ،ق.-٢١٠/ ٢٣٠مم.

المخطوطة الثانية :تحت رقم٢٤٠،صحيح البخاري ،البخاري ،محمد بن اسماعيل ،(ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ،أولها : بسم الله الرحمن الرحيم كيف كان بدء الوحي الى رسول الله .... وآخرها :قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعا من صغير أو صاعا من تمر على الصغير والكبير ،٢٥٣ورقة ،١٧س ،خط مغربي مليح ،ق.-١٨٠/ ٢٣٠مم.

وما يميز هذه المخطوطة هو ذكر اسانيد رواتها ضمن الملاحظات ،من ذلك :النص عبارة عن جزء من صحيح البخاري برواية ابو علي حسين بن محمد بن فيارة الصدفي عن ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي عن ابي ذر عبد بن احمد بن محمد الهروي عن ابي محمد عبدالله بن احمد بن حموية السرخسي وابو اسحاق ابراهيم المستملي وابو الهيثم محمد بن المكي بن محمد زراع الكشميهني عن ابي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري [١] ،مما يفيد بأن هذه المخطوطة من رواية أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة عن الفربري عن البُخاري كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

وأما عن بقية المخطوطات ،فسنكتفي بالإحالة إلى صفحاتها في الهامش [٢].

الشاهد الثالث : أنه توجد ست (٠٦) مخطوطات لصحيح البُخاري في المكتبة الوطنية النمساوية[٣] ،وهي كالآتي :

المخطوطة الأولى :تحت رقم ٤٢،بعنوان :صحيح البخاري،المؤلف :البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ،عدد الأوراق :٣٩٢ورقة ،الناسخ وتاريخ النسخ :عبدالله الأقحصاري ،٢٨ذو القعدة ١١٦٦هـ،(رقم الحفظnf٢٤٨ ،فلوجل ١٦٤٦) .

المخطوطة الثانية :تحت رقم ٤٣،بعنوان :صحيح البخاري،المؤلف :البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ،عدد الأوراق :٤٠ورقة ،الناسخ وتاريخ النسخ :محمد بن عبدالله عرف بابن الحلبي بلغ المقابلة تصحيحا على حكم النسخة المنقول منها ،(رقم

(١) محمد القادري وآخران : فهارس المخطوطات العربية والأمازيغية ، المجلد ١،ص: ٦٤.

(٢) أنظر :محمد القادري وآخران :فهارس المخطوطات العربية والأمازيغية ،المجلد ١،ص: ٦٥-٦٧.

(٣) فهرس المخطوطات العربية في المكتبة النمساوية ،تحقيق وتعريب وتدقيق محمد عايش ،سقيفة الصفا العالمية ،ط٠١،المملكة العربية السعودية ،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م،ص:٣٥.

الحفظaf٢٧٨،فلوجل ١٦٤٧) [١].

المخطوطة الثالثة :تحت رقم ٥٠، بعنوان :صحيح البخاري ،المؤلف :البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، بدايو المخطوط :كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله .....إلخ، نهاية المخطوط :قال النبي صلى الله عليه وسلم :«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان»،عدد الأوراق :٧٣٥ورقة ،الناسخ وتاريخ النسخ :محمد بن معروف بن محمد ،٢٠ شوال ٨٩٠هـ بلغ المقابلة تصحيحا على حكم النسخة المنقول منها ،(رقم الحفظ mixt 1369، هيلين ٦٠٦٤) [٢].

المخطوطة الرابعة :تحت رقم ٥٠، بعنوان :صحيح البخاري ،المؤلف :البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ،المجلد ٣:« من كتاب مناقب الأنصار ....إللى كتاب الأطعمة »،المجلد ٤:« من كتاب الذبيح إلى كتاب الرد على الجهمية » ،ج ٣: عدد الأوراق :٣٩٢ورقة ، ج ٤: عدد الأوراق :٣٨٣ورقة ،الناسخ وتاريخ النسخ :محمود بن أحمد بن عثمان بن نحيم الحافظ الشيرازي ،ج٢٤:٣ذو الحجة ٧٩٠هـ،ج٧:٤ربيع الثاني ٧٩١هـ ، (رقم الحفظ mixt 1032 ،هيلين٢٠٦٥) [٣]، بالإضافة إلى شواهد أخرى على تواجد نسخ لمخطوطات صحيح البخاري مبثوثة في العديد من مناطق العالم [٤].

(ب)خرافة تأثر الإمام البُخاري بالديانة الزرادشتية :

دعى الكاتب ايلال رشيد في كتابه «نهاية أسطورة «الباحثين والمهتمين بالتراث الإسلامي ،بمقارنة ماورد في صحيح البخاري مع الديانة الزرادشتية فقال : «...وأنا أدعوا الباحثين المنقبين في بطون كتب التراث ،إلى أن يُقارنوا بين الديانة الزرادشتية التي كان مهدها بلاد فارس قبل مجيئ الإسلام ،وبين بعض ماورد في كتاب «صحيح البُخاري «سيما مسألة المعراج ،ليقفوا على تأثير الديانة ،بل الديانات والتقاليد الفارسية القديمة ،وتشبعه ببعض العادات التي كانت معروفة لدى أهل فارس ،سيما إيران التي أضحت في ما بعد شيعية صفوية » [٥]. ،وقال أيضا :«..ومن هنا أشكُ أن هذا البُخاري وصحيحه إنما هو جزء من تشويه الفُرس للإسلام وتراث المسلمين الديني

(١) محمد عايش: المرجع السابق، ص:٣٧.

(٢) محمد عايش: نفس المرجع، ص: ٣٨.

(٣) محمد عايش : نفس المرجع ،ص: ٣٨.

(٤) أنظر: فهرس مخطوطات خزانة الامام علي بتارودانت ١٩٩٩-٢٠٠٠م ،ص: ٢٠٣-٢٠٦.،محمود السيد الدغيم :فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة دار المثنوي ،ط٢٠١٩،١م ،تقديم :نوزت قايا ،المجلد ٢،ص:٤٤١وما بعدها.

(٥) رشيد ايلال : المرجع السابق ،ص: ١٣.

،ومما نراه ضمن هذا التشويه المعتمد الذي انطلى على عامة المسلمين .. » [١].

والجواب هو أن الكاتب رشيد إيلال قد جانب الصواب في هذه المسألة ،للشواهد الآتية :

الشاهد الأول ،هو ما ذكره الإمام البُخاري في كتابه خلق أفعال العباد فقال : « نظرتُ في كلام اليهود و النصارى و المجوس ، فما رأيتُ أضل في كفرهم ..»[٢]،مما يُفيد اعتقاده لكُفر المجُوس والمجوسية .

وأما الشاهد الثاني ،فهو أن الثابت تاريخيا أن جد الإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ) ،وهو يمان الجعفي أسلم على يد ي جد المُسندي شيخ البُخاري (ت ٢٢٩هـ) ،وأن والده إبراهيم إلتقى عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ)وصافحه بكلتا يديه [٣]لما رواه الإمام البُخاري في تاريخه :« اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي ابو الحسن رأى حماد بن زيد و صافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا » [٤] ،مما يفيد على أن والده كان عالما يغشى مجالس العلم ،وحريصا على إتباع العلماء والصالحين من المسلمين .

وأما الشاهد الثالث ،فهوأن الديانة الزرادشتية ليست ديانة توحيدية ولكن الزرادشتيين حرفوا دينهم وطعموه بأصول وتشريعات إسلامية ،وأنها هي المتأثرة بالإسلام ولم تكن قبله ،وبالتالي فلا علاقة للإمام البُخاري بهذه الديانة ،وإنما هي ديانة ابتدعها المجوس خلال العصر الإسلامي ،وهذا ما أثبتته بعض الدراسات المعاصرة [٥].

وأما الشاهد الرابع ،وهو أنه لم يثبت بأن الإمام البُخاري رحمه الله قد دعى في جميع كتبه المطبوعة كالصحيح الجامع وخلق أفعال العباد وغيرها ،أنه دعى إلى غير منهج أهل السنة والجماعة ،وهو القائل :« وحرم الله عز وجل أهل الأهواء كلهم،أن يجدوا عند أشياعهم ،أو بأسانيدهم حكما من أحكام الرسول –أو فرضا أو سنة من سنن المرسلين ،إلا ما يعتلون بأهل الحديث ،إذ بدا لهم ،كالذين جعلوا القرآن عضين ،فآمنوا ببعض ،وكفروا ببعض ،فمن رد بعض السنن مما نقله أهل العلم فيلزمه أن يرد باقي السنن ،حتى يتخلى عن السنن والكتاب ،وأمر الإسلام أجمع والبيان في هذا كثير »[٦]. ،وهو – البُخاري - القائل أيضا :« فبين النبي صلى الله

(١) رشيد ايلال : المرجع السابق ،ص: ١٣.

(٢) خلق أفعال العباد، ص: ١٣ .

(٣) البخاري : التاريخ الكبير ،ج١،ص: ٣٤٣.

(٤) البخاري : نفس المصدر ،ج١،ص: ٣٤٣.

(٥) خالد كبير علال :الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس خلال العصر الإسلامي،دار المحتسب .،أنظر للمؤلف :خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية .

(٦) البخاري :خلق أفعال العباد، ص: ٧٧.

عليــه وسلــم أن الإبلاغ منه،وأن كلام الله من ربــه ،ولم يذكر عن أحد مــن المهاجرين والأنصار ،والتابعين لهم بإحسان خلاف ما وصفنا ،وهم الذين أدوا الكتاب والسنة بعد النبي صلى الله عليه وسلــم قرنــا بعد قرن [١] ،فلم يدع إلى الأفستا ولا إلى ماني ولا إلى زرادشت ،فأين أنت يا إيلال من عقيدة الإمام البُخاري ؟؟؟؟.

وأما الشاهد الخامس والأخير ،وهو أن ايلال رد مسألة المعراج ،لكونها لم ترد في القرآن الكريــم ،ووردت فــي صحيح البُخاري وكتب الحديث كمسلم وغيــره [٢]، وإنما ذُكر الإسـراء وحده، وقوله هذا لا يصح ،لأن القرآن الكريم أشار فعلا إلى المعراج في قوله تعالى :«ولقد راه نزلة أخرى (١٣)عنــد سدرة المنتهى (١٤)عندها جنة المــأوى (١٥)إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦)مازاغ البصر وما طغى (١٧)لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم :١٣-١٨ ،فهذه الآيات واضحة في أنها تتكلم عن معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء العليا مع أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهذا الذي نص عليه أهل التفسير من أن تلك الآيات تتكلم عن ذلك المعراج [٣].

(د)خرافة الموضوعية والمنهجية عند رشيد إيلال :

دعــى الكاتــب إيلال إلى ضــرورة تطهير كتب التراث الإسلامي مــن الخرافات والترهات والعودة إلى المنبع الصافي، فقال: «...إنها دعوة صادقة وصادمة في نفس الوقت من أجل تطهير كتــب التراث السنية والشيعية على السواء من الخرافات والترهات ، والعودة إلى المنبع الإسلامي الصافي :القرآن الكريم ،الذي حين عجزوا عن تحريفه راحوا يؤلفون ما أسموه كذبا وافتراءا على رسول الله ﷺ»

فأقــول : أن العودة إلــى المنبع الإسلامي الصافي فحق ،ولكن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الصحيحة معا ،خصوصا وأنه وُجدت طائفة من أقوال كبار المفسرين في معنى القران الكريــم ،ابتداءا مــن الصحابة الى علماء القــرن الرابع الهجري مرورا بالتابعيــن وتابعيهم ومن جاء بعدهم .وهؤلاء اهل اختصاص اقوالهم لها حجيتها ومكانتها في الفهم الصحيح للقران وفي تحديد معاني اللغة العربية .وأقوال الصحابة في ذلك أولى من أقوال من جاء بعدهم ،لانهم تلقوا التفسيــر مباشرة من رسول الله من جهة ،و لان القران الكريم نزل بلغتهم وهم عرب أقحاح أعلم مــن غيرهم باللغة العربية من جهة اخرى ،والتابعون هم ايضا اولى في فهم القران واللغة العربية ممن جاء بعدهم ،لانهم تلقوا ذلك من اعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم ،وهم الصحابة

(١) البخاري :خلق أفعال العباد، ص: ٦٠.

(٢) انظر خالد كبير علال : أباطيل وخرافات حول القران الكريم والنبي محمد ،دار طليطلة ،ط٠١ ،ص:١٩٦، ١٢٠.

(٣) انظر خالد كبير علال : نفس المرجع ، ص:١٢٠.

رضـي الله عنهم .وكذلك تابـع التابعين فهم اعلم باقوال الصحابة والتابعين وباللغة العربية ممن جاء بعدهم ،لقربهم من مصدر العلوم الشرعية واللغة العربية[1] .

ثـم إن النتيجـة التي إليها لا تصح ،بناها على تحليل غير صحيح وفهم مخالف للحقيقة الشرعيـة والتاريخيـة المتمثلـة في أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم هو المُبلغ عـن ربه تعالى وصحابته وهم أقرب الناس إليه قد نقلوا إلينا كل ما أمرهم به .

وهـذا خطا منهجـي كبير وقع فيه الكاتب ايلال في التعامل مع الروايات ،فلم يتحقق من الروايـات وبنى عليها رايه بعدمـا اخضعها للتحريف والتغليط والتأويل الفاسد ،وجعلها حكما على تدوين الحديث وأيضا على البخاري وكتابه،ولم يكن أمينا في النقل ،وهذا عمل غير مقبول علميا .

وقبل أن أختم ،ينبغي أن أشير إلى أن هناك حملة شرسة على السُنة النبوية وعلى البُخاري وصحيحه ،ينبغي لطُلاب العلم التفطن لهذا الأمر ،لذلك ارتأيت أن أسرد بعض التوصيات للقائمين على هذا المُلتقى ،وعلى رأسهم أكاديمية الإمام البُخاري ،وتتلخص هذه التوصيات فيما يلي :

إنشاء فرق بحث متخصصة في الحديث النبوي ،وتشتغل بالأخص على الإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

فتـح مراكز تابعة لأكاديمية ومركز الإمام البُخـاري ،مبثوثة في العالم الإسلامي وغيره من الدول الغربية ،تعمل على التراث المخطوط الخاص بصحيح البُخاري جمعا وتحقيقا .

إقامة تخصصات في الأكاديمية تُعنى بالبُخاري ومصنفاته جمعا وبحثا وتحقيقا ونشرا .

الإعتناء بالدراسات الحديثية وتكويـن طلاب علم الحديث رواية ودراية ،والإهتمام بتراجم عُلماء الحديث ،بهدف قطع الطريق أمام أهل الأهواء ذوي المشاريع الهدمية المعاصرة .

ختاما لما سبق يتبين لنا أن علماء الغرب الإسلامي قد اهتموا بصحيح البخاري شرحا وتدريسـا وتنقيحا خلال القرنين ٤-٦هــ/٩-١٥م وهو ما يفند ماذهب اليه بعض المعاصرين من أن شخصيةالإمـام البُخاري هي شخصيـة وهمية ،كما تلقوا الصحيح عن طريق كريمة المروزية وابراهيـم بن معقل النسفي ،وعـن أبي علي بن السكن ،وأبي ذر الهـروي عن شيوخه الثلاثة ،عن الفربـري عـن البخاري ،فـي مجملها أربع طرق ،ممـا يبين تهافت وتناقض دعـاوى الكاتب ايلال رشيد في جميع ما خطه في كتابه .

رحـم اللهُ الإمام البُخـاري ،الإمام الجهبذ ،وبارك الله في جهود الجميع ،والسلام عليكم

(١) انظر :خالد كبير علال :أباطيل حول القرآن الكريم ، ص:١٢٠.

ورحمة الله وبركاته .

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

قائمة المصادر :

-ابن الآبار (ت ٥٩٤هـ/١١٢٠م):المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصري ،اللبناني ،ط١٤١٠،٠١هـ/١٩٨٩م.

-الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف(ت ٤٧٨هـ) :التعديل والتجريح لمن خرج له البُخاري في الصحيح ،إعتناء علي ابراهيم مصطفى ،ط٠١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،٢٠١٠م.

- ابن بشكوال :الصلة ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصرية اللبنانية ،ط١٤١٠،٠١،٠١هـ/١٩٨٩م،مصر لبنان.

- البخاري :التاريخ الكبير ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،دون تاريخ نشر .

- ابن خير الإشبيلي : فهرسة ابن خير الإشبيلي ،دار الكتب المصرية ،اللبنانية ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،ط١٤١٠،٠١هـ/١٩٨٩م.

-ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ):المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،تحقيق :محمد عبد القادر عطا واخر ،الطبعة ٠١،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ج١٤١٢،١٢هـ/١٩٩٢م.

-ابن الخطيب القسطلاني شهاب الدين أحمدبن محمد :ارشاد الساري الى شرح صحيح البخاري ،المطبعة الأميرية الكبرى ،بولاق مصر ،١٣٢٣هـ

- الجياني الغساني أبوعلي الحسين بن محمد:تقييد المهمل وتمييز المشكل ،تح.علي بن محمد العمران وآخر،ط٠١،دار علم الفوائد للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية.

- الجياني الغساني أبوعلي الحسين بن محمد:التنبيه على الأوهام الواقعة في المُسند الصحيح للبُخاري،تح.محمد أبو الفضل ،ط٠١ ،مطبعة النجاح الجديدة ،المملكة المغربية.

-ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٦هـ):فتح الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري ،تحقيق عبدالقادر شيبة الحمد ،

-الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ،دار الكتاب العربي .

-السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى .

- ابـن فرحون المالكي :الديباج المُذهـب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ،ط٠١،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،١٩٩٦م.

- ابـن الفرضـي :تاريـخ العلمـاء والـرواة للعلم،تحقيـق السيـد عـزت العطـار الحسنـي ،ط١٩٨٨،٠٢م.

- الضبي :بغية الملتمس في تاريخ أخبار رجال أهل الأندلس ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصرية اللبنانية ،ط١٤١٠،٠١هـ/١٩٨٩م،

- ابن كثير :البداية والنهاية ،تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي .

-ابـن عبدالملـك :الذيل والتكملة ،تحقيق بن شريفة ،إحســان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،دون تاريخ نشر .

-ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبدالله :معجم البلدان ،د.تحقيق ،دون طبعة ،دار صادر بيروت ،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

-الذهبي شمس الدين :سير أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخر ،مؤسسة الرسالة ،ط١٤٠٣،٠١هـ/١٩٨٣م،سوريا .

قائمة المراجع :

-أحمد المولى محمد عبدالله:الجهود العلمية المتعلقة بصحيح البخاري في المغرب والأندلس في القرن الخامس / الحادي عشر الميلادي ،مجلة كلية العلوم الإسلامية ،ع١٥،المجلد٨،الموصل ،١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

-أيلال رشيد:صحيح البُخاري ..نهاية أسطورة ،دار الوطن ،ط٠١،المغرب ،٢٠١٧م.

- خالـد كبيـر علال :أباطيل وخرافات حـول القرآن الكريم والنبي محمـد ،دون طبعة ،دار طليطلة ،الجزائر ،٢٠٠٩م.

- خالدكبيـر علال :منهـج أهل الحديث في الرد علـى المتكلمين،-أسسه وتطبيقاته - ،دار كنوز الحكمة ،الطبعة ٠١،الجزائر ،٢٠١٢م .

- خالد كبير علال :الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي ،دار المحتسب، الجزائر .

- خالـد كبير علال :خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية ،دار المحتسب.

الجزائر .

– نبيـل بـن احمـد بلهـي :التفنيـد لشبهات أيـلال رشيد حـول صحيـح البخـاري ،الطبعة ٠١،١٤٣٩هـ.

– نـزار بـن عبدالكريم الحمدانـي :الإمام البخـاري محمد بن إسماعيل بـن إبراهيم فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء، سيرته –فقهه– صحيحه،مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ.

المحور الثاني:

تأصيل مفهوم الإيمان في صحيح البخاري
وأثره في الأمن الفكري

د. أنور حسب الرسول عوض الكريم
السودان

مفهوم الإيمان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وبعد:

فهذا بحث مختصر بعنوان : «مفهوم الإيمان في صحيح البخاري وأثره في الأمن الفكري».

كلـمـة شكر:

أشكر في هذه السانحة الأخوة المنظمين للمؤتمر ولأكاديمية الإمام البخاري وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الأسطرلاب الدولية إتاحة هذه الفرصة للإكتتاب في هذا السفر العظيم واللقاء بهذه النخبة الطيبة من العلماء.

مشكلة البحث :

ليست هناك مشاكل واجهت الباحث إلا هيبة الصحيح في النفس .

تعريف الأمن الفكري :

هو مصطلح حادث جديد وله عدة تعريفات:

هو أن يعيش الناس بين بلدانهم وأوطانهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية.

اطمئنان الفرد والمجتمع إلى أن منظومته الفكرية والخلقية وقيمه التي ترتب العلاقات بين أفراد المجتمع ليست موضوع تهديد من فكر وافد غريب .

الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية والعقدية، والثقافية ، والأخلاقية ، والأمنية.

ويعنـــي ذلك كله بالضرورة على تحقيـق الطمأنينة على سلامة الفكـر والاعتقاد ، والتفاعل الرشيد مع الثقافات الأخرى ، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري في النفس والمجتمع.

ملخص البحث :

يهـدف هذا البحث الموسم ب: (مفهوم الإيمــان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري) إلي بيان منزلة الإيمان وشرحه وبيان أركانه وتأصيله في نفوس الناس مما يكون له الأثر البالغ في الأمن الفكري في نفوس الأمة أفرادا وجماعات .

وقد اتبعت في ذلك المنهج الوصفي التحليلي .

محتويات البحث

مقدمة.

ثلاثة فصول .

خاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات .

أمــا المقدمة فتشتمل على أهمية البحث – المشاكل التــي واجهت الباحث وأهم التعريفات للأمن الفكري .

الفصل الأول: منزلة كتاب الإيمان من الجامع الصحيح للإمام البخاري «رحمه الله».

الفصل الثاني: معالم الإيمان من خلال كتب الجامع الصحيح .

الفصل الثالث: أثر تأصيل مفهوم الإيمان على الأمن الفكري لدى الأمة.

الخاتمة والتوصيات .

المبحث الأول: منزلة كتاب الإيمان من الجامع الصحيح للإمام البخاري «رحمه الله»

تمهيد :إن قضية الإيمان من القضايا الأساسية التي تبنى على حياة الناس سعادة وشقاء. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة الآية ٣٨

ولقد عنى العلماء به تأليفاً وشرحاً، ومن ذلك تعريفه الذي يوافق أدلة الشرع كتاباً وسنة.

تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق

ومنه قوله تعالى ﴿...وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[١]

وشرعا: هو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد وينقص.

وهذه إشارة عن بعض أبواب الكتاب وماله تعلق واضح بالأمن الفكري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله» :

«والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث والسنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[٢].

وقد عرف ابن القيم «رحمه الله» تعريفا وافياً.

فقال: «وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله، والمنع لله ، وأن الله وحده إلهه ومعبوده».[٣]

قال شيخ الإسلام ابن حجر» رحمه الله» واللالكائي في «كتاب السنة» عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص .[٤]

---

(١) شرح بن بطال ٥٥/١

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٥٠٥/٧

(٣) الفوائد لابن القيم ص ١٤٠ دار النفائس بيروت لبنان ط ١٩٨٦م

(٤) الكتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري تم استيراده من نسخة : الشاملة ١١٠٠٠

وبما إننا نحن بصدد الحديث عن مفهوم الإيمان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري ، فلابد لنا من التركيز على هذا الكتاب من الجامع الصحيح .

فهــو ثاني كتب الجامع الصحيح والتي بلغـت سبعاً وتسعين كتاباً ،أولها كتاب الوحي وآخرها كتاب التوحيد ولك أن تتصور جامع بدء بالحديث عن الوحي وبداياته والتي لايمكن معرفة الإيمان الحــق إلا عن طريقــه، وكتاب التوحيد الذي يشرح لــك الإيمان وتفاصيله ثم يجــيء كتاب باسم : الإيمان وهذا يدل دلاله واضحة على عمق الإيمان في شريعة الإسلام ، وعميق ودقيق فهم البخاري لهذا الدين الحق .

إن المتأمــل فــي أبواب كتاب الإيمان من الجامع الصحيــح للبخاري يرى دقة عجيبة وترتيباً بديعاً واختياراً متناسقاً لترجمة الأبواب وفقها وفمها يحير أولي العقول والألباب .

ذلك ان فقه البخاري وعلمه في تراجم أبوابه كما قال العلماء.

وإليك قائمة بأسماء أبواب وهي أربعون باباً :....

بَاب الْإِيمَان وَقَول النَّبِي ﷺ بني الْإِسْلَام على خمس).

(بَاب دعاؤكم إيمَانكُمْ).

(بَاب أُمُورِ الإِيمَانِ).

(بَاب المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ).

(بَاب أَيُّ الإِسْلاَم أَفْضَلُ).

(بَاب إِطْعَامُ الطَّعَام مِنَ الإِسْلاَم).

(بَاب مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

(بَاب حُبُّ الرَّسولِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مِنَ الإِيمَانِ)

(بَاب حَلاَوَةِ الإِيمَانِ).

(بَاب عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الانْصَارِ).

باب مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ.

بــاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِــاللَّهِ». وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

باب مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الإِيمَانِ.

باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ.

باب الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ.

باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾.

باب مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

باب إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الاِسْتِسْلَامِ أَوِ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ.

باب إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الإِسْلَامِ.

باب كُفْرَانِ الْعَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ.

باب الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

باب ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ.

باب عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ

باب قِيَامُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ.

باب الْجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ.

باب تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ.

باب صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ.

باب الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

باب الصَّلَاةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ يَعْنِي صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ.

باب حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ.

باب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُه.

باب زِيَادَة الإِيمَانِ وَنُقْصَانه، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ وَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِص.

باب الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَقَوْلُهُ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

باب اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ مِنَ الإِيمَانِ.

باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ.

باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ.

باب أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ.

باب مَا جَاءَ أَنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى.

بـاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

أمثلة أبواب من كتاب الإيمان:

باب: المسلم من سلم المسلمون

حدثنا آدم بن أبي إياس قال: حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر وإسماعيل عن الشعبي عـن عبد الله بن عمـرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «المسلـم من سلم المسلمون من لسانـه ويـده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». قال أبـو عبد الله وقال أبو معاوية: حدثنا داود عـن عامـر قال: سمعت عبد الله عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. وقال عبد الأعلى عن داود عن عامر عن عبد الله عن النبي ﷺ. (الحديث ١٠ - طرفه في: ٦٤٨٤).[١]

قال العسقلاني «رحمه الله»:

(المسلـم) الكامل (من سلم المسلمون) وكذا المسلمات وأهل الذمة إلا في حد أو تعزيز أو تأديب، (من لسانه ويده) وهذا من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام الذي لم يسبق إليه.

فـإن قلـت: هذا يستلزم أن مـن اتصف بهذه خاصـة كان مسلما كاملا، أجيـب: بأن المراد بذلك مع مراعاة باقي الصفات التي هي أركان الإسلام، أو يكون المراد أفضل المسلمين كما قاله الخطابـي، وعبر باللسـان دون القول ليدخل فيه من أخرج لسانه استهـزاء بصاحبه، وقدمه على اليد لأن إيذاءه أكثر وقوعا وأشد نكاية ولله در القائل:

جراحات السنان لها التئام　　　　ولا يلتام ما جرح اللسان

ولاشك أن هذا فيه من الدعوة إلي السلام والرفق بالإنسان، وترك كل الأسباب المؤدية إلى الشحناء والبغضاء، ما يكون سبباً لحفظ الأمن الفكري.

(١) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ عدد الأجزاء: ١٠

فإذا استقر لدى الإنسان هذا المعنى ، فهم الإسلام بهذا الفهم الصحيح أمن فكره ، وسلم له إسلامه .

ولهـذا جـاء الحديـث بلفظ أخرجه الترمـذي « رحمـه الله» «المؤمن من آمنـه النـاس على دمائهم وأموالهم».

باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس –رضي الله عنه– عن النبيﷺ. وعن حسين المعلم قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

أي هذا بابٌ في بيان شعبة من أهم شعب الإيمان وهو حب الخير للغير .

المحبـة : قـال النووي : أصلهـا الميل إلي ما يوافق المحب والنفي الـوارد هنا نفي الكمال لا الأصل .

وحب الخير يقتضي وهو أن يكره له من الشر كذلك .

وأخيه : شاملة لكل أخوة الإسلام، وذلك لقوله (فإخوانكم في الدين) (١)

وهذا يعني أن الأمر يستلزم من معاني الأمن الفكري ، والذي أصله الميل والملامة ما يكون سبباً في استقامة الناس وإشاعة الحب والوئام .

باب حَلاَوَةِ الإِيمَانِ

حدثنـا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أنس عن النبي ﷺ قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». أطرافه ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١.

قال الحذيفي: وفي هذا الحديث إشارة إلي التحلي بأنواع الفضائل والتعظيم

لأمـر الله ورسولـه أحب إليه مما سوهما ، ثم الثقة عن خلق الله بإخلاص محبته ،ثم التحلي عن الرذائل بكراهة الكفر .(٢)

---

(١) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٧٩/١ بدر الدين العيني

(٢) الحذيفي: هو زكريا بن محمد الأنصاري ألسنبكي المصري الشافعي في كتابه منحة الباري شرح صحيح البخاري المسمى بتحفة الباري ص ١٥٤/١مكتبة : الرشد ط / ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م

وقلت :

وهــذا الجمــع الرائع بين هذه الأمور فــي سياق واحد فيه تظهر بلاغــة النبي صل الله عليه وسلــم ،ثــم هو عليه الصلاة والسلام يحدد للناس الــدروب والطرق التي يسير بها في هذه الحياة بوسطية واعتدال بلا غلو ولا جفاء .

باب من الدين الفرار من الفتن

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعــة عــن أبيه عن أبى سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يكون خير مال المسلــم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينــه من الفتن». أطرافه ٣٣٠٠، ٣٦٠٠، ٦٤٩٥، ٧٠٨٨ – تحفة ٤١٠٣.

معنــى الحديــث: يقــول النبي ﷺ «يوشــك أن يكون خير مــال المسلم غنماً يتبــع بما شعف الجبــال» بفتح الشين والعين، والمعنى: سيأتي عن قريب زمــان تسوء فيه الأحوال، وتفسد الدنيا، وتكثــر المعاصي ويألفها النـاس، ويــزول الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويضعف الدين حتى تصبــح خير حياة يحياها المسلم حياة العزلة، وخير مال يعيش عليه أن يكون له غنم يرعاها على ذرى الجبال، ويتبع بها مواضع الأمطار» يفر بدينه أي من أجل أن يهرب من الفتن.

ويستفاد منه: كما قال العيني: «فضل العزلة في أيام الفتن إلاّ لمن كان له قدرة على إزالتها، فإنــه يجــب عليه السعــي في إزالتها وجوبــاً عينياً، أو كفائيــاً أما في غير الفتنة فقــد قال النووي: ذهــب الشافعي والأكثرون إلى تفضيــل المخالطة لما فيها من شهود شعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين. والمطابقة: في قوله: يفر بدينه من الفتن».(١)

قلــت : وفــي الحديث أنَّ فــي اجتناب الفتــن والفرار منهــا السلامة فإنه مــن تعرض للفتن واستشرف لها أخذته ، وأكثر الأحاديث تدعو المسلم غلي عدم الخوض في الفتن وإنه عند حدوثها يأخذ بالعزلة عنها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

خذو حظكم من العزلة .

وقال أيضا: العزلة خيرٌ من خلاط السوء .

(١) الكتاب: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، المؤلف: حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عدد الأجزاء: ٥

قال الجنيد :

مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة.

باب الحياء من الإيمان

حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه، فإن الحياء من الإيمان.

وقال ابن قتيبة: معنى الحديث أن الحياء يمنع صاحبه من ركوب المعاصي كما يمنع منه الإيمان، فسمي إيمانًا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه، وفي الحديث التنبيه عَلَى الامتناع من قبائح الأمور ورذائلها، وكل ما يستحيا من فعله.[1]

قلت:

في إشارة لطيفة أن من ترك المعاصي ساعدذلك في استقرار الأمن الفكري والروحي فيه.

المبحث الثاني: معالم الإيمان من خلال كتاب الجامع الصحيح

إن قضية الإيمان والاعتقاد الصحيح هي أم القضايا وأساس الدين التي يبنى عليها غيرها و بها تستقيم الحياة وهناء الناس يسعدوا في دنياهم أمنا واستقراراً وراحة قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام الآية: (٨٢).

وإن المتأمل في كتاب الجامع الصحيح يرى معالم بارزة وآيات عالية للإيمان بالاعتقاد الصحيح.

توحيد المصدر وإرجاع الناس إلى الوحي المنزل مصدراً للإيمان فكان بدء الوحي وقول تعالى ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ......﴾ النساء ١٦٢

تهذيب الإنسان وحمله على مكارم الأخلاق وطهارة النفس من أوصافها فكانت العبادات والمعاملات عبر (٦٩) كتاب من مجموع (٩٧) كتاب هذا الأمر يعطي النفس أن هذه الشريعة الواسعة قد وسعت الناس كلهم وهي صالحة لكافة البشر وقادرة على استيعاب سائر ما يطرأ

(١) الكتاب: التوضيح لشرح الجامع الصحيح المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و ٣ أجزاء للفهارس)

عليهم من مشكلات وأن حلها هنا غير ذلك.

الكتب (الوضوء، الغسل، الحيض، التيمم، الصلاة، مواقيت الصلاة. الأذان، الجمعة، صلاة الخوف، العيدين، الوتر، الإستثقاء، الكسوف، سجود القران، تقصير الصلاة، التهجد، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، العمل في الصلاة، ما جاء في السهو ، الجنائز، الزكاة، الحج، العمرة، المحصر، جزاء الصيد، الصوم، صلاة التراويح، ليلة القدر، الاعتكاف، البيوع، العمرة، المحصر، جزاء الصيد، الصوم، صلاة التراويح، ليلة القدر، الاعتكاف، البيوع، السلم، الشفعة، الإجازة، الحوالة، الكفالة، الوكالة، الخصومات، المزارعة، اللقطة، المظالم، الشركة، الزهد، العتق، المكاتبة، الهبة، الشهادات، الصلح، الشروط، الوصايا ،الجهاد والسير، فرض الخمس، الجزية، المغازي، النكاح، الطلاق، النفقات، الأطعمة، العقيقة، الذبائح والصيد، الأضاحي، الأشربة، المرضى، الطب، اللباس، الاستئذان، الإيمان والنذور، كفارة الأيمان، الفرائض الحدود، الديات».

لله درك أيها الحافظ المبجل والإمام المعظم شيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث جمعت فأوعيت وحفظت فشفيت .

٣. أهمية العلم ودوره وإظهار مكانته قال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد الآية١٩.

وفيه من الحق والتحريض والتهييج ما فيه، فلا أمن فكري يرتجى من جاهل ، وبالعلم يغذى العقل ويكبر.

خذ مثلاً هذا الباب : من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشر منه . ١٢٦ – حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن الأسود قال: قال: لي ابن الزبير كانت عائشة تسر إليك كثيرا فما حدثتك فى الكعبة قلت قالت لى قال النبي ﷺ «يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم – قال ابن الزبير بكفر – وترجمت الباب تغنيك عن كثير مما قاله الشارح في الحديث وكم في هذا الحديث من فكر رصين .

٤. من أعظم معالم الإيمان التي دعت إليها الشريعة تحريم الظلم ورد الحقوق إلى أهلها ، مما يكون له أثره الكبير في حفظ الأمن الفكري ، فكان كتاب المظالم والغضب وهو الكتاب رقم (٤٦) وأبواب شاهد له بلغت ٣٦ باباً .

٥. الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، والتذكير بالآخرة والزهد في الدنيا ، وذلك مما يقوي الإيمان في النفس وهذا أسلوب قراني نبوي كريم. كما قال تعالى ﴿....وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا

يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ سورة النساء الآية ٦٦

وقال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ سورة النساء الآية ٦٣

المبحث الثالث : أثر تأصيل مفهوم الإيمان على الأمن الفكري لدى الأمة وفيه مطالب:

إذا تأصل في نفوس الأمة المفهوم الصحيح للإيمان وعقلوه ووعوه على ما جاءت به نصوص الوحي فإن لذلك الأمر أثراً بالغاً وكبيراً على الأمن الفكري لدى الأمة.

ويظهر ذلك الأثر من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول :العلاقة بين الإيمان والأمن.

إن العلاقة بينهما وطيدة جداً جاءت في النصوص واضحة وجلية –

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ الأعراف الآية ٩٦.

وقال تعالى :« وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦» المايدة الآية ٦٦.

هذا لمن رام الأمن والسلامة.

وفي المقابل : قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ النحل الآية ١١٢.

فكل من فقد الإيمان فقد معه الأمن لا محالة .

بل أنك لتجد العلاقة اللفظية واضحة وجلية فكلاهما أمن وإيمان من اشتقاق واحد (أمِنَ) الهمزة والميم والنون....

المطلب الثاني : أثر الإيمان في تطهير القلب :

والمراد به هنا تطهير نفس المؤمن ، وبيان أن ذلك جزء هام من الحصن الذي يحصن به فكره.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ الجمعة الآية ٢

فبقـدر مـا يكون حظهم من الكتـاب والسنة يكون انفصالهم عن الضـلال ومن ذلك تطهير القلـب وتزكيتـه وتحصينه من الحقـد والحسد فالحقـد والحسد مرضان مصدرهمـا الكراهية والبغضاء للمحسود والمحقود عليه .[1]

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ البقرة الآية ١٠٩

ولاشك أن هذا الأمر أعظم ما يولد في الناس الكراهية والبغضاء .

فلا أمن فكري ولا أمن سلمي .

وعـلاج هـذا إنما يكـون بالعلم بالتوحيـد والقدر واستشعـار ذلك ، والتوجه الـى الله تعالى بالدعاء، وحسن الظن به والرضى بقضائه وقدره.

المطلب الثالث: أثر الإيمان في طمأنينة القلب

طمأنينـة القلـب هـي من أعظـم نعم الله علـى المؤمن فهـي الحصن الـذي يستعصى عن شياطين الأنس والجن اختراقه، وضد الطمأنينة القلق .

القلق: هو انزعاج القلب وانفصاله، وخروجه من استقراره وطمأنينته وراحته .

فليـس هناك ما يجعل القلـب يطمئن ويرتاح مثل الإيمان بـالله ودوام ذكره كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد الآية: ٢٨.

المطلب الرابع : الأخلاق الفاضلة وهي من الإيمان:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2] .

جـاءت الشريعة تدعو إلى التحلي بالأخـلاق الفاضلة وتطهير مكانتها في الشريعة وعلاقتها بالاعتقـاد السليـم . فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام مدح بها قال تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ٤» القلم الآية ٤

(١) الفتاوى ١١/١٠

(٢) الكتاب: مسند الشهاب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – عدد الأجزاء: ٢١٩٨٦

والالتـزام بهـا يجـذب الناس إلـى الإيمـان ويحببهم في الدخـول في الإسلام قـال تعالـى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران الآية ١٥٩.

وبهذا يتبين الأثر الوثيق بين المعتقد والأخلاق في المجتمع المسلم

المطلب الخامس: أثـر قيام أفرادا لمجتمع بالحقوق المفروضة بعضهم لبعض في تحيق الأمن الفكري

المجتمـع المسلم مجتمع إنساني تميزه برابطة الإيمان والأخوة في الله والإسلام الذي يقيم الرابطة على أساس الإيمان ، نجده ينظم العلاقات والروابط على ذات الأساس .

فيأمـن الناس فـي فكرهم وفي أنفسهم وفـي مجتمعاتهم كما جاءت السنـة بذلك: عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «حق المسلم على المسلم ست»، قالوا: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيـه سلـم عليه، وإذا دعاه أجابه، وإذا استنصح نصحه، وإذا عطس فحمد الله يشمته، وإذا مرض عاده، وإذا مات صحبه».[(١)]

عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ، وأدخل رسول الله ﷺ أصابعه بعضها في بعض[(٢)]

خلاصة الأمر ، أنه كلما قام أفراد المجتمع المسلم بالحقوق بعضهم تجاه البعض أثمر ذلك قـوة في إيمـان، فأثمر ترابطاً وأمناً فكرياً يصبح المجتمع مجتمعـاً قوياً صعب المراس ، والعكس بالعكس.

(١) الكتاب: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس) «ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومرتبط بالتعليقات الحسان للألباني (نسخة الشاملة ونسخة مصورة)»

(٢) الكتاب: الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

المطلب السادس: آثار تأصيل مفهوم الإيمان على الأمن الفكري المحافظة على الوحدة الفكرية للأمة.

فالرابط بين أفراد المجتمع هي رابطة العقيدة وأخوة الإيمان، وعليه المحافظة على سلامة المعتقد يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه فالفكر الإسلامي الرصين هو الذي يستند إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، في مختلف مجالات الحياة

ومن هذه الميادين والمجالات :

فهم نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام والعبر والعظات.

استنباط براهين الحق ودلائل التوحيد.

بيان محاسن الدين الإسلامي وسلامة نظمه من النقص

الدفاع عن الإسلام وتفنيد الشبهات المثارة حوله.

استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه .

وعليه فالوحدة الفكرية القائمة على المفهوم الصحيح للإيمان من أعظم مقومات الأمن الفكري في المجتمع تلاحماً وترابطاً وتفاهماً ومن ثم الأمن من الاختلاف الفكري المؤدي إلي الإرهاب.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى وأشكره أن منَّ عليَّ بكتابة هذه الورقات حول هذا الأصل العظيم من أصول الديانة.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فهو المعين على كل الخير ،و ما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة ومن الشيطان ، والله الموفق والهادي إلى كل صواب.

أهم النتائج والتوصيات :

مزيد من العناية والبحث في هذا الكتاب العظيم

التركيز والاهتمام الشديد بقضية الأمن الفكري فهي صمام الأمان من الإرهاب الفكري الذي يمارس على أبناء الإسلام.

طباعة كتاب مستخلص من أوراق الباحثين في هذا المؤتمر خدمة لصحيح الإمام البخاري رحمه الله كمد طبيعي لجهد السابقين من سلفنا الصالح.

إنشاء قناة باسم الإمام البخاري لعرض لكل خدمة حديث

إن كل كتاب وكل باب في الجامع الصحيح يدعو إلى الأمن الفكري إما مباشرة أو بالإشارة.

المصادر والمراجع :

١. شرح بن بطال ١/٥٥

٢.الفتاوى لابن تيمية ٧/٥٠٥

٣. الفوائد لابن القيم ص ١٤٠ دار النفائس بيروت لبنان ط ١٩٨٦م

٤. الكتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري تم استيراده من نسخة : الشاملة ١١٠٠٠

٥. انظر:إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)

الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ عدد الأجزاء: ١٠

٦. انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١/٣٧٩ بدر الدين العيني الحذيفي :هو زكريا بـن محمد الأنصاري ألسنبكـي المصري الشافعي في كتابه منحة البـاري شرح صحيح البخاري المسمى بتحفة الباري ص ١/١٥٤مكتبة : الرشد ط / ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .

٧. الكتـاب: منار القـاري شرح مختصر صحيـح البخاري عني بتصحيحـه المؤلف: حمزة محمـد قاسـم راجعه: الشيخ عبد القـادر الأرناؤوط عـدد الأجزاء: ٥ ونشـره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٨. الكتـاب: التوضيـح لشرح الجامع الصحيح المؤلف: ابن الملقـن سراج الدين أبو حفص عمـر بن علي بن أحمد الشافعي المصـري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيـق التـراث الناشر: دار النوادر، دمشـق - سوريا الطبعة: الأولـى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و ٣ أجزاء للفهارس).

٩. الفتاوى ١٠/١١

١٠. الكتـاب: مسنـد الشهاب المؤلـف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بـن جعفر بن علي بن حكمـون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ عدد الأجزاء: ٢

١١. الكتـاب: صحيـح ابن حبـان بترتيب ابن بلبـان المؤلف: محمد بن حبان بـن أحمد بن

حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنـؤوط الناشـر: مؤسسة الرسالة – بيـروت الطبعة: الثانيـة، ١٤١٤ – ١٩٩٣ عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جـزء ومجلـد فهارس) «ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمـن خدمة التخريج، ومرتبط بالتعليقات الحسان للألباني (نسخة الشاملة ونسخة مصورة)»

١٢. الكتـاب: الزهـد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْـنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَـى مَـا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْـدِ») المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبـارك بـن واضح الحنظلي، التركي ثـم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

المحور الثالث:

تأصيل مفهوم الإيمان في صحيح البخاري وأثره في الأمن الفكري

د هاشم بن علي الأهدل
كلية الحرم المكي الشريف – مكة المكرمة

حفظ الضرورات الخمس وأثرها في تحقيق الأمن الفكري

دراسة استقرائية تحليلية من خلال كتاب الأدب في صحيح الإمام البخاري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اتفقت الأمة على أن صحيح الإمام البخاري رحمه الله هو أصح الكتب المصنفة في جمع أحاديث النبي ﷺ، ولذلك كان الرضى والقبول بهذا السفر العظيم من جميع المنتسبين لأهل السنة والجماعة، «قال ابن الأهدل: أجمع الناس على صحة كتابه، حتى لو حلف حالف بطلاق زوجته، ما في صحيح البخاري حديث مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هو صحيح عنه كما نقله، ما حُكِم بطلاق زوجته»(١).

وقد أحسنت الأكاديمية صنعاً باختيار هذا الكتاب لاستخراج كنوزه في مجال من المجالات المعاصرة المتعلقة بالأمن في المجتمعات، وهو مجال الأمن الفكري.

ففي صحيح الإمام البخاري تأصيل للأمن الفكري، وتعزيز للهوية، وتربية على الأصول الاعتقادية الصحيحة والأسس الفكرية المنضبطة، التي تجعل الأمة تعيش في حالة من الأمن والأمان، وتتوجه مجتمعاتها للتنمية والبناء، وتكون حياة أفرادها مستقرة وخالية من الأمراض العصبية، والمشكلات النفسية، والانحرافات الفكرية.

وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه كثيرا من الأحاديث التي تبين محددات الأمن الفكري ومهدداته، فهناك أحاديث وتراجم في الجانب العقدي مثل مراقبة الله، واتباع الرسول ﷺ، وأحاديث وتراجم في الجانب الأسري كالإحسان للوالدين وصلة الأرحام، وفي الجانب الخلقي كالحياء والرحمة، وغيرها كثير، وهذ الموضوعات وغيرها تغطي جوانب مختلفة من الضرورات الخمس.

(١) مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ص١٤.

وقد تعددت الرؤى والأيديولوجيات، المنظرة للأمن الفكري، وكيفية تحقيقه في المجتمعات، ومن خلال التأمل تبين أن الضرورات الخمس تعتبر ركيزةً أساسيةً في هذا الميدان.

والضـرورات الخمسـ هي الكليات اللازمة للحياة المستقيمة، وهـي: الدين والنفس والنسل والعقـل والمال، وتعد هـذه الضرورات مما اتفقت الشرائع على أهميتهـا وأن الشعوب بحاجة لها، وإذا فُقِـدت أو فُقِـد أحدها، فهـذا دليل على فسـاد فطرها، وعلامة مخالفتهـا لمسالك أصحاب العقـول السليمة. ومما يدل علـى مشروعيتها قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[١].

واستنبـط العلماء من هذه الآية وغيرها ما يسمـى بالضرورات الخمس، قال الغزالي رحمه الله: «إن مقصـود الشـرع من الخلق خمسـة: أن يحفظ عليهـم دينهم ونفسهـم وعقلهم ونسلهم ومالهـم، فـكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[٢].

وهـذه الضرورات: «تندرج فيها كل الجزئيات اللازمـة للحياة، وهي مراعاةٌ في كل الشرائع والقوانيـن البشرية، لأن ضرورتها لا تخص أمـة دون أمة، بل هي لجميع المخلوقين بمنزلة الهواء الـذي إذا فقده الإنسان انقطعـت حياته، وإذا حصل اختلاف بين الأمم في حفظ هذه الضرورات فإنما هو في كيفية حفظها، لا في أصله»[٣].

ولأهمية الضرورات الخمس في الأمن الفكري فسوف نبرزها من خلال النظر في الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري في كتابه الجامع، ومن كتاب الأدب على وجه الخصوص.

---

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٣.

(٢) المستصفى، ص١٧٤.

(٣) الإسلام والضرورات الخمس، ص١٥.

مباحث الدراسة

تتضمن هذه الدراسة مباحث ثلاثة، هي:

المبحث الأول: أهمية حفظ الضرورات الخمس لتحقيق الأمن الفكري. وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الآثار السلبية لانتهاك الضرورات الخمس على الأمن الفكري.

المطلب الثاني: وسائل تعزيز الأمن الفكري في الأمة.

المبحث الثاني : الضرورات الخمس في صحيح البخاري، وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول – الأمن الفكري في حفظ الدين من صحيح البخاري.

المطلب الثاني – الأمن الفكري في حفظ النفس من صحيح البخاري.

المطلب الثالث – الأمن الفكري في حفظ المال من صحيح البخاري.

المطلب الرابع – الأمن الفكري في حفظ العقل من صحيح البخاري.

المطلب الخامس – الأمن الفكري في حفظ النسل من صحيح البخاري.

المبحـث الثالث: معالم الأمن الفكري من خـلال الضرورات الخمس، في كتاب الأدب، وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول – أثر حفظ الدين في تحقيق الأمن الفكري

المطلب الثاني – أثر حفظ النفس في تحقيق الأمن الفكري

المطلب الثالث – أثر حفظ العقل في تحقيق الأمن الفكري

المطلب الرابع – أثر حفظ المال في تحقيق الأمن الفكري

المطلب الخامس – أثر حفظ النسل والعرض في تحقيق الأمن الفكري

أهداف البحث

إبراز منزلة صحيح الإمام البخاري رحمه الله، وكتاب الأدب في الصحيح، واستخراج بعض كنوز.

توضيـح علاقـة صحيـح الإمام البخـاري رحمـه الله بالأمن الفكـري، من خـلال التراجم والأحاديث التي أوردها الإمام البخاري.

بيان العلاقة بين الضرورات الخمس والأمن الفكري من خلال كتاب الأدب في صحيح الإمام البخاري رحمه الله.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وبالنظر والتأمل في التراجم والأحاديث التي أوردها الإمام البخاري في الجامع الصحيح، لبيان معالم الأمن الفكري من خلال الضرورات الخمس.

حدود البحث

يناقش هذا البحث موضوع الضرورات الخمس وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، من خلال النظر في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وسوف يركز هذا البحث على أحد كتب الصحيح، وهو كتاب الأدب.

وقد «اشتمل كتاب الأدب على مائة وثمانية وعشرين باباً، فيها ما لا يقل عن مائتين وستة وخمسين حديثاً مرفوعاً، وفيه أحد عشر أثراً عن الصحابة فمن بعدهم»[(١)]. ويمكن أن يعد كتاب الأدب نموذجاً لما ورد في الصحيح عن معالم الأمن الفكري، وإظهاراً لبعض محدداته ومهدداته. ويتعلق هذا البحث بالمحور الموسوم ب: (تأصيل محددات الأمن الفكري، ومهددات الأمن الفكري) .

المبحث الأول

الضرورات الخمس وتحقيق الأمن الفكري

الأمن الفكري هو الأساس للأمن الشامل في المجتمعات، وله تأثير مباشر على الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن النفسي وغيرها من أنواع الأمن.

وتتحقق ضرورة الأمن الفكري للمسلمين بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة في ظل احتراب الثقافات وتباين الأفكار، وانتشار الغزو الأيديولوجي عبر الفضاء والشبكة العنكبوتية، ومن خلال التواصل المعلوماتي في وسائل الاتصال المعاصرة.

المحافظة على الضرورات الخمس تنشئ القلب العامر بالإيمان، المتصل بخالقه على الدوام، المتنعم صاحبه ظاهراً وباطناً، البعيد عن القلق والحيرة والشكوك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)].

وبالمحافظة على الضرورات الخمس يتحقق الأمن الفكري، الذي يثبت منظومة القيم

(١) فتح الباري، ج١٠ ص٧٥٠.

(٢) الأنعام: ٨٢.

والمبادئ الأصيلة، ويحدد الهوية والانتماء في ظل تداخل القيم والحضارات، ويولد التجانس الفكري المنبثق عن منبع الشريعة، ويوثق الصلة والتواد بين أفراد المجتمع، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1].

الأمن الفكري ينشئ الأجيال على الوسطية والاعتدال، ويربيهم على الاعتزاز بالدين والافتخار بالقيم والمبادئ والموروثات الدينية، وإشهادها للناس، بل والسعي لنشرها في العالم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

والأمن الفكري مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالضرورات الخمس، وذلك لأن مراعاة حفظها، يؤثر إيجابياً على السلوك الذي يمارسه الفرد، ويوجه علاقاته وارتباطاته المختلفة، مع مختلف الناس وفي مختلف المجالات، وبمراعاتها فلن يكون هناك اعتداء على الأرواح، ولا نهب للممتلكات والأموال، ولا إفساد للأعراض، ولا تهور في الخروج على الأمراء المحكمين للكتاب والسنة.

إن من كان دينه قويماً، فإنه سيكون سوياً في تصرفاته، منضبطاً في أفعاله وأقواله، مراقباً لله في كتاباته وتغريداته، ويسلم بإذن الله من الوقوع في المشكلات النفسية، والأزمات الحياتية، وإذا كانت حياة الأفراد مستقرة وآمنة، فإن ذلك سيظهر على المجتمع ككل، ويتفرغ الجميع للنهضة والبناء، وتنجح المؤسسات والإدارات في أداء وظائفها ومهامها المنوطة بها، ويحصل التقدم الحضاري المادي.

ولذلك فإن على الدول والمؤسسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني، القيام بدورهم في تعزيز الضرورات الخمس وتثبيتها، من أجل تكوين الأمن الفكري وإرساء دعائمه، والمحافظة عليه، وحمايته من محاولات الاختراق والتعدي.

المطلب الأول: الآثار السلبية لانتهاك الضرورات الخمس على الأمن الفكري

إذا فقدت العناية بالضرورات الخمس، أدى ذلك إلى غياب الأمن الفكري واختلاله، ونشوء المشكلات المجتمعية، التي تكلف الدول والمؤسسات الأمنية شيئاً كثيراً، وتظهر لذلك آثار سلبية، ومنها:

أ – ضياع الدين أي التدين من قلوب المكلفين، وانتهاك حرمة الدين: إن غياب الأمن الفكري

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) البقرة:١٤٣.

يهدد الأمة في دينها وعقيدتها، ويؤدي إلى اختلال الأمن الوطني والأمن المجتمعي، ويعرض الأمة للتفرق والتشرذم، ويجعلها شيعاً وأحزاباً متنافرة، وقد تتغذي نزعة السوء للجماعات المعارضة لقيم المجتمع وتراثه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾[١]، قال ابن سعدي: «يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكلٌّ أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأُمة».[٢]

ب – ضياع وانتهاك حرمة النفس: إذا لم تُحفظ الضرورات الخمس، سيهتز الأمن الفكري في نفوس الأجيال، وتحدث التصدعات والانشقاقات في المجتمعات، وتتولد الفئات المتخاصمة والتيارات المتصارعة، وتنشأ الفرق والأحزاب، التي قد تتحارب فيما بينها وتزهق الأنفس والأرواح، فلا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا يدري المقتول لم قُتل.

ج- ضياع المال: إن عدم الالتزام بالضرورات الخمس يؤدي إلى الاضطراب في الفهم الصحيح للدين، والتنازل عن أركانه وثوابته، وضعف التمسك به، والعمل بالفكر الضال المخالف لفكر الأمة، وينتشر الفساد بجميع أنواعه في المجتمعات، وتميل النفوس للحياة وزخارفها، وتنشغل بالمال جمعاً وصرفاً، وقد يحدث الفساد المالي، وتنتشر صور المخالفات الشرعية المتعلقة بالمال، وتعم مظاهر أكل أموال الناس بالباطل، كالربا، والسرقة، والرشوة، والابتزاز، والغصب، والاختلاس، وأكل أموال اليتامى والمستضعفين في المجتمع.

د- انتهاك الأعراض: غياب الأمن الفكري يتيح المجال للأهواء والانحرافات، فتسري في جسد الأمة، وتؤدي إلى التطرف والغلو المذموم شرعاً وعقلاً، ويدفع المجتمع إلى التفسخ والتخلي عن المبادئ المجتمعية، ويظهر التعري والانحلال، الذي يؤدي إلى مقدمات الفواحش كالزنا واللواط، وانتشارها في المجتمع، وتسود القيم الوافدة التي تضعف دور الوالدين، وتلغي دور العائلة والأقارب، والتمادي في ذلك مآله إلى الذوبان وضياع الهوية، وضعف دور الأسرة والروابط الاجتماعية.

هـ- ضياع العقول: إن عدم الارتباط بمفاهيم الدين الصحيحة، يولد الانحراف الفكري

(١) الأنعام: ١٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٤٧.

والشطحات العقلية، المؤدية للسلوكيات الخاطئة، كما أن القراءة التجزيئية أو الانتقائية للنصوص، واختيار ما يوافق الواقع ويهواه الناس، يهدد ضرورة العقل، ويؤدي ذلك كله إلى:

- الجهل وقصور الفهم، وانتشار الأباطيل والتأويلات الخاطئة للنصوص، وتحكيم الأهواء والأذواق والآراء، والميل للتفسير العصري للنصوص، وتغيير مضامينها ومفاهيمها المحددة في الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، والاعتداد بالآراء والأفكار، وعدم الرجوع لأهل العلم الربانيين.

- اعتبار العقل الجمعي وما عليه الناس، وما ينتشر بينهم من الأفكار، والأخذ بها، ولو كانت مخالفةً للشرع والهدي النبوي، لأن الانفتاح الثقافي غير المنضبط بالضرورات الخمس، يسلب من الأمة منظومتها الثقافية وتراثها الديني، فيستعبدها عدوها، ويلقي بها في عالم الضياع والتيه، فيستذلها ويحرمها من السعادة والهناء، فلا تهتدي إلى الطريق الصحيح، ولا تطمئن في مسيرتها الحضارية، وتفقد الهمة للارتقاء والرفعة.

- الانحراف العقلي، يجعل الأفراد يعيشون لأهداف تافهة أو مفضولة، فيكون ضياع الأوقات والتفريط في الساعات، والانشغال بالتوافه والملهيات، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ٢٦﴾[1].

- انتشار الأفكار المنحرفة، وجريمة الإلحاد، والاعتراض على أحكام الشرع، ومظاهر الخنا والفجور، عبر الروايات المشبوهة، والأفلام الفاسدة، والتغريدات المحرمة، والرسائل الموجهة في برامج التواصل الاجتماعي، وقنوات الفضاء الماجنة.

المطلب الثاني: وسائل تعزيز الأمن الفكري في الأمة:

تضمين الثقافة الإسلامية في الخطاب الديني والمناهج الدراسية والقرارات المصيرية، ونشر الفكر الإسلامي الوسطي من خلال البرامج الإعلامية الموجهة لعموم الأمة، وللشباب خاصة.

تفعيل دور العلماء والمثقفين في مختلف المجالات للقيام بدورهم في الإصلاح والبناء الحضاري للأمة، وإعطاء العلماء الشرعيين والدعاة والخطباء مكانتهم في المجتمع لتعزيز وتثبيت المفاهيم الدينية، وتوضيح الفهم الصحيح لمعاني الكتاب والسنة، وصيانة فكر الأمة من

(١) سوة ص: الآية: ٢٦.

الانحرافات والاختلالات، وتصحيح الأخطاء والنهي عن المخالفات.

حماية الأجيال من التلوث الفكري، فما يصادم عقيدة الأمة وأخلاقها ينبغي أن تقفل أمامه المنافذ والطرق، وحث الشباب على التحلي بالقيم والآداب الفاضلة، وفق منظومة القيم الثقافية الخاصة بالأمة، وعدم الانبهار بالآخر وما يبثه من أفكار وقيم.

– إرشاد الشباب والفتيان، والقرب منهم، وتكثيف البرامج التوجيهية الخاصة بهم، وإزالة الإشكالات من أذهانهم، والرد على الشبهات، وإعطاء الأولوية في العناية بالطلاب والطالبات في مقاعد التعليم العام والتعليم الجامعي.

– تقوية الانتماء الحضاري في جميع ما يقدم للأمة من برامج ومشاريع، واعتماد الكتب والمؤلفات الموثوقة البعيدة عن الأفكار الهدامة والتوجهات الدخيلة، المخالفة لشرع الأمة والعناية خصوصاً باللغة العربية لغة القرآن، وتنويع الفعاليات المعززة لوجودها في المؤسسات العامة والخاصة.

المبحث الثاني

الأمن الفكري والضرورات الخمس في الجامع الصحيح للبخاري

عند التأمل والاستنباط، يتضح – لدارسي الجامع الصحيح- اشتماله على الكثير من الأحاديث التي تؤكد على أن الأمن الفكري وتعزيزه في الأمة، ينطلق من المحافظة على الضرورات الخمس، وأنه باختلال هذه الضرورات يختل الفكر وتنحرف المفاهيم، ويؤدي ذلك إلى حدوث المصائب والمشكلات.

ومن خلال النظر في الأحاديث وتراجم الأبواب التي أوردها البخاري في الجامع الصحيح، تظهر بجلاء ما يمكن أن يستدل به على عناية الشريعة بحفظ الضرورات الخمس، ومنها تتبين معالم الأمن الفكري ومحدداته ومهدداته، وفيما يلي بعض الأمثلة والنماذج:

المطلب الأول - الأمن الفكري في حفظ الدين من صحيح البخاري

فيما يلي إشارة لبعض الأحاديث التي ذكرت في موضوع حفظ الدين:

أ – كتاب الإيمان، وفي باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، أورد البخاري قوله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٨، في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس.

ففـي هذا الحديث ذُكرت أركان الإسلام العظام ومبانيه الأساس، والتي عليها عماد الدين، ولذلـك بـدأ البخاري كتابه ببيانه، قال الكرماني: «أعلم أن البخاري لم يسبقه أحد في مثل ترتيب هـذا الكتـاب ومحاسنـه كثيرة منها أنه بـدأ بعد مقدمة الكتـاب في شأن بدء الوحـي بذكر كتاب الإيمـان، ثم بكتـاب الصلاة بسوابقها من الطهـارة وغيرها، ثم بكتاب الزكاة ومـا يتعلق بها، ثم بكتـاب الحـج وأبوابه، ثـم بكتاب الصيام، قاصـداً الاعتناء بالترتيب الذي رتبـه رسول الله صلى الله عليـه وسلم في هذا الحديـث الذي فيه بيان قواعد الديـن وأركان الإسلام. فإن قلت فما سر التقديـم في الحديث: قلت قدم الإيمـان لأنه ملاك الأمر كله وأصله إذ الباقي مبني عليه مشروط بـه وبه النجاة في الداريـن، ثم الصلاة لأنها عماد الدين، وبين العبـد وبين الكفر ترك الصلاة، ويقتـل تاركهـا على الأصح، ولشدة الحاجـة إليها لتكررها كل يوم خمس مـرات، ثم الزكاة لكونها قرينة الصلاة في أكثر من المواضع، أو لأنها قنطرة الإسلام، أو لاعتناء الشارع بها، لذكرها أكثر مـن غيرها مـن الصوم والحج في الكتاب والسنة، أو لشمولها المكلـف وغيره كما هو مذهب أكثر العلماء، ثم الحج»[1].

ب – كتـاب العلـم، وفي باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، أورد البخاري قوله ﷺ: (مـن يرد الله به خيراً يفقهه في الديـن)[2]. قال ابن بطال: «فيه فضل العلماء على سائر الناس. وفيـه فضل الفقه في الدين علـى سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه»[3].

والعلـم الشرعي الذي جـاءت النصوص بالحث عليـه، والحث على تعلمـه وتعليمه، مما يعصم دين المرء من الوقوع في الشرك صغيره وكبيره، ويده على العبادات والأخلاق التي بها يتم إسلام المرء ويحسن.

ج – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وفي باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، أورد البخاري حديـث «(كل أمتـي يدخلون الجنة إلا من أبى)، قالوا: يا رسول الله: ومن يأبى؟ قل: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)»[4].

طاعة الرسول هي الإيمان والعمل بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الوحي، وبما دل عليه الأمة من الشرع، من آيات القرآن والسنة المطهرة، والتمسك بهما يقي من الانحراف عن المنهج

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج١ ص ٦٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم٧١، في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج١ ص١٥٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم ٧٢٨٠، في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بـإذن الله. قـال المظهري: «قوله: «إلا مَن أَبَى»؛ أي: امتَنع عن قَبـول الشرع أو عن العمل بالشرع، فمَن امتنعَ عن قَبول الشرع جاحدًا واستخفافًا للشرع فهو كافرٌ لا يدخل الجنةَ، ومَن ترك شيئًا من الشـرع غيرَ جاحـد، بل من الكسل فهو مسلمٌ مُذنِبٌ وهو يدخل الجنـةَ؛ إلا أنه يدخل الجنةَ بعد أن يعذَّبَ بقَدْر ذَنْبه، أو قبل أن عُذب»[1].

د- كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، قال ﷺ: (فأقول: يـا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[2]،

التوحيـد هو إفراد الله بالعبادة، وتصديق القلب، والإذعان للخالق سبحانه، قال ابن حجر: «وَفي حَديث أَبي بَكْر أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحمينَ أَدْخلُوا جَنَّتي مَنْ كَانَ لَا يُشْركُ بي شَيْئًا، قَالَ الطِّيبيُّ هَذَا يُـؤْذنُ بـأَنَّ كُلَّ مَا قُدِّرَ قَبْلَ ذَلكَ بمقْدَار شَعيرَة ثُمَّ حَبَّة ثُمَّ خَرْدَلَة ثُمَّ ذَرَّة غَيْرُ الْإِيمَانِ الَّذي يُعَبَّرُ به عَنِ التَّصْديقِ وَالْإِقْرَارِ، بَلْ هُوَ مَا يُوجَدُ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ منْ ثَمَرَة الْإِيمَانِ»[3].

هـ- كتـاب الاعتصام، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، عَـنْ عكْرِمَةَ، قَالَ: أُتيَ عَليٌّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، بزَنَادقَة فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلكَ ابْنَ عَبَّاس، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لنَهْي رَسُولِ اللَّه ﷺ: (لاَ تُعَذِّبُوا بعَذَاب اللَّه) وَلَقَتَلْتُهُمْ، لقَوْلِ رَسُولِ اللَّه ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دينَهُ فَاقْتُلوهُ)[4]، قال العينـي: «هَـذَا يدل علـى أَن كل من بدل دينه يقتل وَلَا يحـرق بالنار، وَبه احْتج ابْـن الْمَاجشون أَن الْمُرْتَد يقتل وَلَا يُسْتَتَاب، وَجُمْهُور الْفُقَهَاء على استتابته، فَإِن تَابَ قبلت تَوْبَته»[5].

والمرتد هو من كفر بعد إسلامه، بأن يشرك بالله أو ينكر ربوبيته، أو يجحد نبياً مرسلاً، أو كتابـاً منـزلاً، أو يسب الله ورسوله والدين. والمرتد أيضـاً من يجحد وجوب العبادات كالصلاة والـزكاة، أو يحـل شيئاً مما حرمـه الله كالزنا والربا والخمر وغيرها. والأمـن الفكري يقتضي أن يحـاط هـذا الحكم بسياج متين من العلم والفقه، فلا بد من التثبت قبل إصدار الأحكام، ولا يكون إلا إذا وُجـدت الشـروط وانتفـت الموانع، مع ضرورة الرجـوع إلى أهل العلـم الربانيين والمفتين المؤصلين، والاستفادة من المجامع الفقهية المعتمدة على الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح.

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح، ج١ ص٢٤٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم٧٥١٠، في كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

(٣) فتح الباري، ج١١ص٤٥٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٩٢٢، في كتاب الاعتصام، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١٤ص٢٦٤.

المطلب الثاني - الأمن الفكري في حفظ النفس من صحيح البخاري

فيما يلي إشارة لبعض الأحاديث التي ذكرت في موضوع حفظ النفس:

أ ــــ كتاب الخصومات، وفي باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[1]، وهذا الحديث: «مطابقته للتَّرْجَمَة فِي قَوْله: (لَا تختلفوا) إِلَى آخِره، لِأَن الِاخْتِلَاف الَّذِي يُورث الْهَلَاك هُوَ أَشد الْخُصُومَة»[2]. والخلاف شر، والاختلاف قد يؤدي إلى الخصومات والنزاعات، التي مآلها إيغار الصدور وهلاك النفوس.

ب – كتاب المظالم، وفي باب الظلم ظلمات يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: (الظلم ظلمات يوم القيامة)[3]، «قال القاضي عياض: هو على ظاهره، فيكون ظلمات على صاحبه فلا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا، فربما وقعت قدمه في ظلمة ظُلمِهِ، فهوت في حفرة من حفر النار»[4]، فالظلم يضر بالنفس ويودي بصاحبها إلى المهالك في الدنيا والخسار في الآخرة، والظلم يحمل على سفك الدماء واستحلال المحارم، فتؤدي إلى إيقاع العقوبة على الأبدان، وتنفيذ أحكام القصاص.

ج – كتاب الطب، وفي باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفا، قال صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء)[5]، وحفظ النفس من الأمراض والأدواء، وجلب الشفاء – بإذن الله – باستخدام الطب، و«(الطب) علاج الأمراض، ومداره على ثلاثة أشياء: حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة»[6].

والإنسان قد تعتريه أمراض حسية ونفسية، فتؤثر على بدنه، فيحتاج إلى العلاج ليحافظ على نفسه وسلامتها وراحتها، يقول حمزة قاسم: «إلاّ أنزل له شفاء، أي إلاّ خلق له دواء يشفيه بإذن الله تعالى، والمعنى أن الله تعالى لم يوجد مرضاً من الأمراض الجسمية أو النفسية إلاّ أوجد له دواء يشفيه ويزيله إذا صادفه، وأعطي المريض القدر المناسب في الوقت»[7].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم٢٤١٠، في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢ ص٢٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٢٤٤٧، في كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة.

(٤) منار القاري شرح صحيح البخاري، ج٣ ص٣٦٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٦٧٨، في كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.

(٦) التوشيح شرح الجامع الصحيح، ج٨ ص٣٥٠٨.

(٧) منار القاري، ج٥ ص٢١١.

د – كتاب الديات، وفي باب قول الله تعالى: ﴿إن النفس بالنفس والعين بالعين﴾، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)»[1]، فمن فارق الجماعة، فقد ترك الدين، ومن ترك الدين يقام عليه الحد الشرعي، و»(التارك للجماعة) فائدته بعد قوله: (المفارقُ لدينه): الإشعارُ بأن الدِّين المعتبر هو ما عليه الجماعة، والقتل بترك الصلاة؛ كما يقوله الشافعي، إنما هو لأن تارك الصلاة تارك للدِّين الذي هو الإسلام؛ أي: الأعمال، أما الزكاة فلا يُقتل مانعُها؛ بل يأخذُها الإمامُ قهرًا، والممتنعُ من الصيام يُحبس، ويُمنع الطعامَ والشراب»[2].

هـ- كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»[3]، قال ابن عثيمين: «ظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض، سواء علم أم لم يعلم، وذلك كأن المظالم إما أن تكون بالنفس، أو بالمال، أو بالعرض؛...، فإن كانت بالنفس مثل أن يكون قد جني عليه، أو ضربه حتى جرحه، أو قطع عضواً من أعضائه، أو قتل له قتيلاً، فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق من القصاص، أو من بذل الدية إذا لم يكن القصاص»[4].

المطلب الثالث - الأمن الفكري في حفظ المال من صحيح البخاري

فيما يلي إشارة لبعض الأحاديث التي ذكرت في موضوع حفظ المال:

أ-كتاب الفرائض، وفي باب ميراث الولد من أبيه وأمه، قال صلى الله عليه وسلم: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر)[5]، «يعني: يقدَّم نصيب صاحب الفرض على نصيب العصبة، فإذا أُعطي صاحب الفرض فرضَه، فما بقي من سهام أصحاب الفروض دفع إلى أولى رجلٍ؛ أي: أقرب»[6]. فمن طرق الحصول على المال، انتقاله من الأموات إلى الأحياء،

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم١١٨٥، في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿إن النفس بالنفس﴾.

(٢) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، ج١٦ ص ٣٧٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٦٥٢، في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

(٤) شرح رياض الصالحين، ج٢ ص٥٠٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٧٣٢، في كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه.

(٦) المفاتيح في شرح المصابيح، ج٣ ص٥٣١.

ويحصل بعض الأقارب المحددين شرعاً، على جزء من ذلك المال، وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

ب- كتـاب الإجـارة، وفـي باب رعي الغنـم على قراريط، قـال صلى الله عليـه وسلم: «(ما بعـث الله نبياً إلا رعـى الغنم) فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم كنـت أرعاها على قراريط لأهل مكـة)»[1]، «يعني كل شاة بقيراط يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم»[2]، فالرعي من الأعمال المهنية المباحة التي يُتكسب بها المال، وقد مارسها أنبياء الله ورسله، ومارسها خير الخلق محمد بن عبدالله ﷺ.

ج- كتـاب الاستقراض، وفـي باب من أخذ أمـوال الناس يريد أداءها، قـال صلى الله عليه وسلم: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها، أتلفه الله)[3]،

فلا بأس أن يقترض المسلم من أخيه مالاً، ينتفع به في متاجرة أو أداء حقوق، ولكن بشرط أن يرجعـه لصاحبـه في الوقت المحدد بينهمـا، ولا يماطل وهو قادر، ولا تكـن نيته التأجيل بدون حاجة، أو عدم السداد، فإن ذلك يعود وبالاً عليه، والمقصود أن «مَن استقرضَ قرضًا عن احتياج، وهو يقصد أن يؤدِّيَه، ويجتهد ويُبالغ في طلب شيءٍ يؤدِّي به ذلك القرضَ أعانه الله على أدائه، وإن لـم يتيسـر له ما يؤدِّي ذلك الدَّينَ حتى يموتَ، المَرجوُّ مـن الله الكريم أن يُرضيَ خصمَه بفضله. ومَـن استقرضـ لا عن ضرورةٍ، ولكـن ليس له قصدُ أدائه؛ لم يُعِنْه في أدائـه، ولم يُوسِّع رزقَه، بل يَتلَفُ مالُه؛ لأنه قصدَ إتلافِ مالٍ مسلمٍ من غيرِ قصدِ ردِّ عِوَضٍ»[4].

د- كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت النبي صلـى الله عليـه وسلم يقول: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[5]، قال العيني: « مطابقته للتَّرْجَمَة فِي الشّطْر الأول مِنْهُ لِأَنَّهُ يدل على التَّرْغِيب فِي إِنْفَاق المَال فِي حَقه»[6].

وفـي الحديث بيـان التنافس في بذل المال فـي أوجه الخير، كما أن فيـه التوجيه إلى عدم الإسراف، قال القسطلاني: «(في الحق) أخرج التبذير الذي هو صرف المال فيما لا ينبغي»[7].

هـ- كتاب التفسير، باب (وأحل الله البيـع وحرم الربا)، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم٢١٣٨، في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط.

(٢) شرح القسطلاني، ج٤ ص١٢٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٢٣٨٧، في كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها.

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح، ج٣ ص٤٦٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٣٤٣، في كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه.

(٦) عمدة القاري، ج٨ ص٣٦٦.

(٧) شرح القسطلاني، ج٣ ص١٤.

«لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا، قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر»[1]، والآيات المشار إليها في الحديث هي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم)[2]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين×فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون﴾[3].

ففي الآيات السابقة التحذير من الربا، وبيان لبعض آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة، فال العيني: «وَلما ذكر الله تَعَالَى قبل هَذِه الْآيَة الْأَبْرَار المؤدين النَّفَقَات المخرجين الزكوات، شرع فِي ذكر أَكلَة الرِّبَا وأموال النَّاس بِالْبَاطِلِ وأنواع الشُّبُهَات ووصفهم بِمَا وَصفهم فِي الْآيَة الْكَرِيمَة. وَلما قَالُوا: (إِنَّمَا البيع مثل الرِّبَا) أنكر الله عَلَيْهِم تسويتهم بَين البيع والربا فَقَالَ: ﴿وَأحل الله البيع وَحرم الرِّبَا﴾»[4].

المطلب الرابع - الأمن الفكري في حفظ العقل من صحيح البخاري

فيما يلي إشارة لبعض الأحاديث التي ذكرت في موضوع حفظ العقل:

أ- كتاب الفتن، وفي باب تكون فتن القاعد فيها خير من القائم، قال ﷺ: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تَسْتَشرفه، ومن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليَعُذ به)[5]، «من تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْهُ، يعني: مَنْ قَرُبَ من تلك الفتن، ونظرَ إليها، نظرَتْ إليه الفتنُ؛ يعني: مَنْ قَرُبَ منها تَجره إلى نفسها؛ يعني: الخلاص في التباعد منها، والهلاك في مقاربتها»[6]، فالفتن المدلهمة والأحداث المُشكلة مما يحير العقول، ويذهب بالألباب، ويحتاج فيها الفرد أن يحكم عقله، ويحتاط لدينه، وقد يستشير أهل العلم والخبرة، وهذا من كمال العقل.

(١) رواه البخاري في صحيحيه برقم ٤٥٤٠، في كتاب التفسير، باب (وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة٢٧٥.

(٢) البقرة:٢٧٥-٢٧٦.

(٣) القرة:٢٧٨-٢٧٩.

(٤) عمدة القاري، ج١٨ ص١٣١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم٣٦٠١، في كتاب الفتن، باب تكون فتن القاعد فيها خير من القائم.

(٦) المفاتيح في شرح المصابيح ،ج٥ ص٣٥٢.

ب – كتــاب الرقــاق، وفــي باب مــن بلغ ستين سنة فقــد أعذر الله إليه، قــال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل)[١]، قال ابن حجر: «وَفِي الْأَمَـلِ سِرٌّ لَطِيـفٌ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّى أَحَدٌ بِعَيْشٍ وَلَا طَابَتْ نَفْسُــهُ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ مِنْهُ الِاسْتِرْسَالُ فِيهِ وَعَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ فَمَنْ سلم من ذَلِك لم يُكَلف بإزالته»[٢].

ومــن قلــة العقل وفساد الــرأي، التكاسل عن الطاعــة، والتسويف بالتوبة، أمــا إذا كان عقل الكبير سالماً من الآفات والانحرافات والملوثات الفكرية، وفقه الله للاستعداد للرحيل وحسن لقاء مولاه، ولم يتكاسل عن الطاعة، ولم يسوف بالتوبة، ولم يمنعه ذلك أيضاً من التمتع بزهرة الحياة الدنيا، والجد والاجتهاد في أعمال الخير.

ج – كتاب التعبير، وفي باب المبشرات، قال ﷺ: «(لم يبق من النبوة إلا المبشرات)، قالوا: ومــا المبشــرات؟ قال: (الرؤيا الصالحة)»[٣]، «(الرؤيا الصالحــة) أي يراها الشخص أو ترى له والتعبيــر بالمبشــرات خرج مخرج الغالب، وإلا فمن الرؤيا مــا تكون منذرة وهي صادقة يريها الله تعالــى لعبده المؤمن لطفًا به فيستعد لما يقــع قبل وقوعه»[٤]، أي أن صاحب العقل السليم يستفيد مــن هــذه الرؤى، بالإقدام أو الإحجام، وبالفرح بها إن كانت ممــا يسر، وبإخفائها وعدم إذاعتها، إن كان فيها ما يسوء.

د – عَــنْ عَائِشَــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَــا، قَالَتْ: (لَمَّا نَزَلَتِ الآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُــورَةِ البَقَرَةِ فِي الرِّبَا، قَرَأَهَــا رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ عَلَــى النَّاسِ ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَــارَةَ فِي الخَمْرِ)[٥]، ولما فــي الخمر من أضرار صحيــة من إذهــاب العقل وتغييب الوعي، تجعــل الفرد يتصرف كالذين ليــس عندهم عقول أو لا يفقهــون، جاء التحريم بتعاطيها، وتداولها وبيعها والتجارة فيهــا. وشارب الخمر يشبه آكل الربا، مــن حيث أن آكل الربــا لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان مــن المس، يقول ابن سعدي: «أنــه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي عنهم»[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٤٢٠، في كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه.

(٢) فتح الباري، ج١ ص٢٣٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٩٩٠، في كتاب التعبير، باب المبشرات.

(٤) شرح القسطلاني، ج١٠ ص١٢٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم١٩٧٨، في كتاب البيوع ، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص١١٦.

المطلب الخامس - الأمن الفكري في حفظ النسل والعرض من صحيح البخاري

فيما يلي إشارة لبعض الأحاديث التي ذكرت في موضوع حفظ النسل والعرض:

أ – كتاب الإيمان، وفي باب كفران العشير وكفر دون كفر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً منك قط)»[1]، وفي الحديث إشارة إلى العلاقة الزوجية، وما ينبغي للرجل من معرفة طبيعة الزوجات، كي يحسن التعامل معهن بما أوجد الله فيهن من الطبائع والأخلاق، من أجل مراعاتهن، والصبر عليهن، تحقيقاً لغاية الحفاظ على رباط الزوجية، كما أن فيها توجيها للنساء بحسن المعاشرة، وإسداء الشكر لمن قدم الجميل، و«العشير بمعنى معاشر وهو الزوج، قيل له: عشير لأنه يعاشر المرأة وتعاشره...، والمعنى: باب إنكار المرأة وجحدها إحسان زوجها إليها. وخص هذا الذنب بالذكر دون غيره من الذنوب وأطلق عليه الكفر لرقيقة بديعة. وهي قوله صلى الله عليه وسلم: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[2]، وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلاً على تناولها بحق الله تعالى. فلذلك أطلق عليها الكفر، لكنه كفر نعمة لا يخرج عن الملة»[3].

ب – كتاب الوضوء، وفي باب خروج النساء إلى البَرَاز، عن عائشة رضي الله عنها «أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً من الليالي عشاءً، وكانت امرة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله عز وجل الحجاب»[4]. و«البَراز: الفضاء الواسع من الأرض، ويكنى به عن قضاء الحاجة»[5]، فخروجهن رضي الله عنهن إلى أماكن بعيدة عن المنازل، وفي الصحراء في ظلمة الليل، حيث لا يُرين، علامةٌ على حيائهن وعفافهن، وحرصهن على ألا يُعرفن.

واقتراح عمر رضي الله عنه بأن يتحجب نساء النبي ﷺ، مبالغةً في سترهن، وألا يراهنّ

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم٢٩، في كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم١٨٢٥، وصححه الألباني.

(٣) شرح البخاري للسفيري، ج٢ص٢٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم١٤٦، في كتاب الوضوء، باب خروج النساء إلى البَراز.

(٥) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، ج١ ص٤٢٢.

الرجال، «وقوله: احجب نساءك، أي: امنعهن من الخروج من بيوتهن، بدليل أن عمر بعد نزول آية الحجاب قال لسودة ما قال كما سيأتي قريبًا، ويُحتمل أن يكون أراد أولًا الأمر بستر وجوههن، فلما وقع الأمر بوفق ما أراد أحب أيضًا أن يَحْجُبَ أشخاصهُنَّ مبالغة في التستر، فلم يُجَبْ لأجل الضرورة،...، وعلى هذا فقد كان لهنَّ في التستر عند قضاء الحاجة حالات أوَّلها بالظلمة، لأنهن كن يخرجن بالليل دون النهار»[١].

ج – كتاب الاعتكاف، وفي باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، عن صفية زوج النبي ﷺ ورضي عنها أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام معها النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: (على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي)، فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكَبُر عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)[٢].

فقد بين صلى الله عليه وسلم ما قد يدور في خلدهما من شك في رسول الله ﷺ، فقال لهما على رسلكما، أي: «امشيا على هينتكما، قالا: سبحان الله، أي: تنزه الله عن أن يكون رسوله متهمًا بما لا ينبغي»[٣]، فالنبي ﷺ دافع عن عرضه، وبين لصاحبيه أن المرأة التي كانت معه هي زوجته، وليست امرأة غريبة، وذلك دفعاً للوساوس الشيطانية والأفكار الوهمية، التي قد تجعلهما يظنان سوءاً أو ريبة.

د – في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله، قال ﷺ: (أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[٤]، قال العيني: «معنى غيرَة الله تَعَالَى في الزجر عَن الْفَوَاحِش وَالتَّحْرِيم لَهَا وَالْمَنْع منْهَا، لِأَن الغيور هُوَ الَّذي يزْجر عَمَّا يغار عَلَيْه، وَقد بَين ذَلِك بقوله صلى الله عَلَيْه وَسلم: وَمن غيرته حرم الْفَوَاحِش، أَي: زجر عَنْهَا وَمنع منْهَا»[٥]. ولا ريب أن الغيرة حاجز منيع للحفاظ على الأعراض، والغيور لا يرضى الفاحشة في أهله، بل ولا يرضاها للمسلمات في أي مكان.

---

(١) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج٤ ص٢٦٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم٢٠٣٥، في كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد.

(٣) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦ ص٢١٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم٧٤١٦ في كتاب التوحيد، باب لا شخص أغير من الله.

(٥) عمدة القاري، ج٢٠ ص٢٠٥.

هـ – فـي كتاب الحدود، باب رجم المحضن، عن جابر بن عبد الله الأنصاري «أن رجلا من أسلـم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه أنه قد زنى فشهد على نفسه أربع شهادات فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم وكان قد أحصن»[1]، ومن وقع فيما حرم الله فيقام عليه الحـد الغليـظ، يقول حمزة قاسم: «فقه الحديـث: دل هذا الحديث على ما يأتـي: أولاً: مشروعية رجم الزاني إذا كان محصناً أي متزوجاً قد دخل على زوجته وجامعها بنكاح صحيح، أما إذا عقد عليهـا، ولـم يدخل بهـا، فإنه يكون غير محصن، ويجـب عليه الحد لا الرَّجم. وفيـه دليل على أنه يرجم فقط، ولا يجلد، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – اكتفي برجمه، وهو مذهب الجمهور»[2].

المبحث الثالث

أثر حفظ الضرورات الخمس في تحقيق الأمن الفكري

في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري

فـي كتـاب الجامع الصحيـح تقعيد للضـرورات الخمس التـي هي مؤكـدات للأمن الفكري المنشـود، والتحذير من مهدداتـه. وانطلاقاً من كتاب الأدب، نبين الأحاديث التي تدل على عناية الشريعة بحفظ الضرورات الخمس، ودفع كل ما يمكن أن ينتهك حرماتها.

المطلب الأول - أثر حفظ الدين في تحقيق الأمن الفكري

إن مـن أهـم مقومات الأمن الفكري، العمل بالدين القويـم، الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى، عن طريق نبيه الأمين محمد بن عبدالله ﷺ.

والفـرد مكلـف بإقامة الدين في نفسه أولا، ثم في من هم تحت رعايته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[3].

ويكون حفظ الدين بإقامة الشرائع وأداء العبادات، أي العمل به وتطبيقه في الحياة، والدعوة إليه، والتحاكم إليه، واتباع الرسول المبلغ له، ورفع علم الجهاد لإعلاء كلمته بكل الوسائل الممكنة، وعدم قبول ما يضاده أو يخالفه.

ومـن العمـل بالدين مراعاة الحلال والحـرام، والأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، ونشر الخيـرات وقمع المنكـرات، وفي كتاب الأدب أورد البخاري باب قـول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٨١٤، في كتاب الحدود، باب رجم المحصن.

(٢) منار القاري، ج٥ ص٣٣٦.

(٣) التحريم: ٦.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[1]، وهذه الآية شاملة جامعة لما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم لحفظ دينه ودنياه، قال ابن سعدي: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفـي حـق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقـوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال مـا عليه تحت ولايتـه سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولايـة القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعـدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل فـي المعامـلات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفـع النـاس بالمال والبـدن والعلم، وغير ذلك من أنـواع النفع حتى إنه يدخل فيـه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره»[2].

ومـن حفظ الدين اتباع النبي ﷺ، والائتمار بأمره، والانتهاء عن زجره، وقد أشير إلى ذلك في باب علامة الحب في الله، وفيه قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[3]، وحديث (المرء مع من أحب)[4]، قال ابن سعـدي: «فدل أن متابعتـه دليل حب الله، والناس في المتابعة متفاوتـون، وعلى قدر ذلك التفاوت درجاتهم في الجنة»[5].

المطلب الثاني - أثر حفظ النفس في تحقيق الأمن الفكري

النفـس الإنسانيـة لها عصمتها فـي الإسلام، فلا يجـوز الإضرار بها في قليـل أو كثير، ولا يجـوز الاعتـداء عليها، واعتداء الفرد على نفسه التي بين جنبيـه كاعتدائه على غيره، قال تعالى: (ولا تقتلـوا أنفسكم)، ومـن حفظ النفس تنفيذ الحدود، و معاقبة الجناة القتلة، وإقامة البينة في القصاص، ويتم ذلك عن طريق الحاكم أو من ينيبه، حتى لا تحدث الفوضى والاضطراب.

ومـن حفظ النفس تجنب ما يسبـب الأضرار الصحية والآلام الجسديـة، لذا حرم الإسلام

(١) النحل:٩٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٤٧.
(٣) آل عمران: ٣١.
(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم٦١٦٨، في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله.،
(٥) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج٩ ص٥٠٩.

بعض المطعومات، كالميتة ولحم الخنزير، وحرم بعض المشروبات كالخمر.

وفي تحريم قتل النفس، ذكر البخاري ما يبين أن ذلك من الجرائم العظام، وفي باب عقوق الوالدين من الكبائر، عن أنس رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله الكبائر أو سئل عن الكبائر، فقال صلى الله عليه وسلم: (الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين)»[١]. وجاء الوعيد الشديد للمنتحرين، في باب ما يُنهى عن السباب واللعن، ذكر البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذب به يوم القيامة)[٢].

ولحفظ النفس، سد الإسلام الذرائع المؤدية إلى إزهاق الأرواح، ومنَع من السبّ والشتم الذي قد يؤدي إلى القتل، وفي باب ما يُنهى عن السباب واللعن، أورد البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٣].

ومن حفظ النفس إلزام الآباء بحفظ أنفس الأولاد، وحسن رعايتهم، والإنفاق عليهم، وكفى بالوالد إثماً أن يفرط في العناية بمن يقوت، واهتم الإسلام خصوصاً بتربية البنات، قال صلى الله عليه وسلم: (من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن ستراً من النار)[٤]،

ونهى الإسلام عن التفريط في رعاية الأطفال الصغار، وخاصةً الرضع الذين لا يملكون لأنفسهم قدرةً ولا تصرفاً، وذكر الإمام البخاري في كتاب الأدب حديثاً يحرم التفريط في إزهاق أرواح المواليد الإناث، بدفنهن أحياءً، قال ﷺ: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات)[٥].

وحرم الإسلام قتل الأولاد، وذكر البخاري حديث أبي هريرة: (قيل يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: ان تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، وأنزل الله تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[٦].

المطلب الثالث - أثر حفظ العقل في تحقيق الأمن الفكري

العقل يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهو مناط التكليف، ومن النعم الكبرى

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٧٧، في كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٤٧، في كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٤٤، في كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٩٩٥، في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٩٧٥، في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.

(٦) الفرقان: ٦٨.

علـى الإنسان، وإذا حُفظت هــذه النعمة، وأُحيطت بسياج من الحكمة، سلـم الأفراد والمجتمعات من الآفات والشرور.

وجاءت الآيات القرآنية بالحث على التفكر وإعمال العقل فيما يعود على الإنسان بالنفع، وفي كتـاب الله إشارات قرآنية للعقلاء، قال تعالى: ﴿لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[٢]، وقـال تعالـى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]. وحث القرآن على القراءة والتعلم، وأداة ذلك العقل، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[٤].

والعقــل أداة التفكير التي توجه سلوك الإنسان وفكره، فيتلقى الشرع، ويؤدي الحقوق، ويبني المجتمـع، وإذا احتل العقل انحــرف الفكر، وفسد نظام الحياة. ولذا وجــب الحفاظ على ضرورة العقل وعدم التفريط فيها، وحمايته مما يفسده مادياً أو معنوياً.

ومــن أكثر مــا يفسد العقل تلك الأفـكار والنظريـات المخالفة للمنهج الربانــي، كالعلمانية والليبرالية والرأسمالية وغيرها.

ومــن علامات العقــلاء المتصفيــن بالسلامــة الفكرية: التعلـم الصحيح والفهـم القويم، والتطبيــق السليم، روى البخاري في بــاب رحمة الناس والبهائم، عن مالك بن الحويرث أن رسول الله ﷺ قــال: (ارجعــوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كمــا رأيتموني أصلي)[٥]، وتعليمهم من الرفق والرحمة بهم، وتزويدهم بالمعلومات النافعة.

وممــا ينمي العقل ويغذيه: التجارب الناجحة والخبـرات المفيدة، وحتى العثرات، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يُلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين)[٦]، قال ابن حجر: «من جرب الأمور علم نفعها وضررها، فلا يفعل شيئاً إلا عن حكمة»[٧].

إن مــن علامات العقــل الراجح والفكــر النير أن يقتدي المــرء بالصالحيــن والأخيار، وأن يستفيد من الإيجابيين والنافعين للمجتمع والأمة، وقد أشار البخاري إلى هذا المفهوم، فيما رواه عــن حذيفة رضي الله عنه قال: (إن أشبه الناس دلاً وسمتاً وهدياً برسول الله صلى الله صلى الله

(١) البقرة:١٦٤.

(٢) البقرة:٢٦٩.

(٣) الأعراف:١٧٦.

(٤) العلق:١.

(٥) رواه البخاري في برقم٦٠٠٨، في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

(٦) رواه البخاري في صحيحه برقم٦١٣٣، في كتاب الأدب، باب لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين.

(٧) فتح الباري، ج١٠ ص٦٥٠.

عليــه وسلــم لابن أم عبد)[١]، «وَابْن أم عبد الله بن مَسْعُود، وَأمــه أم عبد بنت عَبْدود وَلها صُحْبَة وَكَانَ أَصْحَابه يدْخلُونَ عَلَيْه فَيَنْظُرُونَ إِلَيْه قولا وفعلاً حَرَكَة وسكوناً حَالا وملكة وَغَيرهَا، فيتشبهون بِهِ رَضِي اللّه عَنهُ»[٢] يقول العيني: «وَفِيه من الْفِقْه: أَنه يَنْبَغِي للنَّاس الاقْتِدَاء بِأَهْل الْفضل وَالصَّلَاح فِــي جَمِيع أَحْوَالهم، فِي هيئتهم وتواضعهم لِلْخلقِ ورحمتهــم وإنصافهم من أنفسهم، وَفِي مَأْكَلهمْ وَمَشْرَبهمْ واقتصادهم فِي أُمُورهم، تبركاً بذلك»[٣].

وهناك أمور معنوية قد لا يؤبه لها، ولكنها تؤثر في العقل والبركة في تحصيل العلم، وسلامته مــن الانحرافات الفكرية، ومنها صلة الرحم التي من آثارهــا زيادة العمر، روى البخاري عن أنس بــن مالــك أن رسول الله صلــى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن يُبسط لــه في رزقه ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه)[٤]، قال ابن حجر: «جزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله، وقال غيره في أعم من ذلك، وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك»[٥].

ومــن الحاجــات التربوية للصغار، والتي لها أثر في تنمية العقــل وتدريبه: اللعب والملاعبة، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: (إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يــا أبا عمير ما فعل النغيــر)[٦]، واللعب بالدمى للبنات فيه تدريب لهم علــى شئون الأسرة وتربية الأولاد، عــن عائشة رضــي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبــي صلى الله عليه وسلم، وكان لــي صواحب يلعبن معي)[٧]، «واستدل بالحديث على جواز اتخاذ اللعب من أجل لعب البنات بهن»[٨].

المطلب الرابع - أثر حفظ المال في تحقيق الأمن الفكري

المــال مــال الله، استخلف فيه عباده، رزقهم إيــاه، وسيحاسبهم عليــه، وسيسألهم من أين اكتسبــوه، وفين أنفقوه، قال تعالــى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٩]، والمال هو

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٩٧، في كتاب الأدب، باب الهدي الصالح.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢٢ ص١٥٤.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢ ص١٥٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٩٨٦، في كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم.

(٥) فتح الباري، ج١٠ ص٥١١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه برقم٦١٢٩، في كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦١٣٠، في كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس.

(٨) شرح القسطلاني، ج٩ ص٧٧.

(٩) النور: ٣٣.

عصب الحياة، وعليه تقوم الأمم والمجتمعات، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[١]، يقول ابن سعدي: «وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار»[٢].

وشرع سبحانه السعي في جمع المال واقتنائه وكسبه وإنفاقه، وحدّ لذلك حدوداً لا يجوز تجاوزها، وأمر باجتناب المكاسب المحرمة، والطرق غير المشروعة في تحصيله، كالربا والرشوة، والسرقة، والاغتصاب، وأمر سبحانه برد الحقوق إلى أهلها، وحماية الأموال من السفهاء والمبذرين.

وحفظ المال في كسبه وإنفاقه وعدم إضاعته، وإذا عرف الناس كيفية حفظ المال، لجأوا إلى الكسب المباح من طرقه المشروعة، وتفتقت الأذهان للمشاريع النافعة، وابتعدوا عن الوسائل المحرمة والحيل الشيطانية في توفيره، وقلت السرقات والرشاوي والاختلاسات.

أ – فأما الحصول عليه فله طرق مباحة كثيرة، ومنها صلة الأرحام، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه)[٣]، وقيل: «بأن معنى البسط في الرزق البركة فيه إذ الصلة صدقة وهي تربي المال وتزيد فيه فينمو بها، وفي العمر حصول القوّة في الجسد أو يبقى ثناؤه الجميل على الألسنة فكأنه لم يمت،،...، وعن داود بن عيسى قال: مكتوب في التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبرّ القرابة يعمر الديار، ويكثر الأموال، ويزيد في الآجال، وإن كان القوم كفارًا»[٤].

ب – وأما إنفاقه ففي الأوجه المندوبة والمباحة، فقد يكون عن طريق الإهداء للأقارب والأصدقاء، تروي عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه مع صاحبات خديجة رضي الله عنها: (وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها)[٥].

ومنه الإنفاق على الفئات الضعيفة في المجتمع، كالأيتام والأرامل والمساكين، روى البخاري عن سهل بن سعد قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا وكافل اليتيم في

---

(١) النساء: ٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٦٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٨٥، في كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم.

(٤) شرح القسطلاني، ج٤ ص١٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٠٤، في كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان.

الجنة هكـذا)، وقال بإصبعه السبابة والوسطى»[١]، وقـال ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل)[٢].

ومـن الإنفـاق المحمود إطعـام الضيوف، وإكـرام الزوار، وترجـم البخـاري أبواباً في حق الضيـف وإطعـام الطعام، عن أنس بن مالك رضي الله عنـه، (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار أهل بيت من الأنصار فطَعِم عندهم طعاماً)[٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (وإن لزورك عليك حقاً)[٤]، «وموضع الدلالة ههنا قوله: (لزورك عليك حقًّا) فإن الزور هو الزائر، وهو الضيف الذي ذكره في الترجمة»[٥].

وبـوب البخـاري رحمه الله باباً بعنـوان: «باب صنع الطعام والتكلف للضيـف»، وذكر فيه أن النبـي صلـى الله عليه وسلم آخى بين سلمان وبين أبي الدرداء رضـي الله عنهما، وفيه: (جاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل)[٦].

ونهـى النبي ﷺ من التفريط في الأمـوال وإضاعتها، وأورد قوله ﷺ: (وكره لكم قيل وقال وكثـرة السـؤال وإضاعة المـال)[٧]، ويعد هذا القول قاعـدةً فكريةً مهمة في حفـظ المال وحسن إدارتـه، قال ابن حجر رحمـه الله: «حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيـده بعضهم بالإنفاق في الحـرام، والأقـوى أنه ما أُنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً، سواءً كانت دينية أو دنيوية، فمنع منـه، لأن الله تعالـى جعل المـال قياماً لمصالح العبـاد، وفي تبذيرها تفويت تلـك المصالح، إما فـي حق مضيعها، وإما في حق غيره، ويُستثنى مـن ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة، ما لم يُفَوت حقاً أخروياً أهم منه»[٨].

المطلب الخامس - أثر حفظ النسل والعرض في تحقيق الأمن الفكري

أودع الله سبحانـه فـي المخلـوق البشري دافـع التناسل، وجـاءت الشريعة بحفـظ النسل، وحثـت على الإكثار مـن الذرية عن طريق الزواج، قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء)، ونهـى الإسلام عن الفاحشة وجميع صور تفريغ الشهوة الجنسية من غير الطرق الشرعية، كالزنا

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٠٥، في كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيماً.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٠٦، في كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٨٠، في كتاب الأدب، باب الزيارة ومن زار قوماً فطعم عندهم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦١٣٤، في كتاب الأدب، باب حق الضيف.

(٥) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج٤ ص ٣١١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه برقم٦١٣٩، في كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٧٥، في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.

(٨) فتح الباري، ج١٠ ص٥٠١.

واللواط وغيرها.

كما نهى عن إيذاء المؤمنين بقذفهم في اعراضهم، أو النيل من أنسابهم، أو الغيبة والنميمة في شخصياتهم، أو اتهامهم بما ليس فيهم.

ومـن حفظ النسل رعاية الأولاد، والحفـاظ على حمايتهم وسلامتهم، وذكر البخاري حديث المـرأة التي فـي السبي، تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً فـي السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: (أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟)، قلنا: لا»[٩]

ومـن حفظ النسـل بر الوالدين، وفي باب البـر والصلة أورد البخاري عـدداً من الأحاديث، ومنها: (سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها، قيل: ثم أي؟ قـال: بر الوالديـن)[١٠]. وفي مقابل ذلك حرم عقوق الأمهات، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات)[١١].

وأمـر الله بصلـة الأرحام، ونهى عن القطيعة، وفي باب من وصـل وصله الله، ذكر البخاري قولـه ﷺ: (إن الله خلـق الخلق، حتـى إذا فرغ من خلقـه قالت الرحم هذا مقـام العائذ بك من القطيعـة، قال نعم، أمـا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت بلى يا رب، قال: فهو لك، قال رسول الله ﷺ: فاقرؤوا إن شئتم: (فهل عسيتم»[١٢].

وجـاء في الشـرع ما يؤكد على احتـرام الأعراض، وتقدير المسلميـن لبعضهم، والنهي عن احتقـار الآخريـن وذمهـم، أو سبهم وشتمهم، لما في ذلـك من إثارة الضغائـن والأحقاد، وتوليد المنازعـات والعـداوات، ولذا نهى عن السب والشتم، قال ﷺ: (لا يرمـي رجل رجلا بالسوق، ولا يرميـه بالكفر إلا ارتدت عليـه، إن لم يكن صاحبه كذلك)[١٣]، قال ابن حجر: «الشتم و السب هو نسبة الإنسان إلى عيب ما»[١٤].

ومن حفظ النفس التأكيد على إثبات الانتساب للآباء، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١٥]، والمـرء يُنسـب إلى أبيه حتى في الموقـف الأعظم يوم القيامة، بوب البخاري: باب ما يُدعى الناس بآبائهم، وأورد حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: (إن الغادر يُرفع له

(٩) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٩٩، في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٧٠، في كتاب الأدب باب البر والصلة.

(١١) رواه البخاري في صحيحه برقم٥٩٧٥، في كتاب الأدب باب البر والصلة.

(١٢) محمد:٢٢.

(١٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٤٥، في كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن.

(١٤) فتح الباري، ج٨ ص٥٧١.

(١٥) الأحزاب: ٥.

لـواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فـلان)[1]، قال ابن بطال: «والدعاء بالآباء أشد في التعريف وأبلغ في التمييز»[2].

ومـن حفظ العرضـ أن يستر الإنسان على نفسه، ولا يظهر مـا ارتكب من أخطاء وموبقات، حتـى لا يتمـادى في إثمـه، أو يجرئ غيره على فعله، وقـد يكون هذا الستر دافعـاً لاستشعار عظم الجـرم، وسبباً لعدم العـود للذنب مرةً أخرى، وفي باب ستر المؤمن على نفسه، روى البخاري عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل أمتي معافى إلا المجاهـرون، وإن مـن المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبـح وقد ستره الله عليه، فيقول يـا فـلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)[3]، قال ابن الجـوزي: «المجاهرون: الَّذين يجاهرون بالفواحش وَيَتَحَدَّثُونَ بِمَا قد فَعَلُوهُ مِنْهَا سرا، وَالنَّاس فِي عَافِيَة من جِهَة أنهم مستورون، وَهَؤُلَاء مفتضحون»[4].

النتائج والتوصيات

أولاً – النتائج

١– تعددت الرؤى والأيديولوجيات، المنظرة للأمن الفكري، وكيفية تحقيقه في المجتمعات، ومن خلال التأمل تبين أن الضرورات الخمس تعتبر ركيزةً أساسيةً في هذا الميدان.

– الأمن الفكري مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالضرورات الخمس، وذلك لأن مراعاة حفظها، يؤثر إيجابياً على السلوك الذي يمارسه الفرد، ويوجه علاقاته وارتباطاته المختلفة، مع مختلف الناس وفي مختلف المجالات.

– مـن خلال النظر في الأحاديـث وتراجم الأبواب التي أوردها البخاري في صحيحه، تظهر بجلاء الضرورات الخمس، ومنها تتبين معالم الأمن الفكري ومحدداته ومهدداته.

– اشتمـل كتاب الأدب من صحيح البخاري على أحاديث كثيرة ، تشير إلى الأمن الفكري في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

ثانياً – التوصيات

استعراضـ الأحاديث الواردة فـي سائر كتب الجامع الصحيح، لاستخـراج مضامين الأمن

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦١٧٧، في كتاب الأدب، باب ما يُدعى الناس بآبائهم.

(٢) فتح الباري، ج١٠ ص٦٩١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم٦٠٦٩، في كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج٣ ص٣٩٧.

الفكري منها، من خلال الضرورات الخمس.

استخراج جوانب الأمن الفكري من خلال التأمل في بقية كتب الصحاح.

المراجع

الإسلام وضرورات الحياة، عبدالله بن أحمد قادري. جدة: دار المجتمع، ط١٤٠٦.

التوشيح شرح الجامع الصحيح، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان. الرياض: مكتبة الرشد، ط١٤١٩.

تيسير الكريم الرحم في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠هـ.

شرح البخاري للسفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٥ هـ.

شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١). الرياض: دار الوطن، ط١٤٢٦.

شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد، ط١٤٢٣.

شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري. مصر: الطبعة الكبرى الأميرية، ط٧: ١٣٢٣.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد الغيتابي الحنفي العيني. بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. بيروت: دار المعرفة، ط١٣٧٩.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن، د.ت.

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢: ١٤٠١.

كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤١٥ هـ.

الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، تحقيق أحمد عزو. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١٤٢٩.

اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ)

تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. سوريا: دار النوادر، ط١٤٣٣هـ.

مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، الإمام زين الدين أحمد بن محمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي. مراجعة أحمد عرموش وإبراهيم بركة. بيروت: دار النفائس، ط٣: ١٤٠٩.

المستصفى، الإمام أبو حامد الغزالي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١٤١٣.

المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية. الكويت: دار النوادر، ط ١٤٣٣هـ.

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان، ط١٤١٠هـ.

منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري)، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (المتوفى: ٩٢٦ هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٦هـ.

أ.د. عمر حميد مراد المعيني
رئاسة ديوان الوقف السني العراقي

أحاديث الأمن الفكري في صحيح الإمام البخاري (رحمه الله)

دراسة موضوعية

٢٠١٩م - ١٤٤١هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، وبعد .

فان الإمام البخاري (رحمه الله) من العلماء الأجلاء الذين أفنوا حياتهم في خدمة الإسلام ولا سيما ما بذله من جهد في جمعه للصحيح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه(الجامع المسند) الذي كتب له القبول عند المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة وعامتها.

وهذا يدل على العقلية الفذة والذهن الواقد ، والبصيرة النيرة والفكر الواسع الذي منَّ الله به عليه.

والأمن الفكري له مكانته وأهميته كغيره من جوانب الأمن الأخرى (السياسي والعسكري والاجتماعي .....) ، وعلى الرغم من ان هذا المفهوم لم يكن متعارف عليه فيما سبق ، إلا أن الإمام البخاري قد صاغه في كتابه الصحيح من خلال تبويباته أو إيراده للأحاديث التي تخص هذا المفهوم .

تكمن أهمية الموضوع من خلال ابراز الجانب الفكري والابداعي الذي تمتع به الامام البخاري في تصنيفه للصحيح والتي تساهم في تثبيت الامن الذي يبحث عنه المسلمون في حياتهم لما يتعرضون له بين الفينة والاخرى من اعتداءات تهدد سلامتهم ولا سيما في الجانب الفكري ، اذ ان انتشار الافكار الخاطئة وتشويش عقول الشباب وابتعادهم عن العقيدة الصحيحة واثارة الشبهات ، كل ذلك بسبب اعراضهم عن المنهج الحق الذي جاءت به الشريعة الاسلامية، والذي يصلح لادارة شؤون الناس في كل زمان ومكان، اذ انهم تركوا الشريعة الواضحة وساروا

خلف السراب والقشور التي صدرها الغرب الى بلادنا الاسلامية .وقد وقع الاختيار على المحور الاول ليكون منطلق بحثي منه والذي كان تحت عنوان (أحاديث الامن الفكري في صحيح الامام البخاري – دراسة موضوعية –)

ومن خلال الوقوف على بعض الابواب والاحاديث في الصحيح يتضح دور الامام البخاري في المحافظة على الامن وتحصين شباب المسلمين من الانحراف وكذلك المحافظة على الموروث الحضاري للمسلمين، وأما أقوال أعداء الامة المعاصرين من العلمانيين وغيرهم ممن يشككون في مصداقية الاحاديث التي جمعها ، أو رواة السند الذين اعتمد عليهم في صحيحه ،وإن هذا الكتاب على تقسيماته وأبوابه ليستحق المكانة والاهتمام لدى المسلمين ،فقد فندها العلماء قديما وحديثا وان الحملة الشرسة هي بسبب النظر الثاقب للامام رحمه الله تعالى وتنبيهه للناس لما سيتعرضون له من غزو فكري وتهديد للامن في القرون التي ستليه.

وكان منهجي في البحث اختيار بعض الأحاديث تجنب الاطالة ودراستها دراسة موضوعية مقتصرا على ذكر الصحابي دون ذكر السند بالكامل وتخريج الحديث في الهامش ومن ثم الشروع في بيان موضوع الامن الفكري بالرجوع الى كتب الشروح وبعض الكتب المعاصرة .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يلقى ما قدمت في هذه الورقات القبول وأن يكون ما سطرت خالصا لله سبحانه وتعالى وأعتذر عن الزلل والتقصير وحسبي اني اجتهدت.

المطلب الأول

خطورة اللسان واليد على أمن المسلمين

ان من مقومات الحياة المادية، الحفاظ على الكيان الإنساني من كل الأخطار التي تتعدد وتتنوع بحسب الظروف والمعطيات، فقد تهدد الجسد او الروح او المال او العرض او غيرها من ضروريات الحياة الأساسية التي لا استقرار من دونها.

والسنة النبوية جاءت بأوامر ونواهي تحذر تارة وتحث تارة أخرى، اذ تحذر من التطاول على الإنسان جسداً وتحث تارة أخرى على الحفاظ عليه من الأخطار بأنواعها وسلامة الفكر او الأمن الفكري مقدمة للوصول الى الأمن الاجتماعي، او الأمن الجسدي، وارتباط الأمن الفكري بالامن الجسدي ارتباط الروح بالجسد وارتباط المقدمات بالنتائج.

وتحقيق السعادة الدنيوية يكمن في توفير مستلزماتها وجوانبها المهمة في اتجاهين: الأول الاتجاه الروحي والمعنوي والاتجاه الثاني: المادي. وأحدهما مكمل للآخر وأي خلل في أحد

الاتجاهين يعد من منغصات الحياة ومن معوقاتها.

الجانـب المعنـوي في الحياة هو الإيمـان الذي يتحقق باعتقاد صحيـح وفكر سليم خال من الانحرافـات والتصورات الخاطئة التي تدفع الـى السلوك المنحرف وبالتالي فان الجانب الفكري في الإنسان يُعد مقدمة تؤدي الى نتائج سلباً او ايجاباً على الفرد والمجتمع.

وصحيـح الإمام البخاري (رحمـه الله) اشتمل على أحاديث كثيرة تخص هذا الجانب الذي نحـن بصـدده بل قد بوب أبواباً تخص الأمن الفكري ومن ذلـك ما أخرجه عن عبد الله بن عمرو رضـي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِـمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» [1].

ذكـر العيني أن المناسبة والتطابق موجـود بين الباب وبين الحديث الشريف إذ أن الحديث يحتوي على شعبتين من شعب الإيمان، وهما سلامة المسلمين من لسان المسلم ومن يده والمهاجر من هجر المنهيات[2].

ولقطـع الطريق على مـن يثير الشبهات حول عـدم التطابق بين الأحاديـث والأبواب أوضح الأمـام العيني بأن اختيـار الإمام البخاري الشق الأول من الحديث لوجـود لفظة مقاربة للإسلام ولم يختر الشق الثاني.

إن المسلـم يتصف بصفات حميدة كثيرة منها كـف الأذى عن سائر إخوانه في الدين ورفع الظلم والبطش عنهم سواء بلسانه او بيده.

وذهـب العلمـاء إلـى أن المراد من حديث النبـي e في وصف المسلم بأنـه المسلم المكتمل الإسـلام الـذي لايؤذي الآخرين بالقـول والفعل ، وليس بعضـ ان من كان مسلماً يـؤذي الآخرين يخـرج مـن دائرة الإسـلام الى الكفر، إن مـن أمن النـاس شـره هو أفضل من غيـره وكذلك يرى العلماء أن الذي يدخل في نفس الدائرة ، وان يكف المسلم أذاه عنه فلا يؤذي أهل الذمة في لسانه بالسب والشتم والإستهجان وغير ذلك ولا يبطش بهم كونهم يعاملون معاملة المسلمين ولهم حقوق وعليهم واجبات كالمسلمين، لأن الدين الإسلامي قد ضمن حقوقهم.

وأيضـاً لا يدخـل التعزير في هذا المجال لأن هناك من يستحق العقوبة على ذنب اقترفه من المسلمين[3].

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١/١١(١٠).

(٢) ينظر: عمدة القاري للعيني: ١/١٣٠.

(٣) ينظر: فتح الباري لإبن حجر، ١/٥٣-٥٤، عمدة القاري: ١/١٣٠-١٣٢، شرح السفيري: ١/٣٧٣.

وقد يتبادر إلى الذهن لماذا خص النبي ﷺ اللسان واليد دون الجوارح الأخرى؟

كان اللسان واليد كلاهما من مهددات الأمن على مستوى الفرد والمجتمع، وان التصرفات السلبية الناتجة عن أذى اللسان واليد تعني ان صاحبها ذو عقل وتفكير خاطئين.

وكذلك لأن اللسان هو المعبر عما في النفس من خواطر وانه يمكن ان يدمر مجتمعات ويقضي على دول من خلال نشر الأكاذيب والإشاعات وشهادة الزور التي تأخذ الحق من أهله وتعطيه الى الظالمين الذين لا يستحقونه ، والغيبة والنميمة وهتك الأعراض بالقذف ، فله الأثر العظيم عن باقي الجوارح.

وصدق الشاعر حين قال:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان[١].

وأما إطلاق اليد في الحديث والخطر االذي يمكن ان يتحصل منها فيذهب الى معان عدة منها:

المقصود باليد هي التي تبطش وتؤذي الآخرين وهي يد الإنسان بعينه سواء اليد المجردة او باستخدام السلاح.

اليد المقصود بها التي تكتب وتصدر الأوامر بمعاقبة الأبرياء.

اليد هنا السلطة والهيمنة والاستيلاء على حقوق الغير من غير وجه حق (اليد المعنوية) تجمع المعاني ترشدنا الى التسلط والبطش والإيذاء التي فيها ترويع الناس واستباحة أموالهم وأعراضهم وكل ذلك من المنغصات الأمنية الخطيرة التي تهدد الفرد والمجتمع وتهدد الفكر والسلوك[٢].

ان اليد واللسان وغيرهما من الجوارح انما هي خدم العقل الذي هو محط التكليف الرباني ومحور التفكير ومنه تنبثق الأوامر بالفعل وعدمه، ومقتضيات الإيمان تحتم على التفكير السليم أي على الإنسان المسلم ان يكون لديه فكر أمني او امن فكري يتوجه بهذا الفكر نحو الأمور الإيجابية والابتعاد عن القضايا السلبية التي لا تجلب الا الويل والدمار وتفتت المجتمع الواحد الى فئات عدة، ومن كان تفكيره سليماً ايجابياً فإن الناس سيأمنون جانبه ولا يخافون منه ومن بطشه بلسانه او بيده، ولا يتحقق ذلك الأمر الذي وصفه النبي e الا بتحقق الشطر الثاني من الحديث

(١) عمدة القاري: ١٣٢/١.

(٢) ينظر: فتح الباري لأبن حجر: ٥٣/١، ارشاد الساري للقسطلاني :٩٤/١، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية :٢٤/٢٣/١

(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)

إذ نبـه النبــي ﷺ الناس بالابتعاد عـن المعاصي والحذر من الوقوع فـي المحرمات واتباع الشهـوات المؤديـة الى النار ، واما وصف الأمر بالهجرة فالمقصـود بها الهجرة الباطنة في ذات النفسـ الإنسانيـة[١] . يقول الإمام ابن حجـر: (فاشتملت هاتان الجملتان علـى جوامع من معاني الحكم والأحكام)[٢].

ومـن خلال ما تقدم يتضـح لنا ان الأمن الفكري لا يمكن تحقيقـه الا بابتعاد المسلمين عن البطشـ والتنكيـل بالآخرين وان يكون لهم سيــاج منيع باتباع الأوامر والابتعـاد عن النواهي وسد الذرائع امام الأعداء الذين مزقوا الصف المسلم بغرس الأفكار السلبية في عقولهم.

المطلب الثاني

التحذير من اتباع الأمم الأخرى

حــذر النبي ﷺ من التقليد الأعمى والانسلاخ من الإطار الإسلامي الذي جاءت به الشريعة السمحاء من خلال الأحاديث التي أخرجها أصحاب الصحاح والسنن ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه .

عن أبي سعيد – الخدري – رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْــرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَــبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ» [٣].

عـن أبــي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لاَ تَقُــومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُــرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ» [٤].

وقد خص النبي ﷺ اليهود والنصارى في الرواية الاولى وفي الرواية الأخرى الروم وفارس من غيرها من الأمم كونها سائدة في زمن النبي e وأيضاً كونها في الوقت الحاضر هي المسيطرة على العالم وقد شبه النبي ﷺ اتباع تلك الأمم وتقليدها في جميع الأمور بدخول الأماكن الضيقة التي تدخلها القوارض والحيوانات الصغيرة.

---

(١) ينظر: شرح ابن بطال: ١/ ١٩٤، الإيمان لأبن تيمية ٢٠٧.

(٢) فتح الباري: ١/ ٥٤.

(٣) صحيح البخاري :كتاب احاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٦٩ (٣٤٥٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي e (لتتبعن سنن من كان قبلكم) ،٩/ ١٠٢ (٧٣١٩»).

وكل ذلـك ناتج عن الغزو الفكري للبـلاد الإسلامية باسم الحرية والديمقراطية التي جلبت الدمار والخراب لبلادنا ومزقت صفوفنا.

وكذلـك فإن الاستيـلاء على مقدرات الشعوب الإسلامية من قبل الغـرب جعلهم أتباعاً لهم يقلدونهـم فـي كل جوانب الحياة مستسلميـن لهم منقادين ، لذا فإن الغـرب يفرض شروطه على المسلميـن بتعلم مناهجهم الدراسية وتطبيقها في بلادنـا مبتعدين عن المنهج الإسلامي القويم الذي بدأوا يشعرون بعدم مقدرته على مجاراة التقدم العلمي لدى الغرب، فلا ضير في أخذ الثورة العلميـة والتقنية القادمة من الغـرب بشرط عدم امتداد تبعاتها علـى الجوانب الفكرية والعقدية والأخلاقية للأمة الإسلامية[1].

وذكـر ابن حجـر الـى ان تخصيص تلك الأمم فـي الحديث لوجـود قرينة وهـي ان اليهود والنصـارى قالـوا بالرأي وابتعـدوا عن دياناتهم وحرفـوا كتبهم وأما الروم وفارس فالأمر يتعلق بالحكم والسياسة وتولي أمر الرعية[2].

ويـرى بعض المعاصرين الى أن الغزو الفكري الذي تتعرض لـه البلاد الإسلامية هو نتيجة لتمكـن الغرب من فصل الجيل الحالي عن دينه وعن قيمه وعودة الجاهلية بصورة جديدة والعمل علـى استئصـال الإسلام وجعله فقط شكلاً ورسماً دون الاعتقـاد. وكل ذلك يكون بمساعدة بعض المسلميـن الذين اتبعـوا أسيادهم مقابل أمـوال ومكانة في مجتمعاتهم الذيـن يدعون الى تحرر المرأة وغسل أدمغة الشباب بنشر الخمور والمخدرات التي تذهب العقل وتضعف القوة وكذلك من خلال منصـات التواصل الاجتماعي المرئية والسمعية التي تبـث السموم والأكاذيب والتي تشكك الشباب في دينهم ولا سيما الهجمات الشرسة التي يتعرض لها أئمة المسلمين قديماً وحديثاً[3].

المطلب الثالث

التحذير من استعجال الموت

إن الأفكار المتطرفة التي غزت عقول الشباب اليوم بحجة أن التفجير والانتحار يوصلان صاحبـه الـى الجنة ومراتـب الشهادة، كل ذلـك نتيجة للتخبـط والتيه الذي يتعرض له الشباب والانهزام الفكري الذي تعرضت له الأمة الإسلامية.

(١) ينظر: مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي: خالد بن حامد الحازمي: ٣٠٣، بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، محمد امين سليم: ٨٨، النظريات العلمية الحديثة :١/٧٥٣/ ٧٥٤

(٢) ينظر فتح الباري لأبن حجر: ٣٠٢/١٣.

(٣) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية : ١٦١-١٦٥.

ولسد الذريعة امام هؤلاء المتطرفين حذرت احاديث كثيرة من حرمة قتل الإنسان نفسه بيده وانه سيخلد في النار، وكان ذلك جلياً من العقلية الفذّة والنظرة الثاقبة للإمام البخاري رحمه الله اذ بوب في كتابه باباً اسماه (لايقول فلان شهيد) اذ أخرج في صحيحه حديثاً يرويه سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

جاء في شرح الحديث انه مطابق لما ترجم له الامام البخاري من ان الأحكام تجري على ظواهرها، حيث ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم حكموا له بالشهادة ولولا ان النبي ﷺ اخبرهم مآله لبقي ظنهم به هكذا، وعلى هذا لا يقطع بالشهادة لمن قتل في المعركة وانما يحسب هكذا والله حسيبه[٢].

ثم لو وقفنا مع حال الرجل وقد وجئ روحه بسيفه مع شدة قتاله واستبساله في المعركة وعظيم بلائه في المعركة واثخانه بالكفار قال عنه ﷺ هو في النار، فكيف بمن كان حاله أشد وأنكى، فهذا الرجل لم يقتل سوى نفسه بعد قتله للكفار والقصد هنا لمن يفجر نفسه على المدارس او المستشفيات او الأسواق وزهق أنفاساً معصومة من النساء والأطفال والشيوخ واهل الذمة فمن باب أولى ان يكون من اهل النار [٣]

إن الصراع الفكري هو سيد المرحلة وهذا الفكر الضال لا يمكن محاربته إلا بفكر صاف مستمد من الشريعة الإسلامية، وبعد محاربته نحتاج الى ترميم المجتمع الإسلامي والمحافظة

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب لا يقول فلان شهيد ٣٧/٤ (٢٨٩٨).

(٢) ينظر عمدة القاري ١٨٠/١٤.

(٣) ينظر: الفوائد السنية في شرح الألفية للبرماوي ١٤٠/٥–١٤٢، المهذب في أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة ١٩٢/٤.

علـى الثوابت حتى لا يصار الى دين جديد وان الحـوار يكون مع الشباب الذين غرر بهم أسيادهم من اجل إرشادهم الى الطريق الصحيح وتحصين أفكارهم.[١]

الخاتمة

بعد ان منَّ الله علي باتمام البحث يمكن أن أذكر أهم النتائج التي خلص إليها

أولا: تنبيـه الامام البخاري لمـن بعده من المسلمين بتدبر الاحاديـث التي جمعها في كتابه ولاسيما التي تدعو الى إعمال الفكر وتنقيته من الشوائب والأفكار الهدامة وكيفية التعامل مع غير المسلمين .

ثانيـا: لـم يفرد الامام البخـاري في صحيحه بابا يختص بالأمن الفكـري وانما تجد ذلك متناثرا في أغلب أبوابه .

ثالثا: إن اليد واللسان يعتبران من أشد الجوارح في الانسان وقعا في ظلم الاخرين

رابعا: هجر المعاصي الظاهرة والخفية يعطي أملا لدى الاخرين من ائتمان الجانب

خامسا: لايتحقق أمن المجتمع الا بعد تحققه لدى الفرد أو الأسرة الواحدة

سادسا:من الأمراض الخطيرة التي تفتك في المجتمعات الإسلامية التبعية الهوجاء للبلدان الاستعماريـة فـي الشـرق او الغرب ، والتي حـذر منها الصـادق المصدوق عليـه افضل الصلاة والسلام، معتقدين أنها مصدر الامان والركن الشديد الذي نطمئن به.

سابعـا: إن النيـة محلها القلب ولا يطلـع عليها إلا الباري عز وجل ، وحكـم الناس على رجل معين بأنه شهيد ، ليس في محله لأن الأمر غيبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر

١- إرشـاد السـاري لشـرح صحيـح البخاري أحمـد بن محمد بـن أبى بكر بـن عبد الملك القسطلانـي القتيبـي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (٩٢٣هــ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ .

٢- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسـم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) تحقيق: محمد ناصر

(١) ينظر: الموافقات للشاطبي ٥٧/٣.

الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط ٥، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م .

٣- بنو إسرائيل في ضوء الإسلام ، محمد أمين سليم ،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٧ - العدد الثالث - محرم ١٣٩٥ هـ - يناير ١٩٧٥ م.

٣- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ،علي علي صبح المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٤٢٣ ه، ٢٠٠٢م .

٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦هـ) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط ١، ١٤٢٢هـ .

٥- شرح صحيح البخاري ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف (٤٤٩هـ)، تحقيق أبو تميم ياسر بن ابراهيم ، مكتبة الرشد، السعودية، ط٢ ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٦- شرح النووي على صحيح مسلم، النووي ابو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط٢، ١٣٩٢ه.

٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لابي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، رقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ه.

٩- الفوائد السنية في شرح الألفية ، البرماوي شمس الدين محمد بن عبد الدائم (٨٣١ هـ) تحقيق عبد الله رمضان موسى ،مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، الجيزة - جمهورية مصر العربية (طبعة خاصة بمكتبة دار النصيحة، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية) ط ١، ١٤٣٦ هـ ،٢٠١٥ م

١٠- لمحات في الثقافة الإسلامية ،عمر عودة الخطيب ، مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١١- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري ، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (٩٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط ١،

١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

١٢- مصطلـح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامــي (دراسة نقدية) ، خالد بن حامد الحازمــي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنــورة ، ط ٣٦، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

١٣- الْمُهَـذَّبُ في عِلْـمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَـارَنِ ،عبد الكريم بن علي بــن محمد النملة مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٤- الموافقــات ، الشاطبــي ابراهيم بــن موسى بن محمــد اللخمي الغرناطــي (٧٩٠هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م .

١٥- النظريــات العلميــة الحديثة، مسيرتهــا الفكرية وأسلــوب الفكر التغريبــي العربي في التعامــل معهــا - دراســة نقدية، حســن بن محمــد حسن الأسمــري، مركــز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية ، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

إعداد: د. علي ملحم حسن
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والأمن الفكري والمدرب بأكاديمية الإمام البخاري الدولية

محدِّدات ومهدِّدات الأمن الفكري عند الإمام البخاري من خلال كتاب التفسير من صحيحه.

المقدمة

أولاً : منزلة صحيح البخاري

لا يخفى أن هذه الشريعة محفوظة في أصولها وفروعها، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر: ٩) وقوله: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ (هود: ١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ (الحج: ٥٢). فأخبر سبحانه أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها ولا يُداخلها التغيير ولا التبديل.

والسُّنة وإن لم تُذكر؛ فإنها مبيِّنة للقرآن ودائرة حوله، فهي منه، وإليه ترجع في معانيها، ولذا قيَّض الحق سبحانه رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله ﷺ، وعن أهل الثقة والعدالة من النَّقَلة، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم، وتعرَّفوا التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله ﷺ[1].

ومن جهابذة الرجال، الذين بذلوا أنفسهم لهذا الشأن العظيم؛ الإمام البخاري رحمه الله الذي يقول عنه أبو الطيب حاتم بن منصور الكسي: (محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم)[2]، وقال رجاء الحافظ: (هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض)[3]، وثناء العلماء عليه قديماً وحديثاً أوسع من أن يحيط به بحث مختصر.

---

(١) يُنظر: الموافقات (٢/٩١-٩٥) للشاطبي ، تحقيق مشهور سلمان، نشر مكتبة التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ. بتصرف.

(٢) يُنظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٧/١٢) للذهبي، تحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.

(٣) يُنظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٧/١٢) .

ولـذا كان صحيحه محل قبولٍ عند الأمة، لتوافـر شروط الصحيح فيه في أعلى درجاته، ولا يطعـن فيـه إلا مبتدع ضال، يهدف مـن وراء التشكيك فيه إلى هدم مبنـى الشريعة، ولكن هيهات هيهات ، إذ لا زال العلماء من السلف والخلف يثنون على صحيح البخاري ويشهدون بصحته وفوائده الظاهرة والغامضة. يقول الإمام النووي رحمه الله: (اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعـد القرآن العزيز؛ الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهمـا فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة)[١]، ويقول إمام الحرمين رحمه الله: (لو حلف إنسان بطـلاق امرأته أن ما في كتابَيّ البخاري ومسلـم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق ولا حنثته لإجماع علماء المسلمين على صحتهما)[٢].

ثانياً: أهمية الأمن الفكري.

لـم تعد مكانة الأمن الفكـري وأهميته خافية، كونه أحد مكونات الأمـن بصفة عامة، بل هو أهمهـا وأسماها وأساس وجودها واستمرارها، فهو ركيزة الأمـن الحسي والاجتماعي والإعلامي والاقتصـادي والتربوي ، فلا يمكن الوصول إلى فكر صحيح، وثقافة سليمة وتربية وسطية وإعلام مسؤول في ظل غياب الأمن الفكري[٣]، لأنَّ الفكر قائد التصرفات، وسلوك الانسان يعكس أفكاره.

وفـي ظل مـا ينبُت في الأمة مِن تيارات ضالة نتيجة الخلل الفكري الذي يصيبها، بات لزاماً علـى مَـن أراد علاج التصرفات الخاطئـة، أنْ يبدأ بتصحيح الفكـر أولاً ، إذ لا يمكن الوصول إلى سلـوك صحيـح إلا بفكر صحيح آمن. ولما كان تحقيق الأمن الفكـري مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق جميع أفراد المجتمع، وللعلماء الدور المهم والمؤثر في تحقيقه، وعلاج ما يصيب العقول مِن خلـل يدفعهـا إلى تصرفات تُخرجها عن الهدى والحق، وعن الوسطيـة والعدل؛ ولما كانت الحملة الظالمـة الشانئة بحق الإمام البخاري وصحيحه قـد لاقت بعض الصدى والترحيب من قِبل بعض الموتوريـن والحاقديـن على السنة وأهلهـا[٤]، فقد عزمـتُ مستعيناً بالله تعالـى على وضع بحث مختصـر وموجز يتناول محددات ومهـددات الأمن الفكري عند الإمـام البخاري من خلال كتاب التفسير من صحيحه.

(١) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/١) للنووي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

(٢) يُنظر: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط (ص٨٦) ، لابن الصلاح تحقيق موفق عبدالله عبدالقادر، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

(٣) يُنظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام (ص٦٢) للشيخ عبد الله التركي، نشر موقع وزارة الأوقاف السعودية، الطبعة: بدون ، سنة النشر: بدون .

(٤) وهي ليست المرة الأولى التي يهاجم فيها صحيح البخاري، فقد سبق ذلك حملة قبل عامين، وحملة قبل أربعة أعوام.

فللإمـام البخاري رحمه الله عنايـة بالأمن الفكري، ففي كتـاب التفسير من صحيحه، وهو مجال بحثنا، نجد أنه يورد الأحاديث التي تعزز الأمن الفكري وتحذر من الإخلال به، كما نجد أنه وضـع تراجم تتعلق بالأمن الفكري استنبطها مـن أحاديث او آثار لا تنص مباشرة على الترجمة ، وكمـا قيل إن فقه البخاري فـي تراجمه، فإنَّ بإمكاننا القول أن الأمن الفكري عند البخاري هو في تراجمـه كذلك، فالبخاري بيَّن محددات الأمن الفكري، وحذَّر من جملة مهددات تؤدي بالضرورة إلى وقوع الخلل الفكري، وذلك من خلال تراجم استنبطها من الأحاديث التي أوردها. وبالاستقراء يمكـن إبـراز ثلاثة محـددات للأمن الفكري، وثمانيـة مهددات لها، وردت في كتـاب التفسير من الصحيح، وبيان ذلك في الفصول التالية .

الفصل الأول: المحدِّدات

المطلب الأول: تحقيق الاتِّباع

اتِّبـاع الكتـاب والسُّنـة صمام الأمـن الفكري وأساسه، فهمـا العاصم بـإذن الله من الوقوع فـي الخلـل الفكري أياً كانت صورتـه، والتمسك بهما علامة على سلامة الفكـر من الخلل، فأكمل الهدي هدي محمد ﷺ، مَن خالفه تعس وضل، ومَن اتَّبعه فاز واهتدى وعُصم مِن الزيغ والضلال والنفاق والشرك، وأمِن مِن الوقوع فريسة الفرق المخالفة كالقرآنيين والبهائيين وغلاة المتصوفة والقدرية والجبرية وسائر فرق أهل البدع، وأَمِنَ من التشدد والغلو ومن التفريط والتساهل، وهو ما سنتطـرق إليه في المطلب الثاني بإذن الله، وأَمِنَ مـن الخروج ومفارقة الجماعة كما في المطلب الثالث.

وفي إشارة إلى علاقة الاتِّباع بالأمن الفكري؛ ذكر البخاري رحمه الله باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ (الأنفـال: ٢٤)، ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾: أجيبـوا ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾: يصلحكـم[١]، ولا يخفـى أن معنـى ﴿يُحۡيِيكُمۡ﴾:يعني الحيـاة الكاملة الصالحـة الآمنة المطمئنة عقديـاً وفكرياً واجتماعياً وأخلاقياً، قال قتـادة رحمه الله عند قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾: هو هذا القرآن، فيـه الحياة والثقة والنجـاة والعصمة في الدنيا والآخرة[٢]، وفيه حيـاة النفس والعقل والجوارح ،

(١) يُنظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أو (صحيح البخاري)، (ص٧٩٦)، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة، نشر دار السلام الرياض، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ١٤٢٢هـ .

(٢) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن أو (تفسير الطبري)، (٤٦٥/١٣) ، تحقيق أحمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة

حيث يمدها بما يصلحها في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك صلاح الفكر.

وهـذا ما يجعـل اتّباع النبي ﷺ من أوجب الأمـور، امتثالاً لأمر الله تعالـى أولاً، ولأنَّ النبي ﷺ كمـا أخبـر الله عنه - حريص علـى المؤمنين عزيز عليه عنتهم ومشقتهـم، فهو أرحم الأمة بالأمة، وأولى الأمة بالأمة، بل هو أولى بالمؤمن من نفسه، كما في تبويب البخاري رحمه الله، باب ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب:٦)[١]، وتحته حديث يبين حرصه صلى الله عليـه وسلم علـى الأمة، لا في الجانب التعبـدي فقط، وإنما في الجانب الدنيـوي كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيـا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦) فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه»[٢]، ومن كان حريصاً على دين الأمة ودنياها كان أحق بالاتّباع وتجريد الاقتداء به .

ولأجـل هذا شـدَّد البخاري رحمه الله على ضرورة الاتّباع، فأورد عدة أبواب في ذلك، منها: بـاب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (الحشـر: ٧)[٣]، فالآيـة الكريمـة تأمر باتّبـاع الكتاب والسُّنـة، وليس اتّبـاع السُّنة فقط، ودليل ذلك مـا أورده البخاري رحمـه الله تحت هذا الباب من حديـث ابـن مسعـود رضي الله عنه أنـه قال: «لعـن الله الواشمـات والموتشمـات، والمتنمصات والمتفلجات، للحسن المغيرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو فـي كتـاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللَّوحين، فمـا وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧)؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئا، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها[٤].

وفـي سبيل الحث على الاتّباع، يذكـر البخاري رحمه الله جملة تراجم وأحاديث تبين حرص الصحابـة رضـي الله عنهم على اتّباع النبي ﷺ في أدقِّ الأمور، وفي شتى الظروف، حتى لو كانوا يـؤدون صلاتهم بين يدي الله عز وجـل، أو كانوا مثخنين بالجراح، أو وقع بينهم اختلاف[٥]، فمن

الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، باب ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، برقم (٤٧٨١).

(٣) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٦٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧)، برقم (٤٨٨٦).

(٥) سنتطرق لهذا في المطلب الثالث كذلك بإذن الله.

ذلك :

باب قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣)[١]، وتحته حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء، إذ جاء فقال: أنزل الله على النبي ﷺ قرآناً أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة»[٢].

ومن ذلك: باب قوله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٢) ﴿ٱلْقَرْحُ﴾: الجراح، ﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾: أجابوا، ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ (الأنعام: ٣٦): يجيب[٣]، ومثله باب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (آل عمران: ١٧٢)[٤].

ومنها: باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥)[٥]، قال الشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي: (فيجب أن يكون عليه السلام أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وآثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه في الخطوب والحروب، ويتبعوه في كل ما دعاهم إليه، ويجعلوه مقدماً على ما يختارونه لأنفسهم، كما قال ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥). وخلاصة ذلك: أنه تعالى علم شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، وشدة نصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم)[٦].

ونختم الحديث في موضوع الاتّباع بما أورده البخاري رحمه الله وترجم له بقوله: باب ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ

---

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، ب باب قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣)، برقم (٤٤٨٨).

(٣) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٧٧).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٦٩٠).

(٥) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٣).

(٦) يُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٤١٨/٢٢) لمحمد الأمين ب الأرمي العلوي الهرري، إشراف ومراجعة هاشم مهدي، نشر دار طوق النجاة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف:١٥٨)[١]، فهذه الترجمة تضمنت بشكل مجمل الأمر بالاتِّباع وفي كل الأمور، وتضمنت بشكل أخص الأمر بالتوحيد وتجريد العبودية لله رب العالمين.

والتوحيد أعظم الصلاح والشرك أعظم الفساد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح... فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان وأصل الفساد: الشرك والكفر)[٢]. ففساد الشرك فساد عام يشمل أنواع الفساد كلها، ومن بينها فساد الفكر، والتوحيد من أسباب صلاح الأمور كلها، ومنها صلاح الفكر، وهو علامة على نقاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وما أودعه في أنفسهم من ضرورة الإقرار بوجوده وبربوبيته وبألوهيته، فمن جحد أو شك في واحدة من هذه؛ وقع في أخطر وأكبر صورة من صور الانحراف الفكري. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢) وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:» ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠)[٣]. هذه الفطرة هي فطرة التوحيد وعبادة الله وحده، وهو ما دعا إليه النبي ﷺ أهل الكتاب، قال البخاري رحمه الله: باب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿سَوَاءٍ﴾: قصد[٤]، وفي تفسير سورة «الكافرون»: باب يقال ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ (المائدة: ٣): الكفر، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلام. ولم يقل ديني، لأن الآيات بالنون، فحذفت الياء، كما قال: ﴿يَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٧٨) و﴿يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠) وقال غيره: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: الآن، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: وهم الذين قال ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (المائدة: ٦٤)[٥].

---

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٩٥).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٨/١٦٢-١٦٣) لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، برقم (١٣٥٩)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٢-٢٦٥٨) واللفظ له.

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٧٤).

(٥) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٩٠).

وبذا يتبين أن اتِّباع النبي ﷺ ينجي العبد يوم القيامة ، ويحقق له الأمن الفكري في الدنيا، فالمؤمن يسعد وينجو بالاتِّباع، وهو من أفضل العمل الصالح الذي يُتوسل به إلى الله ، والمؤمنون يوم القيامة يتوسلون باتِّباعهم النبي ﷺ ليغفر الله ذنوبهم ويكفر سيئاتهم ويتوفاهم مع الأبرار، قال البخاري رحمه الله: باب ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ (آل عمران: ١٩٣)[(١)] قال القسطلاني رحمه الله: في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو محمد ﷺ[(٢)]. أما الابتداع؛ فإنه يهلك صاحبه في الآخرة إن لم يتب منه ، كما أنه يوقعه في صور من الخلل الفكري، حيث يزعم ببدعته أن الشريعة ناقصة، فمحصول قوله بلسان حاله أو مقاله: أن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً كمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع[(٣)]، فضلاً عن كون المبتدع يبدِّل في الشرع، لأنه يعتقد ما ليس بسُنة أنه سُنة، وما ليس بمشروع أنه مشروع[(٤)]، كما أن البدع افتراء على الله عز وجل، حسبما أخبر في كتابه بقوله ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١٤٠)[(٥)]. ومن افترى على الله، لا شكَّ في أنَّه مصاب بخلل فكري .

المطلب الثاني: اتِّباع الوسطية

جعل الله أمةَ الإسلام وسطاً بين الأمم، ودينَ الإسلام وسطاً بين الأديان، ولذا كان أهل السُّنة والجماعة وسطاً بين الفِرَق الضالَّة والمناهج المبتدَعة التي خالفت السُّنة إما إلى إفراط وإما إلى تفريط، لأنهم تمسَّكوا بروح الإسلام، وامتثلوا وسطية الشريعة. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ما أَمَرَ الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزعتان؛ إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغُلُو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه)[(٦)].

وباستقراء كتاب التفسير من صحيح البخاري رحمه الله؛ نجد أنه يشير إلى هذه الوسطية في باب قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٠).

(٢) يُنظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧٣/٧) للقسطلاني، نشر المطبعة الكبرى الأميرية مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣ هـ.

(٣) يُنظر: الاعتصام (٦٢/١) للشاطبي، تحقيق: مشهور سلمان، نشر مكتبة التوحيد البحرين، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م .

(٤) يُنظر: الاعتصام (٤٧٨/٢).

(٥) يُنظر: الاعتصام (٢١٨/١) .

(٦) يُنظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٠٨/٢) لابن قيم الجوزية، تحقيق البغدادي، نشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .

شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)[١]، وذكر تحته حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فذلك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)» والوسط: العدل[٢]. وهذا محل الشاهد.

قال الشاطبي رحمه الله مبيناً أنَّ الشريعة تَحمِل على العدل والتوسُّط: (فإذا نظرتَ في كلية شرعية؛ فتأمَّلْها، تجدها حاملة على التوسُّط، فإنْ رأيتَ ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر. فطرف التشديد -وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر- يُؤتى به في مقابلة مَن غلب عليه الانحلال في الدين. وطرف التخفيف -وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص- يُؤتى به في مقابلة مَن غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك؛ رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يُرجع إليه والمعقل الذي يُلجأ إليه)[٣].

ويضرب لنا البخاري رحمه الله مثالين على توسط الشريعة:

الأول: يبين يسرها وسهولتها في جانب العبادة، فيقول: باب قوله ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤) وقال عطاء: «يفطر من المرض كله، كما قال الله تعالى» وقال الحسن، وإبراهيم: «في المرضع أو الحامل، إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما تفطران ثم تقضيان، وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عاما أو عامين، كل يوم مسكينا، خبزا ولحما، وأفطر» قراءة العامة: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ (البقرة: ١٨٤): وهو أكثر[٤]، وذكر تحته حديث عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فلا يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[٥].

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، برقم (٤٤٨٧).

(٣) يُنظر: الموافقات (٢/٢٨٦).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٥-٧٦٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ (المائدة: ٣)، برقم (٤٥٠٥).

وفي الآية الكريمة جملة من مظاهر التيسير والتسهيل ، فالشريعة تدرجت في فرض الصوم ابتداءً، ثم رخصت بالفطر في حال المشقة أو المرض أو السفر، وفتحت الباب لمن لا يقدر على الصوم من كبار السن وأصحاب المرض المزمن، أن يكفروا بالإطعام . قال السعدي رحمه الله: (ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة. ثم سهل تسهيلاً آخر. فقال: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر. ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة. وفي قوله ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملاً كان أو ناقصاً، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياماً قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس. وقوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يطيقون الصيام ﴿فِدْيَةٌ﴾ عن كل يوم يفطرونه ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتماً، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتماً على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام أخر ، وقيل ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين وهذا هو الصحيح)(1).

وقال البخاري رحمه الله: باب قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (النساء: ٤٣)» تيمموا: تعمدوا، ﴿آمِّينَ﴾ (المائدة: ٢): عامدين، أممت وتيممت واحد»، وقال ابن عباس: (لمستم) و﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٦) و ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ (النساء: ٢٣)، «والإفضاء: النكاح»(2). وهو في الترخُّص بالتيمم عند عدم الماء.

الثاني: يبين نهيها عن الإسراف في الإنفاق ، وأمرها بالتوسط في هذا الأمر ، كما في باب قوله ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) التهلكة والهلاك واحد»(3)، وتحته حديث حذيفة رضي الله عنه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥) قال: «نزلت في النفقة»(4).

(١) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨٦) للسعدي ، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٧).

(٣) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، برقم (٤٥١٦).

إنَّ العمـل بوسطيـة الشريعـة يعصـم صاحبـه بـإذن الله مِن طرفـي الانحـراف: الإفراط والتفريـط، فالإفـراط والإيغال في العمل قد يؤدي إلى خلل فكري ، هـو: بُغض العبادة أو الانقطاع عنهـا ، لأن الغالـي يحمِّل نفسه فوق ما تطيق ، فإما أن يبغض العبادة أو ينقطع عنها ، وقد يستبيح ما لم يبحه الله كالتكفير بغير حق واستباحة الدم المعصوم، وكذلك التساهل والتفريط قد يؤدي بصاحبـه إلى القول بإسقاط التكليف أو اتخاذ الاختلاف ذريعة لتجويز كل مختلف فيه، مما ينتج عنه استباحة ما حرم الله، وهذا خلل فكري.

المطلب الثالث: لزوم الجماعة.

الشريعـة ترمي إلى تحقيق التحاب والتراحـم والتعاطف، ولأجل تحقيق هذه المودة والألفة؛ سدَّت أبواب الخلاف، فجاءت أحكامها سواء في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق والسلوك، كي تكرّس وحـدة المسلمين، وتؤلّف بين قلوبهم، وتجمع شملهم، وتزيل ما يسبب الشقاق والاختلاف؛ انطلاقـاً من قول الله تعالـى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢). فجعلـت قبلة المسلمين واحـدة، وصلاتهم واحدة، يصطفون فيها لرب واحـد، ويسوّون صفوفهم إعلاماً بسلامة قلوبهم لبعضهم البعض[1]، كما أنهم يصومون جميعاً، ويفطرون جميعاً، ومناسكهم فـي الحجّ واحدة، وأعيادهـم واحدة، وجعل الزكاة والصدقة مِن أغنيائهـم على فقرائهم؛ لتتوثّق أخوتهـم. وفي المعاملات؛ ندبهـم الإسلام إلى الصـدق والأمانة، والسماحة فـي البيع والشراء، وإنظـار المعسر ومساعـدة المحتاج وإغاثة الملهوف، لأنّ ذلك مما يقـوي الروابط ويزيد الأخوة، ونهاهـم عـن الغش والنجش والربـا والاحتكار ، وأنْ يبيـع الرجل على بيع أخيـه، وأنْ يخطب على خطبتـه، لأنَّ ذلك ممـا يوغر الصـدور، ويقطع الروابـط، ويُسبب العداوة. وفـي جوانب الأخلاق والسلـوك؛ أمرهم بالسـلام وردِّه، وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسـان إلى الجار، ونهاهم عما يسبّب العداوة والبغضاء والتفرق والاختلاف.

وأسبـاب التفرق والاختلاف كثيرة، منها: الجهـل والابتداع والتعصب واتِّباع الهوى والخروج وشـق عصا الطاعة، وعدم الرجوع إلـى الكتاب والسُّنة عند التنازع ، وهـذا السبب الأخير والذي قبله، قد أشار إليهما البخاري رحمه الله في ترجمة واحدة، فقال: باب قوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) كما في الحديث: «لتسوُّنَّ صفوفكم، أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم». رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، برقم (٧١٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام، برقم (١٢٧-٤٣٦) .

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩): ذوي الأمر[١]، وأورد تحته حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، قال: «نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية»[٢].

وقصة عبد الله بن حذافة ذكرها البخاري رحمه الله في موضع آخر من صحيحه، من حديث علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: (تنازعوا في امتثال ما أمرهم به، وسببه أن الذين هموا أن يطيعوه وقفوا عند امتثال الأمر بالطاعة، والذين امتنعوا عارضه عندهم الفرار من النار، فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع وهو الرد إلى الله وإلى رسوله، أي إن تنازعتم في جواز الشيء وعدم جوازه فارجعوا إلى الكتاب والسنة)[٤]. وقال المزني: (قد ذمَّ الله الاختلاف في غير ما آية، ولو كان مِن دينه ما ذمَّه، ولو كان التنازع مِن حكمه ما رده إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ، ولا أمر بإمضاء الاختلاف والتنازع على ما هما به، وما حذر رسول الله ﷺ أمته من الفرقة وأمرها بلزوم الجماعة)[٥].

إن الاختلاف سبب لتفريق الصف وإضعاف الأمة وذهاب ريحها، فالجماعة قوة ومنعة، والفُرقة ضعف، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦) وفي معنى ريحكم عدة أقوال، منها: جَلَدكم وجِدَّكم ونُصرتكم، فقد ذهبت ريح أصحاب رسول الله ﷺ حين نازعوه يوم أُحُد، وأيضاً: جرأتكم وحِدَّتكم وقوتكم

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩): ذوي الأمر، برقم (٤٥٨٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار، برقم (٤٣٤٠).

(٤) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٥٤/٨)، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن باز، نشر دار المعرفة بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر ١٣٧٩هـ.

(٥) يُنظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٥٢٧/٦) للزركشي، نشر دار الكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ودولتكم وصولتكم[1]، ولهذا علاقة بالأمن الفكري، فإذا ضعفت الأمة؛ سقطت هيبتها واستغل أعداؤها ذلك، فحاربوا دينها، أو تسلطوا عليها، وربما احتلوا أرضها أو أمعنوا في العبث بتغيير ثقافتها أو نشر دعوات الإلحاد والعلمنة.

الفصل الثاني: المهدِّدات

المطلب الأول: مهدِّدات الاتِّباع

الفرع الأول: الشرك

الشرك مِن مهددات الأمن الفكري، فهو أعظم خلل فكري يقع فيه المرء، لأنه يخالف فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولأجل ذلك جاءت نداءات القرآن للمشركين لردهم إلى الفطرة، من خلال حثهم على إعمال عقولهم إعمالاً سوياً، ولتؤكد أن الخلل الفكري أحد أسباب وقوع المشرك في الشرك، فالعقل إذا استقام؛ أقرَّ بوحدانية الله تعالى. ومن الآيات التي خوطبوا بها: قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ × وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ × وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٨-٨٠) هذا استفهام تقريري أي: أجيبوا عن هذا، ولا يسعهم إلا الجواب بأنها لله. والمقصود إثبات لازم جوابهم، وهو انفراده تعالى بالوحدانية[2]. والمعنى: فتعرفون أن الذي وهب لكم من النعم ،السمع والأبصار والأفئدة، والذي نشركم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن تخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، وتتركوا عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو كان لكم عقل؛ لم تفعلوا ذلك[3].

وباستقراء كتاب التفسير من صحيح البخاري، نجد أنه رحمه الله قد حذَّر من هذا الخلل الفكري في أربعة أبواب :

الأول: باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)[4]، ثم أورد حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك

(١) يُنظر: التفسير البسيط (١٠/١٨٢بتصرف) للواحدي، تم تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، نشر عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير (١٨/١٠٩) لابن عاشور، نشر دار سحنون تونس، الطبعة: بدون، سنة النشر ١٩٩٧م.

(٣) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٦).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٠-٧٦١).

تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[١].

الثاني: باب قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) يعني أضداداً، واحدها ند»[٢]، وأورد تحته حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت أخرى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة[٣].

فلا يجوز اتخاذ الند لله من صنم أو وثن أو شيطان أو طاغوت، يُعبد مع الله أو من دون الله، أو يُدعى كما يُدعى الله، أو يُستغاث به من دون الله، أو يُلجأ إليه أو يُتوكل عليه أو أي نوع من أنواع العبادات البدنية أو القلبية.

الثالث: باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)[٤]، وتحته حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال:» لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ (الأنعام: ٨٢) إيمانهم بظلم قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)[٥].

الرابع: باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)[٦] وفيه حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢) شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣)»[٧].

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأي ظلم أعظم من توجيه العبادة لغير مستحقها؟ وإنما كان الشرك من الظلم العظيم لأن فيه استواء أشخاص لا دخل لهم في الخلق والرزق والنعم، بالله سبحانه وتعالى في العبادة، فالشرك ظلم لا يتصور بعده ظلم آخر، وللخالق سبحانه على عبده المخلوق حق العبادة، فيعبده وحده لا شريك له، ولكن المشرك يضيع حق الله فيعبد غيره،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، برقم (٤٤٧٧).

(٢) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٦٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، برقم (٤٤٩٧).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٩٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)، برقم (٤٦٢٩).

(٦) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٣٩).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، برقم (٤٧٧٦).

ثـم هـو في هذا الظلم يستخـدم عدة من القوى التي أعطاها الله فـي جسمه وما سخر الله له من النعم في السماء والأرض ، مع أن الله وحده خالق لهذه القوى والنعم، فلا يستحق أحد أن يستعمل لـه تلـك القوى والنعم دون الله الذي خلقها. ثـم للعبد على نفسه حق آخر وهو أن لا يذل نفسه، ولا يبذلهـا فـي عبادة غير الله تعالى، لئـلا يستحق أليم عقاب الله تعالى، ولكـن المشرك يذل نفسه بعبـادة غيـر الله تعالى، ويوقعها في عذاب الله الأليم بسبب هـذا الظلم العظيم، وهكذا المشرك يمضـي جميع عمره في الظلم إلـى أن لا يخلو نفَس من نفساته من الظلم العظيم الذي هو الشرك بالله العظيم»[1].

الفرع الثاني: النفاق.

النفـاق هو ثانـي مهددات الاتِّبـاع، لأن حقيقته إبطان الكفـر وإظهار الإسـلام ، ولذا توعد الله المنافقيـن بالـدرك الأسفل من النـار فقال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيـنَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَـلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء:١٤٥) فهو مخادعة لله، والمنافقون يظنون أنهم بإظهار الإسلام وإبطان الكفر يخادعون الله، وهـذا هـو الضلال بعينـه، وخلل فكري بلا شك، وذهـب بعض أهل العلم إلـى أنَّ النفاق من الاستهـزاء بآيات الله، لأن المنافق يقصد بالأحكام غير مـا شُرعت لأجله، فيقول: (هذا القاصد مستهـزئ بآيـات الله، لأن من آياته؛ أحكامه التي شرعها، وقد قال بعـد ذكْرِ أحكام شرَعها ﴿وَلَا تَتَّخِـذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُـزُوًا﴾ (البقرة: ٢٣١) والمراد أن لا يُقصد بها غير ما شرَعها لأجلها، ولذلك قيـل للمنافقين حيث قصـدوا بإظهار الإسلام غير ما قصده الشارع ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُـونَ﴾ (التوبة: ٦٥) والاستهزاء بما وضع على الجـد مضادة لحكمته ظاهرة، والأدلة على هـذا المعنى كثيرة، وللمسألة أمثلـة كثيرة، كإظهار كلمة التوحيد قصـداً لإحراز الدم والمال، لا لإقرار للواحد الحق بالوحدانية)[2].

ولخطـورة النفـاق علـى الأمن الفكري؛ سـرد البخاري رحمـه الله عدة أبـواب[3] من كتاب التفسيـر في صحيحه، تتضمـن التحذير من النفاق وأهله وبيان بعض صفاتهم، فقال: باب قوله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ إلى ﴿لكاذبون﴾ (المنافقون: ١).

وقـال: باب ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ (المنافقـون: ٢): يجتنون بها. وفي هذا الباب حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أُبي بن سلول يقول: لا تنفقوا

(١) يُنظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/٥٧٢-٥٧٣) لشمس الدين الأفغاني، نشر دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) يُنظر: الموافقات (٣/٣١).

(٣) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٦٩-٨٧١).

علـى مـن عند رسول الله حتى ينفضـوا، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلـى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكـرت ذلـك لعمي، فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليـه وسلم، فأرسل رسول الله ﷺ إلــى عبد الله بن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (المنافقون: ١) إلى قوله ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ٧) إلى قوله ﴿لَيُخْرِجَـنَّ الْأَعَـزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨) فأرسل إلي رسـول الله ﷺ فقرأها علي، ثم قال: «إن الله قد صدقك»[1].

وقـال البخاري رحمه الله: باب قوله ﴿ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٣).

وقـال: بـاب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَـعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤).

وقال: باب قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون: ٥): حركوا، استهزؤوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ بالتخفيف من لويت. وقال: باب قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦).

وقـال: بـاب قوله ﴿هُمُ الَّذِيـنَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُـوا عَلَى مَنْ عِنْـدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّـى يَنْفَضُّوا﴾ (المنافقـون: ٧)، ﴿يَنْفَضُّـوا﴾: يتفرقـوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَـاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِـنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٧).

وقـال: باب ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الـدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء:١٤٥)، قال ابن عباس: «أسفل النار، ﴿نَفَقاً﴾ (الأنعام: ٣٥):سرباً»[2].

مـا سلف يبين يضيء ولو من بعيـد على خطورة النفاق على صاحبه وعلـى المجتمع، ويؤكد أنــه من مهـددات الأمن الفكري في الأمــة، لأنه إبطان للكفـر وإظهار للإسلام كمـا أسلفنا، كما أنــه تحايل علــى الشرع، واستعمالٌ للأحكام الشرعية في غير مــا وُضعت له، قال الشاطبي رحمه الله: (فـإن الله قال ﴿فَاقْتُلُـوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَـدٍ﴾ (التوبـة: ٥) ثم قال ﴿إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الـزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾ (التوبة:

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ (المجادلة: ١٦)، برقم (٤٩٠١).
(٢) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٦٩).

٥) فالمنافـق إنمـا فَهِم مجرد ظاهر الأمر، من أن الدخول فيما دخل فيه المسلمون موجب لتخلية سبيلهم؛ فعملوا على الإحراز من عوادي الدنيا، وتركوا المقصود من ذلك، وهو الذي بيَّنه القرآن من التعبد للّه والوقوف على قدم الخدمة)[١].

ونضيف إلى ما سبق؛ أنَّ النفاق ابتداع، لأنه وضع في الشريعة على غير ما وضعها الله تعالى، فالمنافقـون اتخـذوا الشريعة تقيةً لا تعبُّداً، وجعلوها ذريعة لحفـظ النفس والمال، وقد حكى الله تعالـى حالهم بقولـه ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَـدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَـا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون:٢). والابتداع خلل فكري كبير كما سيأتي معنا في الفرع التالي بإذن الله.

الفرع الثالث : رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال البخاري رحمه الله: باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢) الآية ﴿تَشْعُـرُونَ﴾ (الحجـرات: ٢): «تعلمون، ومنه الشاعر»[٢]. وفيـه حديث أنس بن مالك رضي الله عنـه أن النبـي صلى الله عليه وسلـم افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسـول الله، أنا أعلم لك علمـه، فأتاه فوجده جالساً في بيته، منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبـره أنـه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخـرة ببشارة عظيمة، فقال: « اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»[٣].

قـال الشيـخ أبـو بكر الجزائـري رحمـه الله عن هذه الآيـة: (تطالـب المسلم بالتـأدب مع رسـولﷺ، فـأولاً: نهاهم رضي الله عنهم عن رفـع أصواتهم فوق صوت رسـول الله ﷺ إذا هم تحدثوا معه، وأوجب عليهم إجلال النبي وتعظيمه وتوقيره، بحيث يكون صوت أحدهم إذا تكلم مع رسول الله أخفض من صوت الرسول ﷺ، ولقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا كلم رسول الله يساره الكلام مسارةً، وثانياً: نهاهم إذا هم ناجوا رسول اللهﷺ أن لا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، بل يجب عليهم توقيره وتعظيمه، وأعلَمَهم أنه يخشى عليهم إذ هم لم يوقروا رسول الله ولـم يجلـوه أن تحبـط أعمالهم كما تحبط بالشـرك والكفر وهم لا يشعـرون. إذ رفع الصوت للرسـول ونـداؤه بأعلى الصوت: يا محمد يا محمد أو يـا نبي الله و يا رسول الله، وبأعلى الأصوات إذا صاحبـه استخفـاف أو إهانة وعدم مبـالاة؛ صار كفراً محبطاً للعمل قطعـاً ...وختم قائلاً : لا

(١) يُنظر: الموافقات (٤/٢٢٠-٢٢١).

(٢) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٥٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)، برقم (٤٨٤٦).

يجوز للمسلم أن يقدم رأيه أو اجتهاده على الكتاب والسُّنة)[1].

وهذا يقودنا إلى مسألة الابتداع وخطورته، فإذا كان رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ يحبط العمـل ، فكيـف بمن يقدم رأيه وهواه على دين النبـي وشرعه ، فيبتدع في دين الله ما ليس منه ؟، وقـد ذكرنا في الفصل الأول باختصار شديد تهديده للأمن الفكري، ونزيد هنا شيئاً من خطورته باقتضـاب، لأن بيـان هذا يحتـاج إلى صفحات كثيرة، فمـن ذلك: أن منشـئ البدعة ومخترعها، يتحمـل وِزرها ووِزْر مَن عمل بها، ومن ذلـك أن : الابتداع هلكة لأنه استدراك على الشارع وإخلال بالدين، ومن ذلك: أنَّ البدع ترفع السُّنن وتُميتها، وهي أحد أسباب التعصُّب المذموم، ومن ذلك: أن المبتـدع يتبع غير سبيـل المؤمنين، ومُبْعَد مِن الله تعالى، ووجهـه أسود في الآخرة، ويُذاد عن حوض النبي ﷺ .

لذا ورد التحذير من البدع في آيات وأحاديث عديدة منها قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، وقال صلى الله عليه وسلم وفي الحديث: «كل بدعة ضلالة»[2]، وللبدع عدة أسباب أهمها: الجهل والهوى والرأي، وعلاجها يكون بالحث على التمسك بالكتاب والسُّنة ، وبالتحذير من البدع ، وبيان خطرها وشؤمها على أصحابها.

المطلب الثاني: مهدِّدات الوسطية

تطرقنـا إلى وسطية الأمـة بين الأمم، وإلى وسطية أهل السُّنـة والجماعة بين سائر الفرق، بسبـب تمسكهـم بروح الشريعـة ووسطيتها، لكن مِنَ النـاس مَنْ تشدَّد في فَهْـم وتطبيق نصوص الشـرع التي تُرغِّب في الخير وتحثُّ عليه، وتُرهِّب مِن التقصير والتقاعس في العمل، فضيَّق بعقله القاصـر ما وسَّعـه الشَّرْع، وأَوْجَب بفَهْمه الكليل ما نَدَب إليه الشـارع، وحرَّم ما كرهه. وباستقراء كتـاب التفسير من الصحيـح، نجد أن البخاري رحمه الله قد تناول عـدة صور من التشدد ، كونه أحد مهددات الوسطية ، وبيان ذلك فيما يلي:

الفرع الأول: تحريم الحلال.

قال البخاري رحمه الله: باب قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾

(١) يُنظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(١٢١/٥-١٢٢) للجزائري، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤ه ٢٠٠٣م .

(٢) رواه مسلم في صحيحه(ت: عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث)، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٤٣-٨٦٧).

(المائدة: ٨٧)[١] وتكملة الآية الكريمة ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ قيل: إنها نزلت بسبب تحريم ما أحلَّ الله تشديداً على النفس؛ فسُمي اعتداء لذلك، والاعتداء خلل فكري. يؤيد ذلك ما أورده البخاري رحمه الله تحت هذا الباب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب» ثم قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧)[٢].

الفرع الثاني: التعمُّق في السؤال.

التعمُّق في السؤال علامة على التشدد، ومظنة التشديد على النفس، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحُجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟، فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: « لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[٣]. ومثل ذلك قصة أصحاب البقرة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: «لو ذبحوا بقرةً مّا؛ أجزأتْهم، ولكن شددوا فشدَّد الله عليهم حتى ذبحوها ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٧١)»[٤].

قال البخاري رحمه الله: باب قوله ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١)[٥]، وللآية عند البخاري رحمه الله سببان للنزول، أحدهما خلل فكري هو الاستهزاء ، حيث أورد حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة:١٠١) حتى فرغ من الآية كلها»[٦].

قال ابن عاشور رحمه الله : (قال الكوراني: إن قلتَ: الاستهزاء برسول الله ﷺ كفر، فكيف صدرت الآية بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ١٠١)، أو خوطبوا بناءً على ادعائهم

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧)، برقم (٤٦١٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (٤١٢ – ١٣٣٧) .

(٤) يُنظر: تفسير الطبري (٢/٢٠٦).

(٥) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٩٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١) ، برقم (٤٦٢٢).

الإيمـان، كمـا تقول لمن يلحن في الإعراب ويزعم أنه نحـوي: (يا نحوي لا تلحن). أقول: الحديث صريـح فـي أنَّ الآية نزلـت بالمدينة، لأن في بعض رواياته أن رسـول الله ﷺ خطب خطبة، وإنما كان يخطـب بالمدينة، ولذلك فالظاهر أن الذين كانوا يسألون، منهم من يسأل قاصدًا الاستهزاء وهم من المنافقين، ومنهم من يسأل على قصد الجد. ففي رواية: أن حذافة سأل، فقال: من أبي؟ فأطلـع الله رسولـه صلى الله عليه وسلم على قصد المستهزئين، وحـذر المؤمنين من ذلك لقطع أصل السؤال)[1].

الفرع الثالث: قتل النفس المعصومة.

قتْـل النفس التي حرم الله من مظاهر التشدد والغلو، ويقدح في أصول الضروريات[2]، ولذا كان قتل النفس الواحدة كقَتْل مائة نفس، بل كقَتْل النـاس جميعاً لقوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائـدة:٣٢)، ولأنَّ حقْنَ الدماء مِن مقاصد الشـرع[3]؛ كان مَن أحيا النفس فكأنما أحيا الناس جميعاً.

قـال البخـاري رحمه الله: باب قوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (الفرقان: ٦٨) :العقوبة[4]، فقرن قتل النفس بالشرك.

وقال: باب ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (النساء: ٩٣)[5]، وأورد حديث سعيد بن جبير، قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: «نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (النساء: ٩٣) هي آخر ما نزل، وما نسخها شـيء»[6]. فالآيـة محكمة غير منسوخة ، وحكمها باقٍ إلى يوم القيامـة ، مما يدل على أنَّ الحفاظ علـى النفس المعصومة واجب، لأنَّ ذلك مِن حقـوق الله تعالى، إذ لا يحلُّ للإنسان أنْ يبيح لنفسه ولا لغيره دمه، ولا قطع طرف مِن أطرافه، ولا إيلامه بشيء مِن الآلام. ومَن فعل ذلك؛ أَثِم واستحق

(١) يُنظر: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح (ص ١٦٨) لابن عاشور، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م .

(٢) يُنظر: الموافقات (٣/٥٣١).

(٣) يُنظر: الاعتصام (٣/٤١).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٣٥).

(٥) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٤).

(٦) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (النساء: ٩٣)، برقم (٤٥٩٠) .

العقاب.

فالشريعة لا تتشوَّف للقتل، بل تقصد إلى حقن الدماء، وحفظ الأنفس المعصومة، فرخصت لأجل ذلك النطق بكلمة الكفر حفظاً للنفس مِن القتل، وأسقطت الحدود بالشبهات حقناً للدماء[(١)]، وأسقطت العقوبة عمَّن أُكره على فعل الزنى كي يحافظ على نفسه من القتل، وكذا بذل المرأة بُضعها للحفاظ على حياتها[(٢)]، إذ لا حرج على المكرَه، لأنَّ الإكراه يجري مجرى الخطأ والنسيان، وفي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[(٣)]. وفي ذلك ردٌّ على الخوارج في استحلالهم الدم المعصوم بسبب المعصية، وتأكيد على أنَّ الإسلام يمنع مِن انتهاك حرمة الدم والمال والعرض إلا بحقها، فلا يُستباح دم وعرض المسلم بمكروه أو شبهة أو خطأ لا يقصده، أو تأويل يُعذر فيه، أو اجتهاد سائغ صدر منه. فإذا كان الله تعالى قد أباح المحرَّم لإحياء النفس؛ تبين لنا أنَّ حفظ الأرواح أمر كلي مِن كليات الشريعة.

المطلب الثالث: مهدِّدات الجماعة.

الجماعة من محدِّدات الأمن الفكري كما أسلفنا، ويهدِّدها عدة أمور، منها: التفرُّق، والإرجاف، وقد أورد البخاري رحمه الله عدة أبواب وأحاديث تحذر من التفرق ومن الإرجاف، وبيان ذلك في فرعين:

الفرع الأول: التفرق.

حذَّر البخاري رحمه الله من التفرُّق والتحزُّب، فأورد باب قوله ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥) الآية ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥): «يخلطكم من الالتباس»، ﴿يلبسوا﴾ (الأنعام: ٨٢): «يخلطوا»، ﴿شِيَعًا﴾ (الأنعام: ٦٥): «فرقاً»[(٤)]، وتحته حديث جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥)، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ

---

(١) ذهب جمهور الفقهاء إلى اعتبار درء الحدود بالشبهات قاعدة نَصِّيَّة، ترجع إلى الحديث المشهور: «ادرؤوا الحدود بالشبهات» برواياته وألفاظه، وإلى جملة مِن الأحاديث تتصل بالسُّنة العملية في ذلك، وإلى جملة مِن الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) قال ابن عاشور: (وإذا كان الإكراه موجب الرخصة في إظهار الكفر؛ فهو في غير الكفر من المعاصي أولى كشرب الخمر والزنا، وفي رفع أسباب المؤاخذة في غير الاعتداء على الغير كالإكراه على الطلاق أو البيع). يُنظر: التحرير والتنوير (١٤/٢٩٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (ت: السلفي، نشر دار إحياء التراث، ط٢ ١٩٨٣)، برقم (١٤٣٠) وابن ماجة في سننه (ت: عبد الباقي، نشر دار الفكر)، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣) واللفظ له، وصححه الألباني في المشكاة (تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي، ط٣ ١٩٨٥)، برقم (٦٢٩٣).

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٩٢).

مِنۡ تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ (الأنعام: ٦٥)، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ (الأنعام: ٦٥) قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون – أو هذا أيسر –»[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ لُبْسهم شيعاً: هو الأهواء المختلفة[٢]. ويكون على هذا قوله ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ (الأنعام:٦٥) تكفير البعض للبعض حتى يتقاتلوا، كما جرى للخوارج حين خرجوا عن أهل السنة والجماعة[٣].

إنَّ التفرُّق أمر محرَّم ومبتدع، أما كونه محرَّماً؛ فلأحاديث كثيرة، منها حديث أبي ذر t قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام مِن عنقه»[٤]. وأما كونه بدعة؛ فلأن الخروج أمر محدَث، أول مَن ابتدعه الخوارج[٥].

فالخوارج فَهِموا مِن نصوص التحذير مِن الاختلاف والتفرُّق؛ وجوبَ معاداة المخالِف والتبرؤ منه، دون النظر إلى حِرْص الشريعة على الأُلفة ورفع الخلاف، ودون اعتبار الأدلة التي تحث على الوحدة والاجتماع، ودون معرفة أنواع الخلاف وأسبابه، وما يسوغ منه، وما لا يسوغ، فهؤلاء لم يَتنكَّروا للنُّصوص، ولم يردُّوها ولم يَطْعَنوا بها، وإنما أُتوا مِن الخطأ في فهم النصوص ومنهجية تطبيقها، فآلَ أمرُهم إلى خلل فكري جلي.

وأعظم ما يعين على جمع الناس؛ حَمْلُهُم على اتِّباع الكتاب والسُّنة، فإن ذلك عاصمٌ بإذن الله مِن الفُرقة ولو وقع بينهم اختلاف، فالاختلاف لا يضر إذا كان الوحيان هما الأصل، وصورة ذلك المثلى حدثت في عهد الصحابة رضي الله عنهم. يقول ابن القيم رحمه الله: (اختلاف الصحابة رضي الله عنهم لم يضر؛ لأن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والقصد واحد، وهو طاعة الله ورسوله ﷺ، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل رأي وقياس وذوق وسياسة)[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ (الأنعام: ٦٥)، برقم (٤٦٢٨).

(٢) يُنظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٢٠).

(٣) يُنظر: الاعتصام (١/٨٦-٨٧).

(٤) رواه أحمد في مسنده، (ت: الأرنؤوط، نشر الرسالة، ط١، ١٤٢١)، برقم (٢١٥٦١)، وأبو داود في سننه، (ت: الأرنؤوط، نشر الرسالة العالمية، ط١٤٣٠،١)كتاب السنة، باب في الخوارج، برقم (٤٧٥٨)، وصححه الأرنؤوط في تحقيق المسند (٣٥/٤٤٥).

(٥) يُنظر: الاعتصام (٢/٤٦٠).

(٦) يُنظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/٥١٩) لابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، نشر دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

الفرع الثاني : الإرجاف.

لا يخفـى أن الإرجـاف من أخطـر ما يهدد الأمة في دينها ووحدتهـا ، سيما إن سرى وشاع ، والشائعـات من أقوى الأسلحة في تفريق الصف، ففي غزوة أُحُـد صرخ الشيطان أنَّ محمداً قُتل، فَسَـرَت هذه الشائعة بين المؤمنين، وفتَّت فـي عضدهم وأوهنت قوتهم وتسلط عليهم العدو، ولذا حذر البخاري رحمه الله من الإرجاف والشائعات فقال:

بـاب ﴿وَإِذَا جَاءَهُـمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْـنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُـوا بِهِ﴾ (النسـاء: ٨٣): أي أفشوه[١]، والإذاعـة: الإفشـاء والنشـر، والأمن: السلامة والسلـم، والخوف: الخلل أو الخطـر أو الهزيمة أو الإصابـة[٢]، قال السعدي رحمه الله: (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخـوف الذي فيه مصيبـة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلـك الخبر، بل يردونه إلى الرسـول وإلـى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفـون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطـاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً مـن أعدائهـم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنـه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحـة ولكن مضرته تزيد على مصلحته؛ لم يذيعوه)[٣].

وقد ازداد خطر الإرجاف هذه الأيام لسهولة نشره وتناقُله من خلال وسائل الإعلام والتواصل، ممـا يوجب على المسلم التثبت عند سماع الأخبار، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، كما يجـب عليه عدم نقل الأخبار وإشاعتها. وهنا يقول البخاري رحمه الله: باب ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُـونَ بِأَفْوَاهِكُـمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْـمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْـدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥)[٤]، ولنلاحـظ قوله تعالـى ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُـمْ﴾ فاللسان ليس أداة تلقي، بـل العقل هو المسؤول عن ذلـك، ولكن عندما يتناقل المـرء الأخبار المرجفة دون تثبت ودون تفكيـر أو إعمال للعقل، انقلب اللسان إلى أداة تلقي وإرسال.

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٨٤).

(٢) يُنظر: الأساس في التفسير (١١٣٣/٢) لسعيد حوّى، نشر دار السلام القاهرة ، الطبعة السادسة ١٤٢٤ هـ .

(٣) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٠) .

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (ص٨٣٢).

الخاتمة

نختم بحثنا المختصر بتجديد الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسُّنة، والوقوف عند حدودهما وتوجيهاتهما دون إعمال للرأي أو تقديم للعقل على النقل، وعلى ذلك نص البخاري رحمه الله، فقال: باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) «العرف: المعروف»[1]، ثم أورد حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذِن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ أنْ يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافاً عند كتاب الله[2]. فلو وقف المسلمون عند كتاب الله وعند سنة رسوله ﷺ؛ لما نبتت صور الخلل الفكري التي نراها ونشاهدها ونقطف ثمارها المرة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر

القرآن الكريم

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أو (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (المتوفى:٢٥٦هـ)، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة، الناشر: دار السلام الرياض، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ١٤٢٢هـ.

سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

---

(١) يُنظر: صحيح البخاري (ص٧٩٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، برقم (٤٦٤٢).

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر ، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

جامع البيان في تأويل القرآن أو (تفسير الطبري) المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور ، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

الأساس في التفسير ، المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) ، الناشر: دار السلام القاهرة ، الطبعة السادسة ١٤٢٤ هـ .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام (ص٦٢) للشيخ عبد الله التركي، نشر موقع وزارة الأوقاف السعودية ، الطبعة : بدون ، سنة النشر: بدون .

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

مجموع الفتاوى ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة التوحيد البحرين، الطبعة

الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م .

إرشـاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلانـي القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الديـن (المتوفى: ٩٢٣هـ) ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة السابعة ١٣٢٣ هـ .

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .

فتـح الباري شرح صحيح البخـاري ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢ هـ) ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، عليه تعليقات العلامـة عبد العزيز بن عبد الله بن بـاز، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر ١٣٧٩هـ .

البحـر المحيـط في أصول الفقه ، المؤلـف: أبو عبد الله بدر الدين محمـد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، الناشر: دار الكتبي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

التفسير البسيط ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، تم تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثـم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ .

التحريـر والتنوير ، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفـى: ١٣٩٣هـ) ، الناشـر: دار سحنون للنشر والتوزيع تونـس ، الطبعة : بدون ، سنة النشر ١٩٩٧ م .

جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ،المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، الناشر: دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

المسنـد الصحيـح المختصر بنقـل العدل عن العدل إلى رسـول الله r أو (صحيح مسلم)، المؤلـف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيـري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد

فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة : بدون ، سنة النشر : بدون.

المعجـم الكبير ، المؤلف: سليمان بـن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

سنــن ابـن ماجة، المؤلـف: أبو عبـد الله محمد بن يزيـد القزويني، ابن ماجـة (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، الناشر: دار الفكر بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة : بدون ، سنة النشر : بدون .

مشـكاة المصابيح ، المؤلـف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريـزي (المتوفى: ٧٤١هــ) ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانــي ، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

مسنــد الإمــام أحمد بن حنبـل ، المؤلف: أبو عبـد الله أحمد بن محمد بـن حنبل بن هلال بـن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، تحقيــق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

سنن أبي داود ، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي ، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م .

الصواعـق المرسلة في الـرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمـد بن أبي بكر بن أيوب بـن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

أ.د. مزاحم مهدي النجار
العراق

مهددات الأمن الفكري عند البخاري

المقدمة

الحمـد لله رب العالميـن، الحمـد لله الـذي أنعم علينا بنعمة الاسـلام وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وهدانا بالنبي المختار محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ،

وبعد

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل قال تعالى ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1]

كمـا أن مـن حكم الله تعالى ان جعل الناس مختلفين قال تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾[2]

والاختـلاف سنـة الحياة، وهذا الاختلاف قد يؤدي الـى التنافر والعداوة والشقاق وهذا بـدوره يؤدي الـى زعزعة الأمن وعدم الاستقرار، مـن أجل ذلك أنعم الله تعالـى على أهل قريش بالآمن قال تعالى ﴿الذي أطعمهم من جوع وامنهم من خوف﴾[3]

ومن نعم الله تعالى علينا ان هدانا بالقران الكريم وانزل علينا نبيه محمداً الامين صلى الله عليـه وسلـم رحمة لنا قال تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾[4] فقد بين لنا في سنته الشريفـة الطريق المستقيـم الذي يخلصنا من شـرور الدنيا ومصائبها، قـال ﷺ «تركت فيكم خصلتين ما ان تمسكتم بها لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنة نبيه»[5]

---

(١) سورة الحجرات اية ١٣

(٢) سورة هود اية ١١٨

(٣) سورة قريش اية ٤

(٤) سورة الانبياء اية ١٠٧

(٥) الموطأ٢/٧٠،المعجم الكبير١١/١١٤، الاعتقاد للبيهقي١/٢٢٨

وايضـا فـان من نعـم الله علينا ان حمى كتابه القران الكريم مـن التحريف، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١]

وكذلـك حفـظ السنـة النبوية حيث هيـأ لها رجـالا يحفظونها ويدافعـون عنها من اهل الاهـواء والبدع ، ومن هـؤلاء الرجال الذين حموا السنة واوصلوها لنـا هما البخاري ومسلم حيث يعد كتابيهما من اصح الاحاديث التي وصلت الينا.

وبمـا أن بحثنـا حول الامام البخـاري لذا سأقتصر فـي البحث عن الاحاديـث النبوية التي اوردهـا البخـاري في كتابه المعروف (صحيـح البخاري) لنتلمس فيه جزئيـة من الجزئيات التي اوردها وهي عن الامن الفكري وبصورة خاصة عن مهددات الامن الفكري والتي تبين ان الاسلام هو اول من نادى بالأمن الفكري واشار اليه وبصورة غير مباشرة .

وموضوع الامن من المواضيع المهمة والخطيرة للإنسان ،وتسعى الدول والحكومات الى العمل من اجل استتباب الامن ووضعت العقوبات على المخالفين ،ونحن في زمن بأشد الحاجة الى استتبـاب الامن والحفاظ عليه وخاصة مسالة الامـن الفكري اذ ظهرت الكثير من الآراء المضللة ومنها ما هو مرتبط ببرامج خارجية تريد زعزعة الامن في بلادنا الاسلامية ،

ولـو رجعنـا الى كتاب الله تعالى القـران الكريم والسنة النبوية فإننـا نجد انهما قد تحدثا عـن الامن بصـورة عامة ، الا ان الامـن الفكري لم يرد فـي القران الكريم ولا فـي الستة النبوية بهـذا المصطلـح فهو حديـث الاستعمال ، الا انه من خـلال قراءة الاحاديث النبويـة التي اوردها الامام البخاري في كتابه الصحيح يمكن لنا ان نتعرف على حقيقة الامن الفكري وذلك من خلال المهددات التي تهدد الامن الفكري للمجتمع،

ان الامـام البخـاري قـد استطاع بعقليته الفذة ان يستخلـص لنا من مجموع الاحاديث النبوية التي حفظها ما ينفع الانسان في جميع امور حياته وبصورة مختصـرة كافية من غير تطويل ولا نقصان وهذه احدى الميزات التي امتاز بها البخاري عن غيره ممن جمع الاحاديث النبوية.

مـن اجـل ذلك جاء بحثنا في هذه الجزئية وهي الاطلاع على المهددات للأمن الفكري وتحت عنوان (مهددات الامن الفكري عند الامام البخاري في صحيحه) من اجل تجنبها للحصول علـى الامن الفكري والاستقرار فـي المجتمع والذي يصبو اليه كل انسان ولبيان ان للأمن الفكري أساساً في شريعتنا الغراء.

وعليه فقد جاء بحثنا في مقدمة وثلاثة مباحث

---

(١) سورة الحجر اية ٩

جاءت المقدمة للحديث عن اهمية الموضوع

المبحث الاول: تحدثت فيه عن مفاهيم العنوان

وفي المبحث الثاني تحدثت عن اهمية الامن في حياة الانسان والمجتمع

وفي المبحث الثالث تحدثت عن المهددات للأمن الفكري عند البخاري في صحيحه

وجاءت الخاتمة لتبين اهم النتائج والتوصيات

المبحث الاول: مفاهيم العنوان

للدخـول الى هذا البحث ومعرفة تفاصيله لا بد من فهـم عناوين البحث ليسهل على القارئ اخذ نبذة مختصرة عن الموضوع وفهمه

اولا: تعريف المهددات:

تعريف المهددات لغة:

المهددات: اسم مفعول من الفعل هد يهد فهو مهدد[١]

قال صاحب جمهرة اللغة : وهدد يهدد هدا من قولهم هددت الحائط اذا هدمته[٢]

وقال ابن منظور: الهد : الهدم الشديد وهدته المصيبة : اوهنت ركنه[٣]

وتعريف الهد شرعا: اسم لفعل من يفعل الامر لغيره فينتفي به اختياره

او هو: عبارة عن تهديد القادر على ما هدد غيره بمكروه على امر بحيث ينتفي به الرضا [٤]

تعريف المهددات اصطلاحا:

هــي شــيء او شخص او أي كيان اخر يمثل خطراً ثابتــاً او محتملاً لأصل من الاصول التابعة للنشــأة ودائمــا ما توجــد المهددات في أي نظام وقــد يكون ظهورها بشكل عرضــي او متعمد وقد تحــدث نتيجة للعوامــل الطبيعية مثل العواصف الشديدة التي تمثل خطــرا على المباني التي تأوي تلك المعلومات[٥]

(١) معجم اللغة العربية ٢٣٣٢/٣

(٢) جمهرة اللغة ١١٥/١

(٣) لسان العرب ٤٦٣١/٦

(٤) الكليات ١٦٣/١

(٥) https:sana1111filo word poess.com\5:2011

وبتعبير اخر فاني ارى ان المهددات: : هي كل ما يؤدي الى ضعف بنيان الامة وزعزعة كيانها واستقرارها سواء كان بالقول او العمل

ثانيا: تعريف الامن الفكري:

مصطلـح مكـون مـن لفظتين هما الامـن و الفكر ، وعليـه سأعرف كل لفظـة ثم بعد ذلك اعرفها على انها علم مركب

اولا: تعريف الامن لغة واصطلاحا:

١: تعريف الامن لغة:

اجمعت المصادر اللغوية على تعريف الامن بانه : ضد الخوف(١)

واصل الامن : سكون القلب عن توقع الضر(٢)

وقال ابن سيدة والمناوي وغيرهما ان الامن : عدم توقع مكروه في الزمان الاتي(٣)

٢: الامن اصطلاحا:

هناك عدة تعريفات منها:

تاميـن سلامة الدولـة ضد اخطار خارجية وداخليـة قد تؤدي بها الى الوقـوع تحت سيطرة اجنبية نتيجة ضغوط خارجية او انهيار داخلي(٤)

وعرفـه عدلي حسن سعيـد (تامين الدولة من الداخل ودفع التهديـدات الخارجية عنها بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال اقصى طاقاته للنهوض والتقدم والازدهار(٥)

ثانيا: تعريف الفكري لغة واصطلاحا:

١: الفكري نسبة الى الفكر ،

والفكر في اللغة:

قال صاحب العين: الفكر اسم التفكر(٦)

وقـال اخـر: الهمزة والميم والنون اصـلان متقاربان احدهما الامانة التـي هي ضد الخيانة

---

(١) العين٨/٣٨٨،الصحاح٥/٢٠٧١،لسان العرب١/١٤٠،المحكم والمحيط١٠/٤٩٢،شمس العلوم١/٢١٩،جمهرة اللغة١/٦١٧

(٢) القاموس الفقهي١/٢٥

(٣) مختار الصحاح١/٢٢،لسان العرب١/١٤٠،القاموس المحيط١/١١٧٦،تاج العروس٢٤/١٨٤،التعريفات١/٢٧، التوقيف على مهمات التعاريف١/٦٧،دستور العلماء١/١٢٨معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ١/٢٩٥

(٤) الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي واخرون ١/٣٣١

(٥) الامن القومي العربي واستراتيجية تحقيقه، ١١

(٦) العين٥/٣٥٨

ومعناها سكون القلب والثاني التصديق[١]

وقبل: اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول[٢]

وقال الجرجاني: ترتيب امور معلومة للتعادي الى مجهول[٣]

٢: الفكر اصطلاحا:

هو جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الانسانية من الثقافات والقيم والمبادئ الاخلاقية التي يتغذى بها الانسان من المجتمع الذي ينشا فيه ويعيش بين افراده[٤]

والفكر هو حركات تخييليه في الذهن ، وقيل انتقال النفس في المعاني انتقالا بالقصد لطلب الحكم او ظن[٥]

وهناك تعريفات اخرى لا تخرج عما ذكرنا[٦]

ثالثا: تعريف الامن الفكري اصطلاحا:

هــو ان يعيش الناس في بلدانهــم واوطانهم وبين مجتمعاتهم امنين على مكونات اصالتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية[٧]

ويعرفــه سعود بن سعــد محمد البقمي بانه (دعامة فكر الانســان تجاه التطرف والانحراف بالتــزام منهــج الوسطية والاعتدال في فهــم القضايا الدينية خاصة التي يــؤدي الخروج عنها الى زعزعة الامن بكل مجالاته)[٨]

رابعا: البخاري: هذه نبذة موجزة عن حياته

وهــو احــد اعــلام الحديــث النبــوي، ابو عبد الله محمــد بن اسماعيل بــن ابراهيم بن

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٨/١

(٢) المعجم الوسيط٦٩٨/٢، التوقيف على مهمات التعريف٢٦٣/١

(٣) التعريفات١٦٨/١

(٤) الامن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية ، عبدالله بن عبد المحسن التركي ،٦٦

(٥) معجم مقاييس اللغة٧٦/١

(٦) الامن الفكري في ضوء السنة النبوية ،د عبدالرحمن بن معلا اللويحق،١٠٥،الامن الفكري، موقع الشيخ سعد البريك ١٤٣٢هـ ــ١٢٠٥م،الامن الفكري، مفهومه، ضروراته ،مجالاته، ابراهيم بن عبد الله الزهراني، الامن الفكري، مفهومه واهميته واهدافه وتأثيره لحماية عقول الشباب

(٧) الامن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية ، عبد الله بن عبد المحسن التركي ٦٦،الشريعة الاسلامية ودورها في تعزيز الامن الفكري، د عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس،١٦

(٨) نحو مشروع تعزيز الامن الفكري بوزارة التربية والتعليم ،سعود بن سعد محمد البقمي، ٨

المغيرة بن بردزيه[١] الجعفي، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ستة اربع وتسعين ومائة ببخاري (١٩٤هـ) اسلم جده الجعفي واتى بخارى فنسب اليها نسبة ولاء ، فهو فارسي الاصل بخاري الولاء اما والده فقد روى عن حماد بن زيد ومالك وروى عنه العراقيون، ذكره ولده البخاري في التاريخ الكبير فقال : اسماعيل بن المغيرة سمع من مالك وحماد بن زيد وصالح بن المبارك، توفي والده ومحمد صغير فنشا في حجر امه، ذهب الى الحج مع امه واخيه احمد وكان اسن منه ، اقام بمكة يطلب العلم ورجع اخوه وامه الى بخارى.

قال عن نفسه: الهمت حفظ الحديث وانا في الكتاب وكان عمره عشر سنين او اقل

وقال: لما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك و وكيع

وقال: خرجت مع امي واخي للحج فكان اول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين ،

وقال ايضا: لما طعنت في ثمان عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنفت التاريخ في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اكتبه في الليالي المقمرة

وقال: دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات واقمت بالحجاز ستة اعوام ولا احصي كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين.

حفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح كما قال.[٢]

خامسا : صحيح البخاري:

هذه نبذة موجزة عن صحيح البخاري:

اسمه هو (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وايامه).

قال البخاري: ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وخرجت الحديث من ستمائة الف حديث، لم اخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح اكثر، وما ادخلت في كتابي الجامع الا ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يطول عرض البخاري كتابه الصحيح على احمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، وقال: صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما ادخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

من شروطه: ان يكون الحديث متصلا وان يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس متصفا

(١) معناها الزارع بالفارسية، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ٦٦٢

(٢) ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري ٦٦٢

بصفات العدالة وان يكون ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد اقام في تأليفه ست عشرة سنة وسمعه منه تسعون الفا[1]

المبحث الثاني اهمية الامن في حياة الانسان والمجتمع

الامـن ضرورة مـن ضرورات الحياة للكائن البشري ولا يمكـن للإنسان ان يعمل وينتج دون توفر الامن.

وهو نعمة من النعم يهبها الله تعالى للإنسان ،وقد منَّ الله تعالى على قريش هذه التعمة قال تعالى ﴿وامنهم من خوف﴾[2]

ان الامـن مهـم في حياة الناس ، ونظـرا لأهميته فقد دعا نبـي الله ابراهيم ان يكون البيت الحرام امنا قال تعالى ﴿قال رب اجعل هذا البيت امنا﴾[3]

وقـد بيـن النبي محمد ﷺ اهمية الامن فـي حياة الانسان والمجتمع حيث قـال «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[4]

ويعـد الامن بمختلف انواعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري اساسا للتنمية فلا تنميـة ولا ازدهـار الا فـي ظل امـن سائغ، ان من جوانـب الامن الوطني الامن الفكـري بل هو من اهـم جوانبـه وهو ركيزة في تحقيق الاستقرار الوطني، وهو يأتـي على راس الاولويات لأمنه وذلك لأهميتـه وحساسيتـه البالغة من مخاطبتـه للعقل وعلاقته بجوانب الامن الاخـرى والامن الفكري يتعلـق بالمحافظة علـى المقاصد الضرورية من الحفاظ على الديـن ، كما يتعلق بالمحافظة على العقـل والعقل هو الـة التفكير، ذلك ان أي خلل في الفكر يؤدي الى خلل في العقيدة، كما ان الدين هـو الـذي يجمع افراد المجتمـع ويوحدهم واساس الديـن هو العقيدة فأي خلل فيهـا سيؤدي الى اضطراب وعدم استقرار الامن في المجتمع (ان حماية عقل الانسان وفكره ورأيه في اطار الثوابت الاساسية والمقاصد والحقوق المشروعة المنبثقة من الاسلام عقيدة وشريعة وحياة)[5]

ان مهمـة الامـن الفكري تتلخـص بتوفير السلامـة والطمأنينة للجميع ضـد كل الاتجاهات ذات الطوابـع الفكريـة وغير الفكرية التي من شأنها تقويض البنـاء الفكري القويم واحلال افكار

(١) ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري ٧،٦٧٥تت٦٧٨

(٢) سورة قريش اية ٤

(٣) سورة ابراهيم اية ٣٥

(٤) سنن ابن ماجة ١٣٨٧/٢ ،سنن الترمذي٥٧٤/٤

(٥) الارهاب والمفهوم المفروض للإرهاب المرفوض ، علي الحجب، اكاديمية نايف ٢٠٠١

ومفاهيـم بديلة وهزيلـة ذات منطلقات شيطانية لا انسانية من شأنها ان تـؤدي بشكل او اخر الى الانهيار الفكري والانحلال الخلقي لبعض افراد الامة[1]

ان تغير الافكار والآراء والاتجاهات يزداد معه تغير السلوك

ان احد العوامل الهدامة للنيل من استقرار المجتمع وامنه هو انحراف الفكر المعتدل، وهذا له اثاره السلبية على جوانب الامن الوطني المختلفة ومنها الامن الفكري

ان الغلـو والتطـرف وغيرها من المهددات تـؤدي الى انحراف الفكر كمـا سياتي بيانه عند الكلام عنها من اجل ذلك فان أي خلل في الفكر سيؤدي الى زعزعة الامن الفكري وستكون نتيجته الضرر على الفرد والاسرة والمجتمع والدولة

فضرره على الفرد سيؤدي به الى العزلة

وضرره على الاسرة يؤدي الى ضعفها وتمزقها

وضرره على المجتمع سيؤدي الى انهياره وكثرة الفتن والاضطرابات

وضرره على الدولة سيؤدي الى انهيارها وضعفها

وعليـه فان من اهم الضروريـات التي يجب الحفاظ عليها هو الفكـر واخذ الحيطة والحذر مـن الافكار الهدامة التي قـد تظهر في المجتمع والتي تأتي من الخارج وتتغذى في الداخل لغرض زعزعة الامن وضعف المجتمع

المبحث الثالث: مهددات الامن الفكري عند البخاري

فـي البـدء لابد وان نعترف بان هذا المصطلح هو مصطلح حديث بمعنى انه لم يذكر في القـران الكريـم على الرغم من ان الامن ذكر في القران الكريم ــ ولم يذكر في السنة النبوية الا ان المعاني الكبيرة التي اشتمل عليها مفهوم الامن الفكري موجودة في بعض الاحاديث النبوية،

كذلـك لابد وان نعترف بان المهـددات التي ذكرها البخاري هي ليسـت من عنده وانما هي احاديث النبي

محمد ﷺ جمعها في كتابه المذكور، وهذه المهددات ذكرها هو مذكور حديث: «من أصبح منكم آمناً في سربه « ، وهنـاك مهددات اخرى

ذكرها مصنفو الاحاديث الاخرى ،

وعليه سأقتصر في بحثي هذا على المهددات التي ذكرها البخاري في صحيحه وهي:

(١) ينظر:نحو امن فكري اسلامي ،رضوان طاهر الطلاع، الريا (د.ن) ٢٠، الانحراف الفكري واثره على الامن الوطني ٤٢

١: الغلو:

الغلو لغة: يرد الغلو على معان عدة هي:

مجاوزة الحد:

قال ابن فارس: الغين واللام والحرف المعتل اصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة حده، غلا السعر يغلو غلاء وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الامر غلوا اذا جاوز حده[١]

وقال الجوهري: الارتفاع بالشيء ومجاوزة الحد[٢]

وقال ابن منظور: غلا في الدين والامر يغلو غلوا اذا جاوز حده[٣]

الارتفاع:

قال ابن منظور: اصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء يقال: غاليت صداق المرأة اي اعليته[٤]

التشدد:

قال الفيومي: غلا في الدين غلوا من باب قعد وتصلب وشدد حتى جاوز الحد[٥]

المبالغة:

غالى في امره مغالاة بالغ[٦]

الزيادة:

ومنه غلا السعر يغلو غلاء اذا زاد[٧]

الغلو اصطلاحا:

هو المبالغة والزيادة في حجم الامور، والذي يعد مرضا ملموسا في فكر الانسان ويسبب خللا واضحا في سلوكياته المنطلقة من مستوى تفكير منحرف عن المسار الصحيح، الامر الذي ينتج قضية شائكة ذات اثار سلبية في كل المجالات الحياتية داخل المجتمع[٨]

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٨/٤

(٢) الصحاح٩٦١/٢

(٣) لسان العرب١٣٢/١٥

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصباح المنير٤٥٢/٢

(٦) المصدر نفسه

(٧) جمهرة اللغة١٠٨١/٢

(٨) اثر الغلو في فكر الانسان، د احمد ضياء الدين حسين، الجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، مجلد٢٧،العدد٥٤،ص١٤

ان الغلـو يدفع الى عـدم الاعتراف بالراي الاخـر وبحقه في الخلاف اضافـة الى مصادرة اجتهاداتـه في المسائـل او القضايا الخلافيـة[١] وسبب للانحراف عن السـواء ويدفع هذا الغلو فـي التفكير الى سوء الظن بالآخرين والغلو والتطرف فـي الفكر سبب للانحراف والحكم السلبي المسبـق، كما يؤدي الى انحراف عقائدي وهـذا الامر جعلهم يتشددون ويغالون فيحكمون بالفسق والضـلال علـى من خالفهم حتى لو كانوا من كبار الصحابة وهذا مـا ادى الى قتل اثنين من كبار الصحابـة عثمان بن عفـان وعلي بن ابي طالب[٢] كما ان الغلو والتطرف يؤدي الى انحراف فكري عن الفهم الصحيح ومن امثلة ذلك الخوارج وكذلك يؤدي الى التكفير وهذا ما ذهب اليه الخوارج ايضـا مـن اجل ذلك نهى الشارع ان يغلو الانسان فيشدد على نفسه قال تعالى ﴿قل يا اهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق﴾[٣]

٢: البدعة

عن النبي ﷺ «من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٤]

البدعة لغة: قال ابن السكيت: البدعة كل محدثة[٥]

وهي كل عمل عمل على غير مثال سابق[٦] ومن ذلك قوله تعالى ﴿بديع السموات والارض﴾[٧] أي مخترعها على غير مثال سابق

وقولـه تعالى ﴿قل ما كنت بدعا من الرسـل﴾[٨] أي ما كنت اول من جاء بالرسالة من الله الى العباد

والابتـداع قسمان:١: في العـادات ٢: في الدين وهذا محرم لان الاصـل فيه التوقف لحديث النبي ﷺ «من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٩]

البدعة شرعا: الذهاب الى قول لم يدل عليه دليل[١٠]

---

(١) الانحراف الفكري واثره على الامن الوطني ،د محمد دغيم الدغيم ١٨

(٢) ينظر: دور المؤسسات التربوية في الرقابة من الفكر المنحرف ،تيسير حسين السعيدين، مجلة البحوث الامنية ،العدد ٣٠،مايو ٢٠٠٥ ص١٦ وما بعدها، الانحراف الفكري واثره ١٩

(٣) سورة المائدة اية ٧٧

(٤) صحيح البخاري ١٨٤/٣ ،صحيح مسلم١٣٤٣/٣

(٥) تهذيب اللغة٤٢/٢ ،لسان العرب٢٦/٨ ،تاج العروس٣٠٩/٢

(٦) الكليات٢٢٦/١

(٧) سورة البقرة اية ١١٧

(٨) سورة الاحقاف اية٩

(٩) صحيح البخاري ١٨٤/٣ ،صحيح مسلم١٣٤٣/٣

(١٠) القاموس الفقهي٣٢/١

والبدعة في الدين نوعان: ١:بدعة قولية ٢: بدعة اعتقادية[١]

والابتـداع المكروه هو في مجال الدين لأنه سيـؤدي الى انحراف عن المنهج الصحيح الذي جاء به الدين وهذا بدوره سيؤدي الى انحراف وزعزعة الفكر السليم ويهدد امنه.

٣: الجهل:

عـن ابن وهب قَـالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَـهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَـرَ، وَذَكَرَ الحَرُورِيَّةَ، فَقَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٢]

الجهل في اللغة : نقيض العلم[٣]

والجهل في اصطلاح علم الكلام: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه[٤]

الجهـل امر مذموم عنـد كل البشر ولا خلاف في ذلك ، قال عنه امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله

وجهه(كفى بالجهل ان يتبرأ منه من هو فيه)[٥]

والجهـل سبب في وقوع كل المعاصي مـن المحرمات جميعها من الكفر والفسق والعصيان ، انما يفعلها العبد لجهله او لحاجته فانه ان كان عالما بمضرتها وغني عنها امتنع ان يفعلها

فالجهـل اصله عدم والحاجـة اصلها العدم، فاصل وقوع السيئات منه غذم العلم قال تعالى: ﴿افلم تكونوا تعقلون﴾[٦]

قال ابن القيم (الجهل والظلم يصدران عنهما كل قول وعمل قبيح)[٧]

وقـال ايضـا (واما السيئات فمنشأهـا من الجهل والظلم فان العبـد لا يفعل القبيح الا لعدم علمه بكونه قبيحا او لهواه وشهوته مع علمه بقبحه.. فالأول جهل والثاني ظلم)[٨]

وقـال ايضـا (فالجهل اصل فساد الدين ولهذا قال عمر بن عبدالعزيز: من عبد الله بالجهل

---

(١) التوحيد للفوزان

(٢) صحيح البخاري ١٧/٩رقم الحديث ٦٩٣٢

(٣) لسان العرب١٢٩/١١، مختار الصحاح٦٣/١

(٤) المعجم الوسيط١٤٤/١

(٥) فيض القدير، المناوي٥٢/١

(٦) سورة يس اية ٦٢

(٧) مدارج السالكين ٢٢٠/١

(٨) شفاء العليل١٧٥

فسد اكثر من يصلح) [1]

لـذا كان الجهل سببا للوقوع في الابتداع فبسببه خـرج الخوارج على علي ين ابي طالب كرم الله وجهه فهو اذن من مهددات الامن الفكري ولذا ورد النهي عنه

٤: سوء الفهم:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت انظر في الليل فـلا يستبين لي ، فغدوت على رسـول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال :انما ذلك سواد الليل وبياض النهار) [2]

عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه ....سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي في اخر الزمـان قوم حدثان الاسنان ، سفهاء الاحلام، يقولون مـن خير قول البرية، يمرقون من الاسلام كمـا يمرق السهم مـن الرمية لا يجاوز ايمانهـم حناجرهم فأينما لقيتموهـم فاقتلوهم ، فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة[3]

ان سـوء الفهـم اثر من اثار قسوة القلب ، والله تعالى قد (جعل بعض القلوب مخبتا وبعضها قاسيـا وجعل للقسوة اثارا وللأخبات اثارا، فمن اثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه وذلك من سـوء الفهـم والقصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ومنهـا نسيان ما ذكر به وهو ترك ما امر به علما وعملا) [4]

قال ابن القيم (وسوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ اصل كل بدعة وضلالة نشأت في الاسلام)

ان سـوء الفهـم كان سببـا لظهور الفرقـة في الامة، فالخـوارج ما هم الا نتـاج لسوء الفهم .... وهل اوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وباقي الطوائف الا سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ..) [5]

فالانحـراف فـي الغلـو من اسبابـه الرئيسة سـوء فهم لنصوص الشرع، وهذا بـدوره احد مهددات الامن الفكري.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨١/٢٥

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث ١٩١٦ ٣ ٢٨/٣

(٣) صحيح البخاري٤/٢٠٠ رقم الحديث ٣٦١١

(٤) شفاء العليل ١٠٦/١

(٥) الروح،٦٣

٥: الجدل:

عــن جندب بن عبدالله عــن النبي ﷺ قال (اقرؤوا القران ما ائتلفت قلوبكم.فاذا اختلفتم فقوموا عنه)[٦]

وعــن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال (دعوني ما تركتكم ،فإنما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهــم علــى انبيائهم ،فــاذا نهيتكم عن ســوء فاجتنبــوه ،واذا امرتكم بشيء فاتــوا منه ما استطعتم)[٧]

الجدل لغة: قال ابن فارس (الجيم والدال واللام اصل واحد يدل على الخصومة)[٨]

المخاصمة، يقال جادله مجادلة وجدالا والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة[٩]

الجدل اصطلاحا:

مقابلة الادلة لظهور ارجحها[١٠]

او هو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة او شبهة او يقصد به تصحيح كلامه[١١]

قــال النووي: (الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل فان كان للوقوف على الحق كان محمودا قال تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي احسن﴾[١٢] وان كانت في مرافعة او جدال بغير علم كان مذموما قال تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله الا الكافرون﴾[١٣]

.... يقــال : جادل يجادل مجادلة وجدالا وعلى هــذا التفصيل الذي ذكرته ينزل ما جاء في الجدل من الذم والاباحة والمدح)[١٤]

فهناك انواع من الجدل المذموم وهي:

١: الجدال في القطعيات لمن الامور التي نهى الله عنها قال تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا﴾[١٥]

---

(٦) صحيح البخاري، ١٩٨/٦

(٧) صحيح البخاري،٩٤/٩، صحيح مسلم٩٧٥/٢

(٨) مقاييس اللغة، ٤٣٣/١

(٩) الصحاح١٦٥٣/٤ ،المصباح المنير٩٣/١،جمهرة اللغة٤٤٨/١

(١٠) المصباح المنير٩٣/١

(١١) التعريفات٧٤/١، الكليات٣٥٣/١

(١٢) سورة النمل اية ١٢٥

(١٣) سورة غافر اية ٤

(١٤) تهذيب الاسماء ٤٨/٣

(١٥) سورة غافر اية ٤

٢: والجدال بغير علم مكروه قال تعالى ﴿ومن الناس من يجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾[(١)]

(ان المجادلة بغير علم تفتح ابوابا عظيمة من الفساد على المجادل والمجادل اذ تفتح لهم اشكالات وشبه لا يستطيعون دفعها ، فربما وقعت في انفسهم موقعا لا يستطيعون ازالته)[(٢)]

٣: والجدل فيما لا يطلب من الانسان معرفته فعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (دعوني ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بأمر فاتوا من ما استطعتم)[(٣)]

٤: وكذلك الجدال فيما لا يمكن العلم به وهو الجدال في المتشابه فمن يجادل في المتشابه بغير علم وقع في المحذور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات...قالت: قال رسول الله ﷺ: فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[(٤)]

٥: وكذلك المجادلة لأجل المجادلة لا للبحث عن الحق، ان المجادلة المحمودة هي التي يقصد بها التوصل للحق، واما عندما تكون المجادلة مقصودة لذاتها فهنا تذم لان المجادلة وسيلة وليست غاية وهي وسيلة لهدف مشروع هذه هي انواع الجدال المذموم وانما كان مذموما لما فيه من ضرر يقع على المتجادلين مما يؤثر على المجتمع

٦: الحسد:

عن ابي هريرة عن النبي محمد ﷺ قال «اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا»[(٥)]

وعن الزهري قال حدثني انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام»[(٦)]

الحسد تمني زوال نعمة الشخص عن مستحق لها[(٧)]

(١) سورة الحج اية ٨

(٢) الامن الفكري في ضوء السنة ٧٥٦ـ ٧٥٧

(٣) صحيح البخاري،٩/٩٤، صحيح مسلم٢/٩٧٥

(٤) صحيح البخاري ٦/٣٣،صجيج مسلم٤/٢٠٥٣

(٥) صحيح البخاري ٨/١٩ ، رقم الحديث ٦٠٦٤ ،صحيح مسلم٤/١٩٨٥

(٦) صحيح البخاري ٨/١٩ ،صحيح مسلم ٤/١٩٨٣

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ١٠/٥٩١ ،احياء علوم الدين،الغزالي٩/٤٩٢

الحسـد مرض من امراض القلب ومنشؤه سوء الظن والشح وكراهية حصول النعمة والخير للآخريـن ان من اسباب الحسد هو العداوة والبغضاء ولذلك فهو يلزم البغض والعداوة قال تعالى ﴿ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر﴾(١)

والحسـد قد يـؤدي الى التنازع والتقاتل ممـا يؤثر على الفكر والتفكـر ،والحسد ضرره على الانسان نفسه في الدنيا والاخرة من اجل ذلك ورد التحذير منه والنهي عنه وبما ان محل التفكير هـو القلب والحسد من امراض القلب فهو يؤثر على التفكير ويهدده بالانحراف عن التفكر السليم الـذي يخدم الانسان بصفة خاصة والمجتمع بصـورة عامة من اجل ذلك وردت الاحاديث النبوية بالنهي عن الحسد وبيان عقوبته عند الله تعالى.

٧: الكفر:

الكفر لغة :قال ابن فارس: الكاف والفاء والراء اصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية(٢)

الكفر اصطلاحا :

قـال ابن حزم (جحد الربوبية وجحد نبـوة نبي من الانبياء صحت نبوته في القران او جحد شيء مما اتى به رسول الله محمد ﷺ مما صح عند جاحده بنقل الكافة او عمل شيء قام البرهان بان العمل به كفر)(٣)

واقصد هنا الكفر في بلاد المسلمين لما له من اثر كبير على سلوك وافكار المسلمين وخاصة عن طريق الاصدقاء لما للصديق من تأثير كبير على صديقه وقد حذر نبينا محمد ﷺ من اتخاذ الصديق غير المسلم حيث قال (المرء على دين خليله فلينظر الانسان الى من يخالل)(٤)

٨: الكبر:

عن حارثة بن وهب الخزاعي عن الني محمد ﷺ قال (الا اخبركم باهل الجنة ؟كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لأبره ، الا اخبركم باهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر)(٥)

الكبر لغة :

قال ابن فارس: الكاف والباء والراء اصل واحد يدل على خلاف الصغر(٦)

(١) سورة ال عمران اية ١١٨

(٢) مقاييس اللغة ١٩١/٥، تاج العروس٥٤/١٤

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم، ١١٨/٣ تحقيق محمد ابراهيم نض ود عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت

(٤) مسند احمد ٣٩٨/١٣،المستدرك على الصحيحين١٨٨/٤

(٥) صحيح البخاري ١٥٩/٦ ،صحيح مسلم ٢١٩٠/٤

(٦) مقاييس اللغة١٥٣/٥

وفي تاج العروس: الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة[1]

الكبر اصطلاحا: الحالة التي يختص بها الانسان من اعجابه بنفسه[2]

وعرفها الراغب بانه ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره[3]

وقال الغزالي: الكبر على قسمين: فان ظهر على الجوارح يقال تكبر، والا قيل : في نفسه كبر[4]

والتكبر صفة ذميمة ذمها الله تعالى قال تعالى ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض﴾[5]

وكذلك نهى النبي محمد ﷺ في احاديث كثيرة منها قوله ﴿لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر﴾[6]

والمتكبر يرى نفسه اكبر من غيره وهذا يؤدي الى خلل في فكره واضطراب في افعاله وتصرفاته مما يؤثر على نفسه اولا ثم المجتمع ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن التكبر وجعل عقوبته يوم القيام و هو النار وذلك لخطورة التكبر فكل ما يؤثر على تصرف الانسان يهدد فكره ولذلك جاء النهي عنه في القران الكريم والسنة النبوية.

٩: زلل اللسان

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب»[7]

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[8]

وهناك احاديث كثيرة ذكرها البخاري تخص اللسان وما ذكت يكفي للاختصار من المعلوم

---

(١) تاج العروس ٩/١٤

(٢) فتح الباري١٠/٦٠٠،غريب القران للراغب ٤٢١

(٣) غريب القران للراغب

(٤) المصدر نفسه

(٥) سورة الاعراف ايةا١٤٦

(٦) صحيح مسلم ٩٣/١،سنن الترمذي ٣٦١/٤

(٧) صحيح البخاري رقم ١٢٤٢ ، مسلم رقم ٢٩٨٨

(٨) صحيح البخاري ٦٤٧٨

للناس ان اللسان هو اداة التعبير ونقل الافكار الى الناس ، ومن اجل ذلك جاءت السنة النبوية مبينة اهمية اللسان وخطورته وضرورة حفظه قال الشافعي (ينبغي للفرد ان يتفكر فيما يريد ان يتكلم به ويتدبر عاقبته فان ظهر له انه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر الى منهي عنه اتى به والا سكت) [1]

وقد سئل رسول الله ﷺ اي الاسلام افضل؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده» [2]

قال ابن حجر (وانما خص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس وهكذا اليد لان اكثر الافعال بها) [3]

وقال المناوي (وخص اللسان لان الاعضاء كلها تابعة له فان استقام استقامت وان اعوج اعوجوا لكثرة الكلام مفاسد يتعذر احصاؤها) [4] من اجل ذلك ورد النهي عن الكلام بدون تدبر ومعرفة خطر ما يقوله.

١٠: التقليد

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم شيرا بشير وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن) [5]

قال الشوكاني: التقليد هو (العمل بقول الغير من غير حجة) [6]

ان من اسباب الضلال هو تقليد الاباء والاجداد والتعصب لهم قال تعالى ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ [7]

وهناك الكثير من الآيات والاحاديث النبوية تحذر من التقليد وتبين خطره فالتقليد تعطيل للعقل عن التفكر والتفكير وهو سبب في وقوع المقلد في اضرار تصيبه وهو غني عنها، وكل ما يعطل العقل عن التفكير فهو مهدد له يجب الحذر منه.

---

(١) فيض القدير ٣٣١/٢

(٢) صحيح البخاري١/ ١١ وصحيح مسلم ٦٥/١

(٣) فتح الباري٥٣/١

(٤) فيض القدير ١٩٤/١

(٥) صحيح البخاري١٠٣/٩

(٦) ارشاد الفحول٢٦٥

(٧) سورة البقرة اية ١٧٠

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في هذا البحث يمكننا ان نبين ما يلي:

١: اهتمام الشريعة الاسلامية بالإنسان

٢: اهتمام الاسلام بالأمن بصورة عامة والامن الفكري بصورة خاصة

٣: ابتناء الاحكام الشرعية على مقاصد اساسية والحفاظ على الضروريات كالحفاظ على الدين والعقل

٤: لا تعارض بين الشريعة الاسلامية وبين العقل بل بالعكس كل ما جاءت به الشريعة الاسلامية هو في مصلحة الانسان ، وقد تبين من خلال البحث اهتمام الشريعة الاسلامية بالحفاظ على العقل

٥: اهتمام الاسلام بالعقل لأنه اساس التفكير وقد امر الله سبحانه وتعالى الانسان بالتفكر واعمال العقل

التوصيات

١: اهتمام وسائل الاعلام بالأمن بصورة عامة والامن الفكري بصورة خاصة

٢: ضرورة مراقبة وسائل الاعلام لما تنشره مما يؤثر على القيم العربية الاسلامية

٣: تنشئة الاسرة لأبنائها التنشئة السليمة القائمة على الفهم الصحيح لمبادئ الاسلام

٤: دور المدارس بشتى انواعها ببيان خطورة الآراء المنحرفة وضرورة الوقوف ضدها مع بيان اهمية الاسلام

٥: اعطاء مكانة للسنة النبوية في المدارس

٦: اخذ الحذر والانتباه لما يقال ويعرض من افكار واراء دخيلة وبعيدة عن المنهج الاسلامي

المصادر

١:الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ،المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠١

٢: الامن الفكري ،مفهومه، واهميته واهدافه وتأثيره لحماية عقول الشباب، د نبيل احمد الامير ١٤٣٢هـ - ١٢٠٥

٣: الامـن الفكري في ضوء السنة النبويـة، د عبد الرحمن بن عبد الله اللويحق،ط٣٣١١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

٤: الامن الفكري مفهومه، ضروراته، مجالاته، ابراهيم بن عبد الله الزهراني

٥: الانحـراف الفكري واثره على الامن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، د محمد دغيم الدغيم ، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م

٦: تاج العروس من جواهر القاموس ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّـب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هــ) ،المحقق: مجموعة من المحققين ،الناشر: دار الهداية

٧: التعريفـات، علـي بـن محمد بـن علي الزيـن الشريـف الجرجاني (المتوفـى: ٨١٦هـ)، المحقـق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٨: تهذيـب الاسمـاء واللغات، ابو زكريـا محيي الدين بـن شـرف النووي(ت٦٧٦هـ) ،ادارة الطباعة المنيرية

٩: التوقيـف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ،الناشر: عالم الكتب ، عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

١٠: الجامـع المسنـد الصحيح المختصـر من أمور رسول الله ﷺ وسننـه وأيامه «صحيح البخـاري»، محمـد بن إسماعيل أبـو عبد الله البخـاري الجعفي المحقق: محمـد زهير بن ناصر الناصـر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١١:جمهـرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريـد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

درء تعارض العقـل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالـم، جامعة الامام محمد بن سعود، ط١ ١٣٩٩هـ ـ١٩٧١م

١٢: دستـور العلمـاء = جامـع العلوم في اصطلاحـات الفنون، القاضي عبـد النبي بن عبد الرسـول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٣: سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

١٤:سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

١٥: الشريعة الاسلامية ودورها في تعزيز الامن الفكري، د عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس،

١٦:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧

١٧:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

١٨:صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٩:فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) ،تحقيق عبدالعزيز بن باز، دار الكتب العلمية ،ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار الحيل ، بيروت

٢٠:الفصل في الملل والاهواء والنخل، ابو محمد علي بن احمد بن حزم ،١١٨/٣ ،تحقيق محمد ابراهيم نضر و د عبدالرحمن عميرة

٢١:فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان،ط٢ ١٣٩١هـ

٢٢:القاموس الفقهي ، سعدي أبو جيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية تصوير ١٩٩٣ م الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

٢٣:الكليات. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

٢٤:لســان العرب، محمد بن مكرم بن علــى، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٢٥:مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، الرباط، المغرب

٢٦: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)

المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٢٧:مختــار الصحــاح، زين الدين أبــو عبد الله محمد بــن أبي بكر بن عبد القــادر الحنفي الــرازي (المتوفى: ٦٦٦هــ)، المحقق: يوسف الشيــخ محمد، الناشر: المكتبــة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٢٨:مــدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين، ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،ط٢ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

٢٩:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت

٣٠:معجــم مقاييــس اللغــة، أحمــد بن فارس بن زكريــاء القزويني الــرازي، أبــو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣١:معجــم اللغــة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميــد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٣٢: المعجــم الكبير (قطعة من مسانيد مــن اسمه عبد الله)، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقــق : طــارق بن عوضــ الله، دار النشر : دار الرايــة، البلد : الرياض، الطبعــة : الأولى، سنة الطبع : ١٩٩٣م

٣٣:مفاتيــح العلــوم، محمد بــن أحمد بن يوسف، أبــو عبد الله، الكاتــب البلخي الخوارزمي (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الثانية

٣٤:موطأ مالك، مالك بن أنس ابن مالك بن عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة

٣٥:معجـم مقاييس اللغـة، أبو الحسين أحمد بـن فارِس بن زكَرِيّا، المحقـق : عبد السَّلام محمد هَارُون، النـاشر : اتحـاد الكتاب العرب، الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

د. سماح صلاح الدين شلبي
أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس– مصر

محددات ومهددات الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه

تمهيد

لما كانت السنــة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، واستمداداً وشرحاً للمفاهيــم العقديــة والمنهجية، – فهــي أشبه بمذكــرة تفصيلية – ولا يصح أبــدا التشكيك فيها، وزعزعــة العمــل بها، أو التقليل منها وإلقــاء الشبهات حولها، ومن ثم صــرف النــاس عنها ثم بعد ذلك صرفهم عما هو أكبر.

ولمــا كان صحيــح البخاري يعــد من أصح الكتــب المصنفة في السنة النبويــة، والتشكيك فيــه يفتح الباب واسعا للعبــث بالسنة النبوية، وإسقاط أهم مصدر مــن مصادر استمداد مناهج الأمن الفكري، ومعالم الوسطية والاعتدال، لذلك كان الاهتمام به بمدارسه أحاديثه، وفقه أبوابه وتراجمــه، وتظهير المعالم المنهجية، والمفاهيم العقديــة المنقولة فيه، من أهم الأعمال العلمية لتأصيل ورسم معالم المنهج العلمي لأهل السنة والجماعة مقارنة لمدرستي الإفراط والتفريط في الأمة (الخوارج والمرجئة).

يعد صحيح البخاري صرحا من صروح تحقيق الأمن الفكري بالنسبة للسنة النبوية ،فالإمامُ البخــاريُّ لــم يكن مجردَ صاحــبِ حديثٍ فحسب، بل كان مــن فقهاء الأمَّة المعدوديــن، فهو أحد هــؤلاء الجهابذة الذين حفظوا السنــة وصانوها عن انتحال المبطلين وتجاســر الجاهلين ، فكان مسلكه العلمي ،ونهجه المميز الذي أقره أئمة العلماء والعقلاء ؛ فهو إمام حافظ ناقد متقن، وكان احتياطــه لصحة الأحاديث هــو الأدق والأضبط، فاشترط شروطًا خاصة في الرواة، وهي أن يكون الــراوي معاصرًا لمن يــروي عنه، وأن يسمع الحديث منه، فاشترط الرؤية والسماع معًا، بالإضافة للشــروط الأخرى لدى الأئمة وهي: الثقــة، والعدالة، والضبط، والإتقان، والعلم، والورع .لقد جاب

الإمـام البخاري الأرض شرقا وغربا للبحث عـن صحة الحديث وسماعه وعكـف على كتابه ستة عشـر عامـا ليخرج لنا هذا الصرح المؤمِّـن لفكرنا المستوفي أعلى شـروط الصحة التي يتمتع بهـا الحديـث أو النقل المروي بالإسنـاد والذي به يعمل على تحقيق مقصد مـن مقاصد الشريعة الإسلامية ألا وهو حفظ العقل .

لكـن من سنـن الله في كونه أن يخرج علينـا بين الفينة والأخرى من يحـاول عبثاً التشكيك فـي الدين وزعزعة الثوابت والطعن فيهـا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ (الفرقان)

فتأتي ريح سفنهم بما لا يشتهونه.

أهمية الدراسة :

تفعيـل الوعي بأهمية السنة النبوية وأنها هي المصـدر الثاني للتشريع، وبيان منزلة صحيح البخاري بالنسبة للسنة النبوية، ومدى تحقيقه للأمن الفكري.

إشكالية الدراسة :

ركـزت في هـذه الورقة البحثيـة على أن صحيـح البخاري يعد صمـام أمان للسنـة النبوية يعمـل على تحقيـق الأمن الفكري للسنة ذاتهـا ومتلقيها (حفظ العقل) إيجـادا وعدماً، وما الذي يساعد على تحقيق الأمن الفكري، وما الذي يهدد تحقيقه، وهل يمكن التوصل إلى رسم محددات ومهددات الأمن الفكري من صحيح الإمام البخاري ومنهجه.

منهج الدراسة :

اتبعت المنهج الوصفي، الاستقرائي، الاستنباطي، التحليلي

خطة البحث:

قسمـت الورقة البحثية إلى مقدمة اشتملت على تمهيـد ، أهمية الدراسة، إشكالية الدراسة، منهج الدراسة، والخطة واشتملت على مبحثين:

المبحث الأول: المقصود بالأمن الفكري وعلاقته بمقصد حفظ العقل

المطلب الأول: الأمن الفكري لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: سلامة الفكر والعقل وعلاقتهم بالأمن الفكري

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تحقيق الأمن الفكري وانعدامه

المبحث الثاني: محددات ومهددات الأمن الفكري عند الإمام البخاري

تمهيد: مكانه صحيح البخاري

المطلب الأول: منهج الإمام البخاري في رسم محددات ومهددات الأمن الفكري

المطلب الثاني: تطبيق على كتاب العلم في صحيحه (هيكلة الكتاب وترتيبه تدل على اهتمامه بالعلم والتربية -أساس الأمن الفكري-)

ثم خاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات

وثبت للمراجع

المقدمة

ما من أمة ساد فيها الأمن - بكافة أشكاله - وعم، إلا علا نجمها، ودام استقرارها وتحقق لها التنمية المستدامة، فالتنمية المستدامة لا تدوم بغياب الأمن.

فبالأمن تستقر وتزهر الحياة، وبانعدامه تتهاوى تطلعات وآمال الأمم والمجتمعات.

وجعل الرسول ﷺ مَنْ توفر له الأمن كمن حيزتْ له الدنيا كلّها، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا).١

إن الأمن معنى شامل في حياة الإنسان، ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمان أمنه على حياته فحسب، فهو كذلك يحتاج إلى الأمن وانتفاء الخوف على عقيدته، وهويته الفكرية والثقافية، وعلى جميع مقومات حياته.٢

فبالأمن يستطيع الإنسان السعي والتصرف بهدوء واطمئنان

وقد أولى الإسلام الأمن عناية تامة في كل الأوقات وعلى كافة الأصعدة، فنهى عن ترويع الناس، واشهار السلاح عليهم، وأمن الجميع على معتقداتهم وممتلكاتهم ولم يرغم أحدا على أخذ أو ترك شيء،

حتى في وقت القتال، فلا يحل إرهاب أو قتال من لا يحارب، كالنساء والصبيان، وكبار السن، الذين لا مدخل لهم في القتال ضد المسلمين.

بل وكان للشعور بالخوف في بعض المواضع، حكم في الشرع يناسب حال الإنسان عند الخوف.٣

ولا يتحقق للإنسان في الحياة ا الدنيا الأمن المطلق؛ ذلك أن الإنسان مهما أوتي من نعمة، ومن سلامة نفس وبدن ووفرة ا لرزق، لا يشعر بالأمن الكامل، أو الأمن بمعناه المطلق الذي ينافي

كل خـوف مهمـا كانت أسبابه. فالأمن المطلق، لا يوجد إلا فـي دار النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين.

المبحث الأول: المقصود بالأمن الفكري وعلاقته بمقصد حفظ العقل

لقـد عني الإسلام بالعقل وحفظه أيمـا عناية -إيجادا وعدما- فهو أحـد مقاصد التشريع، وهو مناط التكليف والمسئولية، وهو صانع حضارة الأمة والضامن لعزتها ورقيها، وباختلاله يختل نظـام الأمة بوجه مـا، فبالعقل السليم سيحفـظ الانسان دينه، ونفسه، ومالـه، ونسله (المقاصد الأخرى) لذلك حرص الإسلام على توضيح ما يقوي العقل ويحدد سلامته، وما يفسد العقل ويهدد سلامتـه، فأمر بتنمية المدارك وإعمال الفكر والنظر وحذر من اتباع الهوى وأحادية المعرفة عند البحث عن المصالح .٤

وحـث على العلم، والتفكـر، وحرم الخمر، وكل ما من شأنه أن يشغـل العقل عن مهامه التي خلـق لها، ويقع على عاتق ولي الأمر العمل على عـدم انتشار المذاهب الضالة وعلومها بين العوام لما تفضي إليه من انحراف في التفكير، فلا فائدة ترجى من تضييع الطاقة الفكرية فيما لا يفيد.

قـال الإمام ابن عبـد السلام: (لا يجوز ستر العقل بالغفلات المحرمات ويستحب صونه عن الغفلة عن كل مندوب، وذلك بنفي أسباب الغفلات من الشواغل والملهيات) ٥.

كل ذلـك حتى يسلم العقل ويصل لمرحلة الأمن الفكـري ويصبح قادرا على تمييز الغث من الثمين.

فما هو الأمن الفكري؟

المطلب الأول: الأمن الفكري لغة واصطلاحا

يعد مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن وجدت بالمعنى فقد كان للشريعة الإسلامية رؤيتها في حفظ الدين والعقل.

الأَمن الفِكريّ مُركّب من كلمتين هما: الأَمن، والفِكر، وقبل التعريف بمفهوم الأمن الفِكري، يجب بيان طرفَيّ المركَّب:

أولاً: تعريف الأمن في اللُّغة والاصطلاح

الأمن في اللُّغة: هو مصدر للفعل أمن يؤمن. وهو ضد الخوف»

هـو سكـون القلب واطمئنانـه، قال ابن فارس: «الهمزة والميـم والنون أصـلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر: التصديق.

وقـال الخليل: «الأَمَنَةُ مـن الأمْن. والأمان إعطاء الأَمَنَة. والأمانة ضـدُّ الخيانة. يُقال أمِنْتُ الرّجُلَ أَمْنًا وأَمَنَةً وأَمانًا، وآمنني يُؤْمنني إيمانًا. والعرب تقول: رجل أُمَّانٌ، إذا كان أمينًا».

وقيـل: الأمن طمأنينـة النفس وزوال الخـوف. والأمن والأمانة والأمان فـي الأصل مصادر، ويجعـل الأمان تـارةً اسمًا للحالة التي يكون عليهـا الإنسان في الأمن، وتارةً اسمًـا لما يُؤَمَنُ عليه الإنسان.

مـن خـلال هذه المعاني اللغوية يتبيـن لي أن معنى الأمن في لغة العـرب يدور حول أمرين هما:

الطمأنينة والشعور بالرضا والاستقرار، ثم التصديق والثقة وعدم الخوف.٦

الأمن في الاصطلاح:

تعـدَّدت التعريفات الاصطلاحيّة للأمـن باختلاف المنظور الذي يَنظـر إليه الباحثون عند تعريفهم له، حسب اختلاف المجالات والتخصصات

عرّفه الجرجاني ب «عدم توقُّع مكروه في الزمان الآتي».٧

ومـن المنظـور النفسـي عـرف ب «الحالة التـي يسود فيهـا الشعـور بالطمأنينـة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب «٨

وسياسيـا: «هو تحقيـق كيان الدولة والمجتمع ضـد الأخطار التي تهددهـا داخلياً وخارجياً وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصاديا واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع»٩

ويمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنَّه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئنًا في نفسه، مستقرًا في وطنه، سالمًا من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عِرضه، أو ماله، أي حفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها ١٠

من هنا يتضح التباين في تعريف الأمن حسب المنظور الذي ينظر إليه كل باحث.

ثانياً: تعريف الفكر في اللُّغة والاصطلاح:

الفكر في اللُّغة:

هـو تردُّد القلب وتأمُّله. قال ابن فارس: «الفاء والكاف والراء، تردُّد القلب في الشيء. يُقال: تفكّر إذا ردَّد قلبه معتبرًا. ورجلٌ فِكّير، أي كثير الفِكر».

و (التفكـر) التأمـل، و (أفكر) في الشـيء و (فكر) فيه بالتشديد، وتـردد القلب في شيء،

يقال: تفكر إذا ردد القلب معتبراً

وقيل هو: إعمال الخاطر في شيء، ويقال لي في الأمر فِكر أي نظر ورؤية

ممـا سبق يتضـح أن مفهوم الفكر في اللغة يدور حول معنى واحـد تقريباً وهو إعمال الفكر بالتأمل والتدبر، وإعمال العقل.١١

الفِكر في الاصطلاح:

قـال الفيومـي: «ويقال: الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذِّهْنِ يُتَوَصَّـلُ بِهَا إلَى مَطْلُوبٍ، يَكُونُ عِلْمًا، أَوْ ظَنًّا».١٢

وعرّفه الزبيدي بقوله: «الفكر في المصطلح الفِكريّ والفلسفيّ خاصةً، هو: الفعل الذي تقوم بـه النفس عنـد حركتها في المعقولات، أي النظر، والتأمُّل، والتدبُّـر، والاستنباط، والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري ١٣

ممـا سبق يتضح أن التفكر يـراد به « إعمال النظر والذهن والتأمل والتدبر في مجموعة من المعـارف لغرض الوصول إلـى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بهـا العقل أو الذهن بواسطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر

وجملة القول: فإن الفكر اصطلاحاً كما يقول أهل الاختصاص هو: عمل العقل ونتاجه.

والإسـلام أولـى عناية فائقة بالفكـر والمحافظة عليه من كل شيء يؤدي بـه إلى الانحراف والزيغ واهتم اهتماما بالغاً بآلة الفكر وهي العقل، ودعي إلى التفكر الذي يقود إلى ما ينفع الإنسان من معرفة الله وخشيته والانقياد له سبحانه وتعالى.١٤

مفهوم الأمن الفكري:

شـاع هذا المصطلـح في العصر الحديـث؛ ليعبر عـن حصانة الأمة ضد مـا يغزو فكرها، واعتقادها من الخارج والداخل.

وتجـد شيوعـه وانتشاره أكبـر ما يكون إبان وقـوع الأزمات الفكريـة، أو العقدية، وفي سياق مواجهة الأفكار المضللة والانحرافات الفكرية

يعـد مفهـوم (الأمن الفكـري) من المفاهيـم الحديثـة التي لم تعـرف قديماً فـي ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة الإسلامية رؤيتها في حفظ الدين والعقل.

ونظرًا لحداثـة مصطلح الأمن الفِكري، فقد اختلفت عبارات الباحثين ووجهات نظرهم في تحديده، وضبط مفهومه منها:

الأمــن الفِكري: هو أنّ يعيش النّاس في بُلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مُطمئنين على مكوِّنات أصالتهم، وثقافتهم النوعيّة، ومنظومتهم الفِكريّة.١٥

هــو سلامة فِكر الإنسان وعقلــه وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطيّة، والاعتدال، في فهمــه للأمــور الدينيّة، والسياسيّة، وتصــوُّره للكون بما يؤول به إلى الغلــو والتنطُّع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة.

هــو الاطمئنــان إلى سلامة الفِكر من الانحــراف الذي يشكِّلُ تهديدًا للأمــن الوطني أو أحد مقوماته الفِكريّة، والعقديّة، والثقافيّة، والأخلاقيّة، والأمنيّة.١٦

وبالتأمــل فــي مصطلح (الأمن الفكري) مــن حيث مقتضياته وما يمكــن أن يترتب عليه في المجتمــع المسلــم ومــا انتهى إليــه الباحثون فــي تعريفهم للأمن الفكــري أنه يسعــى إلى تحقيق الحمايــة التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال، وأنه يُعنى بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف ومــا يتبعــه من سلوك. أو الحال التي يكون فيها العقــل سالمًا من الميل عن الاستقامة عند تأمُّله، وأنّ تكــون ثمــرة ذلك التأمُّــل متفقةً مع منهج الإسلام علــى وفق فهم السّلف الصالــح، وأنّ يكون المجتمع المسلم آمنًا على مكوِّنات أصالته، وثقافته المنبثقة من الكتاب والسنّة.١٧

المطلب الثاني: سلامة الفكر والعقل وعلاقتهم بالأمن الفكري

يعــد العقل محــور الفكر والتقدم والحضارة، يقول الغزالي رحمــه الله:» كثر الحث في كتاب الله تعالــى علــى التدبر والاعتبار والنظــر والافتكار، ولا يخفــى أن الفكر هو مفتــاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النـاس قد عرفوا فضله ورتبه لكن جهلــوا حقيقتــه وثمرته ومصدره»١٨ . ولذلــك فيُلاحظ في كتاب الله العزيز آيــات كثيرات تدعوا إلــى التفكر وإعمال الفكر والعقل، وأن هذا التفكر وإعمال الفكر والعقل هو الذي يقود إلى الإيمان وتوحيد الله جل وعلا وخشيته، وأنه سبب زيادة الإيمان.

ومــن ثم يتبين الارتبــاط الوثيق بين العقــل السليم والفكــر الصحيح والإيمــان، فإن الفكر الصحيح المبني على الاستدلال والنظر والتأمل والتفكر بتجرد يقود حتماً إلى نبذ التقليد الأعمى، والتجرد للحقيقة والابتعاد عن التعصب للآراء وما عليه الآباء إذا كانوا على ضلال.

ويــؤدي إلى الإيمان بــالله وتوحيده وخشيته، ولذلــك يدعو القرآن الكريم كثيــراً إلى التفكر والنظر وإعمال العقل، وفيه آيات كثيرة تختم بقوله (لآيات لقوم يعقلون)، (لآيات لقوم يتفكرون)، وغيرها من الآيات الأخرى التي تدعونا إلى النظر في خلق الله وعظيم صنعه وتدبيره.

وحتى يميز العقل الخبيث من الطيب، ويفرق بين الصالح والطالح، ويقبل ما يتماشى مع الفطرة السليمة ويرفض ما يخالفها، ويصل إلى مرحلة أمنه الفكري لابد أن يدرب وينمى ويعرف فنون النزال حتى يكون لنا سديد الرأي والفكر، فتتقدم الأمة وترتقي فكريا وأخلاقيا وعلميا فتسود. فمتى وجدت الحماية للعقل الإنساني أدى ذلك إلى تحقق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية.

يعد الأمن الفِكري أحد مكوِّنات الأمن بصفة عامّة، بلْ هوَ أهمها والمتحكم في بقيتها، فمتى وجدت الحماية للعقل الإنساني أدى ذلك إلى تحقق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية.

فالأمن الفِكري يتعلّق بالمحافظة على الدّين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلاميّة بحمايتها والمحافظة عليها، فالإسلام هو دين الأمة: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩)، وهو كذلك مصدر عزّها وقوتها، وأساس تمكينها في الأرض: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ (النور:٥٥)

والإسلام كذلك هو مصدر ثقافة الأمة، ومستند علومها ومعارفها، وهو أساس عُلوها وتميّزها، لذلك كان في الأمن الفِكري الحماية لهذه الأُسس والمرتكزات، والإخلال به إخلال بها، وهو ما يجعل الأُمة عُرضة للزوال، والتأثر بمعتقدات الأمم الأخرى وثقافاتها وأفكارها، وبذلك تفقد سرّ تميّزها، وأساس وجودها وعظمتها.

الأمن الفِكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف، والبُعد عن الغلو والتطرف، ولذلك فإنَّ الإخلال به يعرّض الإنسان لأن يكون عمله هباءً لا طائل من ورائه، وتفرُّق الأمّة وتشرذمها شيعًا وأحزابًا، وتتنافر قلوب أبنائها، ويجعل بَأسهم بينهم شديد، فتذهب رِيح الأمة، ويتشتت شَملُها، وتختلف كلمتها.

ولا شكّ أنَّ من أعظم أسباب اختلاف القلوب وتفرّق الصفوف هو الخِلاف العَقدي، فبه تُستحلّ الدّماء، ويلعن بعض الأمة بعضها الآخر.

ولعل ما تعيشه أمتنا من انحرافات فكرية تعكس مدى حاجتنا إلى تفعيل أمننا الفكري. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ

عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٥٣)، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٥).

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تحقيق الأمن الفكري وانعدامه

للأمـن الفكري دعائـم يقوم عليها، ومقومات تسهم في تكوينـه والمحافظة عليه. ومن أهم تلك المقومات التعليم الإسلامي الصحيح واللغة العربية، فهما المقوم الأول لحماية الهوية الدينية واللغوية للأمة من الضياع والاستلاب.

نحن بحاجة ماسة إلى تفعيل الوعي بأهمية الأمن الفكري لمجتمعنا، -بعد ظهور الانحرافات الفكرية الفجة التي بدأت تطفو على السطح-

كمـا علينا استقـاء المعلومات والنقل عـن المصادر الصحيحة، مـع التحصُّن العقدي من الباطـل، والتفاعل الرشيد مـع الثقافات الأخرى، ومعالجة مظاهر الانحـراف الفكري في النفس والمجتمـع، فالشريعـة الإسلامية جـاءت لحفظ الضـرورات الخمس (الدين، والنفـس، والعقل، والمـال، والعرض) وبالتالي فإنَّ بنـاء مفهوم «الأمن الفكري» في الإسـلام، يستدعي الرجوع إلى نصوص الشريعـة وتطبيقاتها؛ والخـروج برؤية متكاملة لتحقيـق التعزيز والتفعيـل الأمثل لهذا المفهـوم، وهو عمـل ينبني على الاستقراء الموصل لليقين، مع دراسـة المفاهيم التي تتصل بهذا المفهوم، أو تتقاطع معه، أو تختلط به.

ولعل من أبرز العوامل المؤثرة في تحقيق الأمن الفكري: التزود بالعلوم الإيمانية التي ترشد إلى طريق الهداية الذي جاء به القرآن الكريم، وتدعو إلى الوعي الفكري الناضج وسلوك الطريق القويم، والأخذ عن العلماء الربانيين المشهود لهم، لأنهم صمام الأمن الفكري فبحسن توجيههم وبيانهم يتحقق الفهم الصحيح للنصوص لاسيما في القضايا المستجدة والنوازل المعاصرة.

الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، فإن ذلك هو الأمن الحقيقي الذي يقود إلى أمن الفكر، تعظيـم النصوص الشرعية والوقوف عندهـا وفهمها فهما صحيحا، فالتأصيـل، وضبط مصادر المعرفـة والتلقِّـي؛ أسـاس الأمن الفكـري، فالاعتقاد وصحتـه، والعمل وسلامتـه كل ذلك رهين بسلامة المصدر الذي أخذ عنه.١٩

وحتـى يترسـخ الأمن الفكري على دعائم قوية لابد من العمل علـى عدة محاور (هي الوقاية والمواجهة والعلاج) مع الوضع في الاعتبار تقويم الفكر وتصحيح المعتقد.

مرحلة الوقاية من الانحراف الفكري:

مـن الجيد ألا ننتظر وقوع انحراف لنبدأ في إصلاحه، ومن هنا يأتي دور الأسرة ومؤسسات التنشئـة الاجتماعيـة الأوليـة والثانوية والإعلام وغيرهـا من المؤسسات ويكـون ذلك وفق خطط مدروسة تحدد فيه الغايات والأهداف.

مرحلة المناقشة والحوار:

قـد لا تنجح جهود الوقاية في صـد الأفكار المنحرفة من الوصول إلـى بعض الأفراد، سواء كان مصـدر هـذه الأفكار داخليـا أم خارجيا، مما يوجد بعض هذه الأفـكار بدرجة أو بأخرى لدى بعضـ شرائـح المجتمع، ثم لا تلبـث أن تنتشر وتستقطب المزيد من الأتبـاع، مما يستدعي تدخل قـادة الفكر والرأي من العلمـاء والمفكرين والباحثين للتصدي لتلك الأفـكار من خلال اللقاءات المباشـرة بمعتنقيها ومحاورتهم وتفنيد الآراء ومقارعة الشبـه بالحجة وبيان الحقيقة المدعومة بالأدلـة. وهـذه المرحلة من أهم مراحـل تحقيق الأمن الفكري خصوصـا أن المواجهة فكرية في الأصل.

مرحلة التقويم:

والعمـل في هـذه المرحلة يبدأ بتقييم الفكر المنحرف وتقدير مـدى خطورته باعتبار ذلك نتيجـة حتمية للحوار والمناقشة، ثم ينتقل العمل إلى مستوى آخر هو تقويم هذا الفكر وتصحيحه قدر المستطاع بالإقناع وبيان الأدلة والبراهين.

مرحلة المساءلة والمحاسبة:

والعمـل فـي هذه المرحلـة موجه إلى من لـم يستجب للمراحـل السابقة، ويكـون بمواجهة أصحـاب الفكر المنحرف ومساءلتهم عمـا يحملونه من فكر، وهو منـوط بالأجهزة الرسمية أولا وصـولا إلـى القضاء الذي يتولى إصدار الحكم الشرعي في حق مـن يحمل مثل هذا الفكر لحماية المجتمع من المخاطر التي قد تترتب عليه.

مرحلة العلاج والإصلاح:

وفـي هـذه المرحلة يكثـف الحوار مـع الأشخاص المنحرفيـن فكريا، ويتـم ذلك من خلال المؤهليـن علمياً وفكرياً في مختلف التخصصات خصوصاً العلماء المؤهلين على مقارعة الشبهة بالحجة

هــذه أهم مراحـل تحقيق الأمــن الفكري الغايــة منها الوصول إلــى أعظم النتائـج التزاماً بالمنهج الإسلامي القويم، والعمل على تحصين العقل من الشكوك والشبهات في جو من الوسطية والاعتدال.

وهنــاك معوقـات ومهــددات تعمل علــى عدم تحقيقــه، ويظل خطرهــا مستمــرا إذا لم يتم معالجتها وتذليل حلول انعدامها منها:

مهددات ومعوقات الأمن الفكري الدينية تتمثل في:

الخلل في منهج التلقي، والأخذ بظاهر النص دون فقهه، والجهل بمقاصد الشريعة وغاياتها، من أهم مهددات الأمن الفكري وهناك المهددات الاجتماعية

- تقصير الأسرة، ومن ذلك الإهمال وعدم العناية بتربية الشباب، افتقاد القدوة

- تقصيــر المؤسســات التعليميــة فــي أداء مسؤوليتهــا التربويــة، حيث المناهــج الغثة في مضمونها، ومخرجاتها

وبعض المعلمين الذين يمثلون قدوة سيئة، والأنشطة غير الهادفة، جميعها تؤثر في الطلاب في مختلف مراحلهم التعليمية، مما يجعلها سببا من أسباب انحرافهم الفكري.

المهددات الاقتصادية:

الفقــر والبطالــة وعدم ســد حاجــات الإنسان الضروريــة كل ذلك مــن شأنــه أن يدفع إلى التعصــب، وتجعــل النفوســ ميالة إلــى رفض الآخريــن، ومن أجل هــذا يستغل أصحــاب الأفكار والمذاهــب المنحرفة، هذا الجانب لإثارة النفوس وجعل بعضــ الشباب يفقد الأمل ويستسلم لأي دعوة منحرفة، أو يصبح فريسة سهلة للاستغلال.

المهددات الثقافية:

إن التأثــر بما يبث عبر مواقع المتطرفين الإلكترونية مـن أخطـر أسباب الانحراف الفكري، حيــث وجــد أصحاب الفكر المنحرف في تقنيــات الاتصال وبخاصة الإنترنــت وسائل فعالة لنشر سموم فكرهم.٢١

آثار انعدام الأمن الفكري:

إن الأمــن الفكري ليســ سلعة أو خدمة يمكن إنتاجها ، أو استيرادها ،إنما هو ثمرة وحصاد لمــا يزرعــه المجتمع والبيئة المحيطة في عقــول أبنائه ،فأي خلل يطرأ تجد أثــره لاحقا ،كما أن

الأمـن الفكري لا يمكن فصله أو التعامل معه بمعزل عـن مفهوم الأمن الشامل، الذي هو منظومة أمنيـة متكاملـة ، فإذا انعدمت مقومات هذا الأمن حل الضرر في شتى المجالات وظهر الانحراف الفكـري ، والانحراف السلوكـي، والتطرف، والإرهاب وعدم الأمان، والتفـرق والتشرذم، و ضياع هيبة الأمة ،والضعف في كل مناحي الحياة وغيره الكثير ،وصار المجتمع مرتعا خصبا لكل تطرف وتعصب وشذوذ.٢٢

نحـن الآن بصـدد نوع من الحروب لا تكلف العدو نقطة دم، ولا حتى رصاصة ألا وهو الحرب الفكريـة، أو الاستهـداف الفكري، فلا يتطلب ذلك إلا إحـداث فوضى فكرية وعنف فكري ومن ثم ينعدم الأمن الفكري.

المبحث الثاني: محددات ومهددات الأمن الفكري عند الإمام البخاري

تمهيد: مكانه صحيح البخاري

يعـد الصحيـح أهم كتب الحديث النبوي عنـد أهل السنة والجماعة، كمـا يعتبر أصحّ كتاب بعد كتاب اللّه تعالى. وهو أوّل كتاب مصنّف في الحديث الصحيح المجرّد، وهو أهم كتب الجوامع الستّـة – مجموعـة من كتب الحديـث: الصحيحان والسنن الأربعة، ويطلق عليهـم الكتب الستة أو الجوامـع الستـة – التي تعتبر من أمهات مصادر الحديث النبـوي الشريف التي احتوت على جميع أبواب الحديث من العقائد والأحكام والتفسير والتاريخ والزهد والآداب وغيرها.

ويطلق اسم «صحيح البخاري» على كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم وسننه وأيامه». وقد صنّفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري خلال ستة عشـر عاماً، وانتقـى أحاديثه من أصل ستمائـة ألف حديث. ويبلغ عدد أحاديـث صحيح البخاري المصنفـة مـا يزيد عن سبعة آلاف حديث يتكرر بعضها حسـب الأبواب، ويبلغ عدد الأحاديث غير المكررة ما يقارب ثلاثة آلاف حديث. أما عدد أحاديثه بالمكرر مع التعليقات والمتابعات واختلاف الروايات يتجاوز تسعة آلاف حديث، وهذا غير ما فيه من الموقوف على الصحابة والتابعين.

ويحتـوي الصحيح على أكثر مـن عشرين حديثا أطلق عليها المحدثون: «ثلاثيات البخاري». ويقصـد بذلـك أن بينه وبين النبي صلى اللّه عليه وسلم ثلاثة رجال، وهـذا يعني أنه من جيل تَبَع الأتباع.

وقـد اكتسب الكتـاب مكانة عظيمة في حياة الإمام البخاري فـروي أن سبعين ألفاً من طلبة العلم قد سمعوا منه مباشرة، وامتد صيته إلى زماننا المعاصر، ويحظى دائماً بالتقدير والاهتمام مـن العلماء وطلبة العلـوم الشرعية. وقد ألفت العديد من المؤلفات حول الصحيح وعنه. وصدرت

العديد من الشروحات والمختصرات والتعليقات والمستدركات والمستخرجات وغيرها مما يتعلّق بعلوم الحديث النبوي الشريف. وقد سجل بعض المؤرخين أن عدد شروحه فقط قد تتجاوز اثنين وثمانين شرحاً متعلقا بالصحيح.٢٣

ومن يدرس حياة الإمام البخاري يجد أنه كان صاحب نشأة صالحة وهمة عالية وعزيمة صادقه. وقد ترسخت محبته لرسول الله ﷺ وحب أحاديثه وهو لا يزال في طفولته. وقد كتب الصحيح بمداد هذه المحبة ليصبح كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته». ٢٤وقد استغرق الإمام البخاري في تصنيفه ست عشرة سنة، ابتدأ تأليفه وله نحو (٢٢) سنة، وأتمه وله نحو (٣٨) سنة.

المطلب الأول: منهج الإمام البخاري في رسم محددات ومهددات الأمن الفكري

من اللافت للملاحظة هو مدى بلوغ الإمام البخاري بصحيحه هذه المنزلة الرفيعة عند علماء المسلمين وأهل الإسلام. ولعل قياس الأثر الذي أحدثه الصحيح فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف يكفي للتدليل على عظمة المنهج والجهود التي التزم بها الإمام البخاري في إخراج الصحيح ووصوله إلى هذه المكانة.

ونستطيع القول بأن هذا المنهج يعد نموذجا مثاليا لكيفية تناول كل ما يتعلق بمصادر التشريع ومقاصد الشريعة،نموذج راقٍ في الحرص على صحة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي والمتعلق بالسنة النبوية المطهرة والحديث الشريف،ونموذج راقٍ في المحافظة على الدين والعقل وحمايتهما من أهم مهددات الأمن الفكري من خلال منهج متكامل في التلقي والفقه والنقل.

فمن حيث التلقي في قبول إدراج الأحاديث في الصحيح، فإن الإمام البخاري لم يكتف بشروط الحديث الصحيح عند الإمام مسلم وغيره من حيث قبول معاصرة الرواة، وإنما أضاف شرطا انفرد به دون غيره من حيث ثبوت سماع الراوي بنفسه من شيخه. وهذا زيادة في الحيطة والحذر وتعظيم صحة الأحاديث التي أوردها في صحيحه.

لقد تميز الإمام البخاري بمنهج فريد في تصحيح الأحاديث والحفاظ على السنة النبوية المطهرة من كل دنس أو شبهة. وكان للإمام البخاري منهجا متميزا في مسائل اتصال السند من حيث الأحاديث المعلولة والتفرد والمخالفة وأثرهما في التعليل، وكذلك زيادات الثقات. وامتد تميز الإمام البخاري في مسائل عدالة الرواة وضبطهم. وكانت له مواقف صارمة في مسائل العدالة وأحاديث أهل البدع والأهواء، والرواة المجاهيل والوحدان. كما كان للإمام مواقف واضحة أيضا

من الرواة الضعفاء ومراتب الرجال والتعامل مع أحاديث الضعفاء وتصحيحها.

وبالرغم من أن البخاري لم يصرح بشروطه، إلا أن الكثير من المحدثين استنبطوا شروطه من كتابه، «إن شرط البخاري أن يخرج ما اتصل إسناده بالثقات المتقنين الملازمين لمن أخذوا عنه ملازمة طويلة سفرًا وحضرًا، وإنه قد يخرج أحيانا ما يعتمده عن أعيان الطبقة التي تلي هذه في الإتقان والملازمة لمن رووا عنه فلم يلزموه إلا ملازمة يسيرة». ،«اشترط البخاري ومسلم الثقة والاشتهار. وقد تركا أشياء تركها قريب وأشياء لا وجه لتركها، فمما تركه البخاري الراوية عن حماد بن سلمة مع علمه بثقته لأنه قيل إنه كان له ربيب يدخل في حديثه ما ليس منه، وترك الراوية عن سهيل بن أبي صالح لأنه قد تكلم في سماعه من أبيه وقيل صحيفة».٢٥

وقد تميزت حياة الإمام البخاري بالتناسق في منهجه بين الجانب الإيماني والسلوكي التطبيقي. وهذا التناسق مهم ينبغي الإشارة إليه، والإشادة به. وقد حفلت الكتب التي ترجمت له بذكر نماذج عدة عن تعبده، وسلوكه. وعلى الرغم من كثرة مؤلفاته في علوم الجرح والتعديل، إلا أن الجانب السلوكي كان ظاهراً في جهوده تأصيلاً وتطبيقاً. وقد ألف عدة كتب منها كتاب «الأدب المفرد»، كما ظهر التزامه التطبيقي في مؤلفاته التي كتبها في الجرح والتعديل، وكان فيه من الورع والتقوى ما يدعو للدهشة والإعجاب، ويكفي في ذلك قوله: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنِّي اغتبتُ أحدًا». وقد قال الذهبي معلِّقًا على كلام البخاري هذا: «قلتُ: صدقَ - رحمه الله - ومن نظرَ في كلامه في الجرح والتعديل، عَلِمَ ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعِّفه، فإنه أكثر ما يقول: «منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر»، ونحو هذا، وقلَّ أنْ يقول: «فلانٌ كذَّاب، أو كان يضعُ الحديث»، حتى إنَّه قال: «إذا قلتُ: فلانٌ في حديثه نظرٌ، فهو متَّهمٌ واهٍ»، وهذا معنى قولِه: «لا يحاسبني الله أني اغتبتُ أحدًا»، وهذا هو - والله - غاية الورع»

كما أنَّ سلوكه التطبيقي عملاً بعلمه كان لافتا أيضا، حيث لم تشغله مؤلفاته في الحديث النبوي وعلومه عن كتاب الله سبحانه وتعالى. فقد ذكر في تراجمه أنه كان يصلِّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، ويوتِر منها بواحدة. ولو درسنا ما رواه في صحيحه عن قيام النبي ﷺ، لرأينا أنه روى حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كان صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة. يعني: بالليل. وروى حديث عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة، منها الوتر، وركعتا الفجر. ولكنه من حيث التطبيق العملي كان يعمل بحديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقد وصف الأستاذ أبو الحسن الندوي البخاري في تعامله مع الحديث النبوي بالمحب العاشق. ومن مظاهر هذا الحب: أنه كان يكرر الحديث لاستنباط الفوائد منه، فقد كرر حديث أنس في غزوة خيبر (٣٦) مرة، وكرر حديث عائشة في حجتها مع ﷺ (٣٥) مرة. وقد بلغ من حبه للحديث

النبوي أنه كان يشغله عن النوم كثيرًا.

وقـد التزم الإمام البخاري في أخذ الحديث النبوي عن كبـار المحدثين الثقات. وطاف في طلـب الحديث من مصـادره في رحلات واسعه إلى مـدن العالم الإسلامي فـي خراسان والعراق والشـام والحجاز ومصر. وكتب الحديـث النبوي عن ألف وثمانين شيخـاً، هم شيوخ الحديث في ذلـك الزمان. خمسـة منهم لقبوا بأمراء المؤمنيـن في الحديث، وهم: الفضـل بن دكين الكوفي (ت:٢١٠هـ)، وهشام بن عبد الملـك الطيالسي البصري(ت:٢٢٧هـ) وعلي بن المديني البصري (ت:٢٣٤هـ)، وإسحـق بن راهويه المـروزي (ت:٢٣٥هـ)، ومحمد بن يحيـى الذهلي النيسابوري (ت:٢٥٨هـ)، وأخذ عن الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين رضي الله عنهم أجمعين. وفيهم مـن وصف بأنه من أتباع التابعين، مثل الإمام مكي بـن إبراهيم (ت:٢١٤هـ)، وغيره. فنال بذلك رتبة تَبَع الأتباع.

وقـد عرض الإمام البخاري الصحيح علـى كبار شيوخه حفاظ الحديـث في عصره، منهم أحمـد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وغيرهـم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة. ثم أخرجه، فصار الناس يسافرون إليه لسماعه منه. فهو قد عرض على أئمة المحدثين أصحاب الاختصاص، وقـرأ على هـذا العدد الكبير مـن الأئمة. وقد ذكـر ذلك العديد مـن العلماء ونقل بعضهم إجماع الأمة على ذلك:

قال الذهبـي: «وأما جامع البخاري الصحيح، فأجل كتب الإسلام، وأفضلهما بعد كتاب الله تعالى»

يقـول النووي: «أول مصنّف في الصحيح المجرّد، صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم. وهما أصح الكتب بعد القرآن. والبخاري أصحّهما، وأكثرهما فوائد.»

ويقـول النووي أيضًـا: «اتفق العلماء ـ رحمهـم الله ـ على أن أصح الكتب بعـد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول»٢٦

وبالتأمـل في منهـج الإمام البخاري في مؤلفاته نجد أنه قد سلـك رحمه الله في تأليف هذا الصحيح على ترتيب عقائدي وفقهي مشتملا على شتى أنواع العلوم، كالعقيدة والتاريخ والرد على الجهمية والتفسير والزهد والطب وغيرها، ولذلك كان الصحيح شاملاً جامعًا تتحقق فيه الحماية التامة للعقيدة من الانحراف أو الخروج عن الاعتدال، ويحفظ للعقل المسلم المتأمل فيه الاستقامة والسلامة من الميل إلى الغلو أو التفريط، وأنْ تكون ثمرة ذلك التأمُّل متفقةً مع منهج الإسلام على وفـق فهم السّلف الصالح، وأنْ يكون المجتمع المسلم آمنًا على مكوِّنات أصالته، وثقافته المنبثقة

مـن الكتاب والسنّة، ومنظومتهـم الفِكريّة للتعامل مع مستجدات حياتهـم الاجتماعية والسياسية والاقتصاديـة بهدوء واتزان وسكينة. وهـي الأسس والمبادئ التي تحتاجهـا المجتمعات المسلمة للوقـوف بصلابة أمام كل ما يشكِّلُ تهديدًا للأمن المجتمعـي أو أحد مقوماته الفِكريّة، والعقديّة، والثقافيّة، والأخلاقيّة، والأمنيّة.

لقـد أخذ الإمـام البخاري على عاتقه ذب الكذب عن كلمـات الرسول صلى الله عليه وسلم، وحفظها ضمن سور حصين لا يستطيع الباطل له خرقا.

واستطاع الإمام البخاري بجـدارة منهجه وترتيب أبوابه ومواقفه من أهل البدع والضلالات أن يحمـي السنة النبويـة، ومتلقيها من أي انحراف فكري أو عقـدي وأن يحقق أمنا فكريا منظما لهما.

وكمـا شـاء الله أن يتفنن المتمسكون بالسنة النبوية الشريفة فـي الاستفادة من كتب الإمام البخـاري ومنهجـه وفكره للسير على تعاليـم النبي -صلى الله عليه وسلم- التـي جمعها لنا، فانه بالمقابـل نجد خصوم الإسلام يعرفون قدر البخـاري ومنهجه وفكره ولذلك يتكالبون على الطعن فيـه وتشويه سيرتـه ومسيرته، وليس لهم من عدّة في ذلك إلا الكـذب والافتراء عليه أو التحريف والتزوير، وهم في ذلك يكرّرون شبهات ساقطة وقديمة جداً بثها حاقدون على الإسلام من أديان أخـرى ثـم لمّعهـا المستشرقون، واليوم يلوكهـا منظرو العلمانيـة ومدعو الحداثة فـي مؤلفاتهم، ويروّجها نيابة عنهم أبواق غبية عبر وسائل الإعلام والفضائيات.

وإذا تأملنا أضعف رجال البخاري - رحمه الله – الذين أخذ منهم الامام في الصحيح، فقد أورد الحافـظ (رمـي من رجال البخاري بطعن في الاعتقاد فبلغـوا (٦٩) راوياً، ومن خلال التتبع لهؤلاء الرواة يمكن أن نستخلص المعايير التي اعتمدها البخاري في الرواية عن أهل البدع ويمكن أن نجملهـا فـي النقاط التالية: ليس فيهم من بدعتهم مكفـرة. أكثرهم لم يكن داعية إلى بدعته، أو كان داعيـة ثم تاب (انظر ترجمة: عمران بـن حطان في هدي الساري ص٤٠٤، وترجمة شبابه بن سوار في الهدي ص٤٦٩، وترجمة: عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني في الهدي ص٤٣٧). وأكثـر ما يروي لهم فـي المتابعات والشواهد. وأحياناً يروى لهم فـي الأصول لكن بمتابعة غيرهم لهم. وكثير منهم لم يصح ما رموا به. إذن فالعبرة إنما هي صدق اللهجة، وإتقان الحفظ، وخاصة إذا انفرد المبتدع بشيء ليس عند غيره.

ومـا ذهب إليه البخاري هـو مذهب كثير من المحدثين، ومن هـؤلاء تلميذه وخريجه الإمام مسلـم، فقد روى فـي صحيحه عن أهل البدع والأهواء المعروفين بالصـدق والإتقان، وخاصة إذا

انضم إلى ذلك الورع والتقوى، وما ذهب إليه الشيخان هو رأي أكثر الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وإنما توقف من توقف منهم في الرواية عن أهل البدع إما لأنه لم يتبين لهم صدقهم، أو أرادوا محاصـرة البدعـة وإخمادها حتـى لا تفشو، ولكن شاء الله تعالـى أن تكثر البدع وتفشو، وتبناهـا كثير مـن العلماء والفقهاء والعباد فلم يكن من المصلحة تـرك رواياتهم، لأن في تركها، اندثارا للعلم، تضييعاً للسنن. فكانت المصلحة الشرعية تقتضي قبولها ما داموا ملتزمين بالصدق والأمانة. قال الخطيب البغدادي – بعد أن ذكر أسماء كثير من الرواة احتج بهم وهم منسوبون إلى بـدع اعتقادية مختلفـة: «دوَّن أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجـوا بأخبارهم، فصار ذلك كالإجماع منهم، وهو أكبر الحجج في هذا الباب وبه يقوى الظن في مقارنة الصواب» ٢٧

المطلب الثاني: تطبيـق على كتاب العلم فـي صحيحه (هيكلة الكتـاب وترتيبه تدل على اهتمامه بالعلم والتربية - أساس الأمن الفكري)

إن الناظر لهيكلة الكتاب عموما يجد إبداعا لا مثيل له في البناء، والمنهج، وإتقان الصنعة، والحيطة، والاحتراس، والتناسق «حتى أن العالم البلقيني حاول أن يعقد شبها بين طريقة البخاري فـي طريقة ترتيب كتبه في الصحيح وبين مـا يعقده كثير من العلماء من تناسب آخر كل سورة مع أول التـي تليهـا، ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على عمق النظـرة إلى حد أمكن معه أن يلحظ عالم كبير كالبلقيني وتلميذه ابن حجر مثل هذا التشابه المذكور ولا يريا بأسا من التنبيه عليه»٢٨

واختـرت كتاب العلم–لإلقاء نظرة عامه وسريعة –لأنه أحد جوانب الأمن الفكري، والميدان الأصيل لتنمية الفكر والتربية وحفظهما وسلامتهما .

لقـد بنى الإمـام البخاري فكره في العلـم والتربية علـى أساس متين، فكان عمـاده القرآن الكريم نصا وتفسيرا وفقها وبلاغة٢٩، ففي كتاب العلم ذكر البخاري عددا من الآيات في عناوين الأبـواب مثـل: الباب الأول: فضل العلم (يرفع الله الذين آمنـوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وهكذا في عدة أبواب.

واعتمد أيضا على صحيح السنة وما يستنبط منها، كذلك اعتمد على أقوال الصحابة وعنون بها بعض الأبواب.

كذلـك أقوال التابعين فنقل عن مجاهد في الباب الخمسيـن «الحياء في العلم»، وغيره لقد كان الإمام البخاري وليد تجربة علمية تربوية حافلة، كان فيها طالبا ثم معلما فشكلت هذه التجربة تصوراتـه التعليمية، وآراءه التربوية، وهذا ما نلمحه في تبويباته وعناوينه في كتاب العلم، فناقش طرق تحمل الحديث كالسماع والقراءة والمناولة والكتابة، وموضوع تحمل الصغير وغيرها.

كذلــك كان الترابط والشمولية –التي هي من أساسيــات الأمن الفكري – في نظرته للعملية التعليميــة فــكان فضل العلم، ثم آداب العلم، ثم من سئل علما وهو مشتغل في حديثه ....وآداب العلم، وأصناف المتعلمين

..... وتعليــم الصغار...ويذكــر تعليــم الرجــل أمته وأهلــه .... – ويذكر بدافعيــة التعليم – «الحرص على الحديث»

ويعــود إلى بيان خطورة تفشي الجهل في الباب الرابــع والثلاثين: كيف يقبض العلم ،ويكرر وجوب تبليغ العلم ،ثم إثم من كذب في العلم ....وفي الباب الثامن والأربعين يبرز موضوع الفروق الفردية في التعليم «من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه» فنحن أمام نابغة أعمل فكره وعقله للمحافظة على عقول وفكر من أتى بعده ،باتباعه نهج فريد في الشكل والمضمــون جعل البخاري البــاب الخامس عشر بعنوان «الاغتباط في العلــم والحكمة» وأورد قول عمــر رضــى اللّه عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا) وعلق البخاري «وبعــد أن تسودوا» فهو حريص على العلــم والتعلم لأنه يعلم يقينا أنه صمام الأمن الفكري، لقــد سبر أغوار التجربة العلمية والتربوية وأصل لها وفق قواعد منضبطة ومنهجيات محكمة، فجزاه اللّه عنا خير الجزاء.٣٠

الخاتمة

من المسلَّم به أنَّنا نعيش عصرًا تعدَّدت وتنوَّعت فيه التّحديات الفِكريّة والمشارب العَقديّة، لهــذا جــاء هذا البحث للتأكيد على أهميّة دور التّحصين العَقــديّ وتعزيز الأَمْن الفِكريّ، باعتباره حجــر الزّاوية في الحفاظ على وحــدة وتماسك الصفّ المسلم، وغير خــافٍ ما للإسلام من دورٍ متعاظــم في الحفاظ على أمن وسلامة الفِكر للأمّة المسلمــة، بلْ وللبشرية جمعاء، إلّا أنَّ التاريخ يشهد منذ القدم على كثيرٍ من العقول البشرية التي لم تدرك الحقيقة، إمَّا كِبرًا وتكبُّرًا، أو لقصورٍ فــي الفهم والوعي، أو لخللٍ فــي البيئة والثقافة، أو لعدم الإيمــان بالمسؤولية المجتمعيّة الوقائيّة، فكانت الاضطرابات والتفجيرات والقتل والتدمير، والانحرافات الفكرية التي أحدثت خللًا بالأَمن ، ستظل آثاره منطبعةً في الذاكرة لأمدٍ طويلٍ.

وكان من أهم النتائج:

الأســرة والمدرسة والإعلام، حواضن الفكر، ففي صلاحها صلاح الأمن الفكري واستقراره وبعده عن الغلو والتطرف، وفي فسادها فساده.

الفكــر الصحيح المبني على الاستــدلال والنظر والتأمل والتفكر بتجــرد يقود حتماً إلى نبذ

التقليد الأعمى، والتجرد للحقيقة والابتعاد عن التعصب للآراء.

الأمـن الفكـري حماية لأهـم المكتسبـات وأعظم الضروريـات، وهو دين الأمـة وعقيدتها، فحماية الأمة من هذا الجانب له أهمية بالغة فهو حماية لوجودها واستقرارها.

يعد الأمن الفِكري أحد مكوِّنات الأمن بصفة عامّة، بلْ هوَ أهمها والمتحكم في بقيتها، فمتى وجـدت الحماية للعقل الإنساني أدى ذلك إلى تحقق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية.

الإخلال بالأمن الفكري يتعدى إلى كل شرائح المجتمع.

لقد استطاع الإمام البخاري بجدارة منهجه وترتيب أبوابه ومواقفه من أهل البدع والضلالات أن يحمي السنة النبوية ومتلقيها من أي انحراف فكري أو عقدي وأن يحقق أمنا فكريا منظما لهما.

تعد هيكلة الإمام البخاري لكتابه شاهدا على عبقرية المنهج، وصرامة واحترافية التطبيق، وحرصه الشديد على سلامة السنة وسلامة العقل.

ثبت المراجع

تحفـة الأحوذي بشـرح الترمذي لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمـن المباركفوري ٩/٧ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان

الأمـن فـي حياة الناس وأهميته فـي الإسلام -عبد الله عبد المحسـن التركي ص٣ -وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف – المملكة العربية السعودية

كصلاة الخوف مثلا، الخوف من الأعذار المبيحة للتخلف عن صلاة الجماعة انظر حاشية الخرشي على مختصر سيدي خليل لمحمد الخرشي ٢/١-٨ دار الكتب العلمية

انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ١٩ / ١٠٠ ط دار الوفاء

شجـرة المعـارف والأحوال وصالـح الأقوال والأعمال لعـز الدين بن عبـد السلام بن غانم المقدسي ص٢٢ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان

انظـر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسـن محمد احمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون، اتحـاد الكتـاب العرب، مختار الصحاح زين الدين محمد الرازي مكتبـة لبنان ط ١، لسان العرب لابـن منظور دار صادر بيروت، محيـط المحيط للمعلم بطرس البستاني دار صادر -بيروت. مادة (أمن).

التعريفـات لعلي بـن محمد الجرجاني -تحقيـق إبراهيم الإبياري صـ ٥٥ ط١-دار الكتاب

العربي- بيروت

الأمــن الفكري والعقائدي مفاهيمــه وخصائصه وكيفية تحقيقه-احمــد بن علي المجدوب ص٥٣-دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية -الرياض

بين الأمن العام والأمن السياسي -على الدين هلال ص٨٤ -١٤٠٦ -دار الكتاب- مصر

مقومــات الامــن فــي القــرآن الكريم-إبراهيم سليمــان الهويمل صــ٩ — المجلــة العربية للدراسات الأمنية والتدريب — العدد٢٩

انظر محيط المحيط مادة (فكر) -معجم مقاييس اللغة، لسان العرب

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير -أحمد الفيومي ٤٧٩/٢ -دار الفكر

حقيقة الفكر الإسلامي د/عبد الرحمن الزبيدي ص ١٠ ط ٢ -دار مسلم للطباعة

انظــر مفهــوم الأمــن الفكري-دراســة تأصيلية فــي ضــوء الإسلام-ماجد محمــد الهذيلي -ص٢١-جامعــة الإمام محمد بــن سعود الإسلاميــة، الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكر ودوره فــي تحقيق الأمن الفكري د/شاكر مقبل العصيمي -صــ٢٥ وما بعدها -مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع - وانظر ملامح الفكر التربوي عند الإمام البخاري -علي إبراهيم العجين ص ٣٩ -مجلة الفكر الإسلامي عدد٦٥

الأمن الفكري د/عبد الله التركي ص ٧٧ -جامعة نايف العربية

انظــر بنــاء المفاهيم ودراستها في ضــوء المنهج العلمي د/عبد الرحمــن بن معلا اللويحق ص١٩ -مؤتمر الأمن الفكري -جامعة محمد بن سعود الإسلامية، نحو استراتيجية وطنية لتحقيق الامــن الفكري في مواجهة الإرهاب د/عبد العزيــز المالكي-مؤتمر الامن الفكري، الأمن الفكري الإسلامي د/سعيد الوادي ص٢١ -مجلة الأمن والحياة-عدد١٨٧

انظــر مفهوم الأمــن الفكري-مصــدر سابق- صــ٢٢، تعزيــز الأمن الفكري بيــن الواجب والضرورة-الفاتح عبد الرحمن محمد-موقع على بصيرة

إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي٤٢٣/٤-دار المعرفة -بيروت

انظر بناء المفاهيم-مصدر سابق- ص٢٠ وما بعدها

انظر الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه د/عبد الحفيظ المالكي ص٥٤-٥٧ -مجلة البحوث الإسلامية-عدد٤٣، مفهوم الأمن الفكري ص٤٠

انظــر نحو بناء مشروع تعزيز الامن الفكري -احمد الصانع ص١٠ -المؤتمر الوطني للأمن

الفكري -جامعة الملك سعود، الأمن الفكري-عبد الرحمن السديس ص٣٠- جامعة نايف العربية

انظر الأمن الفكري مفهومه ضرورته مجالاته د/إبراهيم الزهراني-موقع السكينة

انظـر فائدة الإخوان وعائدة الأعيان -بهاء الدين عبد الله الموصلي -تحقيق رأفت لؤي ص ٨٤ -دار الكتـب العلمية، وانظر ثلاثيـات الإمام البخاري -د/يوسف الكتاني- مجلة السنة النبوية – العدد ٤-المغرب

أخرجه ابن حبان في صحيحه٣٢٦ -الإحسان

انظر الإمام البخاري حياته ومنهجه في صحيحه -علي أبو بكر ص٣٨ رسالة لنيل إجازة في الآداب-اشراف د/صبحي الصالح -جامعة دمشق ١٩٥٩

انظـر هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيـح البخاري لابن حجر العسقلاني، سير أعـلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ٤٠٤/١٢-تحقيـق شعيب الأرناؤوط-مؤسسة الرسالة، شرح النووي على صحيح مسلم – ١٤/١ – المكتبة المصرية.

أنظر هدي الساري – ص ٤٨٣/٤٨٤، و«الكفاية للخطيب البغدادي» – ص ١٥٣/١٥٤ ،منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح- أبو بكر كافي ص١١٠ ومابعدها -دار ابن حزم بيروت

الإمام البخاري حياته ومنهجه في صحيحه، ص ٤٥

الفكر التربوي الإسلامي – عبد الله زاهي الرشدان – ص ٦٢ ط ١ – عمان

انظر ملامح الفكر التربوي عند الامام البخاري – على إبراهيم سعود العجين – ص ٣٨ وما بعدها – جامعة آل البيت الاردن

د. علي بن مناور بن رده الجهني
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن
جامعة تبوك فرع الوجه بالمملكة العربية السعودية

معالم الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال صحيح الإمام البخاري

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فهذا ملخص بحثي الموسوم بـ (معالم الأمن الفكري في القرآن والسنة من خلال صحيح الإمام البخاري رحمه الله) أتقدم به لمؤتمر معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه الذي سيعقد بإذن الله في بيروت بتاريخ ١١ نيسان ٢٠٢٠ لغاية ١٢ نيسان ٢٠٢٠.

والمحور الذي يدور حوله البحث هو معالم الوسطية والاعتدال في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال صحيح الإمام البخاري رحمه الله.

وذلك من خلال المطالب التالية:

أولاً / وسطية الإسلام وبيان جوانب الرحمة التي جاءت بها نصوص الوحيين.

ثانياً/ مقاصد الشريعة الإسلامية في الأحكام الشرعية وارتباطها بالمصاح والمفاسد.

ثالثاً / النهي عن المغالاة في الدين والبعد عن التنطع.

رابعاً/ منع التعدي على الدماء والأموال المعصومة.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

المقدمة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد ، فإن من نعمة الله على عبادة التي امتن بها عليهم في القرآن الكريم نعمة الأمن فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ

يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾[2]. وحصر النبي محمد ﷺ الدنيا في مثلث ، أحد أضلاعه الأمن ، فقال عليه الصلاة والسلام : (من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)[3].وما ينفع الإنسان أن نقص عليه أحد أضلاع هذا المثلث وإن توفر الباقي .

إن الأمن في الحياة رئة يتنفس من خلالها المجتمع، وما الأوضاع التي يمر بها المسلمون اليوم من ترك الأوطان والانتشار في البلدان إلا بسبب فقد الأمن وليت شعري ليتهم فهموا ذلك قبل أن يفكروا في الاعتراض على ما يرون من مخالفات عند الحكومات.

ولعلي من خلال هذا البحث المتواضع أن أقف على بعض معالم الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال صحيح الإمام البخاري.

سائلا الله التوفيق والسداد.

حدود الدراسة

تدور الدراسة حول المحاور المحددة في البحث شاملة بعض الآيات والأحاديث التي تدعم المحور.

---

(١) العنكبوت ٦٧

(٢) قريش ٤

(٣) سنن الترمذي (٤ / ٥٧٤) وقد حكم عليه الشيخ الألباني بالحسن. أما الشيخ شعيب الأرنؤوط فقال (سنده ضعيف جداً، عبد الله بن هانئ بن عبد الرحمن ابن أخي إبراهيم بن أبي عبلة، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ١٩٤/٥، فقال: روى عن أبيه وعن حمزة، روى عنه محمد بن عبد الله بن محمد بن مخلد الهروي، عن أبيه، عن إبراهيم بن أبي عبلة أحاديث بواطيل، سمعت أبي يقول: قدمت الرملة، فذكر لي أن في بعض القرى هذا الشيخ، وسألت عنه، فقيل: هو شيخ يكذب، فلم أخرج إليه، ولم أسمع منه. وقال الإمام الذهبي في «الميزان» و «المغني»: متهم بالكذب، ومع ذلك فقد ذكره المؤلف في «الثقات» ٣٥٧/٨.

وأبوه هانئ بن عبد الرحمن ذكره المؤلف في «الثقات» ٥٨٣/٧، ٥٨٤ وقال: ربما أغرب. وباقي رجال الإسناد ثقات.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٤٩/٥ من طريق عبد الله بن هانئ، بهذا الإسناد. ونسبه الهيثمي في «المجمع» ٢٨٩/١٠ إلى الطبراني، وقال: ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم. ويشهد له حديث عبيد الله بن محصن عند الترمذي «٢٣٤٦» في الزهد، وابن ماجة «٤١٤١» في الزهد، والخطيب في «تاريخه» ٤٦٣/٣ من طريق سلمة بن عبيد الله بن محصن، عن أبيه عبيد الله بن محصن. وسلمة مجهول.

وحديث عمر فيما ذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٨٩/١٠، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف.

وحديث ابن عمر ذكره الهيثمي أيضاً ٢٨٩/١٠، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه علي بن عابس، وهو ضعيف. قلت: ومع ضعفه يكتب حديثه ويعتبر به كما قال الدارقطني، وحديثه هذا من هذا القبيل، فإنه شاهد لحديث عبيد الله بن محصن، فيتقوى به، ويحسن.) صحيح ابن حبان ٢ / ٤٤٦

خطة العمل

تسير الدراسة وفق المنهج العلمي، نبدأ بمحور البحث ونأتي عليه بالآية أو الآيات التي تدعمه وأقوال العلماء فيها، ثم يأتي دور السنة وتحديداً من صحيح الإمام البخاري لنقف على ما يؤيد محور البحث.

سؤال البحث

هل جاء في نصوص الوحيين ما يؤكد على الوسطية والرحمة والتحذير من الغلو والتعدي على الدماء والأموال المعصومة؟

أهداف البحث

١/ بيان وسطية الإسلام وبيان جوانب الرحمة التي جاءت بها نصوص الوحيين.

٢ / الوقوف على مقاصد الشريعة الإسلامية في الأحكام الشرعية وبيان ارتباطها بالمصاح والمفاسد.

ثالثاً / التحذير من النهي عن الغلو في الدين والبعد عن التنطع.

رابعاً/ بيان خطورة التعدي على الدماء والأموال المعصومة.

المطلب الأول. وسطية الإسلام وبيان جوانب الرحمة التي جاءت بها نصوص الوحيين

تجلت وسطية الإسلام في كثير من نصوص القرآن والسنة ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١).

وسطاً يعني عدولا في كل أموركم ، ولقد وفقكم لله للإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والتوجه لقبلة ابراهيم وملته ، وفضلكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصكم ففضلكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلكم أمة وسطا.

كما قال الطبري رحمه الله : (يعني جل ثناؤه بقوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا»، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم

(١) البقرة ١٤٣

ففضلناكـم على غيركم مـن أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطا)[1] . وقال سيد قطب رحمه الله عـن هـذه الوسطية : («أمــة وسطا» .. في التصـور والاعتقاد.. لا تغلو في التجـرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهـذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل مـن كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الـذي تعمل فيه علـى حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالـم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

«أمـة وسطا» .. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين.

«أمـة وسطـا» .. في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلهـا للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلـك للتشريـع والتأديب. إنما ترفـع ضمائر البشر بالتوجيـه والتهذيب، وتكفـل نظام المجتمع بالتشريـع والتأديـب وتزاوج بين هــذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سـوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان..

ولكن مزاج من هذا وذاك.

«أمـة وسطـا» .. في الارتباطات والعلاقـات.. لا تلغي شخصية الفـرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ولا تطلقه كذلك فردا أثرا جشعا لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه.

ثـم تضـع من الكوابح مـا يقف دون الغلـو، ومن المنشطات مـا يثير رغبة الفـرد في خدمة الجماعـة وتقرر مـن التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادما للجماعـة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق)[2] .

وها هي الوسطية تتجلى في كلام خير البشر ﷺ فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلـم قـال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسـددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا

---

(١) تفسير الطبري (٣ / ١٤١)

(٢) في ظلال القرآن (١ / ١٣١)

بالغـدوة والروحة وشيء من الدلجة»[1] ، قال ابن رجـب رحمه الله : (ومعنى الحديث: النهي عن التشديـد فـي الدين بأن يحمل الإنســان نفسه من العبادة مالا يحتملـه إلا بكلفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ «لن يشاد الدين أحد إلا غلبه» يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه)[2].

وقـال العينــي رحمه الله : (والمعنى: لا يتعمق أحدكم في الدين فيترك الرفق إلا غلب الدين عليــه، وعجز ذلك المتعمق وانقطـع عن عمله كله أو بعضه)[3]. تجلت جوانب الرحمة في نصوص الوحييـن حتـى ما تركت مجالا لأحد أن يجتهد في العباد فالاقتصـار على السنة خير من التمادي في المحدثات والبدع ، ولما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم حال امرأة عند عائشة رضي الله عنها وأنهـا تذكر من صلاتها وطولهـا ، أنكر ذلك وقال ﷺ عليكم بما تطيقون كما جاء ذلك مصرحا بـه فـي صحيح البخاري ؛ فعـن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخـل عليها وعندها امرأة، قال: «من هذه؟» قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»[4] .

المطلب الثاني: مقاصد الشريعـة الإسلامية في الأحكام الشرعيـة وارتباطها بالمصالح والمفاسد.

عـرف الطاهر ابـن عاشور رحمه الله : المقاصـد بأنها المباني والحِكَـم الملحوظة للشارع فــي جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعـة، فيدخل في هـذا أوصاف الشريعة وغاياتهـا العامة والمعاني التـي لا يخلو التشريع عن ملاحظتهـا[5]. والإحســان المأمور به هو مـا أشار إليه سلطان العلماء بقولـه: (كتب الله سبحانه الإحســان على كل شيء وأخبر أنـه يأمر به على الدوام والاستمرار بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[6]، ورغـب فيه بقولـه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[7] ، وإن أمرا يكون سببا لحب الله سبحانـه لجديـر بأن يحرص عليه ويتنافس فيه ويبادر إليـه ولا يتقيد ذلك الإحسان بالإنسان بـل يجري في حـق الملائكة عليهم السلام فإنهم يتأذون مما يتـأذى منه الناس بل يجري في حق

(١) صحيح البخاري (١ / ١٦)

(٢) فتح الباري لابن رجب (١ / ١٤٩)

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١ / ٢٣٧)

(٤) صحيح البخاري (١ / ١٧)

(٥) مقاصد الشريعة لاب عاشور ص٥١.

(٦) النحل ٩٠

(٧) البقرة ١٩٥

الحيوان المحترم بل في غير المحترم لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته وقد جعل لمن قتل الوزغ في الضربة الأولى مئة حسنة وفي الثانية سبعين لأن قتله بضربة واحدة أهون عليه من قتله بضربتين)[1]. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] قال ابن كثير رحمه الله: (يقول الله تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو ﴿الله لا إله إلا هو﴾، كما قال ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم)[3]، وعليه فإذا ترتب على المصلحة مفسدة أعظم منها كانت الحكمة والمقصد الأسمى أن تترك تلك المصلحة. ولأجل ذلك جاءت الأحاديث التي فيها الصبر على المظالم التي تقع من الحكام ومنها ما أخرجه البخاري رحمه الله من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه (أن رجلا من الأنصار قال: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلانا؟ قال: «ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[4]، وأمر النبي ﷺ بالصبر على هذه الأثرة حتى لا تقع المفاسد وهذه من أعظم مقاصد الشريعة.

المطلب الثالث/ النهي عن المغالاة في الدين والبعد عن التنطع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[6].

منع الله عز وجل أهل الكتاب من التجاوز في الحق في الدين والتفريط فيه، كما قال الطبري رحمه الله: (لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه)[7]. وقال السمرقندي رحمه الله: (وقوله تعالى: قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق يقول: لا تجاوزوا الحد، والغلو: هو الإفراط

(١) الفوائد في اختصار المقاصد (١ / ٣٣)

(٢) الأنعام ١٠٨

(٣) مختصر تفسير ابن كثير (١ / ٦٠٧)

(٤) صحيح البخاري (٥ / ٣٣)

(٥) النساء ١٧١

(٦) المائدة ٧٧

(٧) تفسير الطبري (٩ / ٤١٥)

والاعتـداء. ويقـال: لا تتعمقوا)[1]. وقد بوب البخاري رحمه الله في الجامع الصحيح بقوله: (باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع)[2] ثم أورد جملة من الأحاديث تدل فـي مجملها علـى ما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنه عنـد النسائي وابن ماجه وهو قوله ﷺ: (يـا أيهـا النـاس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك مـن كان قبلكم الغلو في الدين)[3] وهذا لفـظ ابن ماجه. وجـاء التصريح بالنهـي عن التنطع والتعمـق والمغالاة والمجـاوزة والتشدد في الديـن وهو الخـروج عن المشروع والزيادة فيـه ، فعن عبد الله، قال: قـال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعـون» قالها ثلاثا[4]، قال النووي رحمه الله: (أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[5].

وهـذه نصوص واضحة المعالم فـي النهي عن التنطع وهو التشدد فـي الدين والخروج عما شرعـه الله ورسولـه والاتيان بالزيادات التـي تخالف شرع الله عز وجل مما يخـرج به العامل من السنـة للبدعـة ومن الأجر إلى الإثـم ؛ وحسب العامل اتباع ما أمر الله بـه ورسوله صلى الله عليه وسلم والكف عما نهى الله عنه ونهى عنه نبيه محمد ﷺ.

المطلب الرابع: بيان خطورة التعدي على الدماء والأموال المعصومة

قـال الله تعالـى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[6]، قـال ابن كثير رحمه الله : (وهـذا تهديد شديـد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيـم الذي هو مقرون بالشرك بـالله فـي غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[7]، وقـال تعالـى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[8].

والآيـات والأحاديـث في تحريم القتل كثيرة جدا فمن ذلـك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعـود قال، قال رسول الله ﷺ: «أول مـا يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»، وفي حديث

---

(١) تفسير السمرقندي بحر العلوم (١ / ٤١٠)

(٢) صحيح البخاري (٩ / ٩٧)

(٣) سنن ابن ماجه (٢ / ١٠٠٨) و سنن النسائي (٥ / ٢٦٨) وحكم الألباني عليه بالصحة كما عند ابن ماجة والنسائي.

(٤) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٥٥)

(٥) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٢٠)

(٦) النساء: ٣٩.

(٧) الفرقان: ٦٨.

(٨) الأنعام: ١٥١.

آخـر: «لـزوال الدنيـا أهول عند الله من قتـل رجل مسلم» ، وفـي الحديث الآخر: «لـو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار» ، وفي الحديث الآخر: «من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله» ، وقد كان ابن عباس يـرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمـدا ، وقال البخاري عن المغيرة بـن النعمان قال: سمعت بان جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[١] هي آخر ما نزل وما نسخها شيء»[٢].

وجعـل النبي محمـد ﷺ الدماء والأموال والأعراض محرمة بيـن المسلمين مثل حرمة يوم عرفـة في شهر الحج في البلـد الحرام ؛ فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ: (فـإن دماءكـم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكـم حرام، كحرمة يومكم هذا، فـي شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)[٣]. وحذر صلى الله عليـه وسلـم المسلمين من أن يرجعوا بعـد وفاته عليه الصلاة والسلام كفـاراً يقتل بعضهم بعضـاً ؛ فعن جريـر أن النبي ﷺ قال له في حجـة الوداع: «استنصت النـاس» فقال: (لا ترجعوا بعـدي كفـارا، يضرب بعضكم رقاب بعـض)[٤]. وحرم صلى الله عليه وسلـم رفع السلاح في وجه الآخرين ، بل وأخرجه صلى الله عليه وسلم من زمرة المسلمين ، فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهمـا ، عن النبي ﷺ، قال: (من حمل علينا السلاح فليـس منا)[٥].وعظم النبي صلى الله عليه وسلـم حرمـة الدماء وأخبر صلوات ربي وسلامه عليه أن الدمـاء أول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة ؛ فعن عبد الله، قال: قال النبي ﷺ: (أول ما يقضى بين الناس في الدماء)[٦].

وجعـل النبي ﷺ؛ من صلى صلاتنا واستقبـل قبلتنا وأكل ذبيحتنا هو المسلم الذي له ذمة الله وذمـة رسولـه ﷺ ونهى أن تغدر أمانـة الله وعهده كما جاء ذلك في صحيـح البخاري ؛ فعن أنـس بـن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»[٧].

(١) النساء: ٩٣.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (١ / ٤٢٢)

(٣) صحيح البخاري (١ / ٢٤)

(٤) صحيح البخاري (١ / ٣٥) و صحيح مسلم (١ / ٨١)

(٥) صحيح البخاري (٩ / ٤) وصحيح مسلم (١ / ٩٨)

(٦) صحيح البخاري (٩ / ٢) وصحيح مسلم (٣ / ١٣٠٤)

(٧) صحيح البخاري (١ / ٨٧)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد وفق الله عز وجل البحث في هذا الموضوع الهام وهـو (معالم الأمن الفكـري في القرآن الكريم والسنة النبوية من خـلال صحيح الإمام البخاري رحمه الله)وقد خلصت إلى النتائج التالية:

أولاً : الوسطيـة التي حث عليها الإسلام في نصوص الوحيين وأكد على جوانب الرحمة التي شملت الإنسان والحيوان والشجر والحجر.

ثانيـاً : أن مقاصـد الشريعة الإسلامية في الأحكام الشرعيـة جاءت محققة لمصالح العباد وعلى القائمين على شرع اللع تبارك وتعالى من العلماء والدعاة والمصلحين مراعاة تلك المصالح عند تطبيق أحكام الله تعالى.

ثالثاً: أن التحذير من المغالاة في الدين والبعد عن التنطع من أهم مطالب الشرع وأن الوقوع في ذلك من المفاسد التي حذر منها شرعنا المبارك.

رابعاً: أن التعدي على الدماء والأموال المعصومة من أعظم المصائب التي يقع فيها الناس في الحياة الدنيا وأن الإنسان لا يزال في فسحة من دينه ما لك يصب دماً حراماً

التوصيات

١. ضرورة عقد الندوات والمحاضرات التي تؤكد على معالم الأمن الفكري.

٢. على طلاب العلم والباحثين التركيز في البحث على القضايا المعاصرة التي يحتاج إليها الناس في الزمن الحاضر ومنها قضية الأمن الفكري.

٣. لا بد أن تضمن المناهج الدراسية جملة من النصوص من الوحيين التي تشير إلى معالم الأمن الفكري .

المراجع

القرآن الكريم

١/ الجامـع المسنـد الصحيح المختصر مـن أمور رسول الله ﷺ وسننـه وأيامه ، صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي

المحقـق: محمد زهير بن ناصـر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩

٢/ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)

الناشـر: شركة مكتبـة ومطبعة مصطفى البابـي الحلبي – مصر ، الطبعـة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٣/ الجـرح والتعديـل المؤلـف: أبـو محمد عبـد الرحمن بن محمـد بن إدريس بـن المنذر التميمـي، الحنظلـي، الـرازي ابن أبـي حاتم (المتوفـى: ٣٢٧هـ) ،الناشر: طبعـة مجلس دائرة المعـارف العثمانيـة – بحيدر آباد الدكن – الهند ، دار إحياء التـراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م

٤/ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمـان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ،تحقيق: علي محمد البجاوي ،الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م ، عدد الأجزاء: ٤

٥/ المغنـي عـن حمل الأسفار في الأسفـار، في تخريج ما في الإحياء مـن الأخبار (مطبوع بهامش إحيـاء علوم الديـن) ،المؤلف: أبو الفضل زيـن الدين عبد الرحيم بـن الحسين بن عبد الرحمـن بـن أبي بكر بن إبراهيـم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) ، الناشـر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، عدد الأجزاء: ١

٦/ الثقـات المؤلـف: محمد بـن حبان بن أحمد بن حبـان بن معاذ بن مَعْبـدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ ، عدد الأجزاء: ٩

٧/ حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصفيـاء ، المؤلف: أبو نعيـم أحمد بن عبـد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)

الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ،ثم صورتها عدة دور منها:

١ – دار الكتاب العربي – بيروت

٢ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

٣– دار الكتب العلمية– بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق) ، عدد الأجزاء: ١٠

٨/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) ،المحقق: حسام الدين القدسي ،الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ، عدد الأجزاء: ١٠

٩/سنـن ابن ماجه ، المؤلـف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، عدد الأجزاء: ٢

١٠/ المعجـم الأوسط ، المؤلف: سليمان بـن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠

١١/ صحيـح ابـن حبان بترتيب ابن بلبان ، المؤلف: محمـد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)

المحقـق: شعيـب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيـروت ،الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس)

١٢/ جامـع البيـان في تأويل القـرآن ، المؤلف: محمد بن جرير بـن يزيد بن كثير بن غالب الآملـي، أبـو جعفر الطبري (المتوفـى: ٣١٠هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكـر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ٢٤

١٣/ فـي ظلال القرآن المؤلف: سيـد قطب إبراهيم حسين الشاربـي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

١٤/ فتـح البـاري لابن رجب فتح البـاري شرح صحيح البخاري ، المؤلـف: زين الدين عبد الرحمـن بن أحمد بـن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثـم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ،تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون.

١٥/ عمـدة القـاري شرح صحيح البخاري ، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بـن أحمـد بن حسين الغيتابى الحنفى بـدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢

١٦/ مقاصد الشريعة لاب عاشور ، الناشر دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

١٧/ الفوائد في اختصار المقاصد المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)

المحقق: إياد خالد الطباع ، الناشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ ، عدد الأجزاء: ١

١٨/ مختصر تفسير ابن كثير المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ،الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م ، عدد الأجزاء: ٣.

١٩/تفسير السمرقندي ، بحر العلوم ، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) .

٢٠/ سنن النسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، عدد الأجزاء: ٨

٢١/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: ٥

٢٢/ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ ، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات)

د. أحمد إدريس رشيد عودة
أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه
كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، غزة– فلسطين

فقه الإمام البخاري في تعزيز الأمن الفكري من خلال تراجم الصحيح «كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة أنموذجًا»

مقدمة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

لقد اهتم العلماء على مر الزمان في تعزيز الأمن الفكري عند أبناء الأمة لما له من ارتباط مباشر بالدين والعقل؛ أهم الضرورات الخمسة التي جاء الإسلام لحفظها. وكان من أبرز هؤلاء الإمام البخاري صاحب «الجامع الصحيح» الذي قدّمه جمهور أهل العلم على غيره من كتب السُّنَّة النَّبوية، فكان الكتاب الأول بعد كتاب اللّه تعالى، لأسباب عدّة من أهمها: تراجم الأبواب، التي أَودع فيها الإمام البخاري فقهًا غزيرًا وفهمًا عميقًا، حتى اشتهر بين الفضلاء: «فقه الإمام البخاري في تراجمه».

ومن الفقه الذي تظهر معالمه في التراجم: «فقه تعزيز الأمن الفكري» الذي نحن في أَمس الحاجة إليه اليوم، ولذلك اخترت موضوع «فقه الإمام البخاري في تعزيز الأمن الفكري من خلال تراجم الصحيح–كتاب الاعتصام بالكتابِ والسُّنَّةِ أنموذجًا–» للكتابة فيه، واللّه تعالى المُوفق.

أولًا: أهمية الدراسة: تتناول الدراسة فقه تعزيز الأمن الفكري المُستمد من صحيح البخاري الذي تشتد الحاجة إليه اليوم للمحافظة على دين أبناء الأمة وفكرهم في ظل التحديات والتهديدات التي نشهدها.

ثانيًا: أهداف الدراسة: يمكن إجمالها في نقطتين:

التعرف على فوائد ومعارف واستنباطات تضمنتها تراجم أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

استنبـاط معالم فقه تعزيز الأمـن الفكري من خلال تراجم أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

ثالثًا: منهج الدراسة: اعتمدت المنهج الاستقرائي لجمع المادة العلمية من صحيح البخاري وشروحـه، واجتهدت في العرض والبيان وصولًا إلى النتائج والتوصيـات، مع مراعاة صحة النقل ودقة التوثيق.

رابعًا: خطة الدراسة: تكونت الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الدراسة ومنهجها وخطتها.

التمهيد، وفيه: أولًا: فقه الإمام البخاري في تراجمه، ثانيًا: مفهوم تعزيز الأمن الفكري.

المبحث الأول: التعزيز التأصيلي البنائي للأمن الفكري عند الإمام البخاري.

المبحث الثاني: التعزيز العقلي الإدراكي للأمن الفكري عند الإمام البخاري.

المبحث الثالث: التعزيز التوجيهي التربوي للأمن الفكري عند الإمام البخاري.

المبحث الرابع: التعزيز الوقائي التحصيني للأمن الفكري عند الإمام البخاري.

ثم الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وختامًـا، فهـذه محاولة فإن وُفِّقـت فالحمد لله، وإن تكـن الأخرى، فأستغفـر الله العظيم. وأسألـه سبحانـه وتعالى أن يلهمني رُشدي، ويعصمني من شرِّ تحريف الكلِم، أو الوقوع في الوهم، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

الباحث

تمهيد

أولًا: فقه الإمام البخاري في تراجمه:

إنَّ الإمـام محمـد بن إسماعيل بـن إبراهيم بن المغيرة بـن بردزبة الجُعْفِـيّ، أبو عبد الله البخـاري، جبل الحفـظ وإمام الدنيا فـي فقه الحديث، المتوفـى سنة (٢٥٦هـ)[١] ترك ذخيرةً عظيمـةً من المُصنَّفات كان أعظمهـا «الجامع الصحيح»، وقد «اتفق العلماء - رحمهم الله - على أنّ أصـح الكتب بعد القرآن العزيز: الصحيحان؛ البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخـاري أصحهمـا وأكثرهما فوائد ومعـارف ظاهرة وغامضـة»[٢]، حيث ضُمّنـت أبوابه تراجمَ

(١) يُنظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص٤٦٨).

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/١).

حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار[1].

وليست التراجم مخصوصة بتفسير الكلام بلسان آخر[2]، أو نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى[3]، كما قال أهل اللغة، إنَّما أَطلق أهل الحديث على قول المُصنِّف: «باب كذا اسم الترجمةِ، لكونه يُعّبِّر عمّا يذكُره بعد، والظاهر أن معناه أنَّه يُفْهِمُهُمْ عنه وَيُفْهِمُهُ عنهم، والله أعلم»[4].

والتراجم نوعان: ظاهرة وخفية، فأمّا الظاهرة، فهي دالة بالمطابقة لما يُورد في مضمونها، وفائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة كأنَّه يقول: هذا الباب الذي فيه كَيْت وَكَيْت أو باب ذكر الدَّليل على الحكم الْفُلَانِيّ مثلًا. وأمّا الخفية، فتكون الترجمة بلفظ المُترجَم له أو بعضه أو بمعناه، وهذا في الغالب، قد يأتي من ذلك ما يكون في لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث، وقد يوجد فيه ما هو بالعكس من ذلك بأن يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة، والترجمة هنا بيان لتأويل ذلك الحديث نائبة مناب قول الفقيه مثلًا: المُراد بهذا الحديث العام الخصوص أو بهذا الحديث الخاص العموم إشعارًا بالقياس لوجود العلّة الجامعة، أو أنّ ذلك الخاص المُراد به ما هو أعم مما يدل عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الأدنى، ويأتي في المطلق والمقيد نظير ما ذكرنا في الخاص والعام، وكذا في شرح المُشكل، وتفسير الغامض، وتأويل الظاهر، وتفصيل المجمل، وهذا الموضع هو معظم ما يُشكِل من تراجم هذا الكتاب، ولهذا اشتهر قول جمع من الفضلاء: «فقه البخاري في تراجمه»، وأكثر ما يفعل البخاري ذلك إذا لم يجد حديثًا على شرطه في الباب ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم به ويستنبط الفقه منه، وقد يفعل ذلك لغرض شحذ الأذهان في إظهار مضمره واستخراج خبيئه[5].

ثانيًا: مفهوم تعزيز الأمن الفكري وأهميته:

إنَّ لفظ (تعزيز) في اللغة مشتق من «(عَزَّ)؛ الْعَيْنُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ»[6]، والمراد بمفهوم (تعزيز الأمن الفكري): «تقوية وتثبيت ودعم ثقافة الأمن الفكري

(١) يُنظر: ابن حجر، فتح الباري (١/١٣).

(٢) يُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/١٩٢٨). والنووي، تهذيب الأسماء واللغات (٣/٤١).

(٣) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (١٢/٦٦).

(٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٨٦). قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح كما نقله النووي.

(٥) ابن حجر، فتح الباري (١/١٣). بتصرف يسير جدًا.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة (٤/٣٨).

في المجتمع»[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ مفهوم (الأمن الفكري) يُعدُّ من المفاهيم الحديثة التي لم تُعرف قديمًا في ثقافتنا الإسلامية، ولكن المضامين الرئيسة لهذا المفهوم يمكن الوقوف عليها من خلال استقراء نصوص الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها المتنوعة خاصة ما يتعلق بحفظ الضرورات الخمس: (الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض).

ولقد اجتهد الباحثون المعاصرون في وضع تعريفات لمفهوم (الأمن الفكري)، كانت كلها تدور حول تحقيق الأمن للعقل البشري من الانحراف[٢]، وقد اخترت التعريف الأنسب- في نظري- وهو تعريف الدكتور عبد الرحمن اللويحق، حيث عرّف الأمن الفكري بأنَّه: «تحقيق الطمأنينة على سلامة الفكر والاعتقاد؛ بالاعتصام بالله، والأخذ من المصادر الصحيحة، مع التحصن من الباطل، والتفاعل الرشيد مع الثقافات الأخرى، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري في النفس والمجتمع»[٣].

وهذا التعريف يحتوي على عناصر أساسية للأمن الفكري، هي: (الاعتصام بحبل الله تعالى، التأصيل على الحق، التحصن من الباطل، التفاعل مع الثقافات والحضارات، معالجة الانحراف والضلال)، وهذه العناصر الخمسة ينبغي علينا أن نغرسها ونعززها في فكر أجيالنا الناشئة في ظل التطور والتغير والانفتاح غير المسبوق الذي نعيشه اليوم، حيث «أصبح من غير الممكن إغلاق النوافذ الفكرية أمامهم أو حصرهم في إطار فكري معين واحد بحيث لا يُسمح لهم معه برؤية غيره أو سماع سواه، مما يجعل ضمان ولائهم للأفكار والمبادئ- أيًّا كانت- مرهونًا بمنطقيتها وسلامة حُجّتها واستقامة أهدافها وما تتمتع به من قوة المفهوم وجودة العرض؛ لتستطيع مجابهة أي تيارات مخالفة أو أفكار معارضة يستطيع الفرد أن يتلقاها بواسطة أجهزة الاتصال المختلفة»[٤].

ومن هنا تظهر أهمية تعزيز ثقافة الأمن الفكري التي بدأها العلماء قديمًا، أمثال: الإمام البخاري- رحمه الله- حيث جمع جامعه الصحيح، وضمّنه تراجم أبواب اشتملت على استنباطات ومعارف وفوائد مستمدة من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية، وهذه التراجم يمكن من خلالها الوقوف على فقه البخاري في تعزيز الأمن الفكري وجعله قاعدة يمكن الانطلاق منها للوصول

(١) اللويحق، تعزيز ثقافة الأمن الفكري من خلال البرامج الإعلامية الموجهة (ص٢٣).

(٢) يُنظر: المرجع السابق (ص١٨-١٩).

(٣) اللويحق، الأمن الفكري في ضوء السُّنَّة النَّبوية (ص١١٧).

(٤) سفر، الإعلام موقف (ص٣٧-٣٨).

إلـى تشكيل منظومة أمـن قوية؛ لمجابهة مهددات الأمن الفكري التـي نشهدها اليوم، وإن تراجم أبـواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة تعدُّ نموذجًا واضحًا على هذا الفقه التعزيزي كما سيتبين في المباحث التالية.

المبحث الأول: التعزيز التأصيلي البنائي للأمن الفكري عند الإمام البخاري

إنَّ التأصيـل يُعدُّ الخطوة الأولى لبناء منظومـة حقيقية للأمن الفكري، وقد اشتملت تراجم أبـواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة على توجيهات لهـا دور مهم في التعزيز التأصيلي البنائي للأمن الفكري، وهي:

- أولًا: ربـط الناس بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويـة: فهما المصدر الرئيس للأمن الفكري، وقـد أفرد البخاري في صحيحه كتابًا سمّاه: (كتـاب الاعتصام بالقرآن والسُّنَّة)، «وهذه الترجمة مقتبسـة من قوله تعالـى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمـران: ١٠٣)، إذ المـراد بالحبل: الكتاب والسُّنَّة على سبيل الاستعارة المصرحة، والقرينة إلى الله، والجامع كونهما سببًا للمقصود الـذي هـو الثواب»[١]، والمتصفح لهذا لكتاب يجد أنّ البخـاري ضمّنه ثمانية وعشرين بابًا، وجعل لكل باب ترجمة، وهذه التراجم بمجموعها تربط الناس ربطًا قويًا بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية.

- ثانيًـا: ربط الناس بالجماعـة: إذ إنّ «الاعتصام بالجماعـة كالاعتصام بكتاب الله وسنة رسولـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقيام الدليل على توثيق الله ورسوله صحة الإجماع، وتحذيرهما من مفارقتـه بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ (النساء: ١١٥) الآيـة، وقولـه: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمـران: ١١٠) الآية. وهاتـان الآيتان قاطعتـان على أن الأمة لا تجتمع على ضلال»[٢]. ومن يلـزم الجماعة؛ فيقف مع الحق الذي يحمل لـواءه أهـل العلم الثقات فـي كل زمان، فإنّه بلا شك سينعم بالأمن الفكـري ويأمن على نفسه من الانجرار وراء الأفكار الهدَّامة، لذلك قال البخاري: «باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة[٣]، وهم أهل العلم»[٤].

- ثالثًـا: ضَبطُ المصادر الأساسية للمعرفـة: فإنّ أغلب الأفكار المنحرفة نابعة من مصادر مشبوهـة أو مـن اتبـاع الظن أو اتبـاع الهوى أو الجهـل، وقد بيّن أهـل العلم المصـادر الأساسية

(١) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٨/٢٥).

(٢) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٧٩/١٠).

(٣) ينظر: حديث البخاري رقم (٧٠٥٤)، (٧١٤٣)، وحديث مسلم رقم (١٦٧٦)، (١٨٤٧)، (١٨٤٨)، (١٨٤٩)، وغيرها.

(٤) البخاري، صحيح البخاري (١٠٧/٩)، ترجمة باب (١٩) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

للمعرفة خاصة الدينية، حيث قال الإمام الشافعي: «ليس لأحد أبداً أن يقول في شيءٍ حَلَّ ولا حَرُمَ إلّا من جهة العلم، وجهةُ العلم: الخبرُ في الكتاب، أو السُّنَّة، أو الإجماع، أو القياس»[(١)]، ولقد ضبط البخاري هذه المصادر من خلال تراجم أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة على النحو التالي:

١) القـرآن الكريم: قال البخاري: «باب قـول النبي ﷺ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِم[(٢)]»[(٣)]. وحاصله أنّـه صَلَّـى اللّٰه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ كان يتكلم بالقول الموجـز القليل اللفظ الكثير المعانـي، والراجح بأنَّ المـراد بجوامع الكلم: القرآن الكريم بقرينة قوله صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ»، ودلالة أنّ القرآن الكريـم هو الغاية فـي إيجاز اللفظ واتساع المعاني، ثم إنَّ البخـاري أورد تحت الترجمة حديثين، الأول: بلفظ الترجمة، والثاني: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَات» الحديث[(٤)]، ويستنبط من صنيعه هذا: أنّه يرجح بأنَّ «جَوَامِعِ الكَلِم»: القرآن الكريم، واللّٰه أعلم.

٢) السُّنَّـة النَّبويـة: قـال البخاري: «باب الاقتـداء بسنن رسول اللّٰه ﷺ، وقـول اللّٰه تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقـان: ٧٤) قـال: «أَيِمَّةً نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَـا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا»[(٥)]، وقال ابن عون[(٦)]: «ثَلاَثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلإِخْوَانِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ[(٧)]، وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ»[(٨)]. وقال البخاري في ترجمة ثانية: «بـاب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ»[(٩)]، والغرض مـن الترجمة الأولى: التأكيد والتحريض على اتباع النبـي صَلَّـى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردًّا على الفرقـة القرآنية القائلين بأننا لا نأخـذ إلّا بما في القرآن الكريم، أمّا الغرض من الترجمة الثانية: فهو الإشارة إلى الاختلاف في حكم أفعاله صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، والمسألـة مبسوطة في أصول الفقـه[(١٠)]، والراجح أنَّ «ليس شيء مـن أفعاله عليه السلام واجبًـا، وإنمـا نُدبنا إلى أن نتأسى به عليه السلام فيها فقـط وألا نتركها على معنى الرغبة عنها، ولكـن كمـا نترك سائر ما نُدبنا إليه مما إن فعلناه أجرنا، وإن تركناه لم نأثم ولم نؤجر، إلا ما كان

---

(١) الشافعي، الرسالة (ص٣٩).

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه بسنده تحت نفس الترجمة (٩١/٩)، حديث رقم (٧٢٧٣).

(٣) البخاري، صحيح البخاري (٩١/٩)، ترجمة باب (١) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٤) البخاري، صحيح البخاري (٩٢/٩)، حديث رقم (٧٢٧٤).

(٥) قول مجاهد التابعي. أخرجه الطبري في تفسيره بسند صحيح. الطبري، جامع البيان (٥٣٢/١٧).

(٦) هو عبد اللّٰه بن عون البصري، من صغار التابعين. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري (٢٥١/١٣)، تقريب التهذيب (ص٣١٧).

(٧) قال الكرماني: «قال في القرآن يتفهموه وفي السُّنَّة يتعلمونها، لأنّ الغالب على حال المسلم أن يتعلم القرآن في أول أمره فلا يحتاج إلى الوصية بتعلمه فلهذا وصى بفهم». الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٣١/٢٥).

(٨) البخاري، صحيح البخاري (٩٢/٩)، ترجمة باب (٢) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٩) البخاري، صحيح البخاري (٩٦/٩)، ترجمة باب (٤) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(١٠) يُنظر: الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٧٤٦/٦).

من أفعاله بيانًا لأمر أو تنفيذًا لحكم فهي حينئذ فرض، لأنَّ الأمر قد تَقدَّمَها فهي تفسير الأمر»[١]، ويتعلق بهذه المسألة مسألة تعارض قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعله، والراجح فيها: «إذا تعَارض القول والفعل في البيان فالقول أولى من الفعل»[٢].

وكما أنَّ أقواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله من السُّنَّة فإنَّ تقريراته من السُّنَّة أيضًا، وهذا يفهم من ترجمة البخاري: «باب من رأى ترك النكير من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّة، لا من غير الرسول»[٣]، قال ابن حجر معقبًا: «وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ لما يُفعلُ بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار دال على الجواز؛ لأنَّ العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يُقرُّ على باطل»[٤].

٣) الإجماع: قال البخاري: «باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم»[٥]. «يعني يلزم على المُكلف متابعة حكم الجماعة والاعتصام به وهو اتفاق المجتهدين من الأمة يجب أن يقيد بعد وفاة النبي ﷺ في عصر على أمر ديني، وهذه الآية مما استدل بها الأصوليون على حُجّية الإجماع، قالوا: عدّلهم الله تعالى بقوله ﴿وَسَطًا﴾، إذ معناه عدولًا فتجب عصمتهم عن الخطأ»[٦].

٤) القياس: قال البخاري: «باب من شبه أصلًا معلومًا بأصل مُبَيَّن، قد بيَّن الله حُكمَهُمَا، ليفهم السائل»[٧]. ووضع تحت الترجمة حديثين؛ حديث الأعرابي الذي أنكر غلامه الأسود[٨]، وحديث المرأة التي نذرت أمها أن تحج وماتت[٩]، قال ابن بطال: «قوله: من شبه أصلًا معلومًا بأصل مبين، فبيَّن ليفهم السائل. هذا هو القياس بعينه، والقياس في لغة العرب: التشبيه والتمثيل، ألا ترى أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبه له ما أنكر من لون الغلام بما عرف في نتاج الإبل فقال له: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»، إلى قوله: «لَعَلَّ عِرقًا نَزَعَهُ»[١٠]، فأبان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يعرف أن الإبل الحُمر تنتج الأورق أن كذلك المرأة البيضاء تلد الأسود، وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام (٤/٣٩-٤٠).
(٢) الشيرازي، التبصرة في أصول الفقه (ص٢٤٩).
(٣) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٩)، ترجمة باب (٢٣) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٣٢٣-٣٢٤).
(٥) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٧)، ترجمة باب (١٩) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٦) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٧٥).
(٧) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠١)، ترجمة باب (١٢) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٨) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠١)، حديث رقم (٧٣١٤).
(٩) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٢)، حديث رقم (٧٣١٥).
(١٠) نص رواية البخاري رقم (٧٣١٤): «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ».

للمـرأة التي سألته الحج عن أمها فقال لهـا: «أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّك دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ»؟، قالت: نعم. قال: «فدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»[1]. فشبه لها صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَيْنَ اللّه بما يعرف من دَيْنِ العباد، غير أنَّه قال لها: «فدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ». وهذا كله هو عين القياس»[2]. و«بهذا الباب استدل من قـال: إن البخاري قائـل بالقياس والاجتهاد»[3]. وفي اجتهاده صَلَّـى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال البخاري فـي ترجمـة: «باب ما كان النبي ﷺ يُسأل مما لم يُنزل عليه الوحي، فيقول: «لاَ أَدْرِي»، أو لم يُجب حتـى يُنْـزَل عليه الوحي، ولم يقل بـرأي ولا بقياس، لقولـه تعالـى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥)، وقـال ابـن مسعود: سُئل النبي ﷺ عن الروح فسكت حتى نزلت الآية[4]»[5]، وقال البخاري فـي ترجمـة أخرى: باب قـول اللّه تعالـى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ (آل عمران: ١٢٨)[6]. ويحتمـل أن يكون مراده من الترجمتين الإشارة إلى الخلافية المشهورة في أصول الفقه، وهي هل كان لـه صَلَّى اللّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ أن يجتهد في الأحـكام أم لا؟[7]، والمسألة طويلة ومتفرعة، واكتفي هنـا بنقـل كلام الإمام النووي الذي لخص المسألة، فقال: «جـواز الاجتهاد لرسول اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبه قال جمهور أهل الأصول، وقيل لا يجوز لتمكُّنه من الوحي، والصواب الأول»[8]، وقال أيضًـا: «فأمَّا أمـور الدنيا فاتفق العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم على جواز اجتهـاده صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهـا ووقوعـه منه، وأما أحكام الدين فقـال أكثر العلماء بجواز الاجتهاد له صَلَّـى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّـه إذا جاز لغيره فله صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى، وقال جماعة لا يجوز له؛ لقدرته على اليقين»[9] إلى آخر قوله.

– رابعًا: ضبط مناهج الفهم: فإنَّ «سوء الفهم عن اللّه ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت فـي الإسلام بل هـو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ولا سيمـا إن أضيف إليه سوء القصد»[10]، ويمكن ضبط ذلك بما يأتي:

١) إعمـال العقـل في حالٍ معينة: قـال البخاري: «باب ما جاء في اجتهـاد القُضاة بما أنزل

---

(١) نص رواية البخاري رقم (٧٣١٥): «اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ».

(٢) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٦١/١٠).

(٣) الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٧٥٣/٦).

(٤) البخاري، صحيح البخاري (٣٧/١)، حديث رقم (١٢٥) حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) البخاري، صحيح البخاري (١٠٠/٩)، ترجمة باب (٨) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٦) البخاري، صحيح البخاري (١٠٦/٩)، ترجمة باب (١٧) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٧) يُنظر: الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٧٥١/٦).

(٨) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠).

(٩) المرجع السابق (٢٤١/١).

(١٠) ابن القيم، الروح (ص٦٣).

الله تعالى، لقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥) ومدح النبي ﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويُعَلِّمُهَا[١]، لا يتكلف من قِبَلِه، ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم»[٢]، «والاجتهاد بذل الجهد في الطلب، اصطلاحًا: بذل الوسع للتوصل إلى معرفة الحكم الشرعي»[٣]، وهو «فرض واجب على العلماء عند نزول الحادثة، والواجب على الحاكم أو العالم إذا كان من أهل الاجتهاد أن يلتمس حكم الحادثة في الكتاب أو السُّنَّة... فإذا عُدم النص رجع إلى الإجماع، فإن لم يجده نظر هل يصح حمل حكم الحادثة على بعض الأحكام المُقررة لعلّة تجمع بينهما، فإن وجد ذلك لزمه القياس عليها إذا لم تعارضها علّة أخرى... فإن لم يتوجه له وجه من بعض هذه الطرق وجب أن يقر الأمر في النازلة على حكم العقل»[٤].

٢) إقرار الفهم الذي يؤيده الدليل: قال البخاري: «باب تعليم النبي ﷺ أُمَّتَهُ من الرجال والنساء مما علَّمه الله، ليس برأي ولا تمثيل»[٥]، وهذا الباب «فيه من الفقه أن العالم إذا أمكنه أن يُحدِّثَ بالنصوص عن الله ورسوله فلا يُحدِّثُ بنظره ولا قياسه، هذا معنى الترجمة»[٦].

٣) فهم النص دون الجمود عند ظاهره: قال البخاري: «باب الأحكام التي تُعْرَفُ بالدلائل، وكيف معنى الدلالة وتفسيرُها؟، وقد أخبر النبي ﷺ أمر الخيل وغيرها، ثم سُئل عن الحُمُر، فدلَّهم على قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧)[٧]، وسُئل النبي ﷺ عن الضَّب، فقال: «لاَ آكُلُهُ وَلاَ أُحَرِّمُهُ»[٨]، وأُكِلَ على مائدة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّب، فاستدل ابن عباس بأنّه ليس بحرام[٩]»[١٠]، «ويستفاد من الترجمة بيان الرأي المحمود وهو ما يؤخذ مما ثبت عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله بطريقة التنصيص وبطريقة الإشارة، فيندرج في ذلك الاستنباط ويخرج الجمود على الظاهر المحض»[١١].

(١) يُنظر: البخاري، صحيح البخاري (١٠٢/٩)، حديث رقم (٧٣١٦) حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري، صحيح البخاري (١٠٢/٩)، ترجمة باب (١٣) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٣) ابن حجر، فتح الباري (٢٩٩/١٣)
(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٦٣- ٣٦٤).
(٥) البخاري، صحيح البخاري (١٠١/٩)، ترجمة باب (٩) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٦) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٥٧/١٠-٣٥٨).
(٧) البخاري، صحيح البخاري (١١٢/٩)، حديث رقم (٧٣٥٦)، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٨) أشار هنا إلى حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الضَّبُّ لَسْتُ آكُلُهُ وَلاَ أُحَرِّمُهُ». البخاري، صحيح البخاري (١١٢/٩)، حديث رقم (٥٥٣٦)، ولكن في هذه رواية لم يكن كلامه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردًّا على سؤال.
(٩) البخاري، صحيح البخاري (١١٢/٩)، حديث رقم (٧٣٥٨)، حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(١٠) البخاري، صحيح البخاري (١٠٩/٩)، ترجمة باب (٢٤) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(١١) ابن حجر، فتح الباري (١٣/ ٣٣١).

٤) الفهـم وفق القواعـد الفقهية، قال البخـاري: «باب نهي النبي ﷺ علـى التحريم إلا ما تُعْـرَفُ إباحَتُـهُ، وكذلك أمره نحو قوله حين أحلُّـوا: «أَصِيبُوا مِنَ النِّسَـاءِ»، وقـال جابر: «وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِـمْ، وَلَكِـنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ»[1]، وقالت أم عطية: «نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَـازَةِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»[2]»[3]. ويظهـر أن البخاري استند في ترجمته على قاعدة فقهية مشهورة، وهي: حمل الأمر على الإيجاب والنهي على التحريم حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك، قال الكرماني: «باب نهي النبي ﷺ على التحريـم؛ أي محمول على تحريـم المنهي عنه وهو حقيقة فيه، إلّا إذا عُلِـمَ أنّه للإباحة بالقرينة الصارفـة عن حقيقته كما في حديث أم عطيـة، وكذلك الأمر فإنّه محمول على إيجاب المأمور به إلّا إذا عُرِفَ أنّه لغيره بالقرينة المانعة عن إرادة الحقيقة كما جاء في حديث جابر»[4].

٥) الترجيـح بالوجـوه المعتبرة، قال البخـاري: «باب ما ذكر النبي ﷺ وحضَّ على اتفاق أهـل العلـم، وما أجمع عليه الحَرَمَانِ؛ مكة والمدينة، وما كان بها من مشاهد النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ والمهاجريـن، والأنصار، ومُصَلَّى النبي ﷺ والمنبر والقبـر»[5]، والغرض «من هذا الباب الإشـارة إلى اختلافهـم في وجوه ترجيح الروايات بعضها على بعض»[6]. وهي وجوه كثيرة منها ما ورد في ترجمة الباب، يشهد لذلك ما قاله الحازمي في الوجه الرابع عشر من وجوه الترجيح: «أن يكـون إسناد أحد الحديثين حجازيًا وإسناد الآخـر عراقيًّا أو شاميًّا، سيّما إذا كان الحديثُ مدنيَّ المخـرج؛ لأنّها دار الهجرة ومجمع الأنصار والمهاجرين، والحديـث إذا شاع عندهم وذاع وتلقَّوه بالقبول مَتُنَ وقَوِيَ؛ ولهذا قدمنا صاعهم على صاع غيرهم؛ لأنّهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وفيهم استقرت الشريعة»[7].

المبحث الثاني: التعزيز العقلي الإدراكي للأمن الفكري عند الإمام البخاري

إنَّ العقـل أداة الإدراك، وهو وسيلة مهمة للوصـول إلى الأمن الفكري، حيث يُمَكِّن المرء من الوقـوف على الأمور التي تُعزز الأمن فيفعلها، والأمور التي تُهدده فيجتنبها، وهنـاك توجيهات عدّة يمكـن استنباطها من تراجم أبواب كتـاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة تساهـم في تحقيق التعزيز العقلي الإدراكي للأمن الفكري، وهي:

(١) البخاري، صحيح البخاري (١١٢/٩)، حديث رقم (٧٣٦٧)، حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري، صحيح البخاري (٧٨/٢)، حديث رقم (١٢٧٨).

(٣) البخاري، صحيح البخاري (١٠٩/٩)، ترجمة باب (٢٧) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٤) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٨٨/٢٥).

(٥) البخاري، صحيح البخاري (١٠٣/٩)، ترجمة باب (١٦) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٦) الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٧٥٧/٦).

(٧) الحازمي، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار (ص١٣)

- أولًا: ضـرورة تحريـر المسائـل الخلافية، وذلـك للوقوف على حقيقة الخـلاف والوصول للـرأي الراجـح وإقامة الحُجَّة على الآخر، كمـا في مسألة عمل الصحابي الكبيـر، ومسألة العمل بخبر الآحاد، ومسألة القول بالباطن. والتي أجاب عليها الإمام البخاري: بقوله: «باب الحُجَّة على مـن قـال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، وما كان يغيـب بعضهم من مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام»[1].

قال ابن حجر: «هذه الترجمة معقودة لبيان أن كثيرًا من الأكابر من الصحابة كان يغيب عن بعض ما يقوله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يفعله من الأعمال التكليفية فيستمر على ما كان اطلع عليـه هـو إمّا على المنسوخ لعدم اطلاعه على ناسخه، وإمّا علـى البراءة الأصلية، وإذا تقرر ذلك قامت الحُجَّة على من قدَّم عمل الصحابي الكبير ولا سيَّما إذا كان قد ولي الحكم على رواية غيره متمسِّـكًا بـأنَّ ذلك الكبير لولا أن عنده ما هو أقوى من تلك الرواية لما خالفها ويَرُدُّه أنَّ في اعتماد ذلك ترك المحقق للمظنون»[2].

وقال ابن بطال: «هذا الباب يردّ به على الرافضة وقوم من الخوارج زعموا بأنّ أحكام النبي وسننـه منقولـة عنه نقل تواتـر، وأنّه لا سبيل إلى العمـل بما لم ينقل نقل تواتـر، وقولهم في غاية الجهـل بالسنن وطرقهـا، فقد صحت الآثار أن أصحاب النبي ﷺ أخـذ بعضهم السنن من بعض ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره عن النبي ﷺ وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد»[3].

وأضـاف أحد الشُـرّاح المعاصرين أن هذه الترجمة فيها: «رَدٌّ على الباطنية حيث زعموا: أنّ المراد من الجنة والنار ليس ما يظهر من اسميهما، بل هما عبارتان عن نعيم أو عذاب معنويين!، فـردَّ عليهـم المُصنِّف: أنّ أحكام النبي ﷺ كلها محمولة علـى ظاهرها، لا أنّ لها بواطن مخالف ظواهرها حتى يتم ما راموه»[4].

- ثانيًا: العلم بأنَّ وقوع الاختلاف بين أهل الحق أمر طبيعي: قال البخاري: «باب قول النبي صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِـنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَـى الحَقِّ»[5] يُقَاتِلُـونَ، وهم أهل العلم»[6]، وقال في الباب الذي يليه: «باب قول الله تعالى: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ (الأنعام: ٦٥)»[7]،

(١) البخاري، صحيح البخاري (١٠٨/٩)، ترجمة باب (٢٢) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٣٢١/١٣).

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٨٥/١٠).

(٤) الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري (٦/ ٥٣٧)

(٥) القشيري، صحيح مسلم (١٥٢٣/٢)، حديث رقم (١٩٢٠)، حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) البخاري، صحيح البخاري (١٠١/٩)، ترجمة باب (١٠) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٧) البخاري، صحيح البخاري (١٠١/٩)، ترجمة باب (١١) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

ووجـه ذلك: أن هـذه الترجمة بمنزلة التكملة للباب السابق، فإن ظاهر قولـه: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِـي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَـقِّ» أي أن يكونوا متفقين فيما بينهم، كما يدل سياق الترجمة الأولى، فنبه البخـاري بعقد هذا البـاب على أنّهم مع ظهورهم على الحق وغلبتهم عليـه لا يكونوا متفقين فيما بينهـم، فهو إشارة إلى اختـلاف أهل الحق فيما بينهم[1]. وقال ابن حجر: «وجه مناسبته لما قبله أن ظهـور بعض الأمة علـى عدوهم دون بعض يقتضي أن بينهم اختلافًا حتى انفردت طائفةٌ منهم بالوصـف؛ لأن غلبـة الطائفة المذكورة إن كانت على الكفار ثبت المُدَّعى وإن كانت على طائفة من هذه الأمة أيضًا فهو أظهر في ثبوت الاختلاف فذكر بعده أصل وقوع الاختلاف، وأنَّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ كان يريد أن لا يقع فأعلمه الله تعالى أنَّه قضى بوقوعه وأنَّ كل ما قدَّره لا سبيل إلى رفعه»[2].

- ثالثًا: العمل على تقليل الاختلاف واجتناب آثاره، وذلك بما يلي:

١) تجنـب إثارة الاختلاف في الأحكام الشرعية خاصـة؛ لكراهة ذلك، قال البخاري: «باب كراهيـة الخـلاف»[3]، وعلَّق ابن حجر: «بـاب قوله كراهية الاختلاف ولبعضهـم الخلاف، أي في الأحـكام الشرعية أو أعـمُّ من ذلك»[4]، ولذلك كان التوجيـه الإلهي للأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ (النساء: ٥٩).

٢) البعـد عن الجـدال في المسائل الاجتهادية والخلافية: قـال البخاري: «باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ (الكهـف: ٥٤)، وقولـه تعالـى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبـوت: ٤٦)»[5]، «ووجه إيـراد هذه الترجمة في كتاب الاعتصـام بالكتاب والسُّنَّة «أنَّه لا ينبغي للمـرء أن يجادل في المجتهدات والمسائل الخلافية، بل ينبغـي له التمسك والاعتصـام بالكتاب والسُّنَّة»[6]، وإذا كان ترك الجدال مع المسلم في المسائل الخلافيـة مطلـوب، فتركه مع غير المسلـم أولى إلَّا إذا كان بالتي هي أحسن، «قـال المُهَلَّبُ: وجه ذلـك أنَّه بَلَّغَ اليهودَ ودعاهم إلى الإسلام والاعتصام به، فقالوا: بَلَّغْتَ، ولم يُذْعِنُوا لِطَاعَتِه، فَبَالَغَ في تَبْلِيغِهِمْ وَكَرَّرَهُ، وهذه مجادلة بالتي هي أحسن»[7].

---

(١) يُنظر: الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٦/٧٥٢-٧٥٣).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٢٩٦).

(٣) البخاري، صحيح البخاري (٩/١١١)، ترجمة باب (٢٦) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٣٣٧).

(٥) البخاري، صحيح البخاري (٩/١١٨)، ترجمة باب (١٨) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٦) الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٦/٧٥٩).

(٧) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٣١٥).

٣) المُشاورة قبل العزم: قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ (الشورى: ٣٨)، ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وأن المُشاورة قبل العزم والتَّبيُّن، لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فإذا عزم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يكن لبشر التَّقدُّمُ على الله ورسوله...، إلى آخر الترجمة، والتي ذكر فيها نماذجَ من مشاورة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للصحابة رضوان الله عليهم كمشورتهم يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فعزم ولم يرجع، ومشورته لعلي وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهَا، وذكر نموذجًا من مشاورة الأئمة كمشورة أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهُمَا في قتال من منع الزكاة[1].

وتعدُّ هذه الترجمة الأطول في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، وفيها من الفقه: أنَّ المُشاورة تكون قبل العزم، وأنَّ للمشاورة أهلها، وأن للإمام الأخذ بما يراه مناسبًا، قال سفيان الثوري: «ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ومن يخشى الله، فإذا أشار أحد برأيه، سأله: من أين قاله؟، فإن اختلفوا أخذ بأشبههم قولًا بالكتاب والسُّنَّة ولا يحكم بشيء حتى يتبين له حُجَّة يجب الحكم بها»، ثم قال: «وليس كل ما أشير به على المستشير يلزمه إذا تبين له الصواب في غيره»[2]، فإنَّ «من الفقه: أن للمستشير والحاكم أن يعزم من الحكم على غير ما قال به مشاوره إذا كان من أهل الرسوخ في العلم، وأن يأخذ بما يراه كما فعل النبي ﷺ في مسألة عائشة فإنه شاور عليًا وأسامة، فأشار عليه أسامة بإمساكها، وأشار عليه عليٌّ بفراقها، فلم يأخذ بقول أحدهما وتركها عند أهلها حتى نزل القرآن فأخذ به، وكذلك فعل أبو بكر الصديق فإنّه شاور أصحابه في مقاتلة من منع الزكاة، وأخذ بخلاف ما أشاروا به عليه من ترك قتالهم»[3].

المبحث الثالث: التعزيز التوجيهي التربوي للأمن الفكري عند الإمام البخاري

إنَّ التوجيه التربوي يعمل على إنضاج فكر الإنسان بما ينسجم مع شخصيته ومرحلته العمرية، وبالتالي يُعدُّ من أقصر الطرق للوصول للأمن الفكري، وقد اشتملت تراجم أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة على توجيهات لها دور مهم في التعزيز التوجيهي التربوي للأمن الفكري، وهي:

- أولًا: نشر العلم الشرعي: قال البخاري «باب ما جاء في اجتهاد القُضاة بما أنزل الله

(١) يُنظر: البخاري، صحيح البخاري (٩/١١٨)، ترجمة باب (٢٨) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٢) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/١٦٩).

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (١٠/٣٩٩).

تعالى، لقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥) ومدح النبيﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويُعَلِّمُهَا، لا يتكلَّفُ من قِبَلِه، ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم»[١]، و«الحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم»[٢]، والخير فيمن تَعَلّمَ وعَلّم.

- ثانيًا: ربط الأمة بعلمائها: قال البخاري: «باب قول النبيﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ»[٣] يُقَاتِلُونَ، وهم أهل العلم»[٤]، وقال النووي: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شُجعانٌ مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم مُحدِّثون، ومنهم زُهَّاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض»[٥]، وإن هؤلاء الفضلاء يجب أن يتقدموا في كل الميادين وترتبط الأمة بهم وبعلمهم فإنَّ في هذا أَمنَّة من الانحراف الفكري.

- ثالثًا: الذبُّ عن أهل العلم وحفظ مكانتهم: قال البخاري: «باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ»[٦]، وهنا أشار إلى مسألة أصولية مختلف فيها، وهي: هل المجتهد مصيب أم أن المجتهد يخطئ ويصيب؟، وقد بيّن النووي الرأي الراجح في المسألة فقال: «كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المُصيب واحد والمخطئ غير متعيَّنٌ لنا، والإثم مرفوعٌ عنه، لكن إن نَدَبُّهُ على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسنٌ محبوب مندوبٌ إلى فعله برفق»[٧]. أما الطعن في المجتهد والانتقاص من مكانته ومكانة علمه خاصة إذا أخذ بالأسباب ثم أخطأ فهذا مذموم. ثم إنَّ المجتهد الذي «حكم بغير السُّنَّة جهلًا وغلطًا، ثم تبين له أنَّ سنة الرسول خلاف حكمه، فإنَّ الواجب عليه الرجوع إلى حكم السُّنَّة وترك ما خالفها امتثالًا لأمره تعالى بوجوب طاعته وطاعة رسوله ألّا يحكم بخلاف سنته، وهذا هو نفس الاعتصام بالسُّنّة»[٨]، وإلّا كان عُرضة للطعن والانتقاص، والأصل في المُنتقد أن ينتقد حكم المجتهد ويرده لا أن يطعن في شخص المجتهد وعِلْمِه كما يفعل البعض فيخرج عن

(١) البخاري، صحيح البخاري (١٠٢/٩)، ترجمة باب (١٣) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٢) الطيبي، شرح مشكاة المصابيح المسمى «الكاشف عن حقائق السنن» (٦٦٣/٢).
(٣) مسلم، صحيح مسلم (١٥٢٣/٢)، حديث رقم (١٩٢٠)، حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) البخاري، صحيح البخاري (١٠١/٩)، ترجمة باب (١٠) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٥) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦٧/١٣).
(٦) البخاري، صحيح البخاري (١٠٧/٩)، ترجمة باب (٢١) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.
(٧) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٣/٢).
(٨) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٨٠/١٠).

المقصـود!، ولذلـك قال البخاري في الترجمة: «باب إذا اجتهـد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمُهُ مردودٌ، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1]»[2].

المبحث الرابع: التعزيز الوقائي التحصيني للأمن الفكري عند الإمام البخاري

إنَّ التعزيـز الوقائـي التحصيني لا يقل أهمية عن التعزيز التأصيلـي البنائي، وكما اشتملت تراجم الأبواب على توجيهات تساهم في تحقيق النوع الأول فقد اشتملت على توجيهات تساهم في تحقيق النوع الأخير، وهي:

- أولًا: التحذيـر مـن التشدد فـي العلم، والابتداع فـي الدين، قال البخـاري: «باب ما يكره مـن التَّعمُّق والتَّنازع في العلـم، والغلوّ في الدين والبدع، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ (النسـاء: ١٧١)»[3]. قال العيني: «أي: هـذا باب في بيان مـا يكره من التعمق وهو التشدد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه. قوله: والتنازع في العلم، أي: التجادل فيه يعني عند الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل فيه. قوله: والغلو... وهو التجاوز في الحد»[4]، الذي يعدُّ سببًا مباشرًا لنفور الناس وإعراضهم غالبًا.

- ثانيًا: التحذير من السؤال عمّا لا يعنيه، قال البخاري: «باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه، وقوله تعالى: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ (المائدة: ١٠١)»[5]. قال الكرماني: «باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه، أي ما لا يهمه... فإن قلت السؤال ليس بجريمـة، ولئن كانت فليست بكبيـرة، ولئن كانت فليست بأكبر الكبائر، قلـت: السؤال عن الشيء بحيث يصير سببًا لتحريم شيء مباح هو أعظم الجرائم؛ لأنَّه صار سببًا لتضييق الأمر على جميع المسلمين»[6]، بل قد يكون سببًا لتشويه صورة الإسلام الوسطية والسمحة في عقول الآخرين.

- ثالثًا: ترك الأخذ عن أهل الكتاب فيما لا يوافق شرعنا، قال البخاري: «باب قول النبيﷺ: «لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»»[7]، وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد في مسنده[8]، فنجد

(١) البخاري، صحيح البخاري (١٠٧/٩)، ترجمة باب (٢٠) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٢) البخاري، صحيح البخاري (١٠٧/٩)، ترجمة باب (٢٠) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٣) البخاري، صحيح البخاري (٩٧/٩)، ترجمة باب (٥) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٤) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٧/٢٥).

(٥) البخاري، صحيح البخاري (٩٥/٩)، ترجمة باب (٣) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٦) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٣٩/٢٥).

(٧) البخاري، صحيح البخاري (١١٨/٩)، ترجمة باب (٢٥) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٨) الشيباني، مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (٤٦٨/٢٢)، حديث رقم (١٤٦٣١). وإسناده ضعيف،

أنّ «هـذا النهـي إنَّما هو في سؤالهم عمّا لا نص فيـه؛ لأنَّ شرعنا مُكْتفٍ بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نصٌّ ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم، ولا يدخلُ في النهي سؤالهم عن الأخبار المُصدقة لشرعنـا والأخبار عن الأمم السالفـة، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ (يونـس: ٩٤)، فالمـراد به جـواز سؤال من آمن منهـم، «والنهي إنَّما هـو عن سؤال مـن لم يؤمـن منهم، ويحتمل أن يكون الأمـر يختصُّ بما يتعلق بالتوحيـد والرسالة المحمديَّة وما أشبه ذلك، والنهي عمَّا سوى ذلك»[1]، ففي هذا ضبطٌ لمصادر المعرفة يساهم في تحقيق الأمن الفكري.

– رابعًا: التحذير من اتباع محدثات الأمور والبدع والأهواء، قال البخاري: باب قول النبيﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[2]، وقال في ترجمة الباب الذي يليه «باب إثم من دَعَا إلى ضلالة، أو سَنَّ سنَّةً سيئةً، لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (النحل: ٢٥) الآيَـةَ[3]. «هذا الباب والذي قبله في معنى التحذير من الضـلال واجتناب البدع ومُحدَثَات الأمور فـي الدِّيـن والنهي عن مخالفة سبيـل المؤمنين انتهى. ووجه التحذير أنَّ الـذي يُحْدِث البدعة قد يتهـاون بهـا لخفَّةِ أمرها في أول الأمر، ولا يشعر بما يترتـب عليها من المفسدة وهو أن يلحقه إثمُ من عمل بها من بعده ولو لم يكن هو عمل بها بل لكونه كان الأصل في أحداثها»[4].

– خامسًـا: التحذيـر من الكلام بغير علم: قال البخاري: «باب ما يذكر من ذمّ الرأي وتكلُّف القيـاس، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ (الإسراء: ٣٦) «لاَ تَقُـلْ» ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (هود: ٤٦)»[5]. قال ابـن بطـال: «إذا كان الرأي والقياس على أصل من كتـاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذي أباحه الله للعلماء، وأما الرأي المذموم والقياس المُتكلف المنهي عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأنَّ ذلك ظن ونزغ من الشيطان»[6].

– سادسًا: التحذير من الجدال في المسائل الاجتهادية والخلافية: قال البخاري: «باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ

ليس على شرط البخاري.

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٣٣٤).

(٢) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٢)، ترجمة باب (١٤) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٣) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٣)، ترجمة باب (١٥) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٣/٣٠٢).

(٥) البخاري، صحيح البخاري (٩/١٠٠)، ترجمة باب (٧) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٦) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (١٠/٣٥١).

﴿ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦)»[١]، ويفهم «أنَّه لا ينبغي للمرء أن يجادل في المجتهدات والمسائل الخلافية، بل ينبغي له التمسك والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة»[٢].

- سابعاً: التحذير من إيواء المبتدعين والظالمين: قال البخاري: «باب إثم من آوى مُحْدِثًا، رواه عليٌّ عن النبي ﷺ[٣]»[٤]. وأخرج البخاري في كتاب فضائل المدينة، «وليس يدل الحديث على أن من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا في غير المدينة أنه غير متوعد ولا ملوم على ذلك؛ لتقدم العلم بأنَّ من رضي فعل قوم وعملهم أنَّه منهم، وإن كان بعيدًا عنهم. فهذا الحديث نصٌّ في تحذير فعل شيء من المنكر في المدينة، وهو دليل في التحذير من إحداث مثل ذلك في غيرها، وإنَّما خُصَّت المدينة بالذكر في هذا الحديث؛ لأنَّ اللعنة على من أحدث فيها حدثًا أشد والوعيد له آكد؛ لانتهاكه ما حذر عنه، وإقدامه على مخالفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما كان يلزمه من تعظيم شأن المدينة التي شرفها الله بأنَّها منزل وحيه وموطن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها انتشر الدين في أقطار الأرض فكان لها بذلك فضل مزيّة على سائر البلاد»[٥]، ولا يفعل هذا إلا صاحب فكر منحرف، والعياذ بالله، نسأل الله تعالى العفو والعافية.

الخاتمة:

وفيها عرض لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

- أولًا: النتائج:

١- تراجم أبواب صحيح البخاري سواء الظاهرة أو الخفية تضمّنت فقهًا غزيرًا وفهمًا عميقًا يجدرُ الاهتمامُ به.

٢- ينبغي غرس فقه تعزيز الأمن الفكري في عقول أبناء الأمة وقلوبهم؛ لمواجهة تحديات العصر وتهديداته.

٣- مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة إلّا أنَّ مضامينه الرئيسية موجودة في نصوص الشريعة المتعلقة بحفظ الضرورات الخمس وتطبيقاتها المتنوعة، وتراجم أبواب كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة فيها دليل على ذلك.

(١) البخاري، صحيح البخاري (١١٨/٩)، ترجمة باب (١٨) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٢) الكاندهلوي، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري (٧٥٩/٦).

(٣) البخاري، صحيح البخاري (٢٠/٣)، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، حديث رقم (١٨٧٠).

(٤) البخاري، صحيح البخاري (١٠٠/٩)، ترجمة باب (٦) من كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

(٥) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (٣٥٠/١٠).

٤- يبرز فقه البخاري في تعزيز الأمن الفكري بشكل واضح في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، حيث اهتم بجوانب عدّة؛ هي: الجانب التأصيلي البنائي، والعقلي الإدراكي، والتوجيهي التربوي، والوقائي التحصيني.

٥- يُعدُّ التأصيل الخطوة الأولى للوصول للأمن الفكري ويتحقق بربط الناس بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية، وربطهم بالجماعة من أهل العلم، وضبط مصادر المعرفة، وضبط مناهج الفهم.

٦- لابُدَّ من احترام عقول الآخرين بالعمل على تحرير المسائل الخلافية، والوقوف على حقيقة الاختلاف والعمل على تقليله واجتناب آثاره التي قد تصل بالبعض للانحراف الفكري.

٧- العمل على نشر العلم الشرعي وربط الأمة بعلمائها وتعزيز مكانتهم عند الناس لما له من دور مهم في إنضاج فكر الإنسان وتحصينه من الانحراف.

٨- الجانب الوقائي لا يقل أهمية عن الجانب البنائي؛ فيجب اجتناب الأمور المؤدية إلى الانحراف الفكري كالتشدد في العلم والابتداع في الدين، السؤال عما لا يعنيه، اتباع محدثات الأمور من البدع والأهواء، الكلام بغير علم، الجدال في المسائل الاجتهادية والخلافية، وإيواء المبتدعين والظالمين.

- ثانيًا: التوصيات:

١- دراسة معالم فقه الإمام البخاري في تعزيز الأمن الفكري من خلال تراجم أبواب كتب الصحيح عامة.

٢- إعداد برامج توعوية في تعزيز الأمن الفكري مستمدة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية والفهم الصحيح لهما.

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (الصافات١٨٠-١٨٢)

قائمة المراجع

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٧٥م).

ابن الملقن، عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ط١، دمشق: دار النوادر، (٢٠١٨م).

ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، ط٢، الرياض: مكتبة الرشد. (٢٠٠٣م)،

ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، سوريا: دار الرشيد، (١٩٨٦م).

ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، بيروت: دار المعرفة، (١٩٥٩م).

ابـن حـزم، علي بن محمد، الإحكام في أصـول الأحكام، تحقيق: أحمـد شاكر، بيروت: دار الآفاق الجديدة

ابـن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، (١٩٧٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، (١٩٩٣ه).

أبو صعيليك، محمد عبد الله، جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة، ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، (١٩٩٥م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، بيروت: دار طوق النجاة، (١٤٢٢ه).

الجوهـري، إسماعيـل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحـاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨٧م).

الحازمـي، محمـد بن موسى، الاعتبـار في الناسخ والمنسـوخ من الآثـار، ط٢، حيدر آباد، الدكن: دار المعارف العثمانية، (١٣٥٩هـ).

سفر، محمود محمد، الإعلام موقف، جدة- المملكة العربية السعودية: تهامة، (١٩٨٢م).

الشافعـي، محمد بـن إدريس، الرسالة، تحقيـق: أحمد شاكر، ط١، مصـر: مكتبة الحلبي، (١٩٤٠م).

الشيبانـي، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيـب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠١م).

الشيرازي، إبراهيم بن علي، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: د. محمد هيتو، ط١، دمشق: دار الفكر، (١٩٨٢هـ).

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، مصر، دار هجر.

الطيبـي، الحسيـن بن عبـد الله، شرح مشـكاة المصابيـح المسمى «الكاشـف عن حقائق السنن»، ط١، مكة المكرمة- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، (١٩٩٧م).

العينـي، محمود بـن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيـروت: دار إحياء التراث العربي.

القشيـري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فـؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكاندهلـوي، محمـد زكريا، الأبـواب والتراجم لصحيـح البخاري، تحقيـق: د. ولي الدين الندوي، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، (٢٠١٢م).

الكرمانـي، محمد بن يوسف، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٩٨١م).

الكشميـري، محمد أنور شاه، فيض الباري على صحيح البخـاري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٥م).

اللويحـق، عبد الرحمن بن معلا، الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية، كتاب (pdf) منشور على موقع الألوكة، (٢٠١٢م).

اللويحـق، عبد الرحمن بـن معلا، تعزيز ثقافة الأمن الفكري من خـلال البرامج الإعلامية الموجهة، المجلة العربية للدراسات الشرعية والقانونية - العدد الثالث، (٢٠١٧م).

النـووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلـم بن الحجاج، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ).

النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت: دار الكتب العلمية.

الدكتور وسيم عصام شبلي
الأستاذ المساعد بقسم الحديث أكاديمية الإمام البخاري الدولية

أسس تحقيق الأمن الفكري

دراسة اختيارية لتراجم أبواب الجامع الصحيح للإمام البخاري

ملخص البحث

مقدمة البحث، وفيها: أهميته وأسباب اختياره ومنهجي فيه.

خطة البحث: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه، وأن مذهبه فيها وفيه تمهيد: تعريف موجز بالإمام البخاري وكتابه الصحيح

المطلب الثاني: وفيه تمهيد، وقسم الدراسة: أسس تحقيق الأمن الفكري: دراسة اختيارية لتراجم أبواب الجامع الصحيح للإمام البخاري.

التمهيد، وفيه: تعريف الأمن الفكري: ومفهومه، وأهميته، وموقف الشرع منه:

الدراسة: وفيها ستة أسس رئيسة على شكل مباحث، هي موضوع البحث:

المبحث الأول: العلم

المبحث الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الثالث: الابتعاد عن الفتن، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الابتعاد عن الغلو في الدين

المطلب الثاني: الابتعاد عن التكفير حتى تقام الحجة الرسالية، وأن مرد ذلك لأهل العلم والإيمان . . .

المطلب الثالث: السمع والطاعة بالمعروف للحاكم، وعدم الخروج عليه

المبحث الرابع: تعزيز دور الأسرة والمسجد والمجتمع والدولة في تحقيق الأمن الفكري، وفيه أربعة مطالب:

ملخص البحث

احتوى الجامع الصحيح للإمام البخاري على الأسس العلمية والعملية لتحقيق الأمن الفكري لـدى المسلم، حيث ارتضاها مذهبـاً ومنهجاً له، فسطرها في تراجم أبـواب صحيحه، ومن تلك الأسس:

أولاً: العلم بالله وبشريعته وفضله وفضل طالبه، وأنه الحصن الحصين الذي يعصم الشباب المسلـم مـن الوقوع في الفتن، والانغماسـ في البدع والأهواء، وذلك باتبـاع نصوص الوحي بفهم السلف الصالح، فقال: باب فضل العلم- باب: العلم قبل القول والعمل- باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين - باب الفهم في العلم- باب فضل من علِم وعلَّم.

وحذر مما يناقض العلم، فقال: باب رفع العلم وظهور الجهل.

ثانيـاً: الاعتصـام بالكتـاب والسنة، كثمرة مـن ثمار العلـم النافع الذي يعصـم من الفتن والجهـل، ويحمـي حامله من الغزو الفكـري، فقال: باب الاقتداء بسنن رسـول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع- ...

ثالثاً: الابتعاد عن الفتن، ونبذ الخلاف والفرقة، والسمع والطاعة للحكام بالمعروف، فقال: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية...

رابعاً: تعزيز دور الأهل ومؤسسات الدولة والمجتمع المدني في تحقيق الأمن الفكري، فقال: باب: المرأة راعية في بيت زوجها، وأخرج حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول».

مقدمة البحث، وفيها: أهميته وأسباب اختياره ومنهجي فيه.

أهمية البحث:

إن الأمــن مــن أعظم نِعَم الله التي لا يمكن أن تستقيــم الحياة بغيرها، لذلك امتنَّ الله بهذه النِّعْمة على كفار قريش حيــن قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (قريشـ: ٣، ٤)، وقال صلــى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أصبح منكـم آمنًا في سِرْبه، مُعافًى في جسده، عنده قُـوتُ يومِه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا». رواه الترمذي وابن ماجة بسند حسن. انظر: (السلسلة الصحيحة/برقم ٢٣١٨)

ومن أسمى صور الأمن وأهمِّها، الأمن الفكري، لأن غايته استقامة المعتقد والقيم والأخلاق والمبادىء، وسلامتها من الانحراف، لئلا ينجرف الفرد والجماعة والمجتمع والوطن نحو الهاوية والدمار.

لذلــك اهتــمَّ السلــف بالأمــن الفكــري بالعنايــة بــكل مــا يساهم فــي تحقيقه، ومــن ذلك وضــع المصنفــات التــي قرروا فيهــا معتقد السلف فــي أبواب الفتــن والسمع والطاعــة والأسماء والأحـكام والمعامـلات، ومنهـم الإمـام البخـاري في مصنفـه الجامـع الصحيح، الـذي سطر فيـه أروع الفوائـد والنكـت العلميـة ذات الصلـة، خصوصـاً فـي تراجـم أبوابه موضـع البحث.
أسباب اختيار البحث:

لمـا كان الأمـن بشتى صـوره من أعظم النِعَـم، وخصوصــاً الفكري منها، لمـا في تحقيقه مــن سلامة المنهـج والمعتقد، ولمــا كان غرض العدو إضـلال الشباب المسلـم بمختلف السبل، للانقضاض على الأمة لنهب ثرواتها، مع الجهل المستشري في أوساط كثير من الشباب، وانتشار التطرف والانحلال، مع ظهور من يتصدر الفتوى من أدعياء العلم، جاء هذا البحث، ليبين أن ذلك ليـس من الإسلام في شـيء، وأن سلفنا نبهوا على مكامن الخطـر، وصنفوا في ذلك المصنفات، وتراجم أبواب الجامع الصحيح للبخاري انموذ جاً في بيان أسس تحقيق الأمن الفكري.

منهجي في البحث:

اقتصرت في بحثي هذا على دراسة تراجم أبواب الجامع الصحيح للبخاري دون غيرها من مرويات الصحيح، لسببين: الأول: التزاماً مني بعنوان بحثي. والثاني: لأن مذهب البخاري في هذه التراجم كما بينت ذلك في هذا البحث.

اقتصـرت في شـرح مقصـود البخاري فـي التراجم ذات الصلـة بما ذكره شـراح صحيح البخـاري دون غيرهم من شراح السنن والصحاح، فضلاً عـن كتب اللغة، مراعاة لشرط البحث، وعنوانه.

اختصـرت جداً من ترجمة الإمام البخاري رحمه الله، ومـن منهجه العام في كتابه الجامع الصحيح، طلباً للاختصار مراعاة لشرط البحث وعنوانه، وعلماً مني أن المكتبة الإسلامية زاخرة فـي ذكـر سيرته ومحاسنه، ولأن بحثي هذا هو عمل جماعي، لا بد من كل باحث من ذكر شيء من ترجمته ليس موجوداً عند غيره من الباحثين.

المطلـب الأول: منهـج الإمام البخاري فـي تراجم أبـواب صحيحه، وأن مذهبـه فيها وفيه تمهيـد: تعريـف موجز بالإمام البخاري وكتابه الصحيح هو شيـخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمـد بـن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، مولاهم البخاري. ولد رحمه الله فـي شـوال سنة أربع وتسعيـن ومائة. طلب العلم من صغره، قال رحمـه الله: «خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها! وتخلفت في طلب الحديث.

ورحـل إلى كثير مـن مدن الحجاز والعـراق والشام ومصر وفارس وبلخ ومـرو... قال وراقه محمـد بـن أبي حاتم: سمعته قبل موتـه بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانيـن رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وروى عنـه من أصحـاب الكتب: الترمـذي، ومسلم في غيـر «الصحيح»، ومحمـد بن نصر المـروزي الفقيـه، وصالح بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن أبي عاصم، ومُطَيَّن، وأبو العباس السراج، وأبو بكر بن خزيمة، ...

قال ابن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري. مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين[١].

تعريـف موجـز بكتابـه الجامـع الصحيح هـو أول مصنف فـي الصحيح المجـرد، صحيح البخاري، ثم مسلم، وهما أصح الكتب بعد القرآن، والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد[٢]. والسبب فـي تأليفه أن البخاري رحمـه الله رأى التصانيف الحديثية قد جمعت الصحيح وما دونه، والكثير منهـا يشملـه التضعيف، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح، وقويـت عزيمته لذلك قول أستاذه الإمام إسحاق بن راهويه لمن عنده والبخاري فيهم: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح[٣].

ومكث فـي تصنيفه ست عشرة سنة. وسماه: الجامع الصحيـح المسند المختصر من أمور

(١) انظر: (تهذيب الكمال/٢٤: ٤٣٠) (تذكرة الحفاظ للذهبي/٢: ١٠٤) (سير أعلام النبلاء/١٢: ٣٩٣) (تهذيب التهذيب/٩: ٤٧)

(٢) قاله النووي في الإرشاد كما في تدريب الرواي في شرح تقريب النواوي/١: ٩٢)

(٣) (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث/٧١)

رسول الله ﷺ وسننه وأيامه[1] .

واشتهر بين العلماء باسم «صحيح البخاري». ولم يستوعب فيه جميع الصحيح، بل أودع فيه ما اختاره، وكان على شرطه الذي يعدُّ أقوى ما في الحديث الصحيح، كاشتراط السماع في اللقيا.

المطلب الثاني: منهجه في تراجم أبواب صحيحه، وأن مذهبه فيها أمران لا بد من الوقوف عليهما قبل الشروع في هذا الباب، الأول: أن الإمام البخاري لم يذكر شرطه في كتابه، ولا وضع مقدمة فيه يبين الغرض منه، ولا السبب في تأليفه، ولا منهجه، إنما عرفنا ذلك من سبر العلماء لصنيعه في كتابه الجامع الصحيح، وما جرت عادته فيه.

قال الحافظ ابن طاهر: «اعلم أن البخاري ومسلم ومن ذكرنا بعدهم،لم ينقل عن أحد منهم أنه قال: شرطت أن أخرِّج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم، فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم».

ثم قال: «فاعلم أن شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع، ...إلا أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه، أخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة مثل حماد بن سلمة، وسهيل بن أبي صالح، وداود بن أبي هند، وأبى الزبير المكي، والعلاء بن عبد الرحمن وغيرهم». [2]

والأمر الثاني: الوقوف على معنى التراجم ومقصود السلف منها، فمفردها ترجمة -بفتح التاء والجيم- وهي: إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، بخلاف التفسير، كترجمة نص من اللغة الفرنسية إلى العربية[3].

واستُعملت أيضاً بمعنى البيان والتوضيح، فقالوا: ترجمة فلان، أي بيان سيرته[4]. وترجم المصنفون من السلف أبواب كتبهم بمعنى عنونوا لها لبيان المقصود منها.

هذا، وقد اقتصرت هنا على ذكر منهج البخاري في تراجم أبواب صحيحه، دون منهجه في بقية كتابه، لأنها موضع البحث، ولأن منهجه عموماً مسطر بتوسع في مصنفات العلماء المحدثين قديماً وحديثاً.

---

(١) (فتح الباري لابن حجر/١: ٨) (توجيه النظر إلى أصول الأثر للسمعوني/١: ٢٢٩)

(٢) (شروط الأئمة الستة/ص: ١١- ١٢) قال شيخنا محمد بن مطر الزهراني رحمه الله: وهؤلاء المذكورون لم يخرج مسلم من حديثهم إلا ما تابعهم غيرهم عليه.

(٣) (الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/٣١٣)

(٤) (معجم اللغة العربية المعاصرة/١: ٢٨٩)

لقد تفرد البخاري في حسن اقتباسه لتراجم أبواب كتابه الجامع الصحيح، وأودعها علمه وفقهه، فكانت غزيرة الفوائد، من شرح غريب القرآن والحديث واللغة، وذكر آثار الصحابة والتابعين[١]. وقد «اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه»[٢].

فقد مكث في تصنيف صحيحه ست عشرة سنة، وكتب تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين[٣].

وتنقسم هذه التراجم- من خلال سبر العلماء لها- إلى ظاهرة وخفية.

فالظاهرة هي التي تطابق الأحاديث التي تخرج تحتها مطابقة واضحة جليلة، دون حاجة للفكر والنظر.

والخفية هي التي تدرك مطابقتها لمضمون الباب بوجه من البحث والتفكير القريب أو البعيد. وهو تقسيم الحافظ ابن حجر[٤].

منهجه في التراجم: يترجم البخاري للباب بآية قرآنية: فيجعل الآية عنواناً للباب، والمقصود من ذلك تأويل الآية، أو الاستدلال بها لحكم من الأحكام، ثم تقوية هذا التأويل والاستدلال بما يخرج من الحديث. وتارة بحديث مرفوع ليس على شرطه، كقوله في كتاب الطب من صحيحه: باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، وهو لفظ الحديث الذي أخرجه في الباب. أو بعضاً منه، كقوله في الصلاة: باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا، وأخرج فيه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».

والفائدة في ذلك، إعلام المصنف أن هذا الحديث مذهبه. وهو كثير في صحيحه، ونص عليه الحافظ ابن حجر فقال: «لم يصرح بشيء إلا أن اختياره يؤخذ في العادة من الآثار التي يودعها في الترجمة» اهـ[٥]. أو يقتبس الترجمة بمعنى الحديث، وتارة بأثر، وتارة بعبارته، وتارة بمسألة اختلفت فيها الأحاديث، فيأتي بتلك الأحاديث على اختلافها، ويوفق بينها بحمل كل واحد على محمل، فيترجم بذلك المحمل، ليقرب إلى الفقيه من بعده أمرها، ويروي في الباب ما يدل عليه، مثاله: باب خروج النساء إلى البراز، جمع فيه حديثين مختلفين، مثاله: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله، وما يحذر من الاصرار على التقاتل والعصيان، ذكر فيه حديث: «سباب المسلم

(١) (الحطة في ذكر الصحاح الستة/١٧٠)

(٢) (فتح الباري/١:: ١٣)

(٣) (تاريخ بغداد/٢: ٣٢٨)

(٤) (فتح الباري/١: ١٣)

(٥) (هدي الساري مقدمة فتح الباري/١: ٤٨٢)

فسوق وقتاله كفر». وتارة من غير قطع بترجيح، فيقول: «باب من قال كذا»[١].

أو بصيغـة الإستفهام، كقوله: باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهـم. وأخـرج فيه حديث أبـي هريرة: «حق على كل مسلم، أن يغتسل فـي كل سبعة أيام يوماً، يغسـل فيه رأسه وجسـده». وحديث ابن عمر: «من جاء منكم الجمعة فليغتسل». وحديث أبي سعيد الخدري: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم». فاستعمل في الترجمة صيغة الاستفهام للاحتمال الواقـع في حديث أبي هريرة، فإنه شامل للجميع من شهـد الجمعة ومن لم يشهدها، وكذا حديث أبي سعيد، وفي حديث ابن عمر تقييد وجوب الغسل بالمجيء لصلاة الجمعة فيخرج من لم يجيء.

ومن ثم اختلف العلماء في غسل يوم الجمعة هل هو للصلاة أو لليوم؟ انظر: (الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح/٧٦) ويكون المقصد إثارة الانتباه لمعرفة دليل هذه المسألة.

وتـارة يرسـل، فلا يعنون بشيء يـدل على المضمـون، وهي التي اكتفى فيهـا بلفظ (باب). وتارة يترجم بتراجم مفردة: وهي التي لا يخرج البخاري فيها شيئًا من الحديث للدلالة عليها. لها مثـال ذلك قوله في (الصلاة): (باب يستقبل بأطـراف رجليه القبلة)، قاله أبو حميد الساعدي، عـن النبـي ﷺ وقوله: «بـاب قـول الله تعالـى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ...﴾ ثم لم يخرج فيهما شيئًا من الحديث للدلالة على ما ترجم له. قال الحافظ ابن حجر: «وربمـا اكتفى أحياناً بلفظ الترجمة التي هـي لفظ حديث لم يصح على شرطه وأورد معها أثرا أو آية فكأنه يقول لم يصح في الباب شيء على شرطي»[٢].

ثالثاً: بيان أن مذهب الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه

لقـد سبـر أهل العلم بالحديث تراجم أبوابه وما خرَّجه تحـت كل باب، فخرجوا بنتيجة أن عادته في عنونتها هي الذهاب إلى ما تضمنته الأحاديث التي رواها تحت كل باب، وأن لها مقصد غير مجرد العنونة. ومما يؤكد هذا:

قـال ابن بطال: «وإنما قـدم البخاري، رحمه الله، حديث الأعمال بالنيـات – فى أول كتابه، ليعلـم أنـه قصد في تأليفه وجه الله، عز وجـل، ففائدة هذا المعنى، أن يكـون تنبيهاً لكل من قرأ كتابه، أن يقصد به وجه الله تعالى كما قصده البخارى في تأليفه»[٣].

وقـال: «وأما مذهب البخاري في هـذا الحديث على ما ترجم به في هذا الباب، في أن أذانه

(١) محدث الهند ولي الله الدهلوي في كتابه « شرح تراجم أبواب البخاري

(٢) (فتح الباري/١: ١٣) وما بعدها

(٣) (شرح صحيح البخاري لابن بطال/١: ٣١)

-يعني أذان بلال بن رباح- كان بعد طلوع الفجر...» [١].

وقـال ابـن المُنيِّر: «مذهـب البخـاري تضعيف القسامـة. فلهـذا أصدر البـاب بالأحاديث الجارية...»[٢].

القَسَامة -بفتح القاف وتخفيف المهملة- هي مصدر أقسم قسما وقسامة وهي الأيمان

تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم أو على المدعى عليهم الدم وخص القسم على الدم بلفظ القسامة[٣].

وقال ابن حجر: (لم يصرح بشيء -يعني البخاري- إلا أن اختياره يؤخذ في العادة من الآثار التي يودعها في الترجمة) [٤].

وقـال: (والذي يظهر من مذهب البخاري أن الحرام ينصـرف إلى نية القائل ولذلك صدر الباب بقول الحسن البصري وهذه عادته في موضع الاختلاف مهما صدر به من النقل عن صحابي أو تابعي فهو اختياره»[٥].

وقـال الحافـظ العيني: «ظاهر الترجمـة مشعر بأن مذهـب البخاري: أن وقـت العشاء إلى النصف فقط»[٦].

وقـال: «قول أبي بكر، رضي الله تعالى عنه: (لـو منعوني عناقا كانوا يؤدونها) يدل على أنها مأخوذة في الصدقة، وهو مذهب البخاري أيضا، فلذلك ترجم بالترجمة المذكورة»[٧].

وقـال السفيري الشافعي: «وهو مذهـب البخاري - رضي الله عنه - فإنه عقد أبواباً بإطلاق الإيمان على الأعمال، فالسلف أرادوا إطلاق الإيمان على الأعمال»[٨].

وقـال المباركفوري: «وهو مذهب البخاري في الغنـم حيث ترجم لحديث الباب بقوله: «باب أخذ العناق في الصدقة»[٩].

(١) (المصدر نفسه/٢: ٢٤٨-٢٤٩)

(٢) (المتواري علي تراجم أبواب البخاري /٣٤٤)

(٣) (فتح الباري/١٢: ٢٣١)

(٤) (فتح الباري/١: ٤٨٢)

(٥) (فتح الباري شرح صحيح البخاري/٩: ٣٧٤)

(٦) (عمدة القاري شرح صحيح البخاري /٥: ٦٩)

(٧) (المصدر نفسه/٩: ٢٤)

(٨) (المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري /١: ٢٧٩)

(٩) (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح /٦: ٦٠)

وقال ابن الملقن: «وأما مذهب البخاري في هذا الحديث على ما ترجم به الباب- يعني باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره»[١].

وقال الكرماني: «مذهب البخارى أن الحرمة تثبت برضعة واحدة وعليه أبو حنيفة ومالك وقد صرح في الترجمة به»[٢].

المطلب الثالث: قسم الدراسة، وفيه تمهيد: تعريف الأمن الفكري: ومفهومه، وموقف الشرع منه: أولاً: التعريف بالأمن الفكري لغة واصطلاحاً:

الأمن والأمان في اللغة: مصدران بمعنى الطمأنينة وعدم الخوف[٣].

قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾.

والفِكر من الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء .[٤]

ومن هنا تأتي مناسبة ذكر الأمن، فإنه لما وقع التردد في القلب، احتيج إلى أمر يأمن له المرء، ليسكن قلبه، ويذهب الخوف منه.

واصطلاحاً: سلامة الفرد من غزو فكري شائب يهدد هويته الدينية والوطنية.

ثانياً: مفهوم الأمن الفكري

الأمن معنى شامل لا ينحصر في معناه اللغوي، الذي ضده الخوف، ولا في مفهومه التقليدي، ولكنه يتسع ليشمل كثيرًا من جوانب الحياة، فهناك الأمن الفكري - موضع البحث-، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي والأمن البيئي والأمن الغذاني...

والأمن الفكري مصطلح حادث، يراد به تحقيق الطمأنينة والأمان في المجتمعات، وسلامة العقول من الأفكار والأنماط المدنية الوافدة التي تهدد الانتماء الديني، والقيم الأخلاقية، والهوية الوطنية، من الغزو الفكري، والانحراف الأخلاقي والتطرف الديني.

فإذا تعزز في حياتنا اليومية، استقر الاطمئنان القلبي والسكينة النفسية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والوطن.

(١) (التوضيح لشرح الجامع الصحيح/٦: ٣٥١)

(٢) (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري/ ١٩: ٨٠)

(٣) (لسان العرب/١٣: ٢١)

(٤) (مقاييس اللغة/٤: ٤٤٦)

والأمـن الفكـري مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببقيـة أنواع الأمن، فأي خلل فيـه، خلل فيها، فوجود التطرف الديني مثلاً في مجتمع ما، يسبب خللاً خطيراً في التلاحم الأسري، والتكافل المجتمعي، والاضطراب الأمني على مستوى الوطن.

ثالثاً: موقف الشريعة من الأمن الفكري:

عند التأمل في التعريف اللغوي والاصطلاحي للأمن الفكري نخلص إلى نتيجة واضحة من أن أهميته تكمن في موافقته لمبادىء الشريعة، لأن الغاية من تحقيقه هي حفظ الضرورات الخمس، التي هي مقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء، وهي حفظ الدين، بسلامة الانتماء ومصدر التلقي فـي العقيـدة والعبادة، واستقامة السلوك، وإثبات الـولاء للأمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ وقال رَسُول اللّهِ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».

وحفـظ النفسـ، قال ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة).. (متفق عليه وقـال ﷺ: (مـن قتـل معاهـداً لم يـرح رائحـة الجنـة، وإن ريحهـا ليوجد مـن مسيـرة أربعين عامـاً).. رواه البخـاري. والمعاهـد الـذي يدخـل تحـت صلـح بيـن المسلميـن والكفـار. وحفـظ العقـل ليس فقط بمـا يغيبه كالخمرة، بـل يتسع المعنـى ليشمل كل ما يغطيـه من الجهل المركب، وسموم أدعياء الفتوى والعلم. وحفظ النسل، والمال.

الدراسـة: أسس تحقيق الأمـن الفكري: دراسـة اختيارية لتراجم أبـواب الجامع الصحيح للإمام البخاري، وفيه ستة أسس رئيسة على شكل مباحث، هي موضوع البحث:

المبحث الأول: العلم

قـال ابن حجر: «والمراد بالعلم، العلم الشرعـي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمـر دينه في عباداته ومعاملاتـه والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيـام بأمره وتنزيهه عن النقائـص ومدار ذلك على التفسيـر والحديث والفقه وقد ضرب هذا الجامع الصحيح في كل من الأنـواع الثلاثـة بنصيب فرضـي الله عن مصنفه وأعاننـا على ما تصدينا له مـن توضيحه بمنه وكرمه»[1].

إن الأسـاس الأول لتحقيـق الأمن الفكـري: توحيد الله تعالى، والاستعانة بـه، والتوكل عليه، والعلـم بـه، وبأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ﷺ لابن عباس: «يـا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ

(١) (فتح الباري/١٤١:١)

الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». أخرجه الترمذي في (السنن/٤: ٢٤٨رقم ٢٥١٦) بسند صحيح. وانظر: (السلسلة الصحيحة/ يرقم٢٣٨٣) فالتوحيد أساس الأمن في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) لذلك عقد البخاري كتاب العلم من صحيحه[١]، بعد كتابيّ بدء الوحي والإيمان ليبين أن الإيمان بهذا الوحي، لا يكون إلا بالعلم، وأول ما بوَّب فيه: باب فضل العلم، وقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١١) وقوله عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤)

قال ابن بطال: «جاء في كثير من الآثار أن درجات العلماء تتلو درجات الأنبياء، ودرجات أصحابهم. والعلماء ورثة الأنبياء، وإنما ورثوا العلم وبينوه للأمة، وذبوا عنه، وحموه من تخريف الجاهلين وانتحال المبطلين»[٢].

وقال ابن حجر: «وقوله عز وجل: قل رب زدني علماً واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم»[٣].

بل عقد باباً في كتاب الإيمان قبل كتاب العلم ببابين بعنوان: باب فضل من استبرأ لدينه، وخرَّج تحته حديث النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشبَّهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُبُهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

والاستبراء للدين ودفع الشبه التي تغزو القلب لا يكون إلا بالعلم، لذلك عقد باباً بعد باب فضل العلم، فقال: باب العلم قبل القول والعمل، ليبين أهمية العلم في تحقيق الأمن العقدي والفكري قبل أي قول أو فعل أو اعتقاد، ثم قال مستشهداً لهذا الأصل العظيم: لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) فبدأ بالعلم،... لأن فيه الخير كله، فقال: «وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(١) (صحيح البخاري/١/ ٢١)

(٢) (شرح صحيح البخارى لابن بطال/١: ١٣٣)

(٣) (فتح الباري/١: ١٤١)

قـال ابن حجر: «...أراد به–يعني بالباب المذكـور– أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فـلا يعتبران إلا به فهـو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصحِّحـة للعمل. فنبه المصنِّف على ذلـك حتـى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: إن العلم لا ينفـع إلا بالعمل، تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه»[1].

ثـم قال: باب الفهـم في العلم، ليبين لنا أنـه كما يشترط العلم لصحة القـول والعمل، فإنه يشترط لصحة العلم، الفهم فيه.

ومن صور الفهم في العلم، ما خرَّجه تحت هذا الباب من حديث ابن عمر قال: كنا عند النبي صلـى الله عليه وسلم فأتي بجمار، فقال: «إن من الشجـر شجرة، مثلها كمثل المسلم»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، قال النبي ﷺ: «هي النخلة». فالفهم في العلم من جهة المعلم بأن يضرب المثال للتقريب، ومن جهة المتعلم بأن لا يتعجل الجواب، فيتكلم بلا علم، وأن يوقـر الكبيـر، فيترك مجال الجواب له، كما روى البخـاري هذا الحديث بعدة روايات في عدة مواضع من صحيحه، منها: فإذا أنا أصغر القوم، فسكت. ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت.

ثـم قال: بـاب الاغتباط في العلم والحكمة، كأنه يقول: فإذا توفـر العلم بالفهم فيه، اغتبط طالبـه بما آتاه الله من الحكمـة، والحكمة ضالة المؤمن، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. وقـال في هـذا الباب: وقال عمر: «تفقهوا قبـل أن تسودوا». قال أبو عبد الله –يعني نفسه–: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم».

ومـن صور الاغتباط بالعلم أنـه حصن حصين من الذنوب والجهل، الـذي يعد انتشاره من علامـات الساعة، لذلك قال بعده: باب رفع العلم وظهور الجهل، وقال ربيعة: «لا ينبغي لأحد عنده شـيء مـن العلم أن يضيع نفسه». وخرَّج تحته حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مـن أشـراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبـت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهـر الزنا». ثم عقد: باب الإنصـات للعلمـاء، ليبين أن هذه الحكمة والفهـم لا يكون إلا بالتلقي من أفـواه العلماء الربانيين بالإنصـات لهم، لا من الكتب والصحف والمواقـع الإلكترونية، فخرَّج حديث جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: «استنصِت الناس»؟ فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض».

ولما كان شرط صلاح القول والعمل العلم، ولما كان شرط العلم النـافع، الفهم فيه، بالإنصات للعملاء الربانيين، كان ميزان العالم الرباني ما قاله البخاري بعد ذلك كله: باب من خص بالعلم

(١) (فتح الباري/١: ١٦٠)

قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، فينزلون الأحكام في غير أماكنها، وبدون التصور السليم، ويخوضون في النوازل، فيفتون بغير علم ولا حكمة، فتقع النفرة، وتنتشر الفتنة ويسفك الدم.

المبحث الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة

من أعظم أسس تحقيق الأمن الفكري، الاعتصام بالكتاب والسنة، لأن لا سبيل للعلم والفهم فيه والحكمة، إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، والانقياد والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لسلامة مصادر التلقي والاستدلال، لذلك عقد البخاري كتاباً في صحيحه، فقال: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو الكتاب ما قبل الأخير من كتب صحيحه، إذ ابتدأ ببدء الوحي ثم كتاب الإيمان، لأنه الطريق إلى الأول، ثم كتاب العلم، لأنه شرط في صلاح القول والعمل والاعتقاد، فناسب ذكر كتب الأحكام ككتاب الوضوء والغُسل والحيض والتيمم والصلاة...، إلى كتاب بدء الخلق فكتاب أحاديث الأنبياء فالمناقب فالمغازي إلى أن يصل إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، ليبين لنا أن جميع ما ذكر لا يستقيم إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة. وهذا ما يفسر صنيعه من ذكر كتاب أخبار الآحاد قبل كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، للدلالة على حجيتها، ليسلم فكر المسلم من شوائب الفلاسفة والمتكلمين، وأن تحقيق هذا الأصل، هو تحقيق اهم معالم الأمن الفكري.

المبحث الثالث: الابتعاد عن الفتن، وفيه ثلاثة مطالب:

وهو الأساس الثالث لتحقيق الأمن الفكري، وقد عقد البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، يعني كتاب التحذير من الفتن، بدليل قوله بعده: باب ظهور الفتن، يعني فاحذروها، لما فيها من زوال العلم، وانتشار الجهل، وسيطرة الغوغاء، والهرج والمرج، وخرَّج تحت هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن بين يدي الساعة أياماً، يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج» والهرج: القتل. ولذلك عقد: باب التعوذ من الفتن. باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم.

المطلب الأول: الابتعاد عن الغلو في الدين

عقد البخاري تحت كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب ما يُكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ ثم خرَّج حديث أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «لا تواصلوا»، قالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»، فلم ينتهوا عن

الوصال، قال: فواصل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يومين أو ليلتين، ثم رأوا الهلال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو تأخر الهلال لزدتكم». كالمنكل لهم.

قال ابن حجر: «التعمق...معناه التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه... وأما التنازع فمن المنازعة وهي في الأصل المجاذبة ويعبر بها عن المجادلة والمراد بها المجادلة عند الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل والمذموم منه اللجاج بعد قيام الدليل وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى»(١).

المطلب الثاني: الابتعاد عن التكفير حتى تقام الحجة الرسالية، وأن مرد ذلك لأهل العلم والإيمان

وهذا أصل اهتم به البخاري جداً، وعقد فيه: كتاب الإيمان، وعقد تحته باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس، ليبين أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد عند الافتراق في الذكر، وبمعنيين مختلفين بينهما تلازم، عند اجتماعهما بالذكر، فالإسلام الأعمال الظاهرة المذكورة في حديث ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». والإيمان الأعمال الباطنة القلبية المذكورة في حديث جبريل الطويل، وفيه: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ويأتيان بمعنى واحد عند الافتراق في الذكر، كما في حديث شعب الإيمان الذي خرَّجه تحت هذا الباب: أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

وقرر رحمه الله أن الإيمان يتفاضل أهله فيه، فقال: وهو قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ (الفتح: ٤)، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣)، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ (مريم: ٧٦)، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد: ١٧)، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾...

ففي هذا الباب قرر معتقد السلف الذي خالفه الخوارج، القائلين بسلب الإيمان من مرتكب الكبيرة جملة واحدة، والمرجئة القائلين بعدم نقصان الإيمان من مرتكبها، فمذهب الخوارج مرده إلى التكفير وسفك الدماء بموجبه، ومذهب المرجئة مرده إلى الانحلال. فقرر رحمه

(١) (فتح الباري/١٣: ٢٧٨)

اللّه مذهب التوسط بين الإفراط التفريط، وهذا ميزان رصين توزن به أسس الأمن الفكري. وأصل ضلال هاتين الفرقتين، هو أخذهم بظاهر النصوص المشتبهة، والمجملة، التي تحتمل أكثر من معنى، والواجب -والحال هذه- حمل المطلق على المقيد، والمجمل على المفصل، والعام على الخاص.

لذلك عقد البخاري باباً يوضح فيه هذا الأصل العظيم، فقال: باب: كفران العشير، وكفر دون كفر، وخرَّج حديث ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «أريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن». قيل: أيكفرن باللّه؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط».

قال ابن بطال: «...الكفر هاهنا هو كفر الإحسان، وكفر نعمة العشير، وهو الزوج، وتسخط حاله،... وشكر نعمة الزوج هو من باب شكر نعمة اللّه،... ومعنى هذا الباب كالذي قبله: أن المعاصي تنقص الإيمان ولا تخرج إلى الكفر الذى يوجب الخلود في النار، لأنهم حين سمعوا رسول اللّه قال: يكفرن - ظنوا أنه كفر باللّه، فقالو: يكفرن باللّه؟ قال: تمت يكفرن العشير ويكفرن الإحسان. فبين لهم رسول اللّه ﷺ أنه أراد كفرهن حق أزواجهن، وذلك لا محالة ينقص من إيمانهم، ودل ذلك أن إيمانهن يزيد بشكرهن العشير وبأفعال البر كلها، فثبت أن الأعمال من الإيمان، وأنه قول وعمل، إذ بالعمل الصالح يزيد، وبالعمل السيئ ينقص»

وقال ابن رجب: «وقال البخاري: كفر دون كفر، والكفر قد يطلق ويراد به الكفر الذي لا ينقل عن الملة، مثل كفران العشير ونحوه عند إطلاق الكفر»(١).

وقال ابن حجر: «قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه: مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيماناً، كذلك المعاصي تسمى كفراً، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة»(٢).

وقال: باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «إنك امرؤ فيك جاهلية» وقول اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

قال ابن بطال: «وغرض البخاري في هذا الباب الرد على الرافضية والإباضية وبعض الخوارج في قولهم: إن المذنبين من المؤمنين يخلدون في النار بذنوبهم، وقد نطق القرآن

(١) (فتح الباري/١: ١٣٧)

(٢) (فتح الباري/١: ٨٣)

بتكذيبهـم في غير موضع منه، فمنها قوله تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النسـاء: ٤٨)، والمراد بهذه الآية من مـات على الذنوب، ولو كان المراد من تـاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى، إذ التائب من الشرك قبل الموت مغفور له»[١].

وقـال: بـاب: ظلـم دون ظلم، وخرَّج حديـث عبد الله- يعني ابـن مسعود- قـال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ﴾ (الأنعـام: ٨٢) إيمانهـم بظلم قال أصحـاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ ﴾.

قـال ابن بطال: «معنى هذا الباب كالذي قبله أن تمام الإيمان بالعمل، وأن المعاصي ينقص بهـا الإيمـان، ولا يخرج صاحبها إلى الكفـر، والناس مختلفون في ذلك على قـدر صغر المعاصي وكبرها.

وفيه من الفقه: أن المفسر يقضي على المجمل بخلاف قول أهل الظاهر، ألا ترى أن أصحاب النبـي تأولوا قوله: (ولم يلبسوا إيمانهـم بظلم) على جميع أنواع الظلم، فبين الله أن مراده بذلك الظلم: الشرك، خاصة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾»[٢].

المطلب الثالث: السمع والطاعة بالمعروف للحاكم، وعدم الخروج عليه

إن مـن أكبـر مهددات الأمـن الفكري: الأفكار التي تـروج لتكفير الحاكـم الجائر، لما فيها مـن لوازم خطيرة من الخـروج عليه، وتكفير من لم يكفره، ولو كان من كبـار العلماء، وشق عصا الجماعـة، ممـا يهـدد الأمن الداخلـي، والقومـي، والسلم الأهلي علـى يديّ نشىء حـادث حملوا النصوص على غير محملها، وعلى غير فهم سلفي.

واستشعـاراً لهـذا الأمر الخطير، عقـد البخاري تحت كتاب الإيمان مـن صحيحه: باب قول النبـي ﷺ: «الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». ليبين هذا الأصل السلفي العظيـم، وأن مـرد النصح وإقامة الحجـة وتنزيل الأحـكام للعلماء العاملين أهـل النصح بالعلم والحكمة، لا دعاة الفتنة والجهل.

وعقـد تحت كتاب الجهـاد والسير: باب السمع والطاعة للإمام، يعنـي بالمعروف والنصح، وخـرَّج تحتـه حديث ابن عمر رضـي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قـال: «السمع والطاعة حق ما لم

(١) (شرح صحيح البخاري/ ١: ٨٦)

(٢) (شرح صحيح البخاري/١: ٩٠)

يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة».

ليأمن الداخل الإسلامي، ليصدّ عدوان العدو الخارجي عنه، فناسب عقد هذا الباب تحت كتاب الجهاد والسير.

ومن المعروف من تاريخ الإسلام أنه لم يخلُ من حاكم جاهل ظالم، ومع هذا لم يُعهد عن السلف دعوة في الخروج عليه، ولا تكفيره، لما في ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وكانت حكمتهم: درء المفسدة العظمى بأخرى أخف منها.

وعقد البخاري تحت كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، وخرَّج تحته جملة من الأحاديث ذات الصلة، منها حديث عن أُسَيد بن حُضَير: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، استعملتَ فلاناً ولم تستعملني؟ قال: «إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني». وخرَّج رواية عبد الله بن مسعود وفيها: قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم». ورواية ابن عباس، وفيها: «فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية».

قال ابن بطال: «في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلب طاعته لازمة، ما أقام الجُمُعات والجهاد، وأن طاعته.خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء... وذكر علي بن معبد، عن علي بن أبى طالب أنه قال: لابد من إمامة برة أو فاجرة. قيل له: البرة لابد منها، فما بال الفاجرة؟ قال: تقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويقسم بها الفيء، ويجاهد بها العدو»[1].

فإن قيل: كلام ابن بطال محمول على الحاكم الشرعي، لا الحاكم الذي أبطل أحكام الجهاد وكثيراً من أحكام الإسلام. قيل له: بقي عندنا خوف الفتنة ووقوع ما هو أشر من ذلك كله، وهو ما أشار إليه ابن بطال نفسه في تمام شرحه لهذا الباب، قال رحمه الله: «...وفي حديث عبادة: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة إلى قوله: وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً. فدل هذا كله على ترك الخروج على الأئمة، وألا يشق عصا المسلمين، وألا يتسبب إلى سفك الدماء وهتك الحريم، إلا أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام، فلا طاعة لمخلوق عليه»[2].

ثم بيَّن البخاري أن مخالفة هذا الأصل سبب في هلاك الأمة وسفك الدم، فقال: باب قول

(١) (شرح صحيح البخاري/١٠: ٨)

(٢) (شرح صحيح البخاري/١٠: ٨)

النبـي ﷺ: «هـلاك أمتي على يديّ أغيلمة سفهاء». وخرَّج تحتـه حديث عمرو بن يحيى بن سعيد ابـن عمرو بن سعيد، قـال: أخبرني جدي، قال: كنت جالساً مع أبـي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينـة، ومعنا مروان -يعنـي ابن الحكم الأموي-قـال أبو هريرة: سمعت الصـادق المصدوق يقول: «هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش». فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: لـو شئت أن أقول: بني فـلان، وبني فلان، لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشأم، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا: أنت أعلم.

وقال: باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا». ليبين عقاب من فعل هذا، ولو كان بحجة دفع الحاكم الظالم. كتاب الأحكام.

المبحث الرابع: تعزيـز دور الأسـرة والمسجـد والمجتمـع والدولـة، أو ما يعـرف بالأمن المجتمعي وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعزيز دور الأسرة

ويكـون ذلك بالتربيـة الإيمانية، والتزكيـة النفسية للأبناء وتحصينهم مـن الغزو الفكري، قال الله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾. وعـن أبي هريرةَ رضـي الله عنه قال: قال النبـيُّ ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَـواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانهِ أو يُمجِّسانه، كمثَلِ البهيمة تُنْتَجُ البَهيمةَ، هل تَرَى فيها جَدْعاءَ»[1].

وقـال رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَـى بِالْمَرْءِ إِثْمًـا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ». فالحديـث يدل على فداحة الخطب والخسران الكبير الذي يتحمله الأبوان إذا ضيعا الأبناء.

ولا يقـل دور الأم عـن الأب، لذلـك عقد البخاري تحت كتاب النكاح، بـاب: المرأة راعية في بيت زوجها.

وأخـرج حديث عبد الله بن مسعود، قال: قـال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهـو مسئول، والرجل راع علـى أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول».

فالأسـرة هي النواة الأولى التي يقوم عليها المجتمع، وهى الأساس في إعداد وتنشئة الأبناء

(١) (أخرجه الإمام البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ١/ ٣١٣ برقم ١٣٥٨)

وغرس القيم والمبادئ في نفوسهم، وتكوين الأفكار الإيجابية عندهم وتأمين هذه الأفكار من التطرف أو الانسياق وراء الأفكار الهدامة. انظر: (دور الأسرة في الحفاظ على الأمن الفكري للأبناء بقلم د. آمال محمد عبد المولى/مقال على الشبكة العنكبوتية) ويمكن للأسرة تعزيز الأمن الفكري لأبنائها من خلال محددات دورها الوقائي الإجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن أهم المحددات الوقائية الإجتماعية: تربية الأبناء على الأخلاق الحميدة، إحترام وقبول الآخر، وتدعيم القيم الوطنية، والقدوة الحسنة للأبناء، وتوفير الجو النفسي الأسري المناسب. ومن أهم المحددات الوقائية الثقافية: تثقيف الأبناء بأمور الدين على نحو صحيح، توعية الأبناء بمخاطر الانحراف الفكري، توجيه الأبناء للمحافظة على العبادات والطاعات، وتوضيح مخاطر الاستخدام الخاطئ لمواقع التواصل الاجتماعى، واستخدام المناقشة والحوار الايجابي مع الأبناء، وتوجيه الأبناء نحو الأفكار الإيجابية. ومن أهم المحددات الوقائية الاقتصادية: توعية الأبناء بأهمية الكسب الحلال، توجيه الأبناء نحو مساعدة الفقراء بالمجتمع، توفير الاحتياجات المادية للأبناء، تبصير الأبناء بالقيمة الحقيقية للأموال بأنها وسيلة وليست غاية. انظر: (المحددات الوقائية للأسرة في مجال الأمن الفكري: دراسة ميدانية/ عائشة بنت متعب المطيري/ مقال على الشبكة العنكبوتية).

المطلب الثاني: تعزيز دور المسجد في تحقيق الأمن الفكري

كان للمسجد في عهد النبي ﷺ رسالة تربوية حيث إنه اهتم ببناء الشخصية الإسلامية من جميع جوانبها بناء متكاملاً ومتوازناً، وتربى المسلم فيه تربية وجدانية وروحانية.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصطحبون أولادهم إلى المسجد ويربونهم على حبه والتعلق به والدليل على ذلك ما ورد أن النبي ﷺ قَالَ «إني لأَقُومُ في الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصبي، فَأَتَجَوَّزُ في صلاتي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[1].

فكان بحق الجامعة التي تخرج فيها الرعيل الأول، الذين حملوا الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

وبقي المسجد على مر التاريخ من أهم الدعائم والأركان الأساسية التي تربى عليها الفرد المسلم، وقامت عليها الجماعة والمجتمع روحياً وإيمانياً وخُلُقياً[2].

(١) (صحيح البخاري ١/ ٢٥٠ برقم ٦٧٥)

(٢) (مجلة الوعي الإسلامي/ ص ٣١ - العدد ٣٨٧) و(فقه الدعوة/ص ٥٦-٥٧). و(المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة

ولتأكيد هذا الدور، قد عقد البخاري تحت كتاب العلم من صحيحه: باب ذكر العلم والفتيا في المسجد، فهو مكان العبادة، وساحة القضاء، ومدرسة العلم، وندوة الأدب، ومعهد الثقافة الرشيدة. وهو مكان للتكافل الاجتماعي، قال رحمه الله تحت كتاب الصلاة: باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب فيه، وقال: باب نوم الرجال في المسجد، وخرّج حديث أنس بن مالك: قدم رهط من عكل على النبي ﷺ فكانوا في الصُفَّة». وقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: «كان أصحاب الصفة الفقراء».

وحديث ابن عمر أنه كان ينام وهو شاب أعزب، لا أهل له، في مسجد النبي ﷺ».

فحري بمساجدنا بأئمتها وخطبائها ووعاظها أن يحفظوا شبابنا من الفتن وأدعياء الغوغائية والكراهية، فيعقدون محاضرات في تعزيز الأمن الفكري وبيان مفهومه وأهميته وموقف الشرع منه، وليعودوا بدور المساجد إلى الريادة والوسطية، وإظهار الإسلام كما أراده الله سمحاً.

المطلب الثالث: تعزيز دور المجتمع المدني:

ومن أسس تحقيق الأمن الفكري، تعزيز دور المجتمع المدني. وهو العمل الجماعي التطوعي يهدف تحقيق المصالح والأهداف والقيم المشتركة المتبادلة.

يضم المجتمع المدني المنظمات والمؤسسات والجمعيات الخيرية والتنموية المسجلة، غير الحكومية، التي تلعب دوراً مهما بين الأسرة والمواطن من جهة، والدولة من جهة أخرى، لتحقيق مصالح المجتمع في تحقيق الأمن تالفكري، والسلام والاستقرار والتكافل الاجتماعي والتعايش السلمي ونشر الثقافة الهادفة، وترسيخ قيم ومبادئ ومعايير التسامح والمحبة والتعاون.(١)

ولتأكيد هذا المعنى عقد البخاري تحت كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وخرَّج تحته حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». وأخرج غيره: من سلم الناس من لسانه.

وباب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وخرَّج حديث أنس عن النبي ﷺ قال:..«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وتحت كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

أعداء الإسلام عليه/عبد الله قاسم الوشلي)

(١) انظر: (قتيبة قاسم العرب/ دور المجتمع المدني في تحقيق السلام والاستقرار والتنمية والديمقراطية/ على الشبكة العنكبوتية).

وقـال تحت كتاب الإيمان: باب: إفشاء السـلام من الإسلام، وقال عمار: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

وأخرج تحته حديث عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

وتحت كتاب المظالم والغصب، قال: باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، وخرَّج حديث عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمـه، ومـن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربـة من كربات يوم القيامـة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامـة». وباب: أعن أخاك ظالماً أو مظلومـاً، وخـرَّج حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قـال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

إن دور المسلـم فـي مجتمعه لا ينحصر فـي أخيه المسلم، بل يتعـداه ليشمل من شاركه في مسمـى الإنسانيـة، قال البخاري: باب الدعاء للمشركين بالهـدى ليتألفهم، خرَّج تحت هذا الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم».

المطلب الرابع: دور مؤسسات الدولة والقطاع الخاص في تعزيز الأمن الفكري

تمتلـك مؤسســات الدولة قدرة كبيـرة وفعالة قد تعجز عنـه أية مؤسسة، فـي تعزيز وسائل تحقيـق الأمـن الفكري لـدى الفـرد والجماعة والمجتمـع بأكمله، مـن خلال دعم دوائـر التربية والتعليـم المدني، العـام والخاص، والسماح بالتعليـم الديني كونه الحصـن الحصين المنيع في وجـه الغزو الفكـري والثقافي، وتوجيه الإعلام إلزاماً عبر وزارة الإعـلام بوضع القوانين لتجريم الإعلام المسموم، لينفتح المجال واسعاً في توعية الشباب بتقديم النصائح والتوجيهات السليمة، فـي المجـالات الأمنية، وتعزز القيم الاجتماعيـة من خلال الأساليب التربويـة المختلفة، وتطوير المناهـج بما يخدم هذا المجـال، لتحقيق أمن واستقرار المجتمع، والالتـزام الديني، والأخلاقي المعتـدل، ومنع الظلـم، والعدوان، والبعد عـن التطرف بما يحقق التكيف مـع المجتمع، وتوضيح مفهوم الغلو بكافة أنواعه، ومناقشة الآثار المترتبة عليه.

ومـن خلال دعم مؤسسـات المجتمع المدني للعمل على ملء الفـراغ لدى الشباب بتدريبهم المهني والتعاون مع مؤسسات الدولة لإيجاد فرص عمل للحد من البطالة.

وقـد تقدم في المطلب الثالث: السمع والطاعـة بالمعروف للحاكم، وعدم الخروج عليه، من المبحث الثالث ما أورده البخاري من التراجم ما يؤكد هذا الأمر، ومما أخرجه في كتاب الأحكام

مـن صحيحه عـن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسـول اللَّه ﷺ «كلُّكمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَـنْ رَعيَّتِـهِ، فَالإِمَام رَاعٍ، وَهـو مسؤولٌ عَنْ رَعيَّتِه، وَالرجـلُ في أَهْلِه رَاعٍ، وَهُوَ مَسْـؤولٌ عَنْ رَعيَّتِه، وَالْمَـرْأَةُ فـي بَيْتِ زَوجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَـادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهو مسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِه».[١]

والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.[٢]

ولو فرط أحد من المربين في مسؤوليته لكان سببًا في انهيار أخلاق الشباب وتردي سلوكياته وانحراف أفكاره.

الخاتمة ونتائج البحث:

من خلال البحث والدراسة في موضوع (أسس تحقيق الأمن الفكري دراسة اختيارية لتراجم أبواب الجامع الصحيح للإمام البخاري) توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

١ - أن الحصـن الحصيـن للفـرد والجماعـة والمجتمـع والوطـن: القرآن الكريـم والسنة المطهـرة، من الغزو الفكري، فعلينا كمسلمين وطلبة علـم وعلماء التمسك بهما بفهم سلف الأمة الذيـن لم يفتروا في توضيح خطورة البدع خصوصـاً بدعتي الخوارج والمرجئة، والأهواء الفكرية المنحلة، خصوصاً الإباحية والليبرالية والإلحاد.

٢- أن ولاة الأمـر والقيمين على مؤسسات الدولـة ذات الصلة والوزارات المختصة، خاصة وزارة التربيـة والتعليـم بجميـع مراحله المتوسطـة والثانويـة والجامعية، يمتلكون قـدرات هائلة لتحقيق الأمن الفكري، فعليهم تأمين الجو السليم المبني على العدالة والمساواة والحرية الدينية وتكافؤ الفرص والتنمية المستدامة المتوازنة البعيدة عن المحاصصـات الطائفية المفضية إلى الحد من البطالة لإنقاذ الشباب من الفراغ المؤدي إلى الاختلال ثم الانحراف بشتى صوره، وفتح المجال للحوار البناء الذي يظهر الشباب من خلاله طاقاتهم الكامنة.

٣- أن الأسرة والمسجد هما الدرع الحصين الثاني بعد الوحي للشباب من انجراف التيارات الفكريـة الهدامة، فعلى الأسرة والدعاة والأئمة والخطبـاء والعلماء بذل الجهد في توعية الشباب مـن خطورة الركـون إلى من يحكر صفو تفكيرهـم ويخرب سلوكياتهم مستغليـن الفراغ والبطالة

(١) (صحيح البخاري/ ٢: ٨٤٨ برقم ٢٤١٦)

(٢) (شرح النووي لصحيح مسلم/ ١٢: ٢١٣)

وسوء الأحوال.

٤- أن مؤسســات المجتمع المدني بما تضمه من خبرات وأنشطة ميدانية مؤهلة بشكل جبار فــي تأمين الفرص الناجحــة للشباب، من خلال التكافل الاجتماعي، فعليه استغلال هذه الخبرات بالتعاون مع مؤسسات الدولة.

٥- أن المتجرئيــن على الفتوى من غير علم كانوا أحــد أهم الأسباب في الانحراف الفكري للشباب، والأخذ على أيديهم أمر ضروري لتحقيق الأمن الفكري.

٦ - أن وسائــل الإعــلام سلاح ذو حدين فيما يتعلــق بالأمن بشتى أنواعــه، خصوصاً الأمن الفكــري، ولذا علــى المصلحين أن يحسنوا استخدامها، ويطــوروا أساليبها لتحصين الشباب من الانحراف الفكري.

ثبت المصادر والمراجع

الكتاب: تهذيب الكمال في أسماء الرجال

المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعــي الكلبي المزي (المتوفــى: ٧٤٢هـ) / الناشر: مؤسسة الرسالــة – بيروت/ المحقق: د. بشار عواد معروف

الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

الكتاب: تذكرة الحفاظ

المؤلــف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) /الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان /الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

الكتاب : سير أعلام النبلاء

المؤلــف : شمس الديــن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) / المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط /الناشر : مؤسسة الرسالة /الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

الكتاب: أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٢

تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م /هذا الجزء يضم: • منتدى الدراسات الحديثية • منتدى التخريج ودراسة الأسانيد

الكتاب: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي

المؤلـف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطـي (المتوفى: ٩١١هـ) /حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي /الناشر: دار طيبة

الكتاب: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) /الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان

الكتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري

المؤلـف: أحمد بن علي بن حجـر أبو الفضل العسقلاني الشافعـي /الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ /رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب /عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الكتاب: توجيه النظر إلى أصول الأثر

المؤلـف: طاهـر بن صالح (أو محمد صالـح) ابن أحمد بن موهـب، السمعوني الجزائري، ثـم الدمشقـيّ (المتوفى: ١٣٣٨هـ) /المحقـق: عبد الفتاح أبو غدة /الناشـر: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب

الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

الكتاب: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية

المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) /المحقق: عدنان درويش - محمد المصري /الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت /سنة النشر:

الكتاب: معجم اللغة العربية المعاصرة

المؤلـف: د أحمـد مختـار عبد الحميد عمـر (المتوفـى: ١٤٢٤هـ) بمساعـدة فريق عمل / الناشر: عالم الكتب /الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الكتاب: الحطة في ذكر الصحاح الستة

المؤلـف: أبـو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علـي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) /الناشر: دار الكتب التعليمية - بيروت /الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

الكتاب: تاريخ بغداد وذيوله

المؤلـف: أبـو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهـدي الخطيب البغدادي (المتوفى:

٤٦٣هـ) /الناشـر: دار الكتب العلمية – بيـروت /دراسة وتحقيق: مصطفى عبـد القادر عطا / الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

اسم الكتاب:شرح تراجم أبواب صحيح البخاري

المؤلـف: الدهلوي أحمد بن عبـد الرحيم مولانا شاه ولي الله /سنة الوفاة: ١١٧٦ /الناسخ: الطبعـة الهندية الثالثة /سنـة الطباعة ١٣٦٨ /عدد الأوراق:١٣٧ /عـدد الأسطر:٢٠ /المصدر: حيدر آباد الدكن

صحيح البخاري

صحيح مسلم

إسم الكتاب: شرح صحيح البخارى

المؤلـف: ابـن بطال أبو الحسن علي بـن خلف بن عبد الملك (المتوفـى: ٤٤٩هـ) /تحقيق: أبـو تميم ياسر بـن إبراهيم /دار النشر: مكتبـة الرشد – السعودية، الرياض /الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

إسم الكتاب: المتواري علي تراجم أبواب البخاري

المؤلف: أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابـن المنيـر الجذامي الجروي الإسكندرانـي (المتوفى: ٦٨٣هـ) /المحقـق: صلاح الدين مقبول أحمد /الناشر: مكتبة المعلا – الكويت

إسم الكتاب: عمدة القاري شرح صحيح البخاري

المؤلـف: أبـو محمد محمود بن أحمد بـن موسى بن أحمد بن حسيـن الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) /الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

إسـم الكتـاب: المجالـس الوعظية في شرح أحاديـث خير البرية صلـى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري

المؤلـف: شمس الديـن محمد بن عمر بن أحمـد السفيري الشافعـي (المتوفى: ٩٥٦هـ) / حققـه وخـرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن /الناشـر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان / الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

إسم الكتاب: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

المؤلـف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الديـن الملا الهروي القاري (المتوفى:

١٠١٤هـ) /الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان /الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

عدد الأجزاء: ٩

إسم الكتاب: التوضيح لشرح الجامع الصحيح

المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) /المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث /الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا /الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

إسم الكتاب: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) / الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان /طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م /طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

إسم الكتاب: لسان العرب (ط. صادر)

المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل /حالة الفهرسة: غير مفهرس /الناشر: دار صادر – بيروت /عدد المجلدات: ١٥

إسم الكتاب: معجم مقاييس اللغة

المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) / المحقق: عبد السلام محمد هارون /الناشر: دار الفكر /عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

إسم الكتاب: صحيح البخاري

المؤلف: الإمام البخاري

إسم الكتاب: كتاب الجنائز

المؤلف: الإمام البخاري

إسم الكتاب: كتاب الجماعة والإمامة

المؤلف: الإمام البخاري

مجلة الوعي الإسلامي

رئيس التحرير: فهد محمد الخزي

إسم الكتاب فقه الدعوة

المؤلف: د جمعه علي الخولي

إسم الكتاب: المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه

المؤلـف: أ.د. عبـد الله بن قاسم بـن إسماعيل الوشلـي، (ولد: ١٣٦٩ هــ) /إسم الكتاب: كشـف الخفاء ومزيل الإلباس عمـا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس /المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢هـ) /الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة /عام النشر: ١٣٥١ هـ

المحور الرابع:

جهود الإمام البخاري
في الرد على الخوارج والمعتزلة المكفّرة

د. أحمد حسن عمر شلوبه
أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي
جامعة الإمام المهدي – السودان – كلية التربية

«مهددات الخوارج للأمن الفكري في عصر الإمام البخاري»
استناداً إلى صحيح البخاري

تمهيد

إن هـذه الورقـة الموسومة بـ «مهـددات الخوارج للأمن الفكري في عصـر الإمام البخاري» تهـدف إلـى بيان عقيدة وفقه الخوارج وتسليط الضوء على جهود البخاري في الرد عليهم واتبعت المنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي.

ففـي المبحث الأول: سلطت الضوء على نشأة وتطور فرقة الخوارج وأوصافهم، وقتالهم بعد إقامـة الحجة عليهم وتـرك قتلهم إذا اقتضـت المصلحة ذلك وفي المبحـث الثاني بينت عقيدة الخـوارج من تكفير مرتكب الكبيرة وعدم قناعتهم بأن الإيمان يزداد وينقص ثم أنكروا الشفاعة وغيرها من المعتقدات التي انحرفت عن منهج السلف ،وفي المبحث الثالث بينت فقه الخوارج وما نتـج منه من تهديد للأمن الفكري الذي كان نتيجة لأخذهم مـا أشكل عليهم من القرآن وانشغلوا بالمتشابـه من القرآن الكريم وأنكروا حديث الآحـاد، وأنزلوا الآيات في غير مكانها فانحرفوا في المنهـج :فأنكروا: الرجم ،ومسح الخف وأجازوا التيمم مـع وجود الماء، وأنكروا وجود نصاب في حـد السرقة، وأنكروا عدم الجمع بيـن المرأة وعمتها، وأنكروا الصلـوات الخمس واكتفوا بوقتين وردتـا في القرآن الكريم وانتهـى الأمر بتكفيرهم كل من خالفهم فعملوا في الناس قتلاً مع مدهم أيديهم بيضاء لليهود والنصارى ومثلهم في العالم كثر نسأل الله أن يقينا الفتن. ثم ذيلت البحث بخاتمة شملت النتائج والتوصيات.ثم المصادر

المبحث الأول: معالم صفات فرقة الخوارج وأحكامهم:

(١). نشأة وتطور فرقة الخوارج:

الْخَوَارِجُ هُمْ جَمْعُ خَارِجَةٍ أَيْ طَائِفَةٍ وَهُمْ قَوْمٌ مُبْتَدِعُونَ سُمُّوا بِذَلِكَ لِخُرُوجِهِمْ عَنِ الدِّينِ

وَخُرُوجِهِـمْ عَلَى خِيَارِ الْمُسْلِمِيـنَ وَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ فِيمَا حَكَاهُ الرَّافِعِيُّ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ يَعْرِفُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْتَصُّ مِنْهُـمْ لِرِضَـاهُ بِقَتْلِهِ أَوْ مُوَاطَأَتِهِ إِيَّاهُمْ كَذَا قَالَ وَهُوَ خِلَافُ مَـا أَطْبَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَخْبَارِ فَإِنَّهُ لَا نِزَاعَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَمْ يَطْلُبُوا بِدَمِ عُثْمَانَ بَلْ كَانُوا يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْكَرُوا سِيرَةَ بَعْضِ أَقَارِبِ عُثْمَانَ فَطَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِـمْ وَيَتَنَطَّعُـونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْـرِ ذَلِكَ فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ قَاتَلُوا مَـعَ عَلِيٍّ وَاعْتَقَدُوا كُفْرَ عُثْمَـانَ وَمَنْ تَابَعَهُ وَاعْتَقَـدُوا إِمَامَةَ عَلِيٍّ وَكُفْرَ مَنْ قَاتَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَمَـلِ الَّذِينَ كَانَ رَئِيسُهُمْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْـرَ فَإِنَّهُمَـا خَرَجَـا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ بَايَعَا عَلِيًّـا فَلَقِيَا عَائِشَةَ وَكَانَتْ حَجَّتْ تِلْـكَ السَّنَةَ فَاتَّفَقُوا عَلَـى طَلَـبِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ وَخَرَجُوا إِلَى الْبَصْرَةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ فَبَلَغَ عَلِيًّا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ الْمَشْهُورَةُ وَانْتَصَرَ عَلِيٌّ وَقُتِلَ طَلْحَةُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَقُتِلَ الزُّبَيْرُ بَعْدَ أَنِ انْصَرَفَ مِنَ الْوَقْعَةِ فَهَذِهِ الطَّائِفَةُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ بِالِاتِّفَاقِ ثُمَّ قَامَ مُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ أَمِيـرَ الشَّامِ إِذْ ذَاكَ وَكَانَ عَلِيٌّ أَرْسَـلَ إِلَيْهِ وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين بعد الهجرة النبوية، وقد وقع خروج الخوارج مرارًا..[1]

(٢). صفات الخوارج

عَـنْ أَبِـي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَـى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ بِذُهَيْبَـةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَـةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِـيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَـزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْـنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ،....... . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِـعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْـتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَـلاَ تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: « إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِـنَ الدِّيـنِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُـونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَـانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[2]

---

(١) ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري،المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي – صبحي بن جاسم السامرائي،مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية– ١٩٩٣ م ،ج٢،ص ٦٩١.

(٢) البخاري ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت ٢٥٦ه): صحيح البخاري،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،١٤٢٢هـ (٤/ ١٣٧)

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النَّصْل فلا يرى شيئًا، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا، وينظر في الرِّيش فلا يرى شيئًا، ويتمارى في الفُوق».وهؤلاء هم الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. وفيه الحذر من العناية بالظواهر وتضييع الباطن ويكون حسن الصلاة وهو فاجر.هم الذين قاتلهم علي فقتلهم، لهم بقية الآن في عمان والجزائر ليبيا.[1]

(٣). قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (التوبة: ١١٥). وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّه، وَقَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِى الْكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. فيه: عَلِىٌّ، رَضِى اللَّه عَنْهُ، قَالَ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ حَدِيثًا فَوَاللَّه لأنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِى آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الأسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأحْلام، يَقُولُونَ: مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّة، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّة، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .. قال المهلب وغيره: أجمع العلماء أن الخوارج إذا خرجوا على الإمام العدل وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف؛ أن قتالهم واجب وأن دماءهم هدر، وأنه لا يتبع منهزمهم ولا يجهز على جريحهم. قال مالك: إن خيف منهم عودة أجهز على جريحهم وأتبع مدبرهم، وإنما يقاتلون من أجل خروجهم على الجماعة. قال الطبرى: والدليل على ذلك أن النبى ﷺ إنما أذن فى قتلهم عند خروجهم لقوله: (يخرج فى آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام. ثم قال: فأينما لقيتموهم فاقتلوهم)[2]

فبان بذلك أنه لا سبيل للإمام على من كان يعتقد الخروج عليه أو يظهر ذلك بقول، ما لم ينصب حربًا أو يخف سبيلا. وقال: هذا إجماع من سلف الأمة وخلفهم. وقد سئل الحسن البصرى عن رجل كان يرى رأى الخوارج، فقال الحسن: العمل أملك بالناس من الرأى إنما يجازى الله

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، لحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري،بقلم: أبي محمد عبد الله بن مانع الروقي،دار التدمرية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،، ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م.،ج٣،ص٢٤.

(٢) صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٥٨٤

الناس بالأعمال. قال الطبرى: وهذا الذى قاله الحسن عندنا إنما هو فيما كان من رأى لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام، فأما الرأى الذى يخرجه من ملة الإسلام، فإن الله قد أخبر أنه يحبط عمل صاحبه. وأما قوله: (يمرقون من الدين) . فقد اتفق جمهور العلماء على أنهم فى خروجهم ذلك غير خارجين من جملة المؤمنين لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (ويتمارى فى الفوق) لأن التمارى الشك، وإذا وقع الشك فى ذلك لم يقطع عليهم بالخروج الكلى من الإسلام، لأن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يحكم له بالخروج منه إلا بيقين، وقد روى عن على بن أبى طالب من طرق، أنه سئل عن أهل النهروان: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. قيل: فمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: هم قوم ضل سعيهم، وعموا عن الحق، بغوا علينا فقاتلناهم.[(١)]

قول البخارى: فمعناه أنه لا يجب قتال خارجى ولا غيره إلا بعد دعوته إلى الحق، وتبيين ما ألبس عليه، فإن أبى من الرجوع إلى الحق وجب قتاله بدليل قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضل قومًا بعد إذا هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ (التوبة: ١١٥) فوجب التأسى به تعالى فيمن وجب قتاله أن يبين له وجه الصواب ويدعى إليه. والنصل: حديدة السهم. والرصاف: العقب الذى فوق مدخل السهم. والفوقة والفوق من السهم: موضع الوتر.[(٢)]

(٤). مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَلاَّ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ:

عن أَبِى سَعِيد: بَيْنَا النَّبِىُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُاللَّه بْنُ ذِى الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِىُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِه، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِه، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِى قُذَذِه فَلا يُوجَدُ فِيه شَىْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِى نَصْلِه فَلا يُوجَدُ فِيه شَىْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِى رِصَافِه فَلا يُوجَدُ فِيه شَىْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِى نَضِيِّه فَلا يُوجَدُ فِيه شَىْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْه، أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْه مِثْلُ ثَدْىِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبَضْعَةِ، تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ) . قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبى، عليه السلام، وأشهد أن عليًا قتلهم وأنا معه، حتى جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله، فنزلت فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ (التوبة: ٥٨) . - وفيه: سَهْل بْن حُنَيْف سئل: (هَلْ سَمِعْتَ فِى الْخَوَارِجِ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ وَأَهْوَى بِيَدِه قِبَلَ الْعِرَاقِ: يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٥٨٥)

(٢) نفس المصدر ج٨/ ص٥٩٠،

يُجَـاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ) . لا يجوز ترك قتال من خرج على الأمـة وشق عصاها. وأما ذو الخويصرة، فإنما ترك النبى ﷺ قتله؛ لأنه عذره بجهله، وأخبر أنه مـن قـوم يخرجون ويمرقون من الدين، فإذا خرجوا وجب قتالهم. وقال الطبرى: وفى قوله (صلى الله عليـه وسلـم) : «وما يدريك لعل له اطلع على أهل بـدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» الدلالة البينة على خطأ ما قالته الخوارج والمعتزلة أنه لا يجوز فى عدل الله وحكمته الصفح لأهل الكبائر.(1)

ومـن نافلـة القـول أن هـذا المبحـث سلـط الضـوء علـى نشـأة وتطـور فرقـة الخوارج وأوصافهم،وقتالهم بعد إقامة الحجة عليهم وترك قتلهم إذا اقتضت المصلحة ذلك

المبحث الثاني: عقيدة الخوارج وأثرها على الأمن الفكري

(1). قول الخوارج أن المعاصي يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا:

غرض البخـارى فى هذا البـاب الرد على الخوارج فـى قولهم: إن المذنبيـن من المؤمنين يخلـدون فـى النار بذنوبهم، وقد نطق القـرآن بتكذيبهم فى غير موضع منــه، فمنها :قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النسـاء: ٤٨) ، والمـراد بهذه الآيـة مـن مات علـى الذنوب، ولـو كان المراد من تـاب قبل الموت لـم يكن للتفرقة بيـن الشرك وغيـره معنى، إذ التائب مـن الشرك قبل الموت مغفور له، وقوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ (الحجـرات: ٩) ، فسماهـم مؤمنين، وإن وقع التقاتل، واستحـق أحد الطائفتين اسم البغـى، فبـان بهاتين الآيتين أن المؤمن لا يخرجه فسقه ومعاصيه من جملة المؤمنين، ولا يستحق بذلك التخليد فى النار مع الخالدين.

واستدل البخاري بأحاديث منها: قول أبىّ ذر :«إِنِّى سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» . قوله: إنك امرؤ فيك جاهلية - يريد إنك فى تعييره بأمـه على خلق من أخلاق الجاهليـة، لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنسـاب، فجهلت وعصيت الله فى ذلك، ولم تستحق بهذا أن تكون كأهل الجاهلية فى كفرهم بالله تعالى.(2)

قـال أَبُـو هُرَيْـرَةَ، قَـالَ النَّبِـىّ ﷺ : «لا يَزْنِى الزَّانِـى حِينَ يَزْنِـى وَهُوَ مُؤْمِـنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْـرَ حِيـنَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِـنٌ»، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِـنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ....) الحديث.

(1) (نفس المصدر ج٨، ص ٥٩١، ٥٩٧)

(2) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى:٤٤٩هـ) شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم،مكتبة الرشد - السعودية / الرياض- ٢٠٠٣م ،ج١،ص٥٥

وقـد تعلق بظاهر هذا الحديث الخـوارج؛ فكفروا المؤمنين بالذنوب. والذى عليه أهل السنة وعلماء الأمة أن قوله: (مؤمن) يعنى مستكمل الإيمان؛ لأن شارب الخمر والزانى أنقص حالا ممن لم يأت شيئًا من ذلك لا محالة، لا أنه كافر بذلك[1]

عـن ابْـن عُمَرَ، سَمِعْـتَ النَّبىّ، عليه الصـلاة السَّلام، فى النَّجْـوَى؟ يَقُـولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِى الْمُؤْمِـنَ، فَيَضَـعُ عَلَيْه كَنَفَهُ وَسَتْرُهُ، فَيَقُـولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَـذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَىْ رَبِّ، حَتَّـى إِذَا قَـرَّرَهُ بِذُنُوبِه، وَرَأَى فى نَفْسه أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَـا عَلَيْكَ فى الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَـكَ الْيَـوْمَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِق، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِيـنَ . قـال المهلب: فى هذا الحديث عظيم تفضل الله على عباده المؤمنين وستره لذنوبهم يـوم القيامـة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفـذ الوعيد على أهل الإيمان؛ لأنه لـم يستثـن فى هذا الحديـث عليه الصلاة والسلام ممـن يضع عليه كنفه وستره أحـدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين ينادى عليهم على رءوس الأشهاد باللعنة لهم.[2]

- وهـذا الحديـث حجة لأهـل السنة فى قولهـم: إن أهل الذنـوب من المؤمنيـن لا يكفرون بالمعاصـى كمـا زعمت الخـوارج. وقولـه تعالـى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أن المراد بالظلـم هاهنـا الكفر والنفاق كما ذكر فى الحديث، وليس كل ظالم يدخل فى معنى الآية ويستحق اللعنة[3].

والـكلام هنا فـي مقامين، أحدهما: كونـه قولًا وعمـلًا، والثاني: كونه يزيـد وينقُص، فأما القول، فالمراد به النُّطق بالشهادتين، وأما العمل، فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح، ليدخل الاعتقاد والعبادات، ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان، ومن نفاه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى، فالسلف قالوا: هو اعتقادٌ بالقلب ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمـال شرط في كماله، ومن نشأ لهـم القول بالزيادة والنُّقصان، كما يأتي، والمُرْجِئة قالوا: هـو اعتقاد ونطـق فقط، والكرّاميَّةُ قالوا: هو نُطق فقط، وذهبت الخـوارج وكثير من المعتزلة إلى أنـه العمل والنطـق والاعتقاد، والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلـوا الأعمال شرطًا في صحته، والسلـف جعلوهـا شرطًا في كماله، وهذا كله بالنظر إلى ما عنـد الله تعالى، كما قلنا، أما بالنظر إلى ما عندنا، فالإيمان هو الإقرار فقط، فَمَن أقَرَّ أُجْريت عليه الأحكام في الدنيا، ولم يُحْكم عليه بكفـر، إلا إذا اقتـرن به فِعلٌ يدل على كفره، كالسجود للصنم، فـإن كان الفعل لا يدلُّ على الكفر،

(١) ابن بطال: شرح صحيح البخارى ، ج٦، ص ٣٧

(٢) البخاري: صحيح البخاري

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٦/ ٥٧٠)

كالفسق، فمن أطلق عليه الإيمان، فبالنظر إلى إقراره، ومن نَفَى عنه الإيمان، فبالنظر إلى كماله، ومن أطلق عليه الكُفر فبالنظر إلى أنه فعل فعل الكافر، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته.وأثبت المُعتزلـة الواسطة، فقالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر.وقال النَّوَوِيُّ: اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهـاء والمتكلميـن أن المؤمن الـذي يُحْكَم بأنه من أهل القِبلة، ولا يُخَلَّـد في النار، لا يكون إلا مـن اعتقد بقلبه دين الإِسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق مع ذلك بالشهادتين، فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القِبلة[١]

وللعلماء مذاهب في المعصية مع الإيمان:

الأول: مذهب المرجئة يقولون: إن المعصية لا تضر مع الإيمان ولا يستحق صاحبها العذاب.

الثاني: مذهب المعتزلة يقولون: إنها تضر وإن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر فيثبتونه المنزلة بين المنزلتين، ويقولون في مثله: فاسق مخلد في النار.

الثالـث: مذهب الخوارج يقولون: إنها تضر وإن مرتكب الكبيرة مخلد، بل ومرتكب الصغيرة أيضـاً كافـر يخلد في النـار، ومذهبهم كمذهب المعتزلـة مبني على أن الأعمـال ركن من حقيقة الإيمان.والخوارج سبع فرق أولهم الذين خرجوا على علي بن طالب وكفروه.

الرابع: مذهب الحسن البصري يقول: إن مرتكب الكبيرة منافق.

الخامس: مذهب أهل السنة والجماعة يقولون: إن مرتكب الكبيرة لا يكفر بها بل هو باق على إيمانـه ولا يخلد في النار إن عذب، ولابد من دخوله الجنة هذا هو المذهب الحق، فالمعصية عند أهل السنة لا تضر في أصل الإيمان بل في كماله فيقال: الشارب الخمر مثلاً عندهم مؤمن ناقص الإيمـان، وعنـد المعتزلة يقال: إنه فاسـق ولا مؤمن ولا كافر، وعند الخـوارج كافر، وعند الحسن البصري منافق.

واستدل البخاري – رضي الله عنه – على أن الإيمان يطلق على الأعمال يأتي من كتاب الله تعالى حيث قـال «وقول الله عز وجل ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ .. ﴾، وتمـام الآيـة الشريفـة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

(١) محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحِ البُخَاري:، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٥ م،١/ ٣٧٧)

(البقرة: ١٧٧). وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ مضاف مقدر، إما في البر تقديره ولكن صاحب البر من آمن، وإما من تقديره لكن البر من آمن.(١)

(٢). إنكار الخوارج أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص:

إن الإيمان هُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، واستدل بآيات من كتاب الله تَعَالَى ومنها: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ (الفتح: ٤)، ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ (الكهف: ١٣)، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾ (مريم: ٧٦)، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ (محمد: ١٧)، ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ (المدثر: ٣١)، ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗا﴾ (التوبة: ١٢٤) ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ (التوبة: ١٢٤) وَقَوْلُهُ: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ (آل عمران: ١٧٣) وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٢٢)(٢)

إن مذهب جماعة أهل السُّنَّة من سَلَف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخارى من كتاب الله من ذكر الزيادة فى الإيمان وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة، فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له. فإن قيل: إن الإيمان فى اللغة التصديق وبذلك نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧) أى ما أنت بمصدق، يعنى فى إخبارهم عن أكل الذئب ليوسف فلا ينقص التصديق. قال المهلب: فالجواب فى ذلك أن التصديق وإن كان يسمى إيمانًا فى اللغة، فإن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان من كمال إيمانه، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقصانها ينقص.(٣)

إن زيادة الإيمان ونقصانه قول جمهور العلماء. وقد روى هذا الكلام عن طائفة من الصحابة كأبي الدرداء وأبي هريرة، وابن عباس . وعن علي، وابن مسعود ، وعن مجاهد، وغيره من التابعين. وتوقف بعضهم في نقصه، فقال: يزيد ولا يقال: ينقص وروي ذلك عن مالك، والمشهور عنه كقول الجماعة. وعن ابن المبارك قال: الإيمان يتفاضل .، وهو معنى الزيادة والنقص. وقد تلا البخاري الآيات التي ذكر فيها زيادة الإيمان وقد استدل بها على زيادة الإيمان أئمة السلف قديما، منهم: عطاء بن أبي رباح فمن بعده. وتلا البخاري – أيضا – الآيات التي

(١) السفيري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد (المتوفى: ٩٥٦هـ): لمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري ،حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ٢٠٠٤ م،١،ص٣٥١

(٢) البخاري: صحيح البخاري،

(٣) ابن بطال: شرح صحيح البخارى ، ج١،ص ٥٦.

ذكـر فيها زيادة الهدى، فإن المـراد بالهدى هنا: فعل الطاعات كما قال تعالى بعد وصف المتقين بالإيمـان ،كمـاأن العمل إذا أطلق لم يدخل فيه الايمان وإنما يـراد به أعمال الجوارح، وبهذا فارق قول السلف قول الخوارج؛ فإنهم أحبطوا بالكبيرة الإيمان والعمل ، وخلدوا بها في النار، وهذا قول باطل.(١)

أيضًـا بسنـد صحيح عن البخاري قـال: لقيت أكثر من ألف رجل مـن العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص(٢)

(٣). إنكارهم الشفاعة

إن الْخَـوَارِجَ الطَّائِفَـةُ الْمَشْهُورَةُ الْمُبْتَدعَةُ كَانُوا يُنْكِرُونَ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ الصَّحَابَةُ يُنْكِرُونَ إِنْكَارَهُـمْ وَيُحَدِّثُـونَ بِمَا سَمِعُوا مِـنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَأَخْـرَجَ الْبَيْهَقِيُّ ذَكَرُوا عِنْـدَ عِمْـرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ الشَّفَاعَةَ فَقَالَ رجل انكم لتحدثوننا بِأَحَادِيثَ لَا نَجِدُ لَهَا فِي الْقُرْآنِ أَصْلًا فَغَضِبَ وَذَكَرَ لَهُ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَدِيثَ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ ساق البخاري هذه الترجمة للدلالة على إطلاق اسـم الإيمـان على الأعمال، وقصد به الـرد على المرجئة القائلين: إن الإيمـان قول بلا عمل فلا تضـر المعصية مع الإيمان بين اللّه الشفاعة المقبولة عنـده بأنها التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله، وفعله، كما قـال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ (النجم: ٢٦)، وعلى هذا أجمع أهل الحق، وسلف الأمة.

وذهـب الخـوارج، والمعتزلة إلى نفي الشفاعة جملة، بناءً علـى أصلهم الفاسد من أن العبد يستوجـب العقوبـة بالمعصية، ولا يجـوز العفو عنه كما استدلوا بعمومـات وردت في نفي الشفاعة فـي القرآن الكريم، وهي عند السلف خاصـة بنفي الشفاعة عن الكفار والمشركين لا في غيرهم، إلا أن المعتزلـة اعترفـوا بالشفاعة التي لزيادة الثواب، ورفع الدرجـات وحملوا الآيات الواردة في إثبات الشفاعة، والأحاديث عليها. وهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يحمده عليـه أهـل الموقف جميعًا. عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسـراء: ٧٩) وسئـل عنها - قـال: «الشفاعة». قال ابـن جريـر: «قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الـذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة

(١) ابن، رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (المتوفى: ٧٩٥هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاريى تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون. ،مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ،١٩٩٦م. ج٤،ص ٣٠٧.

(٢) القسطلاني،شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك (المتوفى: ٩٢٣هـ) :إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ ه،ج١، ص ٨٧ . انظره أيضاً في لسان الميان للحافظ ابن حجر (٣/١)

للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم».[1]

(٤). اشتغالهم بالمتشابه من الآيات

ذكر البخاري من الأحاديث ما يتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ قـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « فَإِذَا رَأَيْتُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَابَهُ مِنْـهُ، فأولَئِكَ الَّذينَ سَمَّـى اللّٰه فاحْذَرُوهُمْ يقصد في قولـه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ومعنـى الآيـة أن اللّٰه أنزل القرآن محتوياً على المحكم الواضح المعنى، وعلى المتشابه الذي يحتمل معان متعـددة لا يتعيـن أحدهما حتى يضم إلى المحكـم، فأمّا أهل الزيغ والضـلال فإنهم يعمدون إلى المتشابـه فيستدلون به علـى مقالاتهم الباطلة، وأما أهل العلم الراسـخ واليقين الثابت، فإنهم لا يأخذون إلّا بالآيات المحكمة، ويردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرونه به لأنهم يعلمون أن القرآن كلـه من عند اللّٰه، فإذا خفيـت عليهم آية متشابهة فسروها بآية أخرى محكمة. معنى الحديث: أن الرسول ﷺ قرأ قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلـخ الآية، ثم حـذر علماء أمته أن يعتمدوا على الآيـات المتشابهة، ويستدلوا بهـا علـى العقائـد والأحكام، لأنها تحتمـل معان مختلفة، وقـد بالغ – صلى اللّٰه عليـه وسلم – في التحذيـر والتنفير مـن ذلك وأمر باجتناب من يفعلـه فقال – صلى اللّٰه عليه وسلـم –: «إذا رأيت الذيـن يتبعـون ما تشابه منه» أي إذا رأيـت الذين يتقصدون الآيات المتشابهـة ليستدلوا بها على مذاهبهـم الباطلة، كما يفعل الخوارج والمعتزلـة وغيرهم من أهل البدع والأهواء « فأولئك الذين سمّـى اللّٰه فأحذروهـم « أي فأولئك الذين وصفهـم اللّٰه بالزيغ والضلال فـي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾.

فقـه الحديـث: دل هـذا الحديث على ما يأتـي: أولاً: أن مـن الزيغ والضـلال الاعتماد على المتشابـه فـي العقائد والأحكام، لأن اللّٰه تعالـى قد وصف من يفعل ذلك بالزيـغ، فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّـا الَّذِيـنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَـا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَـاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ وقال – صلى

(١) «شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي (المتوفى: ٨٣١ هـ): الفوائد السنية في شرح الألفية،تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، – ٢٠١٢ م

الله عليه وسلم – مؤكداً ذلك، إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله. ثانياً: التحذير الشديد من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه وسماع كلامهم لقوله فاحذروهم، قال الحافظ: وأول ما ظهر ذلك في الإسلام من الخوارج. ثالثاً: أن الاعتماد في العقائد والتشريع على المحكم من آيات القرآن الكريم، لأنه – صلى الله عليه وسلم – لما حذر من الاعتماد على المتشابه دل ذلك على أن المحكم هو الأصل الذي يعتمد عليه، ويحتج به في الأحكام اعتقادية كانت أو عملية، كما قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يعتمد عليه. والقول الصحيح الذي عليه أهل السنة كما قال العلامة السعدي إن المتشابه إذا وجدنا في مقابله نصاً محكماً، وجب أن نرده إليه، ونحمله عليه، ونفسره به، كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فإن قوله: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ من المتشابه الذي يقابله من المحكم قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فنرد المتشابه إلى المحكم، ونفسره بمقتضاه، فيكون معنى قوله: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي حرمهم من فضله، ومنعهم من رحمته، لأن الله لا ينسى، كما دلت عليه الآية المحكمة، فوجب صرف النسيان إلى معنى يتفق معها، ويليق بجلال الله سبحانه وتعالى. اهـ. وإن لم نجد ما يقابله من المحكم كأوائل السور فإننا نتوقف عن تفسيره، ونقول: الله أعلم بمراده، لأنه مما استأثر الله بعلمه، فإنما وقع في الزيغ والضلال من وقع من الكفار وأهل البدع والأهواء بسبب احتجاجهم بالآيات المتشابهة دون الرجوع إلى المحكمات التي هي أم الكتاب.(١)

(٥). انكارهم كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم

عن أنس رضي الله عنه قال:حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله، وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر ه ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي

(١) حمزة محمد قاسم :منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري،راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط،عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون،مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية– ١٩٩٠ م

أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق، فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل».

فقه الحديث: دل هذا الحديث على ما يأتي: أولا: إثبات كلام الله تعالى مع أنبيائه صلوات الله عليهم يوم القيامة بدليل تكليمه عز وجل لنبيه محمد ﷺ بقوله: «ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع» وهو ما ترجم له البخاري. ثانيا: إثبات الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة بدليل قوله عز وجل «اشفع تشفع» قال القاضي عياض: شفاعات نبينا ﷺ القيامة خمس شفاعات: الأولى: العامة: وهي التي تكون لفصل القضاء وإراحة الناس من المحشر. الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب. الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم نبينا ﷺ وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة. الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين - وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضا. الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة الأهلها. قلت: وقد دل حديث الباب على شفاعتين: الشفاعة العامة، والشفاعة لإخراج العصاة من النار بدليل قوله: « فيقال له: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان»[1].

(٦). إنكارهم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

إن رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة قبل دخول الجنة، وبعده متفق عليه عند أهل السنة، والجماعة، وسيأتي ذكر الأدلة على صحة ذلك عقلًا وشرعًا في الشرح بعد قليل. وذهبت الفلاسفة، والجهمية، والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج، والإمامية وغيرهم إلى نفي رؤية اللّٰه عز وجل بالأبصار بناء على نفيهم الجهة عن اللّٰه عز وجل واستدلوا بأدلة عقلية ونقلية،ثم اختلفت المعتزلة على أنفسهم هل يرى اللّٰه في القلوب بمعنى أنهم يعلمونه في قلوبهم، فالجمهور منهم قالوا: نرى اللّٰه بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بها، وأنكر بعضهم ذلك[2]

(١) أخرجه الشيخان والنسائي

(٢) «الكوراني ،شهاب الدين أحمد بن إسماعيل (٨١٢ - ٨٩٣ هـ) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع:المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي،أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية- ٢٠٠٨ م،ج٤،ص٢٩٩.

المبحث الثالث: فقه الخوارج وأثره على الأمن الفكري:

(١). وجدوا في القرآن أشياء تختلف عليهم:

وَقَالَ المِنْهَالُ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧) ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣)، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟ وَقَالَ: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ (النازعات: ٢٧) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٣٠) فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ٩) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿طَآئِعِينَ﴾ (فصلت: ١١) فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ وَقَالَ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٦)، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦)، ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ فَقَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون: ١٠١): «فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فَلَا أَنْسَابَ (الزمر: ٦٨) بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣)، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ المُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (البقرة: ١٠٥) الآيَةَ، وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَدَحْوُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاءَ وَالمَرْعَى، وَخَلَقَ الجِبَالَ وَالجِمَالَ وَالآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٣٠). وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ٩). فَجُعِلَتِ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٦) سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلَا يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ القُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ « قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:[١]

(٢). إنكار الخوارج التحكيم:

لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ)، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٢٧)

لَهُ: (إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ) ، قَالَ: فَإِنِّى أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: (لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ) . قال المهلب: فيه جواز التحكيم فى أمر الحرب وغيره، وذلك رد على الخوارج الذين أنكروا التحكيم على عليّ. وفيه: أن التحاكم فى الدنيا إلى رجل معلوم الصلاح والخير لازم للمتحاكمين. فكيف بيننا وبين عدونا فى الدين؟ وأن المال أخف مؤنة من النفس والأهل. وفيه: أمر السلطان والحاكم بإكرام السيد من المسلمين، وجواز إكرام أهل الفضل فى مجلس السلطان الأكبر والقيام فيه لغيره من أصحابه وسادة أتباعه، وإلزام الناس كافة القيام إلى سيدهم.(١)

من حديث أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ بَعَثَ إليه النبي ﷺ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ». فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هؤلاء نزلوا عَلَى حُكْمِكَ». قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ. فَقَالَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ».وموضع الترجمة من الحديث لزوم حكم المحكم برضا الخصمين وإن لم ينتصب عمومًا، وهو ظاهر في جوازه في أمور الحرب وغيرها، وهو رد على الخوارج الذين أنكروا التحكيم على علي، والنزول على حكم الإمام أو غيره جائز، ولهم الرجوع عنه ما لم يحكم، فإذا حكم فلا رجوع، ولهم أن ينتقلوا من حكم رجل إلى غيره.وفيه: أن التحاكم إلى رجل معلوم الصلاح والخير لازم للمتحاكمين، فكيف بيننا وبين عدونا في الدين؟ فالمال أخف مؤنة من النفس والأهل.(٢)

(٣). إنكار الخوارج أن الْمَرْأَةُ لا تُنْكَحُ عَلَى عَمَّتِهَا:

عن جَابِرٍ، نَهَى النَّبِىّ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، مثله. وزاد الزهرى: فَنُرَى خَالَةَ أَبِيهَا بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ؛ لأَنَّ عُرْوَةَ حَدَّثَنِى عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: حَرِّمُوا مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ. أجمع العلماء أنه لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها وإن علت، ولا بين المرأة وخالتها وإن علت. وقال عبد الملك بن حبيب: ولا يجمع بين المرأة وعمة عمتها وعمة أبيها وخالة أبيها، وكذلك المرأة وخالتها وخالة خالتها وخالة أمها وعمة أمها. قال عبد الملك: وأما خالة عمتها(٣)

(١) ابن بطال: شرح صحيح البخارى ، ج٥،ص ٢٠١.

(٢) «ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح،المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ،دار النوادر، دمشق – سوريا- ٢٠٠٨ م،ج١٨، ج٢٥٧.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٧/ ٢١٦)

(٤). إنكار الخوارج رَجْم الْمُحْصَن:

قالـت الخـوارج: رويتم أن رسـول الله ﷺ، رجم ورجمت الأئمة بعـده، والله تعالى يقول في الإمـاء: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء:٢٥) ،والرجـم إتـلاف للنفس لا يتبعض، فكيف يكون علـى الإمـاء نصفه؟وذهبوا إلى أن المحصنـات: ذوات الأزواج قالـوا: وفـي هذا، دليل علـى أن المحصنة حدهـا الجلد. قال ابن قتيبة:ونحـن نقـول: إن المحصنات لـو كن في هذا الموضـع، ذوات الأزواج، لكان مـا ذهبوا إليه صحيحـا، ولزمت به هذه الحجة -وليس المحصنات- ههنـا إلا الحرائر.وسمين محصنات، وإن كـن أبـكارا، لأن الإحصان يكون لهن وبهن، ولا يكـون بالإماء.فكأنه قـال: «فعليهن نصف ما على الحرائـر مـن العذاب» يعني: الأبكار.وقـد تسمي العرب البقرة «المثيرة» وهـي لم تثر من الأرض شيئا.قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ (الْآيَة ٢٥ سُورَة النِّسَاء) وَالْمُحصنَات -هَهُنَا- الْحَرَائِرُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُنَّ ذَوَاتَ الْأَزْوَاجِ لِأَنَّ ذَوَاتَ الْأَزْوَاجِ لَا ينكحن.[١]

وَقَـالَ الْحَسَنُ: مَـنْ زَنَى بِأُخْتِهِ حُدَّ حَدَّ الزنًا.: عَلِيٍّ حِينَ رَجَمَ الْمَـرْأَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَالَ: قَدْ رَجَمْتُهَـا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وفيـه: الشَّيْبَانِيِّ: سَأَلْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِـى أَوْفَى: هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ؟ قَـالَ: نَعَـمْ، قُلْتُ: قَبْلَ سُورَةِ النُّورِ أَمْ بَعْدُ؟ قَـالَ: لا أَدْرِى. وفيه: جَابِرٍ أَنَّ رَجُلا مِنْ أَسْلَمَ أَتَى رَسُولَ اللَّه ﷺ فَحَدَّثَهُ أَنَّهُ قَدْ زَنَى، فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِه أَرْبَعَ شَهَادَات، فَأَمَرَ به رَسُولُ اللَّه ﷺ فَرُجِمَ، وَكَانَ قَـدْ أُحْصِـنَ. قال ابن المنذر: وقال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النسـاء: ٥٩) وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) فألـزم خلقه طاعة رسولـه، وثبتت الأخبار عن الرسول أنه أمر بالرجـم ورجم، ألا ترى قول على: رجمنـا بسنة رسـول الله ﷺ ورجم عمر بن الخطاب، فالرجم ثابـت بسنة رسول الله ﷺ وبفعل الخلفـاء الراشدين وباتفاق أئمة أهل العلم، منهم مالك بـن أنس فى أهل المدينة، والأوزاعى فى أهـل الشام، والثـورى وجماعة أهل العـراق، والشافعى وأحمـد وإسحاق وأبو ثـور. ودفع الخوارج الرجم والمعتزلة واعتلوا بأن الرجم ليس فى كتاب[٢]

(١) ابن قتيبة الدينوري،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ): تأويل مختلف الحديث المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق١٤١٩هـ - ١٩٩٩م،ص٢٧٧، ٢٧٨،

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٤٣١)

(٥). انكار حديث الآحاد:

أَبُـو هُرَيْرَةَ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عن النَّبِىِّ ﷺ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، إِنِّى كُنْتُ امرأً مِسْكِينًا أَلْزَمُ النَّبِىَّ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِى، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الأَنْصَـارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَـامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: (مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّـى أَقْضِـىَ مَقَالَتِى، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًـا سَمِعَهُ مِنِّى) ، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً، كَانَتْ عَلَىَّ، فَوَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. هذا الباب يرد به على الرافضة وقوم من الخوارج زعمـوا بـأن أحـكام النبي وسننه منقولة عنه نقـل تواتر، وأنه لا سبيل إلى العمـل بما لم ينقل نقل تواتـر، وقولهم فى غايـة الجهل بالسنن وطرقها، فقـد صحت الآثار أن أصحـاب النبى ﷺ أخذ بعضهم السنن من بعض ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره عن النبى ﷺ وانعقد الإجماع على القول بالعمـل بأخبـار الآحاد، وبطل قول من خرج عن ذلـك من أهل البدع، هذا أبـو بكر الصديق على مكانـه لم يعلم النص فى الجدة حتى أخبـره محمد بن مسلمة والمغيرة بالنص فيها، فرجع إليه، وأخـذ عمـر بن الخطاب بما رواه عبد الرحمن بن عوف فى حديث الوباء، فرجع إليه، وكذلك أخذ أيضًـا عمـر بما رواه أبو موسى فـى دية الأصابع، فرجع إليه وأخذ أيضًا عمـر بما رواه المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فى دية الجنين، ورجع عمر إلى أبى موسى وأبى سعيد فى الاستئذان، وابن عمـر يحكـى عن رافع بن خديج النهى عن المخابرة فرجع إليه، والصحابة ترجع إلى قول عائشة: (إذا التقى الختانان وجب الغسل) وأيضًا ترجع إليها فى أن النبى ﷺ كان يصبح جنبًا من جماع غيـر احتـلام ثم يصوم. وأبو موسى يرجـع إلى حديث ابن مسعود فى ابنـة وابنة ابن وأخت وهذا الباب أكثر من أن يحصى.[١]

(٦). تيممهم مع وجود الماء ،وقصرهم في الحضر:

ومـن أقوالهـم -أعنـي الخـوارج- الخارجة عـن الدين: تيممهـم مع وجود المـاء، ويخادع الله ويسـأل عنه، ويأخذ الغني الـزكاة، ويتـأول ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ (محمد: ٣٨) ويقصـرون في الحضر، ويسمـون المسلمين فساقًا، ويقولون بخلق القـرآن، ونفي النظر إلى الله، ويشتمـون السلـف الصالح. وقال بعض الخوارج والرافضة: من فعل شيئًا من ذلك فهو كافر خارج مـن الإيمان؛ لأنهـم يكفرون المؤمـن بالذنوب ويوجبون عليـه التخليد في النـار بالمعاصي، ومن حجتهم ظاهر حديث الباب «لا يزني وهو مؤمن». وقال أبو هريرة: الإيمان فوقه هكذا، فإن هو تاب راجعـه الإيمـان، وإن أصر ومضى فارقه. وقال أبو صالح، عنـه: ينزع منه فإن تاب رد عليه، قالوا:

---

(١) نفس المصدر (١٠/ ٣٨٥)

ومــن نزع منــه الإيمان فهو كافر؛ لأنه لا منزلة بين الإيمان والكفــر، ومن لم يكن مؤمنًا فهو كافر، وجماعة أهل السنة وجمهور الأمة على خلافهم.

(٧). عدم اعتبارهم النصاب في حد السرقة

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَــدُهُ». قَــالَ الأَعْمَشُ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّــهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ، وَالْحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّــهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ. (فتح ١٢/ ٨١).

ذكر فيه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ». قَالَ الأَعْمَشُ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، وَالْحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يساوي دَرَاهِمَ.

واحتجــت بــه الخوارج على عدم اعتبــار النصاب، وأنه يقطع في قليــل الأشياء وكثيرها، ولا حجــة لهــم فيه؛ لأن آيــة السرقة لما نزلت قال - عليــه السلام -: «لعن الله الســارق ..» إلى آخره مــا نــزل عليه في ذلك الوقت، ثم أعلمه أن القطع لا يكــون إلا في ربع دينار فما فوقه، على ما روته عائشة - رضي الله عنها - كما يأتي، ولم يكن - عليه الصلاة والسلام - يعلم من حكم الله إلا ما علمه الله، ولذلك قال: «أوتيت الكتاب ومثله معه» يعني من السنن، قاله ابن قتيبة

جَــاءَ أَبُو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ عَلَى فَرَسٍ فَصَلَّى وَخَلَّى فَرَسَهُ فَانْطَلَقَتِ الْفَرَسُ فَتَرَكَ صَلاتَهُ وَتَبِعَهَا حَتَّــى أَدْرَكَهَــا فَأَخَذَهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَضَى صَلاتَهُ وَفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ فَأَقْبَلَ يَقُولُ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ تَــرَكَ صَلاتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ فَأَقْبَلَ فَقَالَ مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ إِنَّ مَنْزِلِي مُتَــرَاخٍ فَلَــوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُهُ لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ وَذَكَرَ أَنَّهُ قَــدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ، و (قضــى) أي أدى والرجل صاحب الرأي قــد كان رأي الخوارج و (متراخ) أي متباعد و (تركته) أي الفرســ وفــي بعضهــا تركتهــا و (الفرس) تقع على الذكــر والأنثى لكن لفظــه مؤنث سماعي و (تيسيــره) صلــى الله عليه وسلم على الأمة وأنه قد رأى من التسهيل ما حمله على ذلك إذ لا يجوز لــه أن يفعلــه من تلقاء نفسه وفيه أن من انفلتت دابته وهو في الصلاة يقطعها ويتبعها وكذلك بكل من خشي تلف ماله.[1]

---

(١) الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ): الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان- ١٩٣٧م، ج٢٢، ص ٤)

(٨). إنكار الْمَسْح عَلَى الْخُفَّ

عَـنْ سَعْـدِ بْـنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَـى الْخُفَّيْنِ. فإنه لا ينكر المسحَ على الخفين إلا الخوارجُ والروافضُ. وأجيب: أن حديث المسح يرويه سبعون صحابيًّا منهم علي بن أبي طالب. روى مسلم عن عائشة سُئلت عن المسح، فقالت للسائل: سَلْ عليًّا؛ فإنه كان يسافرُ مع رسول الله ﷺ فســأل، فقــال: وقتَ لنا رسولُ الله ﷺ للمسافر ثلاثة أيـام بلياليها، وللمقيم يومًا وليلةً. وفـي مسلـم رُوي حديث المسح عـن جرير بن عبد الله. قال النـووي: وكان يعجبهم حديث جرير، لأنــه أسلَمَ بعد نزول المائدة، فـلا تكون آية المائدة ناسخةً له. وفي سنن البيهقي عن إبراهيم بن الأدهم: ما سمعتُ في المسح على الخفين أحسن من حديث جرير.[١]

قال ابن الحداد: وهذا قول الخوارج، قالوا: كل ما عُصي الله به فهو كبيرة يخلد صاحبه في النار. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (الجن: ٢٣) قالوا: فالـكلام على العمـوم في جميع المعاصي.وعن ابـن عباس قول آخر حكاه الطبـري قال: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب فهو كبيرة.[٢]

إن قيـل: أليس قد قــال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»،فكيف لم يـدع خالداً أن يقتله وقد أدركه؟قيـل: إنما أراد بـه إدراك زمان خروجهم إذا كثروا، وامتنعوا بالسـلاح، فاعترضوا الناس بالسيـف ولـم تكن هذه المعاني مجتمعة إذ ذاك، فيوجد الشـرط الذي علَّق به الحكم ، وإنما أنذر صلـى الله عليـه وسلم بأن سيكـون ذلك في الزمــان المستقبل وقد كان، كما قــال صلى الله عليه وسلـم، وأول مــا نجـم من ذلك في أيام علـي بن أبي طالب رضـي الله عنه ثم اتصـل إلى زماننا هذا».[٣]

قــال رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِــي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْـدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَــاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ». و(أحداث): جمع «حـدث» بفتحتين: الصغير السن. و(الأحلام): جمع «حلم» بالكسر: وهو «العقل». و(حناجرهم):

---

(١) الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد (المتوفى ٨٩٣ هـ: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري،المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية،دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان- ٢٠٠٨ م(١/ ٣٥٧

(٢) ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح،المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ،دار النوادر، دمشق - سوريا- ٢٠٠٨ م٢٨/ ٢٥٣)

(٣) «أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ): أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود،جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)- ١٩٨٨ م،٣/ ١٥٣٤)

جمـع «حنجـرة» بوزن قسـورة: الحلقوم والبلعـوم. و(الرمية): بفتـح الراء وكسـر الميم وتشديد التحتية: الشيء الذي يرمى ويطلق على الطريدة من الوحش.[١]

وخلاصــة الأمــر أن هذا المبحث سلط الضوء على فقه الخــوارج الذي كانت لأخذهم ما أشـكل عليهم من القــرآن وانشغلوا بالمتشابه مــن القرآن الكريم وأنكروا حديـث الآحاد ،وأنزلوا الآيـات فـي غير مكانها فانحرفوا في المنهـج: فأنكروا: الرجم ،ومسح الخـف واجازوا التيمم مع وجـود الماء، وأنكروا وجود نصاب في حد السرقة،وانكروا عدم الجمع بين المرأة وعمتها وانكروا الصلـوات الخمس واكتفوا بوقتين وردتا في القرآن الكريم وانتهى الأمر بتكفيرهم كل من خالفهم فعملوا في الناس قتلاً مادّين أيديهم لأعداء الأمة، ومثلهم في العالم كثر نسأل الله أن يقينا الفتن.

الخاتمة

(أ). النتائج

أولاً: إن الإمــام البخــاري عاشـ في عصر، كثرت فيه الفتن، وانتشــرت فيه الفرق الضالة: كالخوارج، والمعتزلة، والمرجئة وغيرها، ومنها من وجد الدعم السياسي من حكام ذلك العصر. وأن هــذه الفرق وخاصــة فرقة الخوارج كانت تمثـل مهددات ومحددات للأمــن الفكري من حيث عقيدتهم المنحرفة، وفقهم غير المتوازن.

ثانيــاً:إن انحراف الخــوارج العقدي وعدم توازنهم الفقهى أدى إلــى انحرافهم في السلوك فتركوا الكفار والمشركين في أمن، بينما كفروا المسلمين وسفكوا دماءهم .

ثالثــاً: إن الإمــام البخاري قد رد على تلك الفرق من خلال كتابــه الجامع الصحيح مما نتج عنه فقها ينفعنا اليوم في معرفة صفات خوارج اليوم في فقهم وعقيدتهم لمعرفتهم والتنبيه إليهم قبل أن يستفحل أمرهم

رابعــاً:إن في صحيح البخاري فوائد فــي الأمن النفسي وأمن المجتمع والأمن الصحي وأمن الأبـدان وفيه إشارة إلــى المهددات الفكرية والاجتماعية ومن هناتأتــي أهميته في تسليط الضوء عليه وطرح بعض القضايا الملحة التي فرضها العصر لنجد الحلول الناجعة لها.

(ب). التوصيات:

أولاً: نثمــن الطرح العصري الــذي خصصه المشرفون على المؤتمر :لفقه الإمام البخاري، واستنباطاته العميقة،

(١) السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١ هـ) التوشيح شرح الجامع الصحيح:المحقق: رضوان جامع رضوان،مكتبة الرشد – الرياض- ١٩٩٨(٩/ ٤٠٥٦

ونوصـي بتتابـع المؤتمرات عن كتب الحديث بصفة عامة، وصحيـح للإمام البخاري بصفة خاصة.

ثانياً:عقـد مؤتمر عن الفـرق الإسلامية من خلال كتب الحديث وعقد مقارنة بين الفرق في عصرهم وعصرنا لإبراز وجه الشبه والاختلاف للتنبيه لانحراف سلوك تلك الفرق قبل أن تتمكن من فرض سيطرتها على المجتمعات والبلدان.

ثالثاً:عقـد مؤتمـر لدراسـة مقارنة لكتـب شرح الجامـع الصحيح للا العصور.

رابعاً:عقد مؤتمر الإمام البخاري في دول مختلفة ومنها السودان .

المصادر(ترتيب حسب سنة الوفاة)

القرآن الكريم

(١) أبـو سليمـان حمد بـن محمد الخطابـي (ت ٣٨٨ هـ): أعلام الحديـث (شرح صحيح البخاري)

المحقـق: د. محمـد بن سعـد بن عبد الرحمـن آل سعود،جامعة أم القـرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)- ١٩٨٨ م

(٢)جمـال الديـن أبو عمر يوسـف بن عبد الله بن محمـد ابن عبد البر النمـري القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٦٣ هـ): الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري،قرأه وعلق عليه: عبـد الخالق بن محمـد ماضي،تقديم: محمد بن عمـر بن سالم بازمول: وقـف السلام الخيري، الرياض - المملكة العربية السعودية،٢٠٠٤ م

(٣)ابـن بطـال أبو الحسن علي بن خلـف بن عبد الملـك (المتوفى:٤٤٩هــ) شرح صحيح البخارى،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم،مكتبة الرشد - السعودية / الرياض- ٢٠٠٣م

(٤)يحيـى بـن (هُبَيْرَة بن) محمـد بن هبيرة الذهلـي الشيبانيّ، أبو المظفـر، عون الدين (المتوفـى: ٥٦٠هــ) الإفصـاح عـن معانـي الصحاح،المحقـق: فـؤاد عبـد المنعـم أحمـد،دار الوطن،١٤١٧هـ

(٥)ابـن، رجب زيـن الدين عبد الرحمن بن أحمد (المتوفـى: ٧٩٥هـ) : فتح الباري شرح صحيـح البخاريى تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصـود وآخرون.،مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ١٩٩٦م

(٦) الكرمانـي ،محمـد بـن يوسف بن علـي بن سعيد، شمـس الدين الكرمانـي (المتوفى:

٧٨٦هـ): الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان-١٩٣٧م

(٧) ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح،المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ،دار النوادر، دمشق - سوريا- ٢٠٠٨ م

(٨) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

(٩) ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري،المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - صبحي بن جاسم السامرائي،مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية- ١٩٩٣ م

(١٠) أبو الفضل ابن حجر العسقلاني):تنبيه: تم فصل التجريد على التنقيح في كتاب مستقل بهذا البرنامج «المكتبة الشاملة»المحقق: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني، أبو تميم نادر مصطفى محمود: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر- ٢٠٠٥ م

(١١) ، الحافظ ابن حجر العسقلاني مأخوذ من كتابه فتح الباري: فتح السلام شرح عمدة الأحكام،جمعه وهذبه وحققه: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر،مصدر الكتاب/ أرسله المؤلف جزاه الله خيرا

(١٢) العيني ،أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي - بيروت

(١٣) الكوراني ،أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد (المتوفى ٨٩٣ هـ: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري،المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية،دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان- ٢٠٠٨ م

(١٤) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) التوشيح شرح الجامع الصحيح:المحقق: رضوان جامع رضوان،مكتبة الرشد - الرياض- ١٩٩٨

(١٥) القسطلاني،شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك (المتوفى: ٩٢٣هـ) :إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ

(١٦) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (المتوفى: ٩٢٦ هـ): منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»،اعتنى

بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية٢٠٠٥ م

(١٧) السفيري ،شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد (المتوفى: ٩٥٦هـ) :لمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري ،حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ٢٠٠٤ م

(١٨) الغنيمان،عبد الله بن محمد الغنيمان:شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ

(١٩) محمَّد الخَضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ): كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ، مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٩٥ م(

(٢٠): عبد العزيز بن عبد الله بن باز، لحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري بقلم: أبي محمد عبد الله بن مانع الروقي،دار التدمرية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

(٢١) حمزة محمد قاسم :منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري،راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط،عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون،مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية- ١٩٩٠ م

(٢٢) (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه (المتوفى: ١٣٥٣هـ) :فيض الباري على صحيح البخاري،المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان- ٢٠٠٥ م

(٢٣) الكوراني ،شهاب الدين أحمد بن إسماعيل (٨١٢ – ٨٩٣ هـ) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع:المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي،أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية- ٢٠٠٨ م

(٢٤) شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي (المتوفى: ٨٣١ هـ): الفوائد السنية في شرح الألفية،تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، – ٢٠١٢ م

(٢٥) ابن قتيبة الدينوري،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ): تأويل مختلف الحديث المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

د. أحمد إبراهيم الحاج

من مهدّدات الأمن الفكري في صحيح الإمام البخاري

مقدّمة

إنّ الحمـد للّه نحمـده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شـرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مـن يهـده اللّه فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء:١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

أمَّا بعدُ : ضمن عناية واهتمام أكاديمية الإمام البخاري بنشر وترسيخ الأمن الفكري – أحد أسس إعداد الجيل الصالح لحمل الدعوة وخدمة المجتمع – عقدت مؤتمراً برعاية سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبد اللطيف دريان حفظه اللّه بعنوان: (معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه) ، غايته بيان منزلة صحيح البخاري، وتأكيد تأصيل مفهوم الإيمان، وتوضيح جهود الإمام البخاري في الحفاظ على الأمن الفكري ومعالم الوسطية والاعتدال، والرد على المكفّرة، وقد تناول المؤتمر عدداً من المحاور الرئيسية .. وكان لي شرف المشاركة في هذا المؤتمر من خلال تقديم هذا البحث ضمن المحور الثالث من محاور المؤتمر : (تأصيل محدّدات الأمن الفكري، ومهدداته في صحيح الإمام البخاري).

وتظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية :

١- الوقـوف علـى دور الإمام البخاري فـي تأصيل معالم الأمن الفكـري ، ومعرفة محدّداته للاستفادة منها في حياة الفرد والمجتمع والأمة .

٢- المساعـدة على معرفة عوامل الإخلال بالأمن الفكـري ومهدّداته، وضبط الآثار السلبية الناتجة عن ذلك، للعمل على الحذر منها ووضع سبل مواجهتها.

٣- الدعـوة إلى التـزام الوسطية والاعتـدال وصولاً إلـى حماية الأفراد، وحفـظ واستقرار المجتمع، وصيانة الأمة من التفكك.

وقـد جعلـت هذا البحث بعنوان: (من مهدّدات الأمن الفكري فـي صحيح الإمام البخاري)، فكان في مقدمة وتمهيد و تسعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتحتوي على الاستفتاحية، وسبب وأهميّة البحث، وبيان خطة ومنهج البحث.

تمهيد: وفيه معنى الأمن، وحاجة الناس إليه، وأهداف الأمن الفكري، ومعالم الأمن الفكري في صحيح البخاري .

المبحث الأول: الجهل في الدين .

المبحث الثاني: الفتوى بغير علم .

المبحث الثالث: سوء الفهم .

المبحث الرابع: التكفير .

المبحث الخامس: الخوارج .

المبحث السادس: التشدّد والغلو .

المبحث السابع: التخوين والاتهام وسوء الظن وبث الإشاعات .

المبحث الثامن: الجدل .

المبحث التاسع: كثرة الفرق .

الخاتمـة: وتحتـوي علـى خلاصـة موجـزة عن أهـم نقـاط البحث، وعـدد مـن التوصيات والمقترحات، متبوعة بذكر المصادر والمراجع والفهرس .

وبعـد هـذا العرض أرى لزاماً علـيّ أن أتقدم بالشكر والعرفان بالفضـل لكل من أقام ورعى وشارك في هذا المؤتمر وبذل فيه جهداً ، فجزاهم اللّه خير الجزاء ، وبارك جهودهم الخيّرة .

أسـأل اللّه سبحانـه وتعالى أن يوفّقنا إلى الخيرات ، والعمـل بالطاعات ، وترك المنكرات ، وصلّى اللّه على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، والحمد للّه ربّ العالمين .

تمهيد

الأمـن يعني السكينـة والاستقرار النفسي والاطمئنان القلبـي ، واختفاء مشاعر الخوف من النفس البشريـة . وهو من الاحتياجـات الضرورية لحياة الإنسان واستقـراره ، وهو نعمة من نعم الله، مـنّ بها علـى عباده ، فقـال : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش:٤). وأكّد ذلك النبي ﷺ فقال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[1].

والأمـن مطلب حيـويّ لا يستغني عنه مخلـوق، ولأهميته دعا به إبراهيـم عليه السلام لمكة أفضـل البقاع : قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾ (البقرة:١٢٦). وقال : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ (إبراهيم:٣٥).

والأمـن متعدّد الصور والأنـواع ، فمنه : النفسـي والثقافي والفكري والعسكـري والسياسي والاقتصادي والمائي والوطني والوقائي والغذائي ...

الأمـن الفكري أحد أنـواع الأمن ، وهو مصطلح جديد تعددت تعريفاته ، فهو عند المسلمين : أن يعيشـ أهل الإسـلام في مجتمعهم آمنين مطمئنّين على مكوّنـات شخصيّتهم وتميُّز ثقافتهم وأفكارهم المنبثقةِ من الكتاب والسنّة .

لقـد تعرّضت مجتمعـات المسلمين اليوم إلى أخطار فكريّة متعـدّدة ، أثّرت على المعتقدات والقيم الإسلامية، وأدّت إلى ظهور وانتشار التّطرف والإرهاب والفساد الفكري .

وأهداف الأمن الفكري كثيرة ، أهمها :

١- صيانـة عقول أفراد المجتمع من كل انحراف فكـري أو عقدي أو تطرّف وغلو يخالف ما نصّت عليه تعاليم الإسلام الحنيف أو أنظمة المجتمع وتقاليده .

٢- الحفاظ على سلامة المجتمع من الاتّجاهات الفكرية الضالّة المضلّة ، وحمايته من ردود الأفعال تجاه الأحداث .

٣- سلامة العقيدة والفقه والثقافة والأصول والقيم والأخلاق والأعراف .

٤- حماية المكتسبات والوقوف بحزم ضد كل ما يؤدي إلى الإخلال بالأمن .

---

(١) رواه الترمذي كتاب الزهد ، باب رقم ٣٤ ، (٤/٥٧٤) رقم (٢٣٤٦) ، وقال : حديث حسن غريب .

يشكل كتاب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) - المعروف بصحيح البخاري - مرجعاً مهماً في فهم العلوم المباشرة (العقيدة والتفسير والأحكام والأخلاق والآداب ...)، بالإضافة إلى أخذ واستنباط المعالم في كثير من الجوانب، كان منها ما أطلق عليه مؤخّراً: (الأمن الفكري)، الذي نجده في جملة من الأمور التي ذكرها الإمام البخاري في صحيحه، تحدّد معالمه، وتبيّن مهدّداته. وقد أوجزت الحديث عن مهدّدات الأمن الفكري في تسعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الجهل في الدين

الجهل بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ، وعدم معرفة الأحكام، والجهل بمقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، أو عدم التوفيق في مراعاة ذلك، يجعل فريقاً من الناس لا يبالون بعواقب أقوالهم وأفعالهم، كما أن كثيراً منهم يجهل معاني كلام أهل العلم، أو يسيء إنزاله على الواقع، أو ينسب إلى العلماء ما ليس من مذاهبهم، فينتج عن ذلك كله ظهور فكر منحرف عن ضوابط وقواعد الشرع، وهذا الأمر علامة من علامات الساعة، ولقد عقد الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه باباً في ذلك فقال: (بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَظُهُورِ الجَهْلِ)[(١)]. وذكر جملة من الأحاديث في هذا الباب، منها: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ..»[(٢)]. وعن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ..»[(٣)].

وبيّن اقتران ظهور الجهل بكثرة القتل: عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»[(٤)]. وعن عبد الله وأبي موسى قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ، وَالهَرْجُ: القَتْلُ»[(٥)].

فرفع العلم وظهور الجهل مُخلّ بحفظ الدّين، فإذا تصدّر أهل الجهالة المجالس، وأصدروا الفتاوى، وارتقوا المنابر، وتحكّموا بمجريات الأمور، وكانت لهم مكانة وكلمة، أنتج ذلك أشخاصاً

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رقم (٢١)، ص (٤١).

(٢) رواه البخاري كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ص (٤١) رقم (٨٠). وانظر الأحاديث: (٥٢٣١ و٥٥٧٧ و ٦٨٠٨). ومسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) رقم (٢٦٧١).

(٣) رواه البخاري كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ص (٤١) رقم (٨١).

(٤) رواه البخاري كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا باليد والرأس، ص (٤٢) رقم (٨٥). وانظر الأحاديث رقم (١٠٣٦ و١٤١٢ و٣٦٠٨ و٣٦٠٩ و٤٦٣٥ و٤٦٣٦ و٦٠٣٧ و٦٥٠٦ و٦٩٣٥ و٧٠٦١ و٧١١٥ و٧١٢١).

(٥) رواه البخاري كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ص (١٧٧٥) رقم (٧٠٦٢ و٧٠٦٣). ومسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) رقم (٢٦٧٢).

يحملـون فكـراً منحرفاً، متحلّـلاً من كل الضوابط الشرعيــة، لا يتورّع عن فعل شــيء، فيصل إلى انتهاك الحرمات، وإراقة الدماء، وزهق الأرواح ، والإفساد في الأرض .

المبحث الثاني : الفتوى بغير علم

وهذا أمر ينتج عن الجهل ، فيتجرأ البعض بالتقوّل على الله، وإصدار الفتاوى بالرأي والظنّ والتخرّص مـن غير علم ولا برهان ، ممّـا يؤدّي إلى ضلال الإنسان بنفســه، وإضلال غيره، وهذا مــا أخبــر عنه النبي ﷺ أنه واقع في الأمة . عن عبد الله بــن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّه لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١) . وفي رواية أخرى: «إِنَّ اللَّه لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»(٢) .

فــي هذا الباب قال الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة من صحيحه: (بَابُ مَــا كَانَ النَّبِــيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْــزَلْ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَيَقُولُ: «لاَ أَدْرِي»، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلاَ بِقِيَاسٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء:١٠٥). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ)(٣) .

وروى الإمــام البخاري قول النبي ﷺ «لاَ أَدْرِي» في عدد مــن الأحاديث، منها: « لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَــى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَــوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُــونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَــلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّه »(٤). وفي حديث المعراج قال: «حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ»(٥) .

فالتورّع والتوقّف عن الفتوى بغير علم صمّام أمان لفكر الإنسان بنفسه ، وفكر غيره بسلامته من كل ما يفسد هذا الفكر .

---

(١) رواه البخاري كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ، ص (٤٦) رقم (١٠٠) . ومسلم كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٨/٤) رقم (٢٦٧٣) .

(٢) رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ، ص (١٨٣٢) رقم (٧٣٠٧) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب رقم (٨) ، ص (١٨٣٣) .

(٤) رواه البخاري كتاب الخصومات ، باب ما يُذكر في الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود ، ص (٥٧٦) رقم (٢٤١١). وانظر : (٣٤٠٨ و٣٤١٤ و٤٨١٣ و٦٥١٧ و٦٥١٨ و٧٤٢٨ و٧٤٧٢) . ومسلم كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (١٨٤٣/٤) رقم (٢٣٧٣) .

(٥) رواه البخاري كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، ص (١٠١) رقم (٣٤٩) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات ، وفرض الصلوات (١٤٨/١) رقم (١٦٣) .

المبحث الثالث: سوء الفهم

إن الفهـم الصحيـح نعمة من نعم الله، قال ابـن القيِّم – رحمه الله – : (وَصِحَّـةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُـهُ اللَّهُ فِي قَلْـبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيـحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِـلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَيَمُدُّهُ حُسْنَ الْقَصْدِ، وَتَحَرِّي الْحَقِّ، وَتَقْوَى الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَيَقْطَعُ مَادَّتَهُ اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَإِيثَارَ الدُّنْيَا، وَطَلَبَ مَحْمَدَةِ الْخَلْقِ، وَتَرْكَ التَّقْوَى)[(١)].

أمّـا سـوء الفهم للـكلام أو للفعل أو للواقع فهو سبيـل إلى سفاهة الأحـلام ، وزلل الأقدام ، والإساءة إلى الأنام ، يؤدي إلى المفاسد والآثام ، وصولاً إلى القتل والإجرام ، روى الإمام البخاري بسنده عن أسامة بن زيد قال: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُـمْ، وَلَحِقْـتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِـنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَـالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَكَفَّ الأَنْصَـارِيُّ، فَطَعَنْتُـهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُـهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَـغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَـةُ، أَقَتَلْتَـهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟» قُلْتُ : كَانَ مُتَعَوِّذًا ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ)[(٢)].

وعقد الإمام البخاري في كتاب استتابة المرتدين من صحيحه (بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (التوبـة: ١١٥) . وَكَانَ ابْـنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَقَالَ: « إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ»[(٣)].

ومـن بلايا سـوء الفهم : إساءة فهم مقاصـد العلماء في أقوالهم وأفعالهـم ، حيث يتناولها أصحـاب القلـوب المريضة والأفكار السقيمـة فيفسرونها على غير الوجه المـراد ، ممّا ينتج عنه الطعـن فـي العلماء ، وصولاً إلى الحكـم بتكفيرهم ، فيؤدي ذلك إلى هدم صـروح العلم والهداية والفضيلة ، ورفع صروح الغلو والتشدّد الفكري .

لقـد وجّـه النبي ﷺ إلى حُسن الفهم ، وعدم الإساءة فيه ، فقد روى الإمام البخاري بسنده عـن صَفِيَّـةَ – زَوْجِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ – أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَـزُورُهُ فـي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْـرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْـدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِـبُ، فَقَامَ النَّبِـيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَـا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَـابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٦٩/١) .

(٢) رواه البخاري كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، ص (١٠٤١) رقم (٤٢٦٩) . وانظر: (٦٨٧٢) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله (٩٦/١) رقم (١٥٨ و١٥٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، باب رقم (٦) ، ص (١٧٣٨) .

سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ »، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»[1].

فقد أراد النبي ﷺ من خلال هذا البيان أن يصحّح الأفهام ، ويصوّب الأفكار حتى تكون بمأمن من سوء الفهم وتفسير الأمور بمَا لا تُحمد عواقبه. فإنّ سوء الفهم يؤدي إلى سوء النيّة وسوء الظنّ، وسوء الفكر وسوء التصرّف .

المبحث الرابع : التكفير

إصدار الأحكام على الناس ، وتصنيفهم إلى مؤمن وكافر ، وإصدار أحكام التكفير بالشبهة أو بالمعصية أو بمخالفة الرأي أو غيرها من الأسباب التي لا يستحق صاحبها التكفير من المصائب التي ابتلي بها فريق من هذه الأمّة ، نسأل الله العافية والثبات على الحق . وكأنّ هؤلاء لم يسمعوا تحذير النبي ﷺ من إطلاق لفظ الكفر على أيّ مسلم ، وبيان عاقبة هذا التكفير .

إنّ الحكم على الإنسان بالكفر أمر خطير ، لا يجوز للإنسان أن يقدم عليه إلا ببرهان واضح، ودليل ساطع ، وحجّة بيّنة، عن عبادة بن الصامت قال: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[2].

أشار الإمام البخاري في صحيحه إلى هذه الأمور في عدّة مواضع، منها قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾ (الحجرات:١١): (يُدْعَى بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ)[3].

وقوله : (بَابُ مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ). وذكر فيه جملة من الأحاديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا »[4].

---

(١) رواه البخاري كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ، ص (٤٨١) رقم (٢٠٣٥) . وانظر الأحاديث: (٢٠٣٨ و٢٠٣٩ و٣١٠١ و٣٢٨١ و ٦٢١٩ و٧١٧١) . ومسلم كتاب السلام ، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظنّ السوء به (١٧١٢/٤) رقم (٢١٧٥) .

(٢) رواه البخاري كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها ، ص (١٧٧٤) رقم (٧٠٥٥ و٧٠٥٦). ومسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٧٠/٣) رقم (١٧٠٩).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الحجرات ، باب رقم (٤٩) ، ص (١٢٣٠) .

(٤) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ، ص (١٥٤٥) رقم (٦١٠٣) .

وعَـنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[١].

وعَـنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَـنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَـفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًـا فَهُـوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّـمَ ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: (فَمَعْنَى الْحَدِيث فَقَدْ رَجَعَ عَلَيْهِ تَكْفِيرُهُ ، فَالرَّاجِعُ التَّكْفِيرُ لا الْكُفْرُ ، فَكَأَنَّهُ كَفَّرَ نَفْسَهُ لِكَوْنِهِ كَفَّرَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ ، وَمَنْ لا يُكَفِّرُهُ إِلاَّ كَافِرٌ يَعْتَقِدُ بُطْلانَ دِينِ الإِسْلام ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَجَبَ الْكُفْرُ عَلَى أَحَدِهِمَا)[٣].

إنَّ ممّـا يؤسَف له أنّ الفكـر التكفيري قد تسرّب لمعاقل بعضـ المنتسبين لأهل السنة ممّن يؤلفون فيه ويدعون إليه ، ويقذفون من يعارضهم بالإرجاء أو العلمنة .

إنَّ التكفيـر حكـم شرعي ، إلاّ أنه يخضع لضوابط ، ولا يُكَفّـر إلاَّ من قام على تكفيره دليل لا معارضـ لـه من الكتاب والسنّة ، أو اتفق أهل السنة على تكفيره ، وأنَّ المسلم لا يكفّر بقول أو عمل أو اعتقـاد حتـى تقام عليه الحجّة ، وتزول عنه الشبهة ، وأنه يجب التفريق بين كفر الاطلاق وكفر التعيين ، ولا يكفّر المعين عند علماء السنة حتى تثبت شروط وتنتفي موانع .

ولا يخفى ما في هذا التكفير العيني من نتائج سلبيّة ومثالب عميّة ، وما ينجم عنه من الفتن والدّمـاء، والنكبـات والأرزاء، واستباحة الأموال والأعراض، ناهيك عن التفـرّق والتمزّق ، نتيجة غسل الأفكار، وحقنها بالسّم القاتل.

إنّ التكفير لا يصدر عن صاحب عقيدة صحيحة وفكر سليم ، إنّما هو نتاج فساد في المنهج والعقيـدة ، وظلمة فـي الفكر ، وهو باب خطير سقط فيه كثير من خلق الله ، من خاض فيه هلك ، ومـن توقّف فيه سلم . قال الإمام القرطبي: (بَـابُ التَّكْفِيرِ بَابٌ خَطِيرٌ ، أَقْدَمَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ فَسَقَطُوا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ الْفُحُولُ فَسَلِمُوا ، وَلاَ نَعْدِلُ بِالسَّلاَمَةِ شَيْئاً)[٤].

المبحث الخامس : الخوارج

أخبـر النبي ﷺ عن ظهور فئة من الناس، تخـرج عن منهج المسلمين ، وتعمل على زعزعة

(١) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ، ص (١٥٤٥) رقم (٦١٠٤). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٧٩/١) رقم (٦٠) .

(٢) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، ص (١٥٤٥) رقم (٦١٠٥) .

(٣) فتح الباري (٤٨١/١٠) .

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١١١/٣) .

أمـن الأمة بالقول والفعل، ذكرهم بأوصافهم، يصبّون عداءهم على المسلمين، ويتركون الأعداء، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَـا بَيْـنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ ، ثُـمَّ المُجَاشِعِيِّ ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ ، وَزَيْدٍ الطَّائِـيِّ ، ثُمَّ أَحَـدِ بَنِي نَبْهَانَ ، وَعَلْقَمَـةَ بْنِ عُلاثَةَ العَامِـرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِـي كِلابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ، قَالُوا : يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْـرِفُ الوَجْنَتَيْـنِ ، نَاتِئُ الجَبِينِ ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُـوقٌ ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلا تَأْمَنُونِي» ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ – أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ – فَمَنَعَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ : « إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا – أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا – قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لا يُجَـاوِزُ حَنَاجِرَهُـمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

قال الحافظ ابن حجر: (وَفِي الْحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّةِ حَيْثُ أَخْبَرَ بِمَا وَقَعَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ، وَذَلِـكَ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَمَّا حَكَمُوا بِكُفْرِ مَنْ خَالَفَهُـمْ اسْتَبَاحُوا دِمَائَهُمْ ، وَتَرَكُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ فَقَالُوا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَتَرَكُوا قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ وَاشْتَغَلُوا بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ عِبَادَةِ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْشَرِحْ صُدُورُهُمْ بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا بِحَبْلٍ وَثِيقٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَكَفَى أَنَّ رَأْسَهُمْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ)[2].

وعـن أبـي سعيد الخدري قال : بَيْنَمَا نَحْـنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا ، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ : « وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْـدِلُ إِذَا لَـمْ أَعْـدِلْ ، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَـمْ أَكُنْ أَعْدِلُ » . فَقَالَ عُمَرُ : يَـا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيـهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَـهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِـمْ ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لا يُجَـاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ... آيَتُهُـمْ رَجُـلٌ أَسْوَدُ ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْـلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَـدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»[3].

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ

---

(١) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، ص (٨١٧) رقم (٣٣٤٤). وانظر: (٣٦١٠ و٣٤٥١ و٤٦٦٧ و٥٠٥٨ و٦١٦٣ و٦٩٣١ و٦٩٣٣ و٧٤٣٢ و٧٥٦٢) . ومسلم كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٢/٢) رقم (١٠٦٤) .

(٢) فتح الباري (٣١٤/١٢) .

(٣) رواه البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٣) رقم (٣٦١٠) . ومسلم كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤١/٢) رقم (١٠٦٤) .

قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

قال الحافظ ابن حجر: (وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَالْمُرَادُ الْقَوْلُ الْحَسَنُ فِي الظَّاهِرِ ، وَبَاطِنِهِ عَلَى خِلافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِمْ : لا حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ ، فِي جَوَابِ عَلِيٍّ)(٢).

لقد وصف النبي ﷺ هؤلاء الأقوام بأنّهم يقولون من قول خير البرية، فهم مهرة في نَسْق الكلام، وغسل الأدمغة، وتشويش الفكر وفساده، إن لم يتمكنوا من توجيهه نحو أفكارهم، كل ذلك بحجّة أن هذه الأفكار موافقة للكتاب والسنّة، فإذا تأثر الفكر أو اقتنع بِمَا يروّجه هؤلاء أدّى ذلك إلى وقوع الاضطراب، وزرع الفتنة، ونشر الفوضى، وظهور الفساد، وكثرة القتل، كما نرى في بعض بلاد المسلمين.

المبحث السادس: التشدّد والغلو

دعا النبي ﷺ إلى ترك الغلو والتشدّد في الأمور، أو التهاون والتساهل فيها، ووجّه نحو اعتماد السّداد والمقاربة والقصد في القول والعمل، واختيار الصواب الموافق للشرع، وهي دعوة إلى الوسطية والاعتدال، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: (قَوْلُهُ «فَسَدِّدُوا» أَيِ الْزَمُوا السَّدَادَ ، وَهُوَ الصَّوَابُ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلا تَفْرِيطٍ . قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : السَّدَادُ التَّوَسُّطُ فِي الْعَمَلِ . قَوْلُهُ «وَقَارِبُوا» أَيْ إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الأَخْذَ بِالأَكْمَلِ فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ)(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»(٥).

---

(١) رواه البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٣) رقم (٣٦١١) . ومسلم كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٦/٢) رقم (١٠٦٦) .

(٢) فتح الباري (٣٠٠/١٢) .

(٣) رواه البخاري كتاب الإيمان ، باب الدّين يسر ، ص (٢٩) رقم (٣٩) .

(٤) فتح الباري (١١٧/١-١١٨) .

(٥) رواه البخاري كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ، ص (١٦٣٠) رقم (٦٤٦٣) . ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢١٦٩/٤) رقم (٢٨١٦) .

قال الكرماني : (القَصْدَ أي الْزَمُوا الوَسَطَ وَالاسْتِقَامَةَ)[1]. وقال ابن حجر : (القَصْدَ القَصْدَ بِالنَّصْبِ عَلَى الإِغْرَاءِ ، أَي الْزَمُوا الطَّرِيْقَ الوَسَطَ المُعْتَدِلَ)[2].

وقال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة : بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ في العلْم، وَالغُلُوِّ في الدِّين وَالبدَع ، لقَوْله تَعَالَى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١)[3].

إنّ أصحاب الفكر المتشدّد يتشدّدون في الأمور الصغيرة ، ويتهاونون في الأمور العظيمة ، كما روى البخاري بسنده عن ابن أبي نُعْم قال : كُنْتُ شَاهِدًا لابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَم البَعُوض، فَقَالَ : ممَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : منْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا ، يَسْأَلُنِي عَنْ دَم البَعُوض، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»[4].

ثم تكون نتيجة هذا الغلو والتشدّد: الانحراف أو الانتكاس، وكم رأينا من حال هؤلاء الذين وقعوا في الإفراط أو التفريط، ونتج عنهم خلل فكري، واضطراب عقلي، وتصرّف عدواني.

المبحث السابع: التّخوين والاتّهام وسوء الظنّ وبثّ الإشاعات

أصحاب التّخوين والاتّهام وسوء الظنّ وبثّ الإشاعات أصحاب قلوب مريضة، وأفكار سقيمة، أمر الله بالبعد عنهم، وتجنّب أفكارهم، وحذّر من نشر ظنونهم وأوهامهم، ولقد عقد الإمام البخاري في هذا الأمر أبواباً، منها : بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج:٣٠) ... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ ، فَلَيْسَ لِلَّه حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[5].

وبَاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ (الحجرات:١٢) ... عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّه إِخْوَانًا»[6].

---

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٢/٢٢٣) .

(٢) فتح الباري (١١/٣٠٣) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب رقم (٥) ، ص (١٨٢٩) .

(٤) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ص (١٥٢١) رقم (٥٩٩٤) .

(٥) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ ، ص (١٥٣٤) رقم (٦٠٥٧) .

(٦) رواه البخاري كتاب الأدب ، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ، ص (١٥٣٦) رقم (٦٠٦٦) .

ومن أمثلة الاتّهام والتخوين وبث الإشاعات الكاذبة ما قام به أهل الإفك من تسميم الأفكار وترويج الأكاذيب بِمَا اتّهموا به أمَّ المؤمنين عائشة العفيفة رضي الله عنها ، ولقد عقد الإمام البخاري في كتاب المغازي من صحيحه : باب حديث الإفك[1] . وفي كتاب تفسير القرآن ، بابُ قَوْلِه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[2]. وذكر في عدّة مواضع روايات مطوّلة من حديث الإفك، منها: (وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيه)[3].

إنّ هذا النوع من التصرّفات لا يصدر عن أصحاب عقول سويّة أو أفكار مَرْضِيّة ، إنّما هي نتاج فكر منحرف ، ونفوس سقيمة ، تعمل على نشر الفساد والإفساد في الأرض .

المبحث الثامن: الجدل

من الأمراض التي ابتُلي بها فريق من الناس : كثرة الجدل الذي أوقعهم في الضلال، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الزخرف:٥٨)[4].

وعقد الإمام البخاري في صحيحه عدّة أبواب في هذا، منها: بَابُ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤)[5]. وبَابُ قَوْلِه تَعَالَى ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤). وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦)[6].

وروى بسنده عن علي بن أبي طالب قال : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْلَةً، فَقَالَ : «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟ » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب رقم (٣٥) ، ص (١٠١٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة النور ، باب رقم (٥) ، ص (١١٩٠) .

(٣) رواه البخاري كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، ص (١٠١٣) رقم (٤١٤١) .

(٤) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الزخرف (٣٧٨/٥) رقم (٣٢٥٣) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه في المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل (١٩/١) رقم (٤٨) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الكهف ، باب رقم (١) ، ص (١١٧٥) .

(٦) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب رقم (١٨) ، ص (١٨٤٠) .

وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٖ جَدَلٗا﴾ (الكهف: ٥٤)[١].

فـإذا كان هـذا الأمر مع بساطته اعتبره النبي ﷺ من الجـدل ، فكيف بالذين يجادلون في آيـات الله ، ويضربـون بعضها ببعض ، ويتبعون المتشابه ؟ عن عائشـة رضي الله عنها قالت : تَلاَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ هَذِه الآيَةَ : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ قَالَـتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[٢].

وروى اللالكائي عن عُمَرَ قَالَ: «سَيَأْتِي أُنَاسٌ سَيُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، خُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَـإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَـمُ بِكِتَابِ اللَّهِ»[٣]. وعَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَـالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُخَاصِمَـكَ . فَقَـالَ الْحَسَـنُ: (إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنِّي قَـدْ عَرَفْتُ دِينِي ، وَإِنَّمَـا يُخَاصِمُكَ الشَّاكُّ فِي دِينِهِ)[٤].

المبحث التاسع : كثرة الفرق

تعدّدت الأفكار، وكثرت الفرق، وظهر الانقسام في صفوف الأمة، كلٌّ يريد نصر رأيه، وتأييد قوله، ودعم فرقته، فنرى الصراع الفكري، والخلاف الذي يؤدي إلى الهلاك ، وقد وجّه النبيﷺ إلـى التزام جماعـة المسلمين وإمامهم ، وعدم اتّباع الفرق ، ففي حديث حذيفة قَالَ: « نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَـى أَبْـوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» . قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَـا، وَيَتَكَلَّمُـونَ بِأَلْسِنَتِنَا » . قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِـكَ؟ قَالَ: « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُـمْ » . قُلْـتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَـامٌ ؟ قَالَ « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[٥].

(١) رواه البخاري كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ، ص (٢٦٦-٢٦٧) رقم (١١٢٧) . ومسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (٥٣٧/١) رقم (٧٧٥) .

(٢) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن ، بَابٌ ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾، ص (١١١٢) رقم (٤٥٤٧) . ومسلم كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن (٢٠٥٣/٤) رقم (٢٦٦٥) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٩/١) رقم (٢٠٢) .

(٤) المصدر السابق (١٤٤/١) رقم (٢١٥) .

(٥) رواه البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ص (٨٨٢) رقم (٣٦٠٦) . ومسلم كتاب الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٤٧٥/٣) رقم (١٨٤٧) .

الخاتمة

جاءت آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ، وتبعهما أقوال الأئمة والعلماء في هذه الأمّة، تدعو إلى حفظ العقل وصيانة الفكر ، وتنهى عن إفساده والإخلال فيه .

إن الإخلال بالأمن الفكري يترتب عليه الكثير من المفاسد والمضارّ ، من ذلك :

الخلل في الدين : فمن فسد فكره أصابه خلل في دينه ، وهو على خطر عظيم ، يؤدّي إلى ترك طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والوقوع في العصيان ، فيُخشى عليه سوء الختام ..

هدم هوية الأمة : عندما ينتشر الفكر الضالّ المنحرف ، يقع التنازع ، وتتفرّق كلمة الأمة، فيطمع بها الأعداء ، ويسعون لإخضاعها والسيطرة عليهما ، مِمّا يُسبَّب ضياع هوية الأمة .. فالفكر السليم هو الهوية التي تُعرف وتُميّز به هذه الأمة .. والفكر الفاسد إضاعة لهذه الهويّة ..

ضعف وهلاك الأمّة : وجود الفكر السليم الآمن مصدر من مصادر قوة الأمة بأكملها ، وحماية وصون لها من الضعف والهلاك ، ووجود الفكر المنحرف ضعف للأمة وهلاك لها ، وذهاب لريحها ، وتمزيق لجسدها ، وتشتيت لقوتها ، وفشل لجهودها ..

الزّيغ والضّلال : إنّ الفكر النظيف سبيل من سبل النّجاة من كلّ أنواع الزيغ والضلال والخروج عن الحق ، والوقوع في المعاصي والمخالفات .. فإذا تُرك هذا الفكر ظهرت الصور المخالفة لتعاليم الإسلام .

وجود جماعات متعدّدة : وحدة الفكر النابع من فهم صحيح للشرع تعني اجتماع الكلمة ، ووحدة الصف ، والثبات على الحق ، والتزام الهدى ، والعصمة من الخلاف .. أما تفرّق الفكر فإنه يعني تعدد الآراء ، وكثرة اختلاف وجهات النظر ، وعدم الاجتماع على كلمة واحدة ، مِمَّا يؤدّي إلى وجود جماعات متعدّدة مختلفة ، لا تلتقي على رأي ، ولا تجتمع على كلمة .. تنتشر العداوة بينها ، ولا تصفو قلوب أتباعها .. مِمّا يؤدّي إلى إضعاف كيان الأمة ، وإنهاك قواها ، وتدمير مقوّماتها ، وذهاب مكتسباتها ، وهذه الأمور تُسهّل على أعداءها السيطرة والاستيلاء والتسلّط عليها ، فيفتح ذلك المجال أمام الطامعين لتحقيق أطماعهم .

ظهور الفتن : ترك الفكر الآمن يُعطي الفرصة المناسبة لإثارة وانتشار الفتن في المجتمعات الإسلامية ، ويؤدّي إلى دخول أهل الغايات والأغراض والمندسّين في صفوف الأمة .. مِمّا يُمهّد ويؤسّس للقضاء على بلاد المسلمين ، ثم الهيمنة والسيطرة عليها . ولنا في التاريخ عبرة وعظة : فقد تكررت الفتن بسبب الأفكاء الضالّة ، فشُقّت عصا المسلمين ، وتفرّقت كلمتهم ، وتشتتت

جماعتهـم ، وتَمزّقـت وحدتهم ، وانشغل بعضهم بقتل بعض ، فهانت قوتهم ، وقويت شوكة عدوهم ، واستولى الكفار على بلاد المسلمين ، فتحكّموا بهم وأذلوهم وأهانوهم ..

ظهـور الشـرك : الفكر الصحيح يعني الاجتماع والوحـدة ، وله دور عظيم في حماية حياض التوحيد ، ومواجهة ومحاربة صور الشرك .. فهو يشكّل السدّ المنيع في وجه الشرك وأهله ، والفكر المنحرف يسمح بظهور أنواع الشرك والوثنية التي كانت سائدة من قبل .

انتشار التّكفير : الفكر الضال المنحرف يؤدّي إلى الغلو في التّعامل مع الحاكم ، فيُنسب تارة إلى الظلم ، ويُكفّر تارة بدون برهان أو دليل واضح ، ثم يوصل ذلك إلى تكفير من لم يكفّر الحاكم ، فينتشر تكفير المجتمع المسلم ، والحكم بإخراج المسلمين عن دينهم .

فالتكفيـر بالشبهـة أو بالمعصيـة أو بمخالفة الـرأي أو غيرها من الأسبـاب التي لا يستحق صاحبها التكفير من المصائب التي ابتلي بها فريق من هذه الأمّة ، نسأل الله العافية والثبات على الحق .

استباحـة الدّماء والأمـوال : الخروج عن المنهج الفكري السليم يوصـل إلى التكفير ، وهذا التكفيـر يؤدّي إلى الاستهانـة بالدماء والأموال والأعراض ، ثم إلى استباحتها بغير حق ، وانطلاق أيدي السفهاء .. مِمّا ينشر الخوف والذّعر مكان الأمن في المجتمعات .

الخـراب والدمـار : الخروج عن الفكر الآمن ينتـج عنه الخلل في الدّين ، وصـولاً إلى الزّيغ والضّـلال ، ووقـوع الخـلاف ، وتعـدّد الجماعات ، وظهـور الفتـن ، وانتشار التكفيـر ، واستباحة المحرّمـات ، وكلّ هـذه الأمور نتيجتها الخـراب والدّمار فـي المجتمعات ، فتُنـزع البركة، وتُمنع الرّحمـة ، وينـزل البـلاء والعـذاب ، وتنشأ المفاسـد والشرور، وتتعطّـل مصالح النّاس الدّينية والدّنيويـة ، مـن أعمال وتجارة ، وسفر وطلب علم ، وإقامة الجمعة والجماعة ، وحجّ وعمرة ، وأمر بالمعـروف ونهي عن المنكر ... وتنتشر أعمال التفجيـرات والاغتيالات التي تزهق الأرواح، وتقتل الأنفـس المعصومة الدّم ، وتَهـدم البيوت ، وتُفسد المصالح والمنشـآت العامّة ، وتزعزع الأمن ، وتنزع الطمأنينة ، وتُثير الرّعب ، وتصدّ النّاس عن دين الله .

الفكر السليم هو الحصن الحصين ، والدّرع المتين ، وهو سفينة النجاة ، وسبيل الحياة ..

التّوصيات والاقتراحات :

ونحـن اليوم نواجه حالات نشر الأفكار الضّالة المنحرفـة .. ونشاهد الآثار المرّة والمروّعة لهذه الأفكار .. نوصي بما يلي على كافة المستويات الرسمية والفكرية والشعبية :

- النّظر إلى مسألة الأمن عموماً والأمن الفكري خصوصاً على أنّها قضية أوليّة .

- تنظيم برامج تستهدف توضيح الصورة الحقيقية للفكر الصحيح ، وأهمية الالتزام بها .

- بثّ أخبار يومية توزّع عن طريق الصحف ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي عن نتائج وآثار الإخلال بالأمن الفكري .

- تنظيم حملات تعريفية لفئات مختارة من المجتمع ، كالعمال والموظفين والطلاب .. من أجل بيان مفهوم الأمن الفكري وآثار ونتائج الالتزام به أو الخروج عنه .

- الاكثار من استخدام الوسائل المتنوعة ، كتوزيع الكتب والنشرات ، وإقامة المحاضرات والندوات ، والمهرجانات والمعارض والمؤتمرات ..

- الاهتمام بتوعية وتثقيف العنصر النسائي ، نظراً لأهميّة المرأة في التربية والتوجيه المنزلي ، والتعليم المدرسي والجامعي خصوصاً بين النساء .

- التركيز على المؤسسات والمناهج التعليمية وخصوصاً الثانوية والجامعية ، لأنّها أرض خصبة لاستقطاب كافة الأفكار والتوجّهات .

- اختيار جمع من أهل العلم والفكر والدّعوة من قطاعات مختلفة لوضع وتنفيذ خطط عمل تهتم بهذا الموضوع .

- إبراز أهم البحوث والدراسات التي تناولت هذا الجانب وركّزت عليه ، ونشرها حتى تتم الاستفادة منها .

- إنشاء مواقع الكترونية على الشبكة العنكبوتية تهتم بهذا الجانب ، وتوجه الرسائل ، وتضع الحلول ، وتساهم في تصحيح الأفكار وما يشوبها من خلل أو انحراف أو فساد .

- إعداد بحوث ودراسات ميدانية تُعنى بإحصاء الآثار الناتجة عن الإخلال بالأمن الفكري في دولنا العربية والإسلامية .

المصادر والمراجع

إعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) ، رتبه وضبطه : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م .

سنـن الترمـذي (الجامع الصحيـح) ، أبو عيسى محمد بـن عيسى بن سَـوْرة ، الترمذي، (٢٧٩هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر (١، ٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (٣) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (٤، ٥) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م .

صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامـه) ، أبـو عبدالله محمد بن إسماعيـل بن إبراهيم بن بَردِزبَه البخـاري (٢٥٦هـ) ، تخريج وضبـط : صدقـي جميل العطـار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـع – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م .

صحيـح مسلم (المسند الصحيـح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسيـن مسلم بن الحجـاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) ، تحقيـق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه : محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبـد الباقي، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م.

الكواكـب الـدراري في شرح صحيح البخـاري ، محمد بن يوسف بن علي بـن سعيد ، شمس الدين الكرماني (٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى : ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

المفهـم لمـا أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، الإمام الحافـظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيـم القرطبـي (٥٧٨-٦٥٦ هــ) ، تحقيق : محـي الدين ديب مستو – أحمـد محمد السيد – يوسـف علـي بديوي – محمـود إبراهيم بزال ، دار ابن كثير – دار الكلـم الطيب ، دمشق بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

المحور الخامس:

معالم الوسطية والاعتدال
عند الإمام البخاري في صحيحه

د. إبراهيم بن محمد أبو عباة

معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه

المبحث الأول الإمام البخاري وصحيحه

التعريف بالإمام محمد بن إسماعيل البخاري[(١)].

اسمه ونسبه:

هو شيخُ الإسلام، وإمامُ الْحُفّاظِ، أميرُ الْمُؤمنينَ في الحديثِ، أبو عبدِ اللّه، مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ المغيرةَ بن بَرْدِزْبَه[(٢)] الجُعْفي مولاهم، البُخاريُّ، صاحب «الصحيح» والتَّصانيف.

ووالده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم، كان من العلماء الورعين ذكره ابنه الإمام البخاري في تاريخه[(٣)].

مولدُهُ وصفتُهُ ونشأتُهُ، ورحلاتُهُ:

وُلِدَ في بُخارى[(٤)].

قال البُخَاريُّ: وُلِدتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِثِنْتَيْ عَشَرَ[(٥)] لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ

(١) كتب مئات المؤلَّفات عن الإمام البخاري وكتابه الجامع الصَّحيح، وما سطرته هو نبذة يسيرة موجزة عن الإمام البخاري وصحيحه.

(٢) بِفَتْح الْمُوَحدَة وَسُكُون الرَّاء وَكسر الدَّال الْمُهْملَة تَلِيهَا زَاي سَاكِنة ثمَّ مُوَحدَة مَفْتُوحَة ثمَّ هَاء وَهَذَا أحد الْأَقْوَال فِيهِ وقيدته عَن بعض المتقنين: بذدزبه بذال مُعْجمَة بدل الرَّاء وَقيل فِيهِ: يزدزبة بمثناة تَحت فِي أَوله ثمَّ زَاي سَاكِنة وَالْبَاقِي كَالَّذِي قبله وَقَيده بَعضهم: يزذبه بِفَتْح الْمُثَنَّاة تَحت وَسُكُون الزَّاي ثمَّ ذال مُعْجمَة مَكْسُورَة ثمَّ مُوَحدَة مَفْتُوحَة ثمَّ هَاء وَهُوَ غَرِيب وَالْمَشْهُور الْقَوْلَانِ الْأَوَّلَانِ)، توضيح المشتبه: ١/ ٤٤٠-٤٤١).

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٣٤٢.

(٤) تغليق التعليق: ٥/ ٣٨٥. وبُخَارَى – بالقصر أو المد– وهي الآن غرب جمهورية أوزبكستان، تبعد عن طَشقند عاصمة أوزبكستان (٦٠٠كم تقريبًا)، فُتحت سنة (٥٤هـ) في زمن مُعاوية بن أبي سُفيان، على يد عبد الله بن زياد، وَمن مَعانيها: الْعِلْم الكثير. ينظر: الأنساب: ٢/ ١٠٧، معجم البلدان: ١/ ٥٣٥، موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٥) وفي الكامل لابن عَديٍّ: ١/ ٢٢٧، وأسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري لابن عدي: ٤٩ (سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْبَزَّازَ بِبُخَارَى يَقُولُ: وُلِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلاةِ الْجُمُعَةِ لِثَلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ).

وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ[1].

ومات أبوه وهو صغيرٌ، فنشأ في حِجْر أُمِّهِ.

وكانَ يَطْلُبُ الفِقْهَ بِمَرْوَ وهو صَبِيٌّ[2].

وألهمــهُ اللّه تَعالى حِفْظَ الحَدِيْثِ وهو فِي الكُتَّابِ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل: إنهُ يحفظ وهو صبيٌّ سبعينَ ألف حديث سردًا.

قــال رحمه اللّه: فَلَمَّا طَعَنْتُ فــي ستَّ عَشْرَةَ سَنَةً، كُنْتُ قَدْ حفظتُ كُتُبَ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ، وَعرفتُ كَلامَ هَؤُلاَءِ، ثُمَّ خرجْتُ مَعَ أُمِّي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا حَجَجْتُ رَجَعَ أَخِي بِهَا! وَتخلَّفْتُ فِي طلبِ الحَدِيْثِ[3].

وفــي السَّنَةِ الَّتي حَجَّ فيها مَرَّ ببغــدادَ، وقال: لَقِيْتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلف رَجُــلٍ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّــام وَمِصْــرَ، لَقِيتُهُم كَرَّات، أَهْلِ الشَّــام وَمِصْرَ وَالجَزِيْرَةِ مرَّتين، وَأَهْــلِ البَصْرَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَبالحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَام، وَلاَ أُحْصِي كم دَخَلْتُ الكُوْفَةَ وَبَغْدَادَ مَعَ مُحَدِّثي خُرَاسَانَ[4].

وكانَ يَقُــوْلُ: دَخَلْــتُ بلخَ، فَسَأَلونــي أَنْ أُمْلِيَ عَلَيْهِم لِكُلِّ مَــنْ كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيْثًــا، فَأَمليتُ أَلفَ حَدِيْثٍ لأَلفِ رَجُلٍ ممَّن كَتَبْتُ عَنْهُم[5].

رحلاته:

رحــل إلى المدينــة، والشام، ومصــر، ونَيسابور، والجزيــرة، والبصرة، والكوفــة، وبغداد، وواســط، ومــرو، والــرّيّ، وبَلْخ، وغيرها، قــال الخَطيب: «رحل فــي طلب العلم إلــى سائر محدِّثي الأمصار»[6].

ورعه واحتياطه في جَرْحِ الرواة:

قــال رحمه اللّه: «أرجو أنْ ألقــى اللّه ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا»[7]. قال الذهبي رحمه اللّه معلِّقًــا علــى كلام البخاري هــذا: «قلتُ: صدَقَ -رحمــه اللّه- ومَنْ نَظَرَ فــي كلامه في الجَرح

(١) الإرشاد: ٩٥٩/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٠١/١٢.

(٣) تاريخ بغداد: ٧/٢، سير أعلام النبلاء: ٣٩٣/١٢، البداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ٢٥.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٤٠٧/١٢.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٣٩٥/١٢.

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٤).

(٧) تاريخ بغداد (١٣/٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٦٨/١)، وهدي الساري (ص٤٨١).

والتعديل، عَلِمَ ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعِّفه، فإنه أكثر ما يقول: «منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر»، ونحو هذا، وقلَّ أنْ يقول: «فلانٌ كذَّاب، أو كان يضعُ الحديث»، حتى إنَّه قال: «إذا قلتُ: فلانٌ في حديثه نظرٌ، فهو متَّهمٌ واهٍ»، وهذا معنى قولِه: «لا يحاسبني الله أني اغتبتُ أحدًا»، وهذا هو -والله- غاية الوَرَع»[1].

ثناء الأئمَّة عليه:

ألَّف بعض أهل العلم مؤلَّفًا مستقلاًّ في ترجمة الإمام البخاري ومناقبه كالذهبي[2] وابن كثير[3] وابن حجر[4]، وغيرهم كثير رحمة الله على الجميع، وهذه بعض أقوال وثناء أهل العلم عليه:

- قال أبو عيسى الترمذي: «لم أرَ بالعراق، ولا بخراسان في معنى العِلل، والتاريخ، ومعرفة الأسانيد أَعْلَم من محمد بن إسماعيل»[5].

- وجاء «مسلم» إلى البخاري، فقال: «دَعْني أُقبِّلْ رجلَيك يا أستاذ الأستاذين، وسيِّد المحدِّثين، وطبيب الحديث في عِلَلِه»[6].

- وقال أحمد بن حنبل: «ما أخرجتْ خراسان مثل محمد بن إسماعيل»[7].

- وقال ابن خزيمة: «ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله e وأحفظ له من محمد بن إسماعيل»[8].

- وكان ابنُ صَاعد إذا ذَكَرَهُ يقول: «الكبش النَّطَّاح»[9].

- وقال الحافظ ابن كثير: «هو إمام أهل الحديث في زمانه، والمقْتَدَى به في أوانه، والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه»، وقال: «وقد كان البخاري - رحمه الله - في غاية الحياء، والشجاعة، والسَّخاء، والوَرَع، والزُّهد في الدنيا دار الفناء، والرَّغبة في الآخرة دار البقاء»[10].

(١) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/١٢).
(٢) تذكرة الحفَّاظ (٥٥٦/٢).
(٣) البداية والنهاية (٢٤/١١).
(٤) تهذيب التهذيب (٤٥/٩).
(٥) شرح علل الترمذي (١/ ٣٢).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٧٠/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٣٢/١٢)، وهدي الساري (ص٤٨٩).
(٧) تاريخ بغداد (٢/ ٢١)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٢).
(٨) سير أعلام النبلاء (٤٣١/١٢).
(٩) تاريخ بغداد (٢١/٢)، ووفيات الأعيان (١٩٠/٤)، وهدي الساري (ص٤٨٩).
(١٠) البداية والنهاية، (٢٤/١١).

أهم مصنفاته:

أجلُّهـا: «الجامع الصحيح»، «الجامع الصغيـر»، «الجامع الكبير»، «الأدب المفرد»، «أسامي الصحابـة»، «الأشربة»، كتب التاريـخ: الكبير والأوسط والصغير، «التفسيـر الكبير»، «خلق أفعال العباد»، «رفع اليدين في الصلاة»، «الضعفاء الصغير»، «العلل»، «الفوائد»، «القراءة خلف الإمام»، «الكُنَى»، «المبسوط»، «المسند الكبير»[(١)].

التعريف بكتاب الجامع الصَّحيح:

عنوان الكتاب:

اسمُـه الـذي سمَّاه به مؤلِّفه، قد اختُلِف فيـه على قولَين مُتقاربيـن الأوَّل: المسند الصَّحيح المختصـر من أمور رسـول الله ﷺ وسُنَنه وأيَّامه قاله ابنُ الصَّلاح[(٢)] والثَّاني: الجامع الصَّحيح المسند من حديث رسولِ الله ﷺ وسُنَنه وأيَّام قاله الحافظ ابن حجَر[(٣)].

سبب تصنيفه ومدته:

ذَكَـرَ الحافظُ ابـن حجر ثلاثةً من الأسباب الباعِثة لتصنيـف البخاري «الجامع الصّحيح»، ولا مانـع مِن أنْ تكون كلُّها مجتمعـةً هي التي حرَّكت بواعث تصنيفه لدى البخاري؛ والأسباب هي: أوَّلًا: تجريد الحديث النَّبويِّ[(٤)] وقد قال الإمام النَّووي: (أوَّل مصنَّفٍ في الصَّحيح المجرَّد صحيح البخـاري»[(٥)] ثانيًـا: سمع البخاري شيخـه ومعلِّمه أمير المؤمنين في الحديـث إسحاق بن راهويه يقـول: «لـو جمعتُم كتابًا مختصرًا لصحيـح سُنَّة رسول الله ﷺ»، قال البخـاري: «فوقع ذلك في قلبـي فأخذتُ في جمـع الجامع الصَّحيح»[(٦)] ثالثًا: قال البُخاريُّ رحمـه الله: «رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام وكأنَّني واقفٌ بين يديْه، وبِيدي مروحةٌ أَذُبُّ بها عنه، فسألتُ بعض المعبِّرين، فقال لي: أنتَ تَذُبُّ عنه الكذِب، فهو الَّذي حَملني على إخراج الجامع الصَّحيح»[(٧)].

وأمـا بالنسبة لمدة تصنيفه فقد قال الإمام البخـاريُّ رحمه الله: «صنَّفتُ الجامع الصَّحيح لستَّ عشرة سنة»[(٨)].

---

(١) انظر مصادر الترجمة المعزوة أول التمهيد.

(٢) علوم الحديث (ص٢٤)، والنَّووي في تهذيب الأسماء واللُّغات (١/ ٧٣).

(٣) هدي السَّاري (ص٦).

(٤) هدي السَّاري بتصرف (ص٤).

(٥) التقريب والتيسير لمعرفة سُنَن البشير النَّذير (ص١٠).

(٦) تهذيب الأسماء واللُّغات (١ /٧٤)، وهدي السَّاري (ص٥).

(٧) هدي السَّاري (ص٥).

(٨) تهذيب الأسماء واللُّغات (١/ ٧٤)، وهدي السَّاري (ص٤٨٩).

منهج البخاري في كتابه الجامع:

رتَّب الإمام البخاري الأحاديث على الكتُب مفتتحًا بكتاب بَدء الوحي، مختتمًا بكتاب التَّوحيد، ثـمَّ إنَّ هـذه الكتب يحتـوي كلٌّ منها على أبوابٍ متناسقـةٍ في إيرادها[١]، وتحـت كلِّ بابٍ عددٌ من الأحاديـث وقصد البُخاري في صحيحه إبراز فقْـه الحديث، واستنباط الفوائد منه، فعقد تراجم الأبـواب وذَكَرَ في هذه التراجم الأحاديثَ المعلَّقة، وكثيرًا مـن الآيات وفتاوى الصَّحابة والتَّابعين ليبيِّنَ بها فقْه الباب والاستِدلال له[٢]، وبهذا يكون قد جمعَ بين حفظ سُنَّة رسول الله e وفهْمِها.

عدد أحاديث الجامع:

عند ابن الصَّلاح والنَّـووي عدد أحاديثه مع المكرَّرات: (٧٢٧٥) حديثًا، وبحذْف المكرَّرات (٤٠٠٠) حديثًـا[٣] وفـي الإيضاح في علوم الحديث والاصطـلاح جملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث (٧١٢٤) حديثًا بالأحاديث المكرَّرة، وأمَّا بدون المكرَّرات فهي (٢٣٣٧) حديثًا[٤].

تراجم البخاريِّ في الجامع:

هنـا لابد أن نذكـر المقولة المشهورة بين أهل العِلم: «فقهُ البخـاريِّ في تراجمه»، وقد قيل: «إنَّـه لمَّا ألَّفَ الصَّحيح كان يُصلِّي ركعتين عند كلِّ ترجمة، وبيَّضها بين قبر النبيِّ ﷺ ومنبره»[٥] وكان رحمـه الله كثيرًا ما يُتَرْجِمُ بلفظ الاستِفهـام، وكثيرًا ما يُتَرْجِمُ بلفظٍ يُومِئُ إلى معنى حديثٍ لَم يصحَّ على شرْطه، أو يأتي بالحديث الَّذي لم يصحَّ على شرطه صريحًا في التَّرجمة، ويُورد في البـاب مـا يُؤَيِّدُ معناه تارةً بأمرٍ ظاهرٍ، وتارةً بأمرٍ خفيٍّ، وربَّما اكتفَى بلفظ التَّرجمة الَّتي هي لفظ حديـث لَـم يصحَّ على شرطه، وأَورَد معها أثـرًا أو آيةً، فكأنَّه يقول: لم يصـحَّ في الباب شيءٌ على شرطي. وغير ذلك مِن الفوائد والحِكَم التي لا تُحصَى[٦].

أقوال الْمُحَدِّثينَ في «صحيح البُخاري»:

١. قال البُخاريُّ: صَنَّفتُ كتابي «الصحيح» لِستّ عشرة سنة، خرجتُه من ستمائة ألْف حديث،

---

(١) لخَّص الحافظ ابن حجر كلامَ شيخه البُلقيني في ذكر تناسُب ترْتيب الأبواب في هدي السّاري (ص٤٧٠).

(٢) منهج النقد (ص ٢٥٣).

(٣) علوم الحديث (ص٢٠)، وإرشاد طلَّاب الحقائق (ص٦٠).

(٤) وفق ترقيم صاحب دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري لعبد الله محمَّد الغنيمان.

(٥) سير أعلام النُّبلاء (١٢ /٤٤٣)، وهدي السَّاري (ص ٤٨٩)..

(٦) هدي السَّاري (ص١١).

وجعلته حُجَّةً فيما بيني وبينَ الله تعالى[1].

٢. وقال أيضًا: ما أدخلت فِي «الجامع» إلاَّ ما صحَّ، وتركتُ مِنَ الصّحاح لأجل الطُّولِ[2].

٣. قال الإمامُ أبو عبدِ الرَّحمن أحمدُ بنُ شعيب النسائيُّ (ت٣٠٣هـ): ما في هذه الكُتُبِ كُلّها أجود مِنْ كتابِ مُحَمَّدِ بْنِ إسماعيلَ البُخاريِّ[3].

٤.قال أبو نَصْرٍ عُبيدُ الله بن سعيد بن حاتِم السِّجْزيُّ الوائليُّ البكريُّ (ت٤٤٤هـ): أجمعَ أهلُ العلم، الفقهاء وغيرهم، أنَّ رَجُلاً لو حلَف بالطَّلاقِ أنَّ جميعَ ما في كتابِ البخاري مما رُوِيَ عن رسولِ الله ﷺ قد صحَّ عنه، ورسولُ الله ﷺ قاله لا شكَّ فيه: لا يحنث، والمرأةُ بحالِها في حبالته[4].

٥. قال أبو الْمَعَالِي عبدُ الْمَلك بن عبد الله بن يُوسُف الْجُوَيْنِيّ بنيسابور (ت٤٧٨هـ): لَو حَلَفَ إِنْسَانٌ بطَلَاق امْرَأَته أَنَّ مَا فِي كتابي الْبُخَارِيّ وَمُسلم مِمَّا حكما بِصِحَّتِهِ من قَول النَّبِي ﷺ لَمَا أَلزمته الطَّلَاقَ، وَلَا حَنَّثْتُهُ لإِجْمَاع عُلَمَاء الْمُسلمين على صحتهما[5].

٦. قال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ):

«اتَّفق العُلماء رحمهم اللّه تعالى على أنَّ أصحَّ الكتب بَعد القرآنِ العزيز الصَّحيحانِ: البخاري ومسلم، وتلقَّتهما الأمّةُ بالقبول، وكتاب البخاري أصحُّهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صحَّ أنَّ مسلمًا كان ممَّن يَستفيد مِن البُخاري، ويَعترفُ بأنَّه ليس له نظير في عِلم الحديث، وهذا الَّذي ذكرناه مِن ترجيح كتاب البخاري هو المذهبُ المختار الَّذي قاله الجمهور وأهل الإتّقان والحذق»[6].

٧. قال تَقيُّ الدِّينِ أبو الْعَبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحليم بن تيميَّة (ت٧٢٨هـ):

وَأَمَّا كُتُبُ الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفَةُ مِثْلُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ فَلَيْسَ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ كِتَابٌ أَصَحُّ مِنْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ[7].

رواة الجامع الصَّحيح:

---

(١) تاريخ بغداد: ١٤/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٠٥/١٢، هدي الساري: ٤٨٩.

(٢) تاريخ بغداد: ٩/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٠٢/١٢، طبقات الشافعية الكبرى: ٢٢١/٢.

(٣) تاريخ بغداد: ٩/٢.

(٤) علوم الحديث لابن الصَّلاح: ٢٢، شرح مسلم للنووي: (١/١٩-٢٠)، محاسن الاصطلاح لابن رسلان: ١٦٨.

(٥) صيانة صحيح مُسلم لابن الصلاح: ٨٦، علوم الحديث لابن الصَّلاح: ٢٢.

(٦) شرح النَّووي على صحيح مسلم (١ /١٤)، وانظر: علوم الحديث (ص١٨).

(٧) مجموع الفتاوى: ٨٦/٥.

قـال الفَرَبْرِي: «سمع الصَّحيح مِن البخاري تسعون ألفَ رجُل، فما بقيَ أحدٌ يرويه غيري»[١] فاهتـمَّ المحدِّثـون بسماع صحيح البخاري وإملائـه، فكَثُرَ رواته، وسأسوق هنـا أهمَّ رواة الجامع الصحيـح وهم: إبراهيم بن معقل النَّسفـي ومحمّد بن يوسُف بن مَطَر الفَرَبري ومحمَّد بن محمَّد بن يوسُف الجرجاني راوي الصَّحيح عن الفَربري وعبد الله بن أحمد بن حَمُّويه سمع الصَّحيح من الفَرَبْرِي وحدَّث عنه أبو ذر الهَرَوي وعبد الله بن إبراهيم بن محمَّد الأصيلي المالكي عن أبي زيد المـروزي عن الفربري وعلي بن محمَّد بن خلف المعافـري القيرواني القابسي وعبد بن أحمد بن محمَّد أبو ذر الأنصاري الخراساني الهَرَوي عن مشايخه الثلاثة: المُسْتَملي والحموي والكُشْمِيهَني ومحمَّد بن عيسى بن سعيد السِّجزي ثم الهَرَوي المالِيني.

أهمُّ شروح الجامع[٢]:

شرح صحيح البخاري لابن بطَّال والكواكب الدَّراري شرح صحيح البخاري للكِرماني والتنقيح لألفـاظ الجامع الصَّحيـح لبدر الدِّين الزَّركشي وفتـح الباري بشرْح صحيـح البخاري لابن حجر العسقلانـي وعمدة القـاري شرح صحيح البخاري للعيني وإرشاد السَّـاري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني.

المبحث الثاني

الوسطية

تعريف الوسطية:

وسـط الشـيء ما بين طرفيه.. وكل شيء يصلح فيه (بين) فهـو (وسْط) وإن لم يصلح فيه (بين) فهو (وسَط) بالتحريك وربما سكن وليس بالوجيه.

وقـال الشيخ أبو محمـد بن بري رحمه الله: اعلم أن الوسَـط بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه كقولك قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار ومنه المثل «يرتعي وسطاً» أي: يرتعي وسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير[٣].

والوسـط من كل شيء أعدلـه ومنه قوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمـة وسطاً ... » أي: عدلاً، وشيء وسط أيضاً بين الجيد والردئي وواسطة القلادة الجوهر الذي في وسطها وهو أجودها قال:

(١) سير أعلام النُّبلاء (١٢/٣٩٨).

(٢) كشف الظنون (١/٥٤٥)، و(سيرة الإمام البخاري سيد الفقهاء وإمام المُحَدِّثين) تأليف الشيخ عبد السلام المباركفوري، دار عالم الفوائد- والإمام البخاري للدكتور تقيِّ الدِّين الندوي (ص٤٠).

(٣) لسان العرب (٩/٣٠٥-٣٠٦).

الأزهري: هي الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطها وهي أجودها[1].

وقال الراغب: وسط الشيء ماله طرفان متساويا القدر والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان، يقال: هذا اوسطهم حسباً إن كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً كالجود الذي هو بين البخل والسرف، وتارة يقال فيما له طرف محمود وآخر مذموم كالخير والشر أو الجودة والرداءة تقول في هذا المعنى شيء وسط أي بين الجيد والردئي ويقال: فلان وسط في قومه إذا كان أو سطهم نسباً وأرفعهم مجداً وفي صفة نبينا e أنه كان من أوسط قومه أي خيارهم فوسط الوداي خير مكان فيه...[2].

معنى الوسطية:

الوسطية من المصطلحات الشرعية والتي امتازت بها هذه الأمة من غيرها من الأمم قال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا».

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ».

«ويكون الرسول عليكم شهيداً» فذلك قوله جل ذكره «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» والوسط العدل[3].

قال الشيوكاني في فتح القدير «وقد ثبت عن النبي ﷺ تفسير الوسط هنا بالعدل فوجب الرجوع إلى ذلك».

وقال ابن كثير: «والوسط هنا: الخيار والأجود كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه أي: أشرفهم نسباً ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر».

والتوسط: أن يتحرى المسلم الاعتدال ويبتعد عن التطرف قولاً وفعلاً بحيث لا يقتصر ولا يغالي.

---

(١) لسان العرب (٣٠٨/٩)، الصحاح للجوهري (١١٦٧/٣).

(٢) لسان العرب (٤٨٣١/٩)، والصحاح للجوهري (١١٦٧/٣)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١٠٨/٦)، ومفردات الراغب (٥٢٢).

(٣) صحيح البخاري (٤٤٨٧).

وقال الراغب: التوسط القصد والصون عن الإفراط والتفريط[1].

وقـال ابـن الأثيـر: «في بيـان أفضلية التوسـط: كل خصلة محمـودة لها طرفـان مذمومان فالسخـاء وسـط بين البخل والتبذيـر، والشجاعة وسط بيـن الجبن والتهور، والإنسـان مأمور أن يتجنـب كل وصـف مذموم وتجنبـه يكون بالتعري منه والبعـد عنه فكلما ازاد منه بعـداً أزداد إلى الوسـط تقرباً ولذلك فـإن أبعد الجهات والمقادير والمعاني مـن كل طرفين اوسطها فإن كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان»[2].

وقـال الحسن البصري: في تحديد معنى الوسطية وأنها هي السنة: سنتكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما: بين الغالي والجافي.

قال ابن القيم: وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ... فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد.. ».

وقـال ابن القيم رحمه الله: وقال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط، وإما على مجاوزة وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصان».

متى يحكم على الشيء بأنه وسط في الشرع؟.

لا يحكم على الشيء في الشرع بأنه وسط إلا بأمرين:

الأول: أن تدل الأدلة الشرعية على مشروعيته جملة أو تفصيلاً فإن جاء مخالفاً للشرع فليس من الوسطية في شيء ولو رآه الناس وسطاً أو سموه وسطية.

ثانياً: أن يكون في تطبيقه تحقيقاً لمصالح الأمة ودفعاً للمفاسد عنها.

قال ابن القيم رحمه الله: إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات فإذا ظهرت إمارات العدل واسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وإماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو اظهر منها وأقوى دلالة وأبين إمارة.

من المخول بإطلاق اسم الوسطية على أي شيء من الشرع؟.

إن المخـول بـأن يحكم على هذا الشـيء أو ذاك بأنه وسط في الشرع إنمـا هم علماء الأمة

(١) مفردات الراغب (٥٣٣).

(٢) النهاية (٥/١٨٤).

الكبـار الربانين المعتبرين فهـم الأعلم والأدرى بمثل هذه الأمور وهم مـن يملك الحكم الشرعي الثابت من كتاب وسنة... ولقد أمرنا الله أن نرجع إليهم في كل ما أشكل علينا من أمور ديننا قال تعالـى: «فسألوا أهل الذكـر إن كنتم لا تعلمون» ومن المؤسف أنه في هـذا الزمان اختلطت الأمور وتداخلـت المصطلحات وأصبح باب الفتـوى مشرعاً لمن هب ودب فأصبح الكاتب مفتياً والمثقف فقيهاً، وتجرأ طويلب العلم الصغير على الفتيا وتصدر لها.

ومن هنا لم يعد الناس في ظل هذه الفوضى العلمية والفكرية يميزون بين الصحيح والسقيم وضاعـت كثيـر من المعانـي الشرعيـة للمصطلحات ومن ذلـك الوسطية فلم تعد هـي الصراط المستقيـم وأنهـا هي ما كان عليه الرسول e واصحابه بـل أن من يلزم الوسطية بمفهوما الشرعي الذي حدده الشرع ورسم معالمه العلماء الكبار فهو عند البعض متشدد ومتطرف.

بعض معالم الوسطية في الإسلام:

وسطية في الاعتقاد والتصور.

جاءت عقيدة التوحيد موافقة للفطرة في صفائها ونقائها ووضوحها، واستقامتها بعيدة عن الانحرافـات والخرافات والشـرك والضلالات فاليهود يقولـون ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[1] والنصارى يقولـون ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[3]. الذيـن أنعـم الله عليه هم أهـل الإسلام يسيرون على الطريـق المستقيم بين أهل الإفـراط والتفريط بين المغضوب عليهـم، والضالين إنهم وسط في أنبيـاء الله ورسله وعبـاده الصالحين ووسط في شرائع دين الله، ووسط في باب صفات الله إنهم وسط في كل اعتقاد وتصور.

وأمـا أهل السنة والجماعة فهم الفرقة الناجية فهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:[4] وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل فهم وسط في باب أسماء الله وصفاته بيـن أهـل التعطيل وبيـن أهل التمثيـل والتشبيه... ووسط في بـاب الخلق والأمـر ووسط في باب الأسمـاء والأحكام والوعد والوعيد ... وسط في نظرتهـم الأصحاب رسول الله ﷺ بين الضالين الذين يغلون في علي رضي الله عنه وأهل البيت فيفضلون علياً على ابي بكر وعمر رضي الله عنهم

(١) سورة المائدة (٦٤).

(٢) سورة التوبة (٣٠).

(٣) سورة الفاتحة (٦-٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٠-٣٧٥).

مـا وأن الصحابة ظلمـوا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم كذلك. وبيـن الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما.

وسطية العبادة:

إن الناظـر في العبادات الإسلامية الواجبة والمستحبة يجد أنها تتسم بالوسطية والاعتدال فلا إفراط فيها ولا تفريط ولا غلو فيها ولا جفاء.

قال ﷺ «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

وقال «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً والمتنطعون هم الضالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وهذا حديث ثالث يؤكد سماحة الإسلام ويسره ووسطيته واعتداله.

عـن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا و أين نحن من النبي ﷺ غفر له ما تقدم مـن ذنبـه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنـا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخـر: أنا أصوم الدهر فلا أفطـر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبـداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذي قلتم: كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». رواه البخاري، وصدق الله القائل «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

وروى الشيخـان عـن عبد الله بن عمرو رضـي الله عنهما قال: قال لي رسـول الله ﷺ: «ألم أخبـر أنك تقوم الليل وتصـوم النهار؟ قلت: إني أفعل ذلك، قال: فإنك قلـت: إن أفعل ذلك، قال: فإنـك إذا فعلت ذلك هجمت عينيك (ضعـف بصرها) و نفهت (تعبت) نفسك وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك حقاً فصم وأفطر وقم ونم»[1].

قـال الإمـام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: في هذا الحديـث بيان رفق رسول الله e بأمته وشفقتـه عليهم، وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه ونهيهم عـن التعمـق في العبادة لما يخشى من أفضائه إلى الملل المفضـي إلى الترك أو ترك البعض وقد ذم الله تعالى قوماً لا زموا العبادة ثم فرطوا فيها[2].

---

(١) صحيح البخاري (١١٥٩).

(٢) فتح الباري (٢٢٥/٤).

وهذا حديث آخر يؤكد على سماحة الدين ويسره وأنه دين الوسطية والاعتدال.

روى الشيخان عن أنس بن مالك > قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتن فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد... »[١].

قال الإمام النووي هذا الحديث فيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق والأمر على الاقبال عليها بنشاط وإنه إذا فتر فليقعد حتى يذهب الفتور[٢].

وكما ظهرت الوسطية بجلاء ووضوح في عبادتي الصلاة والصيام من خلال النصوص والوقائع السابقة فإن الوسطية أيضاً تتجلى في الطهارة والوضوء فالمشروع فيهما هو التوسط بين التقصير والغلو فهناك من يقصر في الطهارة تهاوناً فقد أخبر النبي ﷺ وقد وقف على قبرين فقال عند احدهما إن صاحبه ليعذب وما يعذب في كبير وإنما كان لا يستنزه من بوله وفي المقابل يوجد فريق آخر شقوا على أنفسهم فمالوا إلى الغلو والمشقة وتأتي الشريعة السمحة فتصور منهج الوسطية والاعتدال بين هذا وذاك وهكذا الأمر في الوضوء والغسل وسط بين غلو وتقصير.

وهكذا الشأن في سائر الشعائر الدينية والعبادات الإسلامية من حج وصدقة وغيرهما.

وسطية في الأحكام والتشريعات:

لقد بنيت أحكام الإسلام وتشريعاته على العدل والرحمة والوسطية قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[٣].

قال الشاطبي[٤]: رحمه الله تعالى: الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ولا انحلال بل هو تكليف جار على موازنة في جميع المكلفين غاية الاعتدال ... وهكذا نجد الشريعة أبداً في مواردها ومصادرها جارية على الترتيب الوسط المعتدل كما بنيت على اليسر ورفع الحرج قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[٥] وقال عز وجل ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[٦]

(١) البخاري (١١٥٠).
(٢) شرح النووي على مسلم (٦/٧٣).
(٣) سورة النحل (٩٠).
(٤) الموافقات (٢/١٦٣).
(٥) سورة البقرة (١٨٥).
(٦) سورة الحج (٧٨).

ومن ذلك أن الله شرع لنا الطهارة بالماء فإن عدم الماء أو عجزنا عن استخدامه لجأنا إلى التيمم قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

ومـن مظاهر اليسر ورفع الحرج أن الله قد أمر بالقيـام في الصلاة ولكن لو عجز المصلي عـن القيـام انتقل إلى غيره يقول رسولنا e «صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب».

وشرع القصر والجمع في الصلاة عند الحاجة.

أما الصيـام فقد أباح الله للمسلم والمسلمة تأخيـر الصيام وتأجيله لمن كان مريضاً أو على سفر «فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر».

ومـن نماذج وسطيـة الإسلام في مجال الأحـكام والتشريعات أن الله قـد اشترط في الحج الاستطاعـة والقـدرة الماليـة والبدنيـة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]، ومن القواعد الفقهية التي استنبطها العلماء من خلال استقراء الأحكام الشرعية.

قاعدة: المشقة تجلب التيسير

قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات «لاضرر ولا ضرار».

قاعدة ارتكاب أخف الضررين.

قاعدة: الأصل في الذمة البراءة.

المبحث الثالث

الوسطية و الاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه.

إن التوسـط والاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف سمة رئيسة من سمات هذا الدين الإسلام العظيم في كل شأن من شؤونه: في العبادات، والمعاملات، والتصورات، والأحكام والتشريعات.

وقـد كان مـن هديـه ﷺ التوسط والاعتدال فـي أمور حياتـه كلها في صلاتـه وغيرها من

(١) سورة المائدة (٦).

(٢) سورة آل عمران (٩٧).

العبادات ففي الحديث الشريف عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كنت أصلي مع النبيﷺ الصلـوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً أي: معتدلـة وسطاً بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق.

ولهـذا مـا خير رسول الله e بين أمرين إلا اختار أيسرهمـا مالم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه وقد صدق الله إذ يقول: يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

وهـذه نمـاذج من الأحاديث الواردة فـي صحيح البخاري رحمه الله ممـا يتجلى فيها معالم الوسطية والاعتدال.

التوسط في العبادة.

الأمر باليسر والنهي عن العسر.

الشفقة على الأمة ورفع المشقة.

الرفق واللين.

التوسط في العبادة

عـن أنس بن مالك رضـي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ فإذا بحبـل ممدود بين الساريتين فقـال: ماهـذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فـإذا فترت تعلقت، فقال النبـي ﷺ لا حلوه ليُصَلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد... »[(1)].

وفـي هذا الحديث حث علـى الاقتصاد في العبادات والنهي عن التعمق فيها. قال ابن بطال: إنما يكره ذلك خشية الملال المفضي إلى ترك العبادة.

وهذا من رحمة الرسول ﷺ بأمته فلا إفراط ولا تفريط بل ليصل المسلم وقت نشاطه فإذا شعر بشيء من الفتور والكسل توقف إلى حين شعوره بالقوة والنشاط.

وفـي هـذا الحديث حث على الاقتصاد فـي العبادة والنهي عن التعمق فيهـا والأمر بالأقبال عليها بنشاط وحيوة ورغبة.

وعـن عائشة رضي الله عنهـا قالت: كانت عندي امرأة من بنـي أسد فدخل رسول الله ﷺ فقال: من هذه؟ قلت: فلانة لا تنام بالليل فذكرت صلاتها فقال: مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فـإن الله لا يمـل حتى تملـوا»[(2)] ويتضح من قوله ﷺ (مـهٍ) إشارةً إلى كراهة ذلـك خشية الفتور

(١) صحيح البخاري (١١٥٠).

(٢) صحيح البخاري (١١٠٠) صحيح البخاري كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة.

والملال على فاعله لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعاً عما بذل لربه من نفسه.

وقولـه: «عليكـم ما تطيقون من الأعمال» هو عام فـي الصلاة وفي غيرها... فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل[١].

وعـن أنس رضي الله عنه «أن النبـي ﷺ رأى شيخاً يهادى بين ابنيه قال: ما بال هذا قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني وأمره أن يركب»[٢].

و(يهادى) بضم أوله من المهاداة وهو أن يمشي معتمداً على غيره.

وفـي هذا مشقة ظاهرة لا مبـرر لها ولهذا أمره الرحمة المهـداة أن يركب رحمة به وشفقة عليه.

عـن ابـن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطـب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالـوا: أبـو إسرائيـل نذر أن يقـوم ولا يقعد ولا يستظـل ولا يتكلم ويصوم فقـال: النبي ﷺ مره فليتكلم وليستظل، وليقعد وليتم صومه[٣].

عـن أبي جحيفـة عن أبيه قال: آخـى النبي ﷺ بين سلمـان وأبي الدرداء فـزار سلمان أبا الـدرداء فـرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيـا فجاء أبـو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل فإني صائم قال: مـا أنا بآكله حتى تأكل فأكل فلمـا كان الليـل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال: نم فنام ثـم ذهب يقوم فقال: نم فلما كان آخر الليل قـال سلمان قم الآن قـال: فصليا فقال له سلمان إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فإعط كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ صدق سلمان[٤].

يقـول أنس بـن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبـادة النبـيﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحـن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقـال آخـر أنا أعتـزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله e إليهـم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني[٥].

(١) شرح فتح الباري رقم ... (٢١٢٨).

(٢) صحيح البخاري (١٧٦٦)، صحيح البخاري كتاب جزاء الصيد باب من نذر المشي إلى الكعبة.

(٣) صحيح البخاري (٦٣٢٦) كتاب الأيمان والنذور.

(٤) صحيح البخاري (٥٧٨٨) كتاب الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف.

(٥) صحيح البخاري (١٩٤٩) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح.

وفي هذا الحديث العظيم تتجلى الوسطية في أجمل صورها:

لقد ذهب هؤلاء النفر الثلاثة إلى بيوت رسول الله e ليسألوا عن عبادته فلما أخبروا بها شعروا أنها قليلة ثم أين هم من حبيبهم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقرر كل واحد منهم أن يختار طريقة في العبادة فالأول يصلي ولا يرقد والثاني: يصوم ولا يفطر والثالث: لا يتزوج النساء فلما علم النبي ﷺ بما عزموا عليه خطابهم بأسلوب حازم صارم واضح فقال: أما أنا فأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وهذه هي سنته ﷺ ومنهجه القائم عن التوسط والاعتدال فمن رغب عن سنته فليس منه .. السنة هي الطريق المستقيم لا إفراط ولا تفريط

يقول: سعد ابن أبي وقاص رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لأختصينا.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبي وقاص يقول: لقد رد ذلك يعني النبي ﷺ على عثمان بن مظعون ولو أجاز له التبتل لأختصينا[1].

المراد بالتبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة.

والخصاء: هو الشق على الانثيين وانتزاعهما.

يقول الطبري: التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به، ولهذا نزل في حقه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[2].

الأمر باليسر والنهي عن العسر:

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[3].

قال النووي: لو اقتصر على يسروا لصدق على من يسر مرة وعسر كثيراً، فقال: ولا تعسروا لنفي التعسير في جميع الأحوال وكذا القول في عطفه عليه (ولا تنفروا).

ووقع عند المصنف في الأدب بدل بشروا (سكنوا) وهي التي تقابل ولا تنفروا لأن السكون ضد النفور كما أن ضد البشارة النذارة[4].

(١) صحيح البخاري (٤٧٨٦).كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء

(٢) المائدة (٨٧).

(٣) صحيح البخاري (٦٩) كتاب العلم، باب ما كان النبيﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.

(٤) فتح الباري رقم الشرح (١٣٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[١].

وهـذا الحديـث يؤكد تأكيداً قاطعاً على أن الدين الإسلامي يسر كله أي أنه ذو يسر فقد رفع الله عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه والمعني لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

قـال ابـن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينـا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل.

فسددوا أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.

قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

وهنـا أمر بالاعتـدال والتوسط والسعي إلـى إصابة القصد في جميـع أعماله فإن عجز عن ذلـك فعليه أن يقارب بأن يفعل ما يقربه إلى الكمال بقدر استطاعته فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير.

وأبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن قل.

واستعينوا بالغدوة أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة.

والغـدوة: هي السير فـي أول النهار، والروحة بالفتح السير بعد الـزوال، والدلجة بضم أوله وفتحه وإسكان اللام سير آخر الليل وقيل سير الليل كله.

وهذه الأوقات هي أطيب أوقات السفر[٢].

ومثـل هـذا الحديث مارواه أبو هريـرة قال سمعت رسول الله e يقول: «لـن يُدخل أحد عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً وإما سيئا فلعله أن يستعتب»[٣].

عـن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لن ينجي أحد منكم عمله قالوا ولا أنـت يارسول الله قال ولا أنـا إلا أن يتغمدني الله برحمته. سددوا وقاربوا واغدوا ورحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا»[٤].

(١) صحيح البخاري (٣٨) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

(٢) فتح الباري رقم الشرح (٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٤٩). كتاب المرضى باب تمني المريض الموت

(٤) صحيح البخاري (٩٦٦٤) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل.

(سـددوا) معناه اقصـدوا السداد أي الصواب وهو اتباع السنة مـن الإخلاص وغيره ليقبل عملكم.

و (قاربـوا) أي لا تفرطـوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضـي بك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا.

(القصدَ القصدَ) بالنصب على الإغراء أي إلزموا الطريق الوسط المعتدل.

ومنه قوله في حديث جابر عن سمرة عندما كانت خطبته قصداً أي لا طويلة ولا قصيرة[1].

عـن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخَل أحدكم عمله الجنة وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل[2]..

وعـن عائشـة <: أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثمـاً فإن كان اثماً كان أبعد الناس منـه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[3].

(بين أمرين) أي: من أمور الدنيا.

«إلا أخذ أيسرهما» أي: أسهلهما وفي حديث أنس عند الطبراني «اختار أيسرهما».

الشفقة على الأمة ورفع المشقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[4].

وهنا أيضاً تظهر سماحة الإسلام ورحمة المصطفى ﷺ بأمته فقد ترك الأمر بالسواك عن كل صلاة لما فيه من المشقة على أمته.

ومثله في ترك الأمر بالشيء خوف المشقة.

عـن عطاء قـال: «اعتم النبـي ﷺ بالعشاء فخرج عمر فقـال: الصلاة يارسـول الله، رقد النسـاء والصبيـان، فخرج ورأسه يقطـر يقول: لولا أن أشق على أمتـي لأمرتهم بالصلاة في هذه الساعة»[5].

(١) فتح الباري رقم الشرح (١٢٨٣٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (٦٠٩٩).

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي e (٣٣٦٧).

(٤) ( ) صحيح البخاري كتاب التمني باب ما يجوز من العفو (٦٨١٣).

(٥) صحيح البخاري (٦٨١٢) كتاب التمني باب ما يجوز من العفو.

الرفقة والرحمة:

عـن أبـي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إخوانكـم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمـن كان أخـوه تحـت يده فليطعمه ممـا يـأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم مـا يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١].

وهـذا الحديـث الشريف يفيض رحمـة وسماحة وحباً وفيـه حث على الإحسـان إلى الرقيق والرفـق بهم ويلحق بالرقيق من في معناهم من أجيـر و غيره وفيه نهي عن تكليفهم ما لا يطيقون فإن كلفوا مالا يطيقون وجبت مساعدتهم وإعانتهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليـك، قالـت عائشة ففهمتها فقلـت: وعليكم السام واللعنة قالت: فقـال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشـة إن الله يحب الرفق في الأمـر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله e قد قلت: وعليكم»[٢].

وهنـا تبرز وسطيـة الإسلام في التعامل مع الناس حتى مع اليهود فالرسول ﷺ لم يرد على اليهود بمثل قولهم بل وجه عائشة رضي الله عنها توجيهاً بديعاً بألا تغلظ لهم القول حيث قال لها: مهـلاً يا عائشـة وعلل ذلك بأن الله يحب الرفـق في جميع الأمور بـل إن الله يعطي على الرفق ما يعطـي على العنف وهذا تأكيد لحديث شريح بن هاني: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه، وحديث أبي الدرداء: من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير.

وفي حديث جرير عند مسلم: من يحرم الرفق يحرم الخير كله.

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٠٧) كتاب العتق باب قول النبي e العبيد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون

(٢) صحيح البخاري (٥٦٧٨) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله.

د. علي أبو الفتح حسين حمزة
بروفسور مساعد – قسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة النيلين، الخرطوم – السودان

تقرير الإمام البخاري للوسطية من خلال تبويبه على كتابه الجامع الصحيح

مستخلص

تكمن مشكلة هذه الدراسة في أن صحيح الإمام البخاري يعتبر أحد أهم المصادر الإسلامية، وأصحها على الإطلاق بعد القرآن الكريم، وقد امتاز هذا الكتاب علاوة على موضوعه بحسن تبويبه؛ الأمر الذي يدعو إلى استخراج كثير من ملامح الوسطية ونبذ العنف من خلال هذه الأبواب التي انتظمتها جميع صُحُف الكتاب، ويعد موضوع هذا البحث من أعظم موضوعات الساعة؛ بل هي من أكبر ما يؤرق المجتمعات والحكومات، فضلا عن تعلقه بأهم وأعظم كتاب من كتب الإسلام، والبحث فيه يكسب الدراسة أهمية ومكانة لا تخفى على المشتغلين بالعلم؛ حيث يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مفهوم الوسطية وأهميتها، وبيان تقريرها من خلال صحيح البخاري، والرد على المزاعم الباطلة في كون كتب السنة تشتمل على العنف وتؤصِّل للتطرف، وقد اتبع فيه الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد ظهر من خلال هذه الدراسة أن الإمام البخاري قد قرر الوسطية من خلال تبويبه في كتابه الصحيح بأساليب متعددة وطرائق متنوعة؛ حيث صرّح في بعض الأبواب بالوسطية والاعتدال والقصد، وعقد أبواباً أخرى فيها ذكر اليسر والسماحة؛ اللذان هما من مظاهر الاعتدال والتوسط، وعُني الإمام البخاري بتراجم أخرى فيها أمور نُهِي عنها وكُرِهت لمخالفتها الوسطية؛ وأوصى الباحث مؤسسات التعليم الرسمية والأهلية العناية بالجامع الصحيح للبخاري، والإفادة منه في جميع ما يتعلق بالقضايا النازلة؛ خاصة تلك المتعلقة بالفكر والاعتقاد.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري – التطرف – تبويب البخاري – الاعتدال – العنف.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل

إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير الذي تلا على الأمة كتاب ربها، وعلمها السنة والحكمة. صلى الله عليه وعلى أصحابه في الآخرة والأولى. أما بعد: فإن كتاب أبي عبد الله البخاري امتاز بعدة ميّزات فحاز بها التقديم، ونال التكريم، ومن تلك الخصائص ما برع فيه من التبويب، وأبدع فيه من التراجم والتهذيب، فوجدت أبوابه وتراجمه الاستحسان من أهل العلم قاطبة، فألفوا فيها وكتبوا عنها، وهذه دراسة لأبوابه وتراجمه التي قرر فيها وسطية أهل الإسلام حاولت جمعها وبيانها علّي أنتظم في سلك السابقين، وأنال الأجر من رب العالمين.

الدراسة وأسئلتها: تكمن مشكلة هذه الدراسة في أن صحيح الإمام البخاري يعتبر أحد أهم المصادر الإسلامية، وأصحها على الإطلاق بعد القرآن الكريم، وقد عُني به مؤلفه عناية فائقة في التدقيق والتحرير والتبويب، وجعله مشتملاً على سائر ما تحتاجه الأمة من علوم ومعارف؛ خاصة تلك المتعلقة بجوانب الاعتقاد والفكر، وقد امتاز هذا الكتاب علاوة على موضوعه بحسن تبويبه؛ الأمر الذي يدعو إلى استخراج كثير من ملامح الوسطية ونبذ العنف من خلال هذه الأبواب التي انتظمتها جميع صُحُف الكتاب، ويتفرع على ذلك عدة أسئلة:

١/ هل اشتملت أبواب صحيح الإمام البخاري على تقرير الوسطية ونبذ الغلو؟

٢/ ما هي أبرز تلك الجوانب التي تدل على الوسطية من خلال التبويب؟

الأهمية: تأخذ هذه الدراسة أهميتها من جانبين:

الأول: من جهة الموضوع؛ حيث تبحث في أعظم موضوعات الساعة؛ بل هي من أكبر ما يؤرق المجتمعات والحكومات؛ لأن النأي عن الوسطية وركوب موجة العنف والغلو قد ضرب بأطنابه في فكر الشباب المسلم؛ مما يجعل علاجه والوقاية منه أمراً ملحّاً للعلماء والباحثين.

الثاني: تعلق البحث بأهم وأعظم كتاب من كتب الإسلام؛ فإن صحيح الإمام البخاري سِفّر له جلالته ومكانته، والبحث فيه يكسب الدراسة أهمية ومكانة لا تخفى على المشتغلين بالعلم.

الأهداف:

١/ التعريف بصحيح الإمام البخاري وكتابه الصحيح.

٢/ الكشف عن مفهوم الوسطية وأهميتها، وبيان تقريرها من خلال صحيح البخاري.

٣/ بيان ما امتاز به الإسلام من الاعتدال ونبذ العنف.

٤/ الرد على المزاعم الباطلة في كون كتب السنة تشتمل على العنف وتؤصِّل للتطرف.

المنهج المتبع: الاستقرائي التحليلي.

الهيكل: اقتضت طبيعة هذا البحث جعْله في مقدمة ومطلبين وخاتمة على هذا النحو:

المقدمة: فيها مشكلة الدراسة وأسئلتها، وأهميتها، وأهدافها، والمنهج المتبع ومصطلحات الدراسة والهيكل.

المطلب الأول: التعريف بالإمام البخاري وكتابه ومفهوم الوسطية، وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: التعريف بالإمام البخاري.

المقصد الثاني: التعريف بالجامع الصحيح.

المقصد الثالث: مفهوم الوسطية وأهميتها.

المطلب الثاني: أبواب الجامع الصحيح الدالة على الوسطية، وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: أبواب فيها التصريح بالوسطية والاعتدال والقصد.

المقصد الثاني: أبواب فيها ذكر اليسر والسماحة.

المقصد الثالث: أبواب ما نُهِي عنه وكُرِه لمخالفته الوسطية.

الخاتمة: فيها النتائج والتوصيات.

فهرس للمصادر والمراجع.

المطلب الأول

التعريف بالإمام البخاري وكتابه ومفهوم الوسطية

وفيه ثلاثة مقاصد

المقصد الأول: التعريف بالإمام البخاري:

أ/ هـو أبو عبـد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بـن بردزبه الجعفي، فجده بَرْدِزْبَـه بفتح البـاء الموحدة وسكون الـراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكـون الزاي المعجمة وفتـح الباء الموحدة بعدها هاء، ومعناه بالفارسية: الـزراع، وكان بردزبة فارسياً على دين قومه، ولـد الإمام البخاري رحمه الله في يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنـة أربـع وتسعين ومائة ببخارى، وهي من أعظم مدن مـا وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام[1].

ب/ توفي والده وهو صغير فنشأ في حجر أمه، وأقبل على طلب العلم منذ الصغر وقد تحدث عـن نفسه فيما ذكـره الفِرَبْري عن محمد بن أبي حاتم ورّاق البخاري قال: سمعت البخاري يقول: «ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب»، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟، قال: «عشر سنين أو أقل»، إلـى أن قـال: «فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء - يعنـي أصحاب الرأي-»، قال: «ثم خرجت مع أمـي وأخي إلى الحج، فلما طعنت في ثمان عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ بالمدينة عند قبر النبي ﷺ وكنت أكتبـه في الليالي المقمرة»، قال: «وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول الكتاب»[2].

ج/ اشتغـل وهـو صغير في طلب العلم وسماع الحديـث، فسمع من أهل بلده، ثم حج هو وأمه وأخـوه أحمـد وهو أسن منه سنة عشـر ومائتين فرجع أخوه بأمه وبقي في طلـب العلم، فسمع من علماء مكة والمدينة، ثم رحل إلى أكثر محدثي الأمصار في خراسان والشام ومصر ومدن العراق وقـدم بغداد مراراً واجتمـع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علمي الرواية والدراية، وسمـع من علمـاء بلخ ومرو ونيسابور والبصرة، والكوفة ومصر، وسمـع من أناس كثيرين، والْتقى جمـاً غفيراً مـن علماء عصره، ونقل عنـه أنه قال: «كتبت عـن ألف وثمانين نفسـاً ليس فيهم إلا صاحب حديث»[3].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (٤٧٧/١).

(٢) المصدر السابق، (٤٧٧/١-٤٧٨).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، (٣٩٤/١٢-٤٠٤).

د/ وكان رحمه الله قوي الذاكرة سريع الحفظ ذكر عنه المطلعون على حاله ما يتعجب منه الأذكياء ذوو الحفظ والإتقان فضلاً عمن سواهم؛ فقد قال أبو بكر الكلذواني: «ما رأيت مثل محمد بـن إسماعيـل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعـة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مـرة واحدة».، وقال محمد بن أبـي حاتم وراق البخاري: قلت لأبي عبـد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلته في المصنف، قال: «لا يخفى علي جميع ما فيه»، وقال محمد بن حمدوية: سمعـت البخاري يقـول: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألـف حديث غير صحيح». وقال محمـد بن الأزهـر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخـاري معنا يسمع ولا يكتب فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه. ولعل من أعجب ما نقل عنه في ذلك لقاؤه بأهل بغداد، وامتحانهم له[١]!

هـ/ وقد كان البخاري رحمه الله موضع التقدير من شيوخه وأقرانه تحدثوا عنه بما هو أهله وأنزلوه المنزلة التي تليق به، وكذلك غيرهم ممن عاصره أو جاء بعده، وقد جمع مناقبه الحافظان الكبيـران الذهبي وابن حجـر العسقلاني في مؤلفين خاصين، ولعل مـن المناسب هنا ذكر بعض النماذج من ذلك[٢]:

وقـال إمام الأئمة ابن خزيمة: «ما رأيـت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري»[٣].

ويقول الحافظ الذهبي: «وكان رأسا في الذكاء رأسا في العلم رأسا في الورع والعبادة»[٤].

ويقـول فـي كتابه العبر: «وكان من أوعيـة العلم يتوقد ذكاء ولم يخلف بعـده مثله رحمة الله عليه»[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: «أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا ثقة الحديث»[٦].

وقال الحافظ ابن كثير: «هو إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائـر أضرابه وأقرانه»، وقال: «وقـد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، (٤٨٧/١، ٤٨٦، ٤٧٨).

(٢) الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن العباد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط:٢، العدد الرابع، ربيع الثاني، ١٣٩٠ه، ص: (٣٤).

(٣) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧ه ١٩٨٦م، (٢٦/١١).

(٤) تذكرة الحفاظ، الحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:١، ١٤١٩ه ١٩٩٨م، (١٠٤/٢).

(٥) العبر في خبر من غبر، الحافظ شمس الدين الذهبي، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (٣٦٨/١).

(٦) تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد – ط:١، ١٤٠٦ه ١٩٨٦م، سوريا، ص: (٤٦٨).

والـورع والزهد فـي الدنيا دار الفناء والرغبة في الآخرة دار البقاء»، وقال ابن السبكي في طبقات الشافعيـة: «هو إمـام المسلمين وقدوة الموحدين وشيخ المؤمنين والمعـول عليه في أحاديث سيد المرسليـن وحافظ نظام الدين»، وقال محمد بن يعقوب الأخرم سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجالة». هذا غيض من فيض مما قيل في الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى برحمته الواسعة[١].

و/ قد أتحف الإمام البخاري رحمه الله المكتبة الإسلامية بمصنفات قيّمة نافعة أجلّها وعلى رأسهـا كتابه الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتـب المصنفة في الحديث النبوي، ومن مؤلفاته: الأدب المفـرد، ورفع اليدين في الصـلاة، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالديـن، والتأريخ الكبير، والأوسـط، والصغير، وخلق أفعال العباد، والضعفـاء، والجامع الكبير، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة، وكتاب الهبة، وأسامي الصحابة، إلى غير ذلك من كتبه ومصنفاته[٢].

ز/ ومـا زال النـاس منذ عصر الإمام البخاري وإلى يومنا هـذا يثنون عليه ويترحمون عليه، ويولون كتابه الجامع الصحيح العناية التامة، وما من مؤلف في التاريخ وتراجم الرجال إلا ويزين مؤلفـه بذكر ترجمته والتنويه بشأنه ونقل أخباره رحمـه الله، وقد فجعت فيه الأمة رحمه الله ليلة السبـت بعد صلاة العشاء، وكانـت ليلة عيد الفطر، في خَرْتَنك قرية من قرى سمرقند، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين، ومدة عمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما رحمه الله تعالى[٣].

المقصد الثاني: التعريف بالجامع الصحيح:

أ/ اشتهـر بيـن الناس في القديم والحديث تسمية الكتاب الـذي ألفه الإمام البخاري رحمه الله في الحديث النبوي بصحيح البخاري، ولكن اسمه عند مؤلفه رحمه الله هو: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه[٤]، وقد عُني البخاري رحمه الله بهـذا المؤلـف العظيم عناية فائقة؛ فقد نقل الفربري عنه أنه قال: «ما وضعت في كتابي الصحيح حديثـاً إلا اغتسلـت قبل ذلـك وصليت ركعتين»، ونقل عمـر بن محمد البحيري عنـه أنه قال: «ما

(١) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، (٢٤/١١).

(٢) انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٥٣/٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط:١٥، ٢٠٠٢م، (٣٤/٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الحافظ شمس الدين الذهبي، (٤٦٦/١٢)، وتاريخ نيسابور، أبو عبد الله الحاكم، تلخيص: الخليفة النيسابوري، كتابخانة ابن سينا – طهران، عرّبه عن الفارسية د. بهمن كريمي، (٢٩/١).

(٤) معرفة أنواع علوم الحديث، أبو عمرو بن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص: (٢٦)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٨/١).

أدخلت فيه (يعني الجامع الصحيح) حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته»، ونقل عنه عبد الرحمن بن رساين البخاري أنه قال: «صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»[١].

ب/ وعلاوة على الأحاديث الصحيحة التي هي موضوع الكتاب فهو يشتمل أيضا على ما في تراجم أبوابه من التعليقات والاستنباط وذكر أقوال السلف وغير ذلك مما ليس داخلا في موضوع كتابه، قال الحافظ ابن حجر: «ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة»[٢]، وبذلك جمع الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الجامع الصحيح بين الرواية والدراية بين حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهمها[٣].

ج/ وامتاز هذا الكتاب الجليل بتراجم بديعة حيّرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، وهي بعيدة المنال منيعة المثال انفرد بتدقيقه فيها عن نظرائه واشتهر بتحقيقه لها عن قرنائه وقد فصّل القول فيها الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح وذكر أن منها ما يكون دالا بالمطابقة لما يورده تحتها وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له أو بعضه أو معناه وكثيرا ما يترجم بلفظ الاستفهام حيث لا يجزم بأحد الاحتمالين وكثيرا ما يترجم بأمر لا يتضح المقصود منه إلا بالتأمل، وكثيرا ما يترجم بلفظ يومئ إلى معنى حديث لم يصح على شرطه أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحا في الترجمة ويورد في الباب ما يؤدي معناه تارة بأمر ظاهر وتارة بأمر خفي وربما اكتفى أحيانا بلفظ الترجمة التي هي لفظ حديث لم يصح على شرطه وأورد معه أثرا أو آية فكأنه يقول لم يصح في الباب شيء على شرطه، لهذه الأمور وغيرها اشتهر عن جمع من الفضلاء قولهم: «فقه البخاري في تراجمه»[٤].

د/ وقد أثنى على صحيح الإمام البخاري جمع من أهل العلم؛ بل انعقد إجماعهم على تقديمه وقبوله، وهذه طائفة من أقوالهم:

قال الحافظ ابن حجر: «وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارهما البهية - يعني الكتاب والسنة - تقريرا واستنباطا وكرع من

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، (٤٠٢/١٢)، وفتح الباري، (٧/١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٨/١).

(٣) انظر: الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن العباد، ص: (٤٠).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣/١).

مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا ورزق بحسن نية السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في الصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق..»[1].

وقال الحافظ ابن كثير: «وأجمع العلماء على قبوله - يعني صحيح البخاري - وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام»... [2].

وقال ابن السبكي: «وأما كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله[3]».

وقال أبو عمرو ابن الصلاح: «وكتاباهما - أي البخاري ومسلم - أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز» ثم قال: «ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين وأكثرهما فوائد» [4].

وقال النووي: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث»[5].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه الكمال - فيما نقله ابن العماد في شذرات الذهب -: «الإمام أبو عبد الله الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام» [6].

وقال الإمام الشوكاني: «ولا حاجة لنا في الكلام على رجال إسناده فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلها من المعلوم صدقه المتلقى بالقبول المجمع على ثبوته وعند هذه الإجماعات تندفع كل شبهة ويزول كل تشكيك وقد دفع أكابر الأئمة من تعرض للكلام على شيء مما فيهما وردوه أبلغ رد وبينوا صحته أكمل بيان فالكلام على إسناده بعد هذا لا يأتي بفائدة يعتد بها فكل رواته قد جاوزوا القنطرة وارتفع عنهم القيل والقال وصاروا أكبر من أن يتكلم فيهم بكلام أو يتناولهم طعن طاعن أو توهين موهن»[7].

(١) المصدر السابق، (٣/١).

(٢) البداية والنهاية، الحاظ ابن كثير، (٢٤/١١).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤١٣هـ، (٢١٥/٢).

(٤) معرفة أنواع علوم الحديث، أبو عمرو بن الصلاح، ص: (١٨).

(٥) شرح صحيح الإمام مسلم، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط:٢، ١٣٩٢هـ، (١٤/١).

(٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، (١٤٠٦هـ١٩٨٦م، ٢٥٣/٣).

(٧) ولاية الله والطريق إليها، محمد بن علي الشوكاني، ت: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة - مصر، القاهرة، ص: (٢١٨).

هـ/ وقصارى القول أن صحيح البخاري أول مصنف في الصحيح المجرد وهو أصح كتاب بعد كتاب الله العزيز ورجاله مقدمون في الرتبة على غيرهم وأحاديثه على كثرتها لم ينتقد الجهابذة المبرزون في هذا الفن منها إلا القليل مع عدم سلامة هذا النقد ومع هذا كله جمع فيه مؤلفه رحمه الله بين الرواية والدراية وهذه الميزات وغيرها توضح السر في إقبال العلماء عليه واشتغالهم فيه وعنايتهم التامة به، فلقد بذل العلماء قديماً وحديثاً فيه الجهود العظيمة وصرفوا في خدمته الأوقات الثمينة، وأولوه ما هو جدير به من اهتمامهم فكم شارح لجميع ما بين دفتيه بسطا واختصارا ومقتصر على إيضاح بعض جوانبه فألفوا في رجاله وفي شيوخه خصوصا وصنفوا في شرح تراجم أبوابه وفي المناسبة بينها وغير ذلك من الجوانب التي أفردت بالتأليف وكان على رأس المبرزين في هذا الميدان الحافظ الكبير أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ فقد أودع كتابه العظيم فتح الباري مع مقدمته ما فيه العجب فكما أن مؤلفه رحمه الله أحسن في انتقائه وجمعه غاية الإحسان فقد أحسن الحافظ ابن حجر في خدمته والعناية به تمام الإحسان وإن نسبته إلى غيره من الشيوخ كنسبة صحيح البخاري إلى غيره من المصنفات فرحم الله الجميع برحمته الواسعة وجزاهم خير الجزاء[١].

المقصد الثالث: مفهوم الوسطية وأهميتها:

أ/ الوسطية مأخوذة من الوسط، ويدور معناه حول: العدل والخيار والفضل والنصف الذي هو التوسط بين شيئين، أو هو اسم لما بين طرفي الشيء [٢]. قال ابن فارس: (وسط: الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). ويقولون: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها. وهو أوسطهم حسباً، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً)[٣].

والوسط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسماً من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير، ومنه الحديث: (خيار الأمور أوساطها)[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ

(١) انظر: الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن العباد، ص: (٥٠)، وقد استفدت من هذه الرسالة كثيراً فيما يتعلق بهذا المطلب. جزى الله مؤلفها خيراً، ونفعنا بعلمه.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤ه، (٧/٤٢٦-٤٢٧).

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه ١٩٧٩م، (٦/١٠٨).

(٤) عزاه السخاوي لابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، وكذا أخرجه البيهقي عن مطرف. انظر: المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، برقم: (٤٥٥)، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٠٥ ١٩٨٥م، ص: (٣٣٢).

﴿ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[1]؛ أي علـى شـك فهو على طرف مـن دينه غير متوسط فيه ولا متمكن، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[2]؛ أي عدلاً.

ب/ ويراد بالوسطية في الشرع: امتثال شعائر الله تعالى من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير غلـو ولا جفاء؛ لأن الحق وسط بين طرفين؛ فطـرف بالزيادة هو الإفراط والغلو، وطرف بالنقص هـو التفريط والجفاء، وقـد وصفت أمة الإسلام بكونها أمة الوسـط، وأن كتابها ومصدرها يهدي لأحسن الطرق وأعـدل السبل. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. قـال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: (وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم «وسَـط»، لتوسطهـم فـي الدين، فلا هُم أهل غُلـوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذيـن غلوا بالترهب، وقيلِهـم فـي عيسى ما قالوا فيه – ولا هُم أهلُ تقصير فيـه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلـوا أنبياءَهـم، وكذبوا على ربهم، وكفـروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتـدال فيه؛ فوصفهم الله بذلـك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُهـا)[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩﴾[4]، وقـد حث رسول الله ﷺ على الاقتصاد في الأمور كلها ورغب في ذلك، وحذر أيما تحذير عن مجانبة سبيل القسـط كمـا في حجة الوداع، فعَن ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ غَدَاةَ جَمْعٍ[5]: (هَلُمَّ الْقُطْ لِي « فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْف، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِه، قَالَ: « نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ)[6].

ج/ ومظاهـر الوسطية في الإسـلام كثيرة؛ إذ أنه دين الوسـط، والخيرية، فالوسطية صفة ملازمة له في جميع ما أمر به أو نهى عنه، فمن ذلك:

وسطيـة الإسلام فـي العقائد: فأهل الإسلام وسط في صفات الله تعالى؛ فإن اليهود وصفوا

---

(١) سورة الحج، الآية: (١١).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، (١٤٢/٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٩).

(٥) جمع أي: المزدلفة، انظر: غريب الحديث، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، (١٧٢/١).

(٦) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (١٨٥١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، (٣٥٠/٣)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، (١٨٣/٩).

الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة؛ فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء. وقالوا: يد الله مغلولة. وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت. إلى غير ذلك، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا: إنه يخلق ويرزق؛ ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب، والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس له سمي ولا ند ولم يكن له كفوا أحد وليس كمثله شيء، وكذلك هم وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا. بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا، ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في « المسيح « فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه، وهذا باب واسع يطول الكلام عنه(٧).

وسطية الإسلام في العبادات: فقد خفف الله تعالى عن هذه الأمة ووضع عنها الأغلال والآصار التي كانت في الأمم السابقة، ولم يكلف الله هذه الأمة إلا بما تطيق، وجعل شريعته وعباداته ميسرة؛ حيث خفف الله تعالى عن عباده ورفع عنهم الحرج والمشقة، ونهاهم عن الغلو والزيادة في العبادات والتشدد فيها(٨).

وسطية الإسلام في المعاملات: والأصل في المعاملات الحل والإباحة؛ لكن الإسلام أباح جميع ما يحقق العدل والخير، ونهى عن المعاملات التي فيها شطط وجور ومجانبة لهذه الوسطية، فالبيع مثلاً أباحه الله تعالى كله. قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾(٩)؛ لكنه حرّم الربا؛ للزيادة الفاحشة فيه، ونهى عن الغرر للجهالة، وهكذا جميع المعاملات تسير على هذا القانون والمنوال.

وسطية الإسلام في الأخلاق: فإن الإسلام أمر بالأخلاق الفاضلة الحسنة، ونهى عن الأخلاق السيئة الخبيثة؛ لأنه دين العدل والخيار، فكل خلق حسن رغب فيه وأمر به، وأعلى من

(٧) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، (٣/٣٧٠-٣٧٣).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠ه ١٩٩٩م، (٥/٤٥٥-٤٥٦).

(٩) سورة البقرة، الآية: (٢٧٥).

قدر الموصوفين به القائمين عليه، وجعل درجة صاحب الأخلاق عالية ومقامه في الجنة رفيعاً، وكل خلق سيئ حذر منه ونهى عنه، ورتب عليه الوزر والعقاب[1].

د/ ووصف الإسلام بالوسطية يدفع عنه وصمه بالغلو والتطرف، وإلصاق التهم به بكونه دين وحشية وإرهاب وإفساد في الأرض؛ فدين الإسلام دين الاستقامة والعدل والوسطية، وهو بهذا الوصف مخالف للأديان الأخرى ومجانب لها؛ لأن فيها التحريف والغلو والعدول عن الحق قال الله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[3]، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن التشبه بأهل الكتاب لئلا تقع فيما وقعوا فيه من الانحراف والضلال؛ فقال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى)[4]، وقال: (من تشبه بقوم فهو منهم)[5]؛ وقد حرصت الشريعة على الوسطية والاستقامة على الجادة من خلال النصوص السابقة، وأمرت بسلوك الصراط المستقيم من غير غلو ولا جفاء ولا ابتداع لما لم يأذن به الله ورسوله، واعتبرت كل ما لم يكن من دين الله ولا من هديه اعتبرته مردودا غير مقبول؛ ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[6] كما عملت الشريعة على معالجة سائر ما يقع من مظاهر التشدد والانحراف في الاعتقاد أو العمل؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، (٢/٢٩٤).

(٢) سورة النساء، الآية، (٤٦).

(٣) سورة النساء، الآية: (١٧١).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم، (٧٣٨٠) دار الحرمين، (٢٣٨/٧) والترمذي في السنن، برقم، (٢٦٩٥)، ط:٣، الحلبي، (٥٦/٥).

(٥) أخرجه أبوداوود في سننه، برقم:٤٠٣١، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية، بيروت، وصححه الألباني، (٤٤/٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ت: زهير الشاويش دار طوق النجاة، ط:١، (١٨٤/٣).

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]، وبناء على ذلك؛ فلا يصح لأحد أن ينسب الانحراف أو التطرف والغلو للدين الإسلامي بل قد ثبت أن دين الإسلام يناهض الانحراف ويرد عليه ويتبرأ منه غاية البراء. لكن أكثر الواصفين للإسلام بالتشدد والتنطع والارهاب إنما يريدون تشويه هذا الدين وتبغيض الناس فيه لما رأوا من تمدده وانتشاره فحاولوا تشويهه بممارسات خاطئة من هنا وهناك والله متم نوره ولو كره الكافرون.

المطلب الثاني

أبواب الجامع الصحيح الدالة على الوسطية

وفيه ثلاثة مقاصد

المقصد الأول: أبواب فيها التصريح بالوسطية والاعتدال والقصد:

سبق تعريف الوسطية وبيان مفهومها في المطلب السابق، وأما الاعتدال؛ فهو من معاني الوسطية أيضاً؛ لأن الوسط هو العدل الخيار كما سبق، وقد بوّب الإمام البخاري في كتب مختلفة من صحيحه عدداً من الأبواب التي تدل على الوسطية والاعتدال. من ذلك:

أ/ «باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]».

هذا الباب أورده المصنف في كتاب التفسير، وهو نصٌّ في الوسطية؛ حيث ذكر هذه الآية التي فيها إخبار الله سبحانه وتعالى بجعْل أمة النبي ﷺ أمة وسطاً؛ لأجل أن يكونوا شهداء على الأمم غيرهم. قال القسطلاني: «وكذلك) أي: وكما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم، وجعلنا قبلتكم أفضل القبل ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خيارًا أو عدولًا، وجعل بمعنى صيّر فيتعدى لاثنين فالضمير مفعول أوّل، وأمة ثان ووسطًا نعت، وهو بالتحريك اسم لما بين الطرفين، ويطلق على خيار الشيء، وقيل: كل ما صلح فيه لفظ بين يقال بالسكون وإلا فبالتحريك تقول: جلست وسَط القوم بالتحريك، ... (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة (ويكون الرسول عليكم شهيدًا علة للجعل)[3]، ويؤخذ من هذه الترجمة:

معنى الوسط، وأنه العدل الخيار من كل شيئ، وأنه بين طرفي نقيض.

مكانة أمة الإسلام وفضلها على سائر الأمم؛ لكونها شاهدة عليهم، ولا يكون الشاهد إلا على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٢/٧).

(٢) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب التفسير، (٢١/٦).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط:٧، ١٣٢٣ه، (١٥/٧-١٦).

حال حسن.

بعْد الإسلام وأهله عن الغلو والتطرف في الدين.

ب/ «بـاب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم[١]».

هــذه الترجمــة ذكرها الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتـاب والسنة، وكما هو ظاهر فإنهــا قريبة من الترجمة التي سبقت؛ حيث اشتــركا كلتاهما في التبويب بالآية الكريمة من سورة البقــرة التــي هي نصٌ في وصف الأمة بالوسطية؛ لكن فيها زيـادة وهي قوله: (وما أمر النبي ﷺ بلــزوم الجماعة، وهم أهل العلم)، وتفسير قوله: (أمة وسطـاً) أي: خيارًا، وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية، أو عدولاً؛ لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضهــا أقرب من بعضٍ أي: ﴿جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ بين الغلوّ والتقصير فإنكم لم تغلوا غلوّ النصــارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصيــر اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا، وعيسى بأنه ولد الزنا[٢]، ووجه مناسبة ذكر الأمر بلزوم الجماعة، وتفسير ذلك بكونهم أهل العلم مــع التبويــب بالآية هو أن لزوم الجماعة الذي هم أهل العلــم يدل على أنهم أهل الوسط العدل[٣]، وطريقتهــم هي العدل الخيــار؛ لكونهم المتمسكين بسنة رسول الله صلــى الله عليه وسلم، ويؤخذ من هذه الترجمة:

أن مــن الوسطيــة لزوم جماعــة المسلمين وطريقة أهــل العلم الراسخيــن، ونبذ التفرق في الدين بالغلو أو التطرف أوالابتداع.

أن من ترك الجماعة وتفرق في دينه؛ فليس من أهل الوسطية الذين مدحوا في هذه الآية.

أن مــن غــلا وتطرف ولم يعتدل في دينه؛ فلا يصلح أن يكــون شهيداً؛ لكون الشهيد لا بد أن يكون عدلاً.

ج/ «باب: الشهداء العدول، وقول الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾. الطلاق: ٢، و ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾. البقرة: ٢٨٢ [٤]».

قــال العيني: (أي: هذا باب في بيــان الشهداء العدول، يعني: من هم؟ والشهداء جمع شهيد

(١) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (١٠٧/٩).

(٢) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس القسطلاني، (٣٤١/١٠).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٣١٦/١٣).

(٤) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الشهادات، (١٦٩/٣).

بمعنــى: الشاهد، والعــدول جمع عدل، والعدل من ظهر منه الخير)[1]، ثــم ذكر عدداً من الأقوال في معنى العدل، وأنه: المسلم الذي لم يظهر فيه ريبة، وما لم يطعن في بطن ولا فرج، ولم يصب حــداً أو يعلــم عنه جريمــة في دينه، أو هو من كانــت طاعته أكثر من معاصيــه، وكان الأغلب عليه الخيــر، والمــروءة ولم يأت كبيرة يجب الحد بها أو ما يشبــه الحد، وجماع ذلك أنه ما لا يعلم عنه إلا خيراً[2]، ويؤخذ من هذا التبويب:

أن العدالــة شــرط في الشهــود، وأن الشهــود إذا لم يُرضَ بهــم لمانع عن الشهــادة لا تقبل شهادتهم[3].

أن الشاهد هو أعدل الناس وأوسطهم بعيداً عن كل ما يقدح فيه؛ سواء أكان من جهة الإفراط أو التفريط؛ لكونهما منافيين للوسطية التي تقتضي العدالة.

د/ باب: القصد والمداومة على العمل[4].

هــذا الباب الغرض منه بيــان استحباب القصد، وهو بفتح القاف وسكــون الصاد المهملة؛ السلــوك فــي الطريق المعتدلة، ويقال القصــد: استقامة الطريق بين الإفــراط والتفريط، وقوله: والمداومــة، أي: وفــي بيــان المداومة على العمل الصالــح[5]، ويدل هذا الباب علــى الوسطية من جوانب:

اطلاق لفظ القصد على التوسط والاعتدال في الأمر.

أن دين الله تعالى قصد واعتدال؛ لأنه يأمر بالسير على الطريق القويم والصراط المستقيم.

المداومة على العمل الصالح ولو كان قليلاً، وعدم قطعه من مظاهر الوسطية والاعتدال في أمور العبادات.

المقصد الثاني: أبواب فيها ذكر اليسر والسماحة:

أ/ «باب: الدين يسر وقول النبي ﷺ: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة[6]».

المقصــود بالدين؛ أي دين الإسلام، وأنه ذو يســر، أو سمى الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديــان قبلــه؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهــم، ومن أوضح الأمثلة له

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٣/١٩٩).

(٢) المرجع السابق، (١٣/١٩٩-٢٠٠).

(٣) انظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، (٤/٣٧٦)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٣/٢٠٠).

(٤) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الرقاق، (٨/٩٨).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (٢٣/٦٣)،إرشاد الساري، القسطلاني، (٩/٢٦٥).

(٦) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الإيمان، (١/١٦).

أن توبتهـم كانـت بقتل أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم، وقوله: (أحب الدين) أي: خصـال الديـن؛ لأن خصال الدين كلهـا محبوبة لكن ما كان منها سمحـا أي: سهلاً فهو أحب إلى الله، ويـدل عليـه قول رسول الله ﷺ: (خيـر دينكم أيسره)[1]، أو الدين جنس أي: أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدّل وتنسخ، والحنيفية ملة إبراهيم والحنيـف في اللغـة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصـل الحنـف الميـل، والسمحـة السهلة أي: أنهـا مبنية علـى السهولة؛ لقولـه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2]، وقـد استعمـل المؤلـف هذا الحديث فـي الترجمة وإن لـم يكن على شرطه؛ لكونه مناسباً للسهولة واليسـر[3]، وتدل هذه الترجمة على الوسطية من عدة جوانب:

وصف دين الإسلام باليسر والسهولة والسماحة، وكلها ألفاظ متقاربة تدل على عدم الجفاء، والشدة التي تنافى التوسط والاعتدال.

أن الإسـلام ديـن الوسط، وهو مغايرٌ للأديان السابقة؛ حيث شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهـم، وهدى الله هذه الملة إلى السماحة في جميع أمورهم من العقائد، والعبادات والمعاملات ونحوها.

أن أصـل الوسطيـة والسماحة واليسر هي دين الأنبياء ابتداءً مـن إبراهيم، وسائر من بعده من بنيه عليهم الصلاة والسلام.

ب/ باب: إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت، أو خاف العطش، تيمم[4].

المـراد بهـذا البـاب بيان أن مـن كان جنباً، وخاف علـى نفسه المرض أو المـوت، أو خاف العطش إذا استخـدم الماء؛ فإنـه يشرع له التيمم، وقد ذكر المصنف فيـه خبر عمرو بن العاص بأنـه (أجنب في ليلـة باردة، فتيمـم، وتـلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾[5]، فذكـر للنبي ﷺ فلم يعنف)[6]، وهذه الترجمة تشبه الترجمة السابقة في تقرير يسر الشريعة، وسماحة الدين، ويدل الباب على الوسطية في أن:

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (١٥٩٣٦)، (٢٥/٢٨٤).
(٢) سورة الحج، الآية: (٧٨).
(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/٩٣-٩٤).
(٤) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب التيمم، (١/٧٧).
(٥) سورة النساء، الآية: (٢٩).
(٦) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب التيمم، (١/٧٧). (٣)

الدين الإسلامي يسر في شعائره ليس فيه تكليف بالشدة المنافية للوسطية.

الاعتدال في التعبد رحمة من الله تعالى بعباده، وأنه لا ينبغي للمكلف أن يشدد على نفسه أو يحملها ما لا تطيق.

ج/ «باب: الوضوء بالمد[١]».

هـذا البـاب أورده المصنف ليبين قدر الماء الذي كان يكفي النبـي ﷺ في الوضوء، والمد هـو ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين، وقدره بعضهم برطل وثلث، وليس المد والصـاع فى ذلك بحتـم، وإنما ذلك إخبار عن القدر الذى كان يكفيـه صلى الله عليه وسلم لا أنه حـدٌّ لا يجزئ دونـه، وإنما قصد به التنبيه على فضيلة الاقتصاد وتـرك السرف، والمستحب لمن يقدر على الإسباغ بالقليل أن يقلل ولا يزيد على ذلك، لأن السرف ممنوع فى الشريعة[٢]، وتدل هذه الترجمة على تقرير الوسطية من جهة:

ترك الإسـراف والتبذير الذي يعتبر أحد طرفي الأمور المذمومة؛ لأنه طرف الإفراط الذي ينافي الوسطية.

ضرورة التوسط في استخدام ماء الوضوء والطهارة، وعدم التجاوز فيها.

د/ «باب: الغسل بالصاع ونحوه[٣]».

المراد بعقد هذا الباب بيان قدر الماء الذي كان يغتسل به النبي ﷺ، وقوله: (بالصاع) أي: بمـلء الصاع ونحوه؛ أي: ما يقاربه، والصاع خمسة أرطال وثلث[٤]أربعة أمداد ، والترجمة ظاهرة في الدلالة على الوسطية وتقريرها مثل الترجمة السابقة في الوضوء بالمد؛ لأن:

الاقتصـاد في ماء الغسل هو هدي رسول الله ﷺ في الطهارة، وهدي أوسط الهدي وأعدله وأحسنه.

الإسـراف والتبذير تجاوز في الحد الشرعـي، وما كان كذلك فهو مناف للوسطية والاعتدال التي وصف بها الدين.

هـ/ باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف[٥].

---

(١) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الوضوء، (٥١/١).

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط:٣، ١٤٢٣ه ٢٠٠٣م، (٣٠٢/١-٣٠٣).

(٣) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الغسل، (٥٩/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٣٦٤/١).

(٥) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب البيوع، (٥٧/٣).

هـذا الباب في بيان استحبـاب السهولة، وهي ضـد الصعب، وضد الحـزن، والسماحة من سمـح وأسمح إذا جـاد وأعطى عن كرم وسخاء[١]، وقـال بعضهم: السهولـة والسماحة متقاربان فـي المعنى، فعطـف أحدهما على الآخر من التأكيد اللفظي، والعفـاف، بفتح العين: الكف عما لا يحل[٢]، ويؤخذ من هذا الباب:

أن السهولة والسماحة مرغب فيها مأمور بها في سائر المعاملات، وهما من مظاهر الوسطية والاعتدال.

أن التشديد والتعسير غير مرغوب فيه شرعاً بل هو منافٍ لسماحة الإسلام ويسر الشريعة.

الوسطيـة والاعتـدال لا يقتصـران علـى العبـادات فقط بل تتجلـى مظاهرهمـا في جميع المعاملات وعلائق الناس وعاداتهم.

المقصد الثالث: أبواب ما نُهِي عنه وكُرِه لمخالفته الوسطية:

أ/ باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه[٣].

قـد ورد النهي عـن كثرة السؤال، وعن التكلـف فيه؛ بأن يسأل عن الغيبيـات أو مما لا طائل وراءه، أو ربمـا سـأل عن أمور يكـون في الإجابة عنها حرج لبعض الناس. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[٤]، ويؤخذ من هذه الترجمة:

النهي عن كثرة السؤال وتكلف ذلك؛ لما فيه من مجانبة الوسطية، وطريقة الاعتدال.

أن التكلف ضرب من ضروب عدم الوسطية بل هو نوع غلو وإفراط.

ب/ «باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع[٥]».

التعمـق بالمهملـة وبتشديـد الميم ثم قـاف، ومعناه التشديـد في الأمر حتـى يتجاوز الحد فيـه، وأمـا التنازع فمن المنازعة؛ وهي في الأصل المجاذبة ويعبـر بها عن المجادلة، والمراد بها المجادلـة عنـد الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل والمذمـوم منه اللجاج بعد قيام الدليل، وأمـا الغلو فهـو المبالغة في الشيء والتشديـد فيه بتجاوز الحد وفيه معنـى التعمق؛ يقال غلا في

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، (٢/٤٢٨،٣٩٨).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (١١/١٨٨).

(٣) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٩/٩٥).

(٤) سورة المائدة، الآية: (١٠١)، وانظر:شرح ابن بطال، (١٠/٣٣٧-٣٤٠).

(٥) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٩/٩٧).

الشـيء يغلـو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلـو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى[١]، والبدع جمع بدعة وهي: ما لم يكن له أصل في الكتاب والسنة، وقيل: إظهار شيء لم يكن في عهد رسول الله ولا في زمن الصحابة، رضي الله تعالى عنهم[٢]، ويؤخذ منه:

تحريم التعمق والغلو والابتداع في الدين؛ لكونها تجاوز عن الحد المأذون فيه شرعاً.

أن التجاوز في الحد المأذون فيه شرعاً في العلم أو العمل؛ بعدٌ عن الوسطية والاعتدال.

ج/ «باب ما يكره من الإطناب في المدح، وليقل ما يعلم[٣]».

الإطنـاب، بكسـر الهمزة: المبالغة فـي الكلام. قولـه: (وليقل)؛ أي: المـادح، ما يعلمه في الممدوح ولا يتجاوزه ولا يطنب فيه[٤]، وهو ظاهر في تقرير الوسطية؛ لأن:

الإطناب ضرب من ضروب المبالغة والإفراط المنافي للوسطية.

وجوب مراعاة الوسطية في الأقوال، والعلاقات والعادات.

د/ «باب ما يكره من التبتل والخصاء[٥]».

المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة، والخصاء هو الشق علـى الأنثييـن وانتزاعهما، وإنما قال ما يكره من التبتل والخصـاء للإشارة إلى أن الذي يكره من التبتـل هو الذي يفضي إلى التنطع، وتحريم ما أحـل الله، وليس التبتل من أصله مكروهاً، وعطف الخصاء عليه؛ لأن بعضه يجوز في الحيوان المأكول[٦]، وتقرير الباب للوسطية من ناحيتين:

الخروج على الحد الشرعي، وعن الفطرة يعد من صور الغلو والإفراط المجانبيّن للوسطية.

ترك الزواج، وفعل الخصاء؛ تشبه بأهل الغلو من اليهود والنصارى.

هـ/ «باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا[٧]».

يتخولهـم: بالخاء المعجمة وفي آخره اللام، معنـاه: يتعهدهم، وهو من التخول، وهو التعهد يعني: كان يتعهدهم ويراعي الأوقات في وعظهم، ويتحرى منها ما كان مظنة القبول، ولا يفعله كل

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، (٢٨٧/١٣).

(٢) انظر: عمدة القاري، (٣٧/٢٥).

(٣) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الشهادات، (١٧٧/٣).

(٤) انظر: عمدة القاري، بدر الدين العيني، (٢٣٨/١٣).

(٥) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب النكاح، (٤/٧).

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر، (١١٨/٩).

(٧) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب العلم، (٢٥/١).

يوم لئلا يسأموا، ويملوا عنه ويتباعدوا منه[1]، ويؤخذ منه:

مراعاة الوسطية في التعليم والموعظة.

تـرك التوسط في التعليم والموعظة سبب للملل والسآمة، وربما الانقطاع والنفور عن العلم، ومثله العمل.

الخاتمة

فيها النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

كتاب الإمام البخاري الجامع الصحيح جامعةٌ لكل فنون العلم المختلفة التي لا يستغني عنها طلاب العلم الشرعي والعلماء، ومنهجه فيه غاية في الدقة وآية في التصنيف.

قرر الإمام البخاري الوسطية من خلال تبويبه في كتابه الصحيح بأساليب متعددة وطرائق متنوعة؛ حيث صرّح في بعض الأبواب بالوسطية والاعتدال والقصد.

وعقـد أبواباً أخرى فيها ذكر اليسر والسماحة؛ اللـذان هما من مظاهر الاعتدال والتوسط، ومن أعظم خصائص هذه الشريعة.

عُنـي الإمام البخاري بتراجم أخرى فيها أمور نُهِي عنها وكُرِهت لمخالفتها الوسطية؛ فذكر من ذلك النهي عن التكلف والتعمق، والإطناب والغلو والابتداع.

تعـد كتب الحديـث المسندة صمام للأمن الفكري، وأهم ما يعصم من فتن الغلو والتطرف؛ بل هي أعظم حصن للشباب ضد تيارات الانحراف.

ثانياً: التوصيات:

على مؤسسات التعليم الرسمية والأهلية العناية بالجامع الصحيح للبخاري، والإفادة منه في جميع ما يتعلق بالقضايا النازلة؛ خاصة تلك المتعلقة بالفكر والاعتقاد.

على الباحثين إبراز جهود الأئمة المصنفين في العلوم الشرعية، وبيان طرائقهم في معالجة القضايا الملحة، والذب عنهم وعن كتبهم من الطعن المتكرر يوماً بعد يوم.

فهرس للمصادر والمراجع:

إرشـاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة

(١) انظر: عمدة القاري، بدر الدين العيني، (٢/٤٣).

الكبرى الأميرية، مصر، ط:٧، ١٣٢٣ه.

الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط:١٥، ٢٠٠٢م.

الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن العباد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط:٢، العدد الرابع، ربيع الثاني، ١٣٩٠ه.

البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧ه ١٩٨٦م.

تاريخ نيسابور، أبو عبد الله الحاكم، تلخيص: الخليفة النيسابوري، كتابخانة ابن سينا – طهران، عرّبه عن الفارسية د. بهمن كريمي.

تذكرة الحفاظ، الحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:١، ١٤١٩ه ١٩٩٨م.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠ه ١٩٩٩م.

تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط:١، ١٤٠٦ه ١٩٨٦م.

جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: زهير الشاويش دار طوق النجاة، ط:١.

سنن أبي وداوود، أبو داوود السجستاني، ت: محمد محي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية، بيروت.

سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ه ١٩٨٥م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (١٤٠٦ه ١٩٨٦م.

شرح صحيح الإمام مسلم، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٢، ١٣٩٢ه.

شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط:٣، ١٤٢٣ه ٢٠٠٣م.

صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ

١٩٨٨م.

طبقــات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤١٣ه.

العبــر في خبر مــن غبر، الحافظ شمســ الدين الذهبــي، ت: أبو هاجر محمــد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

غريب الحديث، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

فتــح الباري شــرح صحيح البخاري، الحافظ ابــن حجر العسقلانــي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤ه.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤١٦ه ١٩٩٦م.

مسنــد الإمــام أحمد، ت: شعيــب الأرنؤوط وآخريــن، مؤسسة الرسالــة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين.

معجــم المؤلفين، عمــر رضا كحالة، مكتبة المثنــى - بيروت، دار إحيــاء التراث العربي – بيروت.

معرفة أنواع علوم الحديث، أبو عمرو بن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، ١٤٠٦ه ١٩٨٦م.

المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاويي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٠٥ ١٩٨٥م.

مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه ١٩٧٩م.

النهايــة فــي غريب الحديث والأثــر، مجد الدين أبــو السعادات بن الأثيــر، ت: طاهر أحمد

الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ولايـة الله والطريق إليها، محمد بن علي الشوكانـي، ت: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة – مصر ، القاهرة.

أ. م. د. زكريا صبحي محمد زين الدين
فلسطين – غزة

معالم وسطية الإمام البخاري في قضايا المرأة
(من خلال تراجمه في كتاب النكاح في صحيحه)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث معالم وسطية الإمام البخاري في أهم قضايا المرأة من خلال تراجم أبواب كتاب النكاح من صحيح البخاري، وتم انتقاء تسعة عشر ترجمة تعرض أبرز قضايا المرأة، التي تتجلى فيها وسطية البخاري، وأظهر البحث في تمهيد؛ معنى الوسطية في اللغة وغريب الحديث ومعنى وسطية الأمة، ثم بين وسطية البخاري في قضايا المرأة كزوجة؛ في تزويجها، ثم كونها راعية مسئولة، ثم في فن تعامل الزوج مع زوجته، كل هذا في مبحثه الأول، وبين في مبحثه الثاني وسطية البخاري في دحض النظرة الدونية للمرأة؛ فأبطل أن المرأة شؤم، وعوجاء، وفي مبحثه الثالث بين وسطية البخاري في مشاركة المرأة المجتمعية الترويحية وضوابطها. وتوصل البحث في نتائجه إلى معالم وسطية البخاري التي تتسم بمعنى الاعتدال والعدل والخيرية والأمان والقوة.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أما بعد:

التشدد يكاد ينتشر ويملأ المجتمعات الإسلامية، وأعداء الإسلام يغذون التشدد والتطرف لتبقى حرابهم مشرعة على الإسلام والمسلمين بحجة الإرهاب والتطرف والتشدد، وإبراز وسطية الإسلام ووسطية علمائه، والبخاري عَلَمُ هذه الأمة الأبرز الذي تواتر إجماع أمة الإسلام عليه وعلى كتابه الصحيح، وهذا البحث يتناول بيان وسطية البخاري في قضايا المرأة من خلال

تراجمـه في كتـاب النكاح من صحيحه، والمرأة تحتل مكانة مرموقة في سائر تراجم كتب صحيح البخـاري فلا يكاد يخلو كتاب من تراجم تخص المـرأة وقضاياها، وأكثر الكتب التي احتوت على تراجم تخص المرأة هو كتاب النكاح الذي بلغت عدد تراجمه مائة وخمسة وعشرين بابًا، انتقيت منهـا تسعة عشر بابًا، لأستنبط منها وسطية البخاري فـي قضايا المرأة كزوجة، ودحض النظرة الدونية للمرأة، والمشاركة المجتمعية الترويحية للمرأة.

أولاً: أهمية البحث:

١- يعتبر هذا البحث أحد دراسات السنة المعاصرة التي تعالج مشكلة التشدد والتطرف.

٢- يعتبر هذا البحث أحد الدراسات المهتمة بصحيح البخاري وشروحه.

٣-يبيـن وسطيـة أحد أعلام السنـة وأبرزها وهو البخاري رحمـه الله ويدافع عن الصحيح وصاحبه.

ثانيًا: أهداف البحث:

١-بيان وسطية الإسلام بشكل عام ووسطية البخاري بشكل خاص.

٢-إبراز وسطية البخاري في قضايا المرأة الأبرز من خلال تراجمه في كتاب النكاح.

٣-إثـراء المكتبة الإسلامية بإضافة جديـدة في مجال دراسات السنة المعاصرة والمدافعة عن صحيح البخاري.

ثالثًا: منهج الباحث:

١- اتبعـت المنهـج الانتقائي فـي انتقاء الكتـاب من كتب صحيـح البخاري، ثم فـي انتقاء تراجم الأبواب من ذات الكتاب، التي يدور عليها البحث، ثم المنهج الاستنباطي في فهم التراجم والأحاديث وتوظيفها لخدمة البحث.

٢- رتبـت هذه التراجم المنتقاة مـن كتاب البخاري ترتيبًا موضوعيًـا لتشكل ثلاثة مباحث بمطالبها، تربط التراجم ببعضها لتكون موضوعًا متلائمًا مع عنوان المبحث ومطالبه.

٣- اعتمـدت على كتب شروح صحيح البخاري في فهم التراجم والتعليق عليها؛ وانتقيت من كلامهـم ما يعضد فكرة البحث، وعقبـت بما استنبطته من الترجمـة والحديث وكلام الشراح ما يبرز وسطية البخاري في القضايا المطروحة.

رابعًا: مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الأمور التالية:

١- المجتمعـات المسلمـة يـراد لها أن تعج بالتشـدد والمتشددين لتُتهم بعـد ذلك بالتشدد

والتطرف والإرهاب ليَنفر الناس عن الإسلام، فتبيان وسطية الإسلام تعالج هذه المشكلة.

٢- هل الإمام البخاري صاحب الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول وأحد أعلام الأمة وعلمائها، متشددًا أم وسطيًا؟

٣- المرأة أحد أكبر المستهدفين لسهام المغرضين، وبيان وسطية البخاري في قضايا المرأة يسهم في الذود عن السنة وعلمائها.

خامسًا: الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة سابقة تتناول فكرة البحث.

سادسًا: خطة البحث: تتكون من تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد: في بيان معنى الوسطية في اللغة وغريب الحديث، وبيان وسطية أمة الإسلام.

المبحث الأول: وسطية البخاري في قضايا المرأةِ كزوجة؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وسطية البخاري في قضايا تزويج المرأة.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في كون الزوجة مسئولةً وراعيةً.

المطلب الثالث: وسطية البخاري في فن تعامل الزوج مع زوجته.

المبحث الثاني: وسطية البخاري في دحض النظرة الدونية للمرأة؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسطية البخاري في علاقة المرأة بالشؤم.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في اعوجاج المرأة.

المبحث الثالث: وسطية البخاري في مشاركة المرأة المجتمعية وضوابطها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسطية البخاري في المشاركة المجتمعية الترويحية للمرأة.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في ضوابط الخلوة بالمرأة.

تمهيد: بيان معنى الوسطية، ووسطية الأمة

أولاً: الوسطية في اللغة:

(وسط) الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). ويقولون: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها. وهو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا [(١)].

(١) ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨)

ثانيًا: الوسطية في غريب الحديث:

قـال ابن الأثير: «وفيه «خير الأمـور أوساطها»[1] كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فـإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بيـن الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدًا ازداد منه تعريًا. وأبعـد الجهات والمقادير والمعاني مـن كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسـط فقـد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان. وفيـه «الوالد أوسط أبواب الجنة»[2] أي خيرها. يقال: هو من أوسط قومه: أي خيارهم. ومنه الحديث «أنه كان من أوسط قومه»[3] أي من أشرفهـم وأحسبهم: وقـد وسط وساطة فهو وسيط. ومنه حديث رقيقـة «انظروا رجلاً وسيطًا»[4] أي حسيبًـا في قومه. ومنه سميت الصلاة الوسطى؛ لأنهـا أفضل الصلاة وأعظمها أجرًا، ولذلك خصت بالمحافظة عليها. وقيل: لأنها وسط بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، ولذلك وقع الخلاف فيها، فقيل: العصر، وقيل: الصبح، وقيل غير ذلك. ومن ذلك الأصل استُعملت في التعبير عن خير مـا في الشيء: «فوسَط الشيء هو أَصْوَنُه وأبْعَدُه عن الابتذال، وهو أيضًا لُبّ الشيء. وتحققت هذه الملاحـظ فـي ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ عدولًا - أخذًا من التـوازن بين النـاحيتين/ خيـارًا كما قال تعالـى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القلم: ٢٨). أفضلهم وأرجحهم عقلا (بحر ٨/ ٣٠٧)»[5].

ثالثًا: أمة الإسلام أمة وسط:

قـال تعالـى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقـرة: ١٤٣). ولقد جـاء تفسير هذه الآية بمـا أخرجه البخاري مـن حديث أبـي سَعيد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُـهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُـولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُـمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥١٨/٨ رقم: ٦١٧٦، من قول مُطَرِّف بْن الشِّخِّير. وقال الألباني: إسناده صحيح موقوف» (السلسلة الضعيفة ١٤/١١٦٤). قلت: مقصده موقوف على مُطَرِّف، وإلا فهو تابعي وحديثه مقطوع لا موقوف وذلك في اصطلاح المحدثين.

(٢) «أخرجه أحمد ٥١٧/٤٥ رقم: ٢٧٥٢٨ من حديث أبي الدرداء. وقال الأرنؤوط في الحاشية: إسناده حسن». وقال الألباني: «صحيح» (صحيح الجامع الصغير ١٢٠٠/٢ رقم: ٧١٤٥)

(٣) «أخرجه أحمد بن منيع كما في المطالب العالية لابن حجر من طرييق الشعبي، فكتب إليَّ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان واسطة النَّسب في قريش ...» وقال ابن حجر: صحيح (المطالب العالية (١٥/ ١٩٦)).

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء ص ٦٠٥ رقم: ٢٢١٠، وقال الهيثمي: «وَفِيهِ زَحْرُ بْنُ حِصْنٍ قَالَ الذَّهَبِيُّ: لَا يُعْرَفُ» (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/ ٢١٥)).

(٥) ابن الأثير؛ النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٤).

لَـكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ»[١]

ووسطيــة الأمــة في كل شيء فهــي وسط: في التصــور والاعتقاد، في التفكيــر والشعور، في التنظيم والتنسيق، في الارتباطات والعلاقات، في المكان، في الزمان.[٢]

المبحث الأول: وسطية البخاري في قضايا المرأة كزوجة

لقــد شــرع الله الــزواج آية مــن آياته، والمــرأة تنشأ بنتًــا صغيرة ثم تكبــر لتصبح فتاة شابــة مؤهلة للزواج، فتتــزوج لتصبح امرأة واعية زوجة لزوجها، والمرأة كزوجة هو معظم فترات حياتها، وفي هذا المبحث نرى وسطية البخاري في قضايا المرأة كزوجة، بدءًا بتزويج المرأة، ثم كونهــا شريكــة حياة مع زوجها تشاركه المسئولية والرعاية، ثــم في تعامل الزوج مع زوجته، وذلك في مطالب ثلاثة.

المطلب الأول: وسطية البخاري في قضايا تزويج المرأة

إن الشائــع والغالــب فــي أوساط المسلميــن أن يخطب الرجــل المرأة من وليهــا بعد أن يختارهــا هــو أو أمه أو أخته، فهل للمــرأة أن تعرض نفسها على الرجل للــزواج، أو أن يعرض ولي المــرأة ابنتــه أو أختــه للزواج، سيّما مــع انتشار دعوات التحــرر من قيود الالتــزام والتواصل بين الشبــاب والفتيات بــدون علم أولياء أمورهم، وغالب هذه العلاقات تفضي إلى محرمات. وفي هذا المطلــب تبــرز وسطية الإمام البخاري -رحمــه الله- في أن للمرأة أن تعرضــ نفسها على الرجل الصالــح للزواج، أو أن يعرضها وليها، وذلك مــن خلال ما ترجم به البخاري لبعض الأحاديث في أبواب كتاب النكاح.

قال البخاري: «بَابُ عَرْضِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ»[٣].

قَــالَ ابن الْمُنِيرِ فِي الْحَاشِيَةِ مِنْ لَطَائِفِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ لَمَّا عَلِمَ الْخُصُوصِيَّةَ فِي قِصَّةِ الْوَاهِبَةِ اسْتَنْبَطَ مِنَ الْحَدِيثِ مَا لَا خُصُوصِيَّةَ فِيهِ وَهُوَ جَوَازُ عَرْضِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ رَغْبَةً فِي صَلَاحِهِ فَيَجُوزُ لَهَا ذَلِكَ وَإِذَا رَغِبَ فِيهَا تَزَوَّجَهَا بِشَرْطِهِ.[٤]

قــال المهلــب: فيه جواز عرضــ المرأة نفسهــا على الرجــل الصالح وتعريفــه برغبتها فيه

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٣٤) رقم: ٣٣٣٩، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾.

(٢) انظر تفاصيل ذلك من كلام سيد قطب؛ في ظلال القرآن (١/ ١٣١)

(٣) صحيح البخاري (٧/١٢)

(٤) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ١٧٥)

لصلاحــه وفضلــه، ولعلمه وشرفــه، أو لخصلة من خصـــال الدين، وأنه لا عــار عليها في ذلك ولا غضاضة، بل ذلك زائد في فضلها، لقول أنس لابنته: هي خير منك. وفيه: أن للرجل الذي تعرض المــرأة نفسهــا عليه ألا ينكحهــا إلا إذا وجد في نفسه رغبة فيها، ولذلــك صوب النبي ﷺ النظر فيهــا وصعده، فلما لم يجد فــي نفسه رغبة فيها سكت عن إجابتها. وفيه: جواز سكوت العالم ومن سئـل حاجة إذا لم يرد الإسعاف ولا الإجابة في المسألة، وأن ذلك أدب في الرد بالكلام وألين في صرف السائل[(١)].

وتتضــح وسطية البخاري في هــذه الترجمة بمعنى العدل والأمان، فالعدل يتحقق بأن المرأة تعرضـ نفسها كما يعرض الرجل نفسه وبيان جواز ذلك، والوسطية بمعنى الأمان متحقق في قول البخــاري «الرجـل الصالح» فقيد العرض أن يكــون على الرجل الصالــح، فصلاحه يحقق الأمان للمرأة فيصونها ويقدر عرضها نفسها؛ فلا ينظر لها أنها رخيصة، أو يستغل رغبتها فيقضي منها شهوتــه دون زواج، وصلاحــه يمنعه من كل ذلك، حتى لو لم يرغــب بالزواج منها يسكت ولا يجيب بالرفض لئلا يجرح كبريائها.

وكذلك ترجم البخاري فقال: «بَابُ عَرْضِ الإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الخَيْرِ»[(٢)]

أَي: هَذَا بَاب فِي بَيَان جَوَاز عرض الرجل ابْنَته أَو أُخْته على أهل الْخَيْر وَالصَّلَاح، وَلَا نقص فِيهِ[(٣)]. وأَوْرَدَ عَرْضَ الْبِنْتِ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَعَرْضَ الْأُخْتِ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي[(٤)].

وَفِيهِ عَرْضُ الْإِنْسَانِ بِنْتَهُ وَغَيْرَهَا مِنْ مَوْلَيَاتِهِ عَلَى مَنْ يُعْتَقَدُ خَيْرُهُ وَصَلَاحُهُ لِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ الْعَائِدِ عَلَى الْمَعْرُوضَةِ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَا اسْتِحْيَاءَ فِي ذَلِكَ وَفِيهِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِعَرْضِهَا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ مُتَزَوِّجًا لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ حِينَئِذٍ مُتَزَوِّجًا[(٥)].

وكذلــك هنــا يتضح العــدل والأمان فالعدل فــي أن يعرض ولي المرأة ابنتــه أو أخته كما يعرض ذوي الشاب ابنهم على أولياء الفتاة في طلبهم لها للتزويج، والأمان متحقق في القيد الذي جعله البخاري في الترجمة «على أهل الخير».

وطالمــا أن الولي هو المسئول عن تزويج ابنته أو أخته فقد يجور عليها فيزوجها من غير رغبة منها لذا نرى فقه البخاري في ذلك حين ترجم فقال: «بَابُ لاَ يُنْكِحُ الأَبُ وَغَيْرُهُ البِكْرَ وَالثَّيِّبَ إِلَّا بِرِضَاهَا»[(٦)].

---

(١) ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري (٧/ ٢٢٧)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٣)

(٣) العيني؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ١١٤)

(٤) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ١٧٦)

(٥) المرجع السابق (٩/ ١٧٨)

(٦) صحيح البخاري (٧/ ١٧)

هــذا (بــاب) بالتنوين (لا ينكح الأب) بضم التحتية وكسر الــكاف من الإنكاح (وغيره) من الأوليــاء (البكــر والثيــب إلا برضاهما) ســواء كانتا كبيرتيــن أو صغيرتين كما هــو ظاهر حديث الباب[١].

وفــي حــال زوّجَ الولي ابنتــه وهي كارهة دون رضاهــا فرد البخاري هذا النــكاح وأبطله فقد ترجم فقال: «بَابُ إِذَا زَوَّجَ ابْنَتَهُ وَهِيَ كَارِهَةٌ فَنِكَاحُهُ مَرْدُودٌ»[٢]

فيه: خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَام، أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهْىَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتِ النَّبِىّ، عَلَيْهِ السَّلام، فَرَدَّ نِكَاحَه، اتفق أئمة الفتوى بالأمصار على أن الأب إذا زوج ابنته الثيب بغير رضاها أنه لا يجوز ويرد، واحتجوا بحديث خنساء، وشذ الحسن البصرى، والنخعى، فخالفا الجماعة[٣]

ووسطيــة البخــاري تتجلى في تحقيــق العدل للمــرأة، فرضاها حق من حقوقهــا، وتزويجها كارهة ظلم، وفي تحقيق الأمان للأسرة والمجتمع، فكراهية الزوجة للزواج ككراهية الزوج للزواج مدعــاة لفشل هذا الزواج، والبحث عــن البدائل المحرمة من خنا وفاحشة، مع بقاء صورة الزواج لأن ولي المرأة أجبرها على ذلك.

وتتضــح وسطية البخاري في اختيار أفضل الآراء التي تحقــق صورة الزواج التي أرداها الله عز وجل بالسكينة والمودة والرحمة.

وبتطبيــق مــا قاله الإمام البخاري في هــذه التراجم تكون قوة الأســرة والمجتمع كما اتضح تحقيــق العدل والأمان واختيار الأفضل والأنســب، فالوسط يعني القوة في المركز، فالأسرة مركز المجتمع وسلامتها قوة المجتمع، وضعفها ضعف المجتمع.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في كون الزوجة مسئولةً وراعيةً

وإذا تزوجــت المــرأة كانــت أحــد عَمودَي البيــت، والبيت لابــد أن ينجح، ونجاحــه لا يمكن بالاعتماد على عمود البيت الأول الرجل، فلابد من التشارك فيما بينهما، ولقد أبرز البخاري هذا الفقه بترجمته فقال: «بَاب الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا»[٤].

وَرِعَايَةُ الْمَرْأَةِ تَدْبِيرُ أَمْرِ الْبَيْتِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخَدَمِ وَالنَّصِيحَةُ لِلزَّوْجِ فِي كُلِّ ذَلِكَ[٥].

---

(١) القسطلاني؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٥٤)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٨)

(٣) ابن بطال؛ شرح صحيح البخارى (٧/ ٢٥٤- ٢٥٥)

(٤) صحيح البخاري (٧/٢٧)

(٥) ابن حجر؛ فتح الباري (١٣/ ١١٣)

ووسطيــة البخاري هنــا متمثلة بمعنى العدل، فتهميش المرأة وإلغاء دورهــا من المسئولية والرعايــة، واعتبارها مجــرد خادمة أو متاع لشهــوة الرجل فحسب ،كما ينظر لهــا بعض أوساط المسلميــن اليوم للأسـف الشديد ظلم لها، ومشاركة الزوجة الزوج فــي المسئولية والرعاية عدل للرجـل أيضًا، وهذا الرأي الذي استنبطه البخاري هو الخيــار الأمثل لتحقيقه أمان الأسرة، وقوة المجتمع وتعاضده.

المطلب الثالث: وسطية البخاري في فن تعامل الزوج مع زوجته

تعامـل الزوج مع زوجتــه أحد أهم مرتكزات نجــاح الأسرة ومدى ديمومتهــا، وهذا المطلب يبيــن اهتمام البخاري بذلك، وتبرز وسطيته من خلال مــا ترجم بقوله: «بَابُ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ» [١]

قــال ابــن المنير: «نبّه بهَــذِه التَّرْجَمَة على أَن إيــرَاد هَذه الْحِكَايَة من النَّبِــي صلى الله عَلَيْه وَسلــم لَيْسَ خلياً عَن فَائِدَة شَرْعِيَّة، بل مُشْتَملًا عَلَيْهَــا. وَتلك الْفَائِدَة: الْإِحْسَان في معاشرة الْأَهْل كَمَــا نــدب الله سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ. وَفِــي بعض طرقه أَنه قَالَ لَهَا: كنت لَك كَأبــي زرع لأم زرع غير أَنِّي لَا أطلقك» [٢]

وقال المهلب: «فيه جواز نقل الأخبار عن حسن المعاشرة وضرب الأمثال بها، والتأسى بأهل الإحســان من كل أمــة، ألا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بحســن عشرته، فتمثله النبى، عليه السلام. وفيه: جواز تذكير الرجل امرأته بإحسانه إليها[٣].

وتتضــح وسطية البخاري بمعنى الأمن الأسري المتمثل في ضرورة السمر مع الأهل المدخل للســرور إلــى الزوجين، والذي يؤســس لمشاركة حياتية بيــن الزوجين مما يساعــد على استمرار السعــادة، وتسمية البخاري في الترجمة حُسن المعاشرة، يعكس معنى الوسطية في معني الخيرية والمثاليــة، وهــذا الفقه وسط بين الزوج الصامت في بيته أمــام زوجته، وبين الزوج كثير التحدث لكنــه لا يميــز بين مــا يسعد ويتعس فيتكلــم كلامًا يجلب نكــد العيش، ويؤلب الزوجــة للرد بالمثل فتــزداد الأمور ســوءًا، وكلا الأمرين سواء الزوج الصامت، أو الــزوج المسامر لا يبالي بم يتحدث مما تشكو منه بعض النساء، ويسبب كثيرًا من المشاكل.

ونستطيــع القــول أن البخاري اعتبر حســن التعامل مع الزوجة حق مــن حقوقها؛ فقد ترجم بقوله: «بَابٌ: لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٧)

(٢) ابن المنير؛ المتواري على أبواب البخاري (ص: ٢٩٠)

(٣) ابن بطال؛ شرح صحيح البخارى (٧/ ٢٩٨)

(٤) صحيح البخاري (٧/ ٣١)

لما ذكر في الباب قبل هذا حق الزوج على المرأة، ذكر في هذا الباب حق المرأة على الزوج، وأنه لا ينبغي له أن يجحف نفسه في العبادة حتى يضعف عن القيام بحق أهله من جِماعها والكسب عليها[1] ووسطية البخاري هنا بمعنى العدل، فللزوجة حق على زوجها كما له حق عليها، وضرب الزوجة أسوأ صور التعامل، وهو من مسائل العنف التي يسلط عليها الضوء من قِبل المهاجمين للإسلام، وهي من المسائل التي يمارسها بعض المسلمين في المجتمع ظانين أنها من الرجولة، معتمدين على قوله تعالى «واضربوهن». فنجد البخاري عالج هذا المسألة فترجم بقوله:»باب مَا يُكْرَهُ مِنْ ضَرْبِ النِّسَاءِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَاضْرِبُوهُنَّ)[2]، أَىْ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[3].

«فيه إشارة إلى أن ضربهن لا يباح مطلقا؛ بل فيه ما يكره كراهة تنزيه أو تحريم»[4].

وأخرج البخاري في هذا الباب حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ ، قَالَ النَّبِىّ ﷺ: «لا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا في آخِرِ الْيَوْمِ».

أمر الله بهجر النساء في المضاجع وضربهن تذليلاً منه للنساء وتصغيرًا لهن على إيذاء بعولتهن، ولم يأمر في شىء من كتابه بالضرب صراحًا إلا في ذلك وفي الحدود العظام، فساوى معصيتهن لأزواجهن بمعصية أهل الكبائر، وولى الأزواج ذلك دون الأئمة، وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات ائتمانًا من الله للأزواج على النساء. وضرب النساء إنما جوز من أجل امتناعها على زوجها في المباضعة. وقوله: (ثم يجامعها ذلك اليوم)، تقبيح من النبى ﷺ للاضطراب وقرب التناقض لقلة الرياضة لهن بذلك[5].

ونرى هنا وسطية البخاري في معالجة سوء الفهم الناشئ بين ما يبدو تعارضًا بين الآية والحديث، بحيث اتضح أن الضرب للنساء لا يباح مطلقًا ولا يمنع البتة بل هو جائز فقط في حال نشوز المرأة بعد استنفاذ وسيلة الوعظ ثم الهجر في الفراش فإن لم يجديا نفعا يتم اللجوء للضرب مقيدا أنه غير مبرح. فرأيه وسط بين من يرى الضرب مطلقا وبين من يمنعه مطلقًا، جامعًا بين نصوص القرآن والسنة، وسطية تحقق الأمن الأسري فالضرب المطلق في كل وقت مدمر للأسرة، وعدم معالجة النشوز بالضرب غير المبرح للضرورة مؤد لتفسخ الأسرة وتدميرها، والأخذ بالشرع الوسط يبقي على الأسرة آمنة سعيدة، فوسطية البخاري هنا هو الخيار

(١) ابن بطال؛ صحيح البخاري. (٧ / ٣٢٠)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣٣)

(٣) ابن بطال؛ صحيح البخاري (٧ / ٣٢٥)

(٤) فتح الباري – ابن حجر (٩ / ٣٠٢)

(٥) انظر: ابن بطال؛ صحيح البخاري (٧ / ٣٢٥– ٣٢٦)

الأمثل المؤدي لقوة الأسرة فقوة المجتمع.

وسـوء الظـن أو سلوك طريق قـد يفسر بسوء الظـن بالزوجة بداية طريـق الشقاق وتدمير الأسرة، ولقد عالج البخاري رحمه الله هذه المسألة من خلال ما ترجم بقوله: «بَابُ لاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا إِذَا أَطَالَ الغَيْبَةَ، مَخَافَةَ أَنْ يُخَوِّنَهُمْ أَوْ يَلْتَمِسَ عَثَرَاتِهِمْ»[١]

كان طـول الغيبة مظنـة الأمن من الهجوم فيقع الذي يهجم بعد طـول الغيبة غالبا ما يكره، إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة؛ فيكون ذلك سبب النفرة بينهما وقد أشار إلى ذلك بقوله في حديث الباب الذي بعده بقوله: «بَابُ تَسْتَحِدُّ المُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطُ الشَّعِثَـةُ»[٢]، ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحالـة التي تكون فيها غير متنظفة؛ لئلا يطلع منها على ما يكون سببًا لنفرته منها، وإما أن يجدها على حالة غير مُرضية، والشرع محرض على السـتر وقد أشار إلى ذلك بقوله «أن يتخونهم ويتطلـب عثراتهم» فعلى هذا من أعلم أهله بوصوله وأنه يقدم في وقت كذا مثلاً لا يتناوله هذا النهي[٣]

قـال ابن بطـال: «فإن قيل: «وكيف يكون طروقه أهله ليلاً سببًـا لتخونهم؟ قيل: معنى ذلك، والله أعلم ، أن طروقه إياهم ليلاً هو وقت خلوة وانقطاع مراقبة الناس بعضهم بعضًا، فكان ذلك سببًـا لسـوء ظن أهله به ، وكأنـه إنما قصدهم ليـلاً ليجدهم على ريبة حيـن توخى وقت غرتهم وغفلتهم. ومعنى الحديث النهى عن التجسس على أهله، ولا تحمله غيرته على تهمتها إذا لم يأنس منها إلا الخير[٤].

وفـي الحديث الحث على التـواد والتحاب خصوصًا بين الزوجين لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجيـن مـع اطلاع كل منهما على ما جـرت العادة بستره حتى أن كل واحـد منهما لا يخفي عنه مـن عيوب الآخر شيء في الغالب، ومـع ذلك فنهى عن الطروق لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه، فيكـون مراعاة ذلك في غير الزوجين بطريق الأولـى، ويؤخذ منه أن الاستحداد ونحوه مما تتزين بـه المرأة ليس داخلاً فـي النهي عن تغيير الخِلقة، وفيه التحريض علـى ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم[٥].

وترجمـة البخاري هـذه صورة فائقة الجمال فـي وسطية الشعور والمشاعـر بين الزوجين،

(١) صحيح البخاري (٧/ ٣٩)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣٩)

(٣) ابن حجر؛ فتح الباري (٩ / ٣٤٠)

(٤) ابن بطال؛ صحيح البخاري (٧ / ٣٦٩)

(٥) ابن حجر؛ فتح الباري (٩ / ٣٤١)

فمـا قاله البخـاري من الامتناع عن الطروق ليـلاً لمن غاب عن زوجته في سفـر أو ما شابه يمثل الرقـي في التعامل الحسن والأسلوب الأَخْيـر والمثل في التعامل، فكل طريق يؤدي إلى التنافر بين الزوجين يسده الشرع ليتحقق الأمن الأسري، بل البيت السعيد القائم على الحب والود.

المبحث الثاني: وسطية البخاري تنفي النظرة الدونية للمرأة

تتبنـى بعض مجتمعـات المسلمين النظـرة الدونية للمرأة فهم يرونهـا دون الرجل، وما زالت هذه النظرة من بقايا فكر جاهلية العرب قبل الإسلام من كراهيتهم للبنات ووأدهن أحياء، والإمام البخاري بوسطيته ينفي هذه النظرة من خلال ما ترجم عن علاقة المرأة بالشؤم، وكونها عوجاء. وفي مطلبَي هذا المبحث بيان ذلك.

المطلب الأول: وسطية البخاري في علاقة المرأة بالشؤم

التشـاؤم يسـري فـي نفوس النـاس اليـوم كما تسري النـار فـي الهشيم، والتشـاؤم من بقايا جاهليـة العرب قبل الإسلام، وقد تعاضدت نصوص السنة النبوية في النهي عن التشاؤم والدعوة للتفاؤل، والمرأة مصدر من مصادر الشؤم في نظر كثير من الناس، ولقد عالج البخاري رحمه الله هـذه النظرة بما ترجم فقال: «باب مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ الْمَرْأَةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾»[1].

قـال ابن حجـر: «كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى اخْتِصَاصِ الشُّؤْمِ بِبَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنَ التَّبْعِيضِ»[2]

وأخرج البخاري في هذا الباب حديث ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ» .

قال المهلب: قوله : (إنما الشؤم في ثلاث) فحقيق في ظاهر اللفظ حين لم يستطع أن ينسخ التطيـر من نفوس الناس، فأعلمهـم أن الذي يعذبون به من الطيرة لمن التزمها إنما هو في ثلاثة أشيـاء وهى الملازمة لهم ، مثل دار المنشـأ والمسكن ، والزوجة التي هي ملازمة في حال العيش اليسير[3].

وهـذه الثلاثة يعسر على صاحبهـا استبدالها لوفرة نفقاتها، ولشدَّة الإلـف بها، ولقلَّة إلفاءِ

(١) صحيح البخاري (٧/ ٨)

(٢) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ١٣٧-١٣٨)

(٣) ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري (٥ / ٦١)

عوض عنها، فكانت مراقبة ما يحصل معها عندهم شديدة؛ ولذلك كثير بين أهل الجاهلية التحدُّث بشؤم هذه الأمور الثلاثة أكثر من غيرها، وذلك من حكم الوهم المحض لا حقيقة له، ولما سبق من رسول الله ﷺ أن نهاهم عن توهُّم الشؤم خاطب فريقًا رأى منهم إعادة الخوض في إثباته بما يردعهم، فجعله مشكوكًا فيه في خصوص هذه الثلاثة التي يعسر استبدالها كالمنكِّل لهم مبالغة في تأديبهم، وحاشى رسول الله ﷺ أن يقرَّ ذلك أو أن يشكَّ في تقريره. كيف؟ وذلك يناقض صريح نهيه عن الطيرة ونفيه لوقوعها، وما الشؤم إلَّا فرع منها[1].

وعلى كل الأحوال فالشؤم والتشاؤم مذموم، ولا إقرار للتشاؤم سواء في المرأة أو غيرها، وترجمة البخاري تبرز وسطيته المتمثلة بالرأي الحسن باتقاء الشؤم وخاصة في المرأة، وكذلك وسطيته بين من يرى المرأة معبودًا لا يخالف لها رأيًا أو طلب في حق أو باطل، وبين من يراها عدوًا يستوجب الحرب والتعارك، ليكون فيها حاكم ومحكوم وغالب ومغلوب، فينبه البخاري أن بعض النساء تجلب لزوجها الضرر وتكون سبباً في المعاصي، والمعاصي والضرر شؤم على كلاهما لذا لابد من اتقاء هذا النوع من النساء والحذر منهن ونهيهن عن هذا السوء.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في اعوجاج المرأة

بَابُ المُدَارَاةِ مَعَ النِّسَاءِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ»[2]

والضِّلع: الاعوجاج، والضليع: العظيم الخلق الشديد.[3]

وأخرج البخاري في هذا الباب حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا ، وَفِيهَا عِوَجٌ».

والمداراة أصل الألفة واستمالة النفوس من أجل ما جبل الله عليه خلقه وطبعهم من اختلاف الأخلاق، وعرفنا في هذا الحديث أن سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام إقامة ميلهن عن الحق، فأراد تقويمهن عدم الانتفاع بهن وصحبتهن لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا»، ولا غنى بالإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معايشه ودنياه ، فلذلك قرر النبي ﷺ أن الاستمتاع بالمرأة لا يكون إلا بالصبر على عوجها[4].

المداراة بذل الدنيا لإصلاح الدنيا، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين، والمداهنة بذل الدين

(١) ابن عاشور؛ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا (ص: ٣٨١ - ٣٨٢)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٢٦)

(٣) ابن الأثير؛ النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٩٦ -٩٧)

(٤) ابن بطال: شرح صحيح البخاري (٧ /٢٩٤-٢٩٥)

لإصــلاح الدنيــا، ثم مقصوده من إيراد الحديث ههنا تبيين أن مــراده صلى الله عليه وسلم بقوله استمتعــت بهــا على عوج هو هذا المعنــى لا المداهنة التي فيها إفساد لدينــه، ثم في قوله كالضلع نكتة وهي أن حواء عليها السلام خلقت من أعلى الأضلاع اليسرى من ضلع آدم عليه السلام وأعوج الأضلاع أعلاها، فلما كان كذلك كان العوج ذاتيًا لهن[١].

وفــي الحديــث إشارة إلــى الإحسان إلــى النساء والرفق بهــن والصبر على عــوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن وغير ذلك مما يأتي إن شاء الله تعالى قريبًا[٢]

ولا يُفهم البتة أن السنة وعلماءها تصف المرأة بالعوجاء كنظرة دونية، وكذا استعلاء الرجل علــى المــرأة كما يفعل بعض المسلمين جهلاً، أو كما يتهم بعضــ الحاقدين أن السنة تنظر للمرأة نظــرة دونية واحتقار، بــل العكس فالسنة وعلماءهــا وعلى رأسهم البخاري يــرون هذا من تكريم المــرأة، وذكــر ما خلقت منه المرأة لا عيب فيه، فهل يعتبر خلق آدم من طين، أو خلق الإنسان من ماء مهين، إساءة للإنسان بشكل عام وللرجل بشكل خاص؟ بالطبع لا يقول بهذا أحد. بل من معنى الضلع القوة، وهذا تكريم للمرأة.

ووسطية البخاري تتجلى في أبهى صورها وهو يقرر حسن التعامل والمداراة، وتذكير الرجل بطبيعــة المرأة المختلفة عــن طبيعة الرجل لئلا يجور عليها فيعاملها بالغلظة والقسوة حينما يرى منهــا ما يكره لتقلب أحوالها المعروفة ففي الحمل تكون في وهن على وهن، وفي الحيض والنفاس يتعكــر مزاجها ويضعف جسدها، والمرأة عاطفيــة أكثر من الرجل تتأثر بكل ما يدور حولها، ومن روعة الإمام البخاري وتأكيدًا منه على عدم الجور على الزوجة أكد مباشرة بعد هذا الباب بترجمة قال فيها: « بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ[٣] أخرج فيها نفس الحديث مع زيادة «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»

قــال المهلــب : الوصاة بالنساء يــدل على أنه لا يستطاع تقويمهن علــى ما سلف في الحديث قبــل هــذا الباب، وإنما هو تنبيه منه عليه السلام وإعلام بترك الاشتغال بما لا يستطاع، والتأنيس بالأجر بالصبر على ما يكره ، وفي هذا الحديث أنه يجب أن تتقى عاقبة الكلام الجافي والمقاومة، والبلــوغ إلــى ما تدعو النفــس إليه من ذلك إذا خشي سوء عاقبته ، وإن لــم يخش ذلك فله أن يبلغ غاية ما يريد مما يحل له الكلام فيه بهن إلا بمداراتهن والصبر على اعوجاجهن[٤]

(١) الكنكوهي؛ الكوكب الدري على جامع الترمذي (٢/ ٢٦٧)

(٢) القسطلاني؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨ /٧٨)

(٣) صحيح البخاري (٧/ ٢٦)

(٤) ابن بطال؛ شرح صحيح البخارى. (٧ /٢٩٥)

المبحث الثالث: وسطية البخاري في مشاركة المرأة المجتمعية وضوابطها

لاشك أن المرأة نصف المجتمع، وما زالت فكرة مشاركة المرأة في زماننا المعاصر بين رأيين متناقضين متباعدين، أولاهما تأثر بثقافة الغرب بالدعوة لحرية المرأة المطلقة وحريتها في المشاركة المجتمعية جنبًا لجنب مع الرجل، وثانيهما يرى الحجر على المرأة في البيت فلا تخرج إلا لقبرها أو بيت زوجها ومن اعتدل في الحَجْر على المرأة يرى عدم خروجها إلا لضرورة؛ وأصحاب هذا الرأي يظنون أن هذا رأي الشرع لسوء فهم. وفي مطلبي هذا المبحث سنرى وسطية الإمام البخاري في هذه القضية.

المطلب الأول: وسطية البخاري في المشاركة المجتمعية الترويحية للمرأة

والمجتمع متعدد الجوانب، والجانب الترويحي من مجالات المجتمع الهامة، وطبيعة المرأة محبة للهو والمرح، والأعراس أحد

وجوه الجوانب المجتمعية الترويحية، ومشاركة المرأة في الأعراس في مجتمعاتنا المسلمة بين إتجاهين أولاهما يرى مشاركة المرأة بلا قيود فتشارك في أعراس متبرجة في أبهى زينتها كاسية عارية في وجود الرجال وربما يتراقصون سويًا، وهذا بلا شك كله محرم، واتجاه آخر كردة فعل للاتجاه الأول يغلق على المرأة مشاركتها في الأعراس، وفي هذا المطلب نجد أن الإمام البخاري رحمه الله معتدلاً متوسطًا في رأيه في مشاركة المرأة في الأعراس، فنراه يترجم بقوله: «بَابُ ذَهَابِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ إِلَى العُرْسِ»[1]

قال ابن حجر: «كَأَنَّهُ تَرْجَمَ بِهَذَا لِئَلَّا يَتَخَيَّلَ أَحَدٌ كَرَاهَةَ ذَلِكَ فَأَرَادَ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ بِغَيْرِ كَرَاهَة»[2]

وأخرج البخاري في هذا الباب حديث أنس رضي الله عنه: «أَبْصَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نِسَاءً وَصِبْيَانًا مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ مُمْتَنًّا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ من أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ».

قال المهلب: فيه استحسان شهود النساء والصبيان للأعراس؛ لأنها شهادة لهم عليها، ومبالغة في الإعلان بالنكاح[3].

ويتضح رأي الإمام البخاري المعتدل فيما ترجم وفيما أخرجه من حديث فيه، بشهود النساء والصبيان للأعراس في المجتمع، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لنساء الأنصار « اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» وهن عائدات من العرس لهو أبلغ دليل على استحسان المشاركة المجتمعية

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٦)

(٢) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ٢٤٨)

(٣) ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٢٩١)

الترفيهية للمرأة، ناهيك عن إدخال السرور على أهل العروسين بهذه المشاركة.

ويترجـم البخاري رحمـه الله أيضًا بقوله: «بَـابُ النِّسْوَةِ اللَّاتـي يَهْدِينَ المَـرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَدُعَائِهِـنَّ بِالْبَرَكَـةِ» [1]. وأخرج رحمه الله فيه حديث عائشة رضي الله عنهـا أَنَّهَا زَفَّت امْرَأَةً إلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْو، فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ»

وترجـم رحمه الله أيضًـا بقوله: بَابُ الدُّعَـاءِ لِلنِّسَاءِ اللَّاتـي يَهْدِينَ العَرُوسَ وَلِلْعَرُوس[2]. وأخـرج رحمه الله فيه حديث عَائِشَةَ رضى الله عنها: «تَزَوَّجَنِـى النَّبِىُّ ﷺ فَأَتَتْنِى أُمِّى فَأَدْخَلَتْنِى الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِر».

وإهداء العروس: «هو تَجهيز العَرُوس، وتَسليمَها إلى الزَّوج»[3]

قـال ابن حجر: «مُـرَادَ الْبُخَارِيِّ بِالنِّسْوَةِ مَنْ يُهْـدِي الْعَرُوسَ؛ سَوَاءٌ كُنَّ قَلِيـلًا أَوْ كَثِيرًا، وَأَنَّ مَـنْ حَضَـرَ ذَلِكَ يَدْعُو لِمَنْ أَحْضَرَ الْعَرُوسَ، وَلَمَّا كَانَت الْعَرُوسُ تُجَهَّزُ مِنْ عِنْـدِ أَهْلِهَا إِلَى الزَّوْجِ؛ احْتَاجَـتْ إِلَى مَنْ يَهْدِيهَا الطَّرِيقَ إِلَيْه، أَوْ أَطْلَقَتْ عَلَيْهَا أَنَّهَـا هدِيَّةٌ فَالضَّبْطُ بِالْوَجْهَيْنِ عَلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَلِلْعَرُوسِ» فَهُوَ اسْمٌ لِلزَّوْجَيْنِ عِنْدَ أَوَّلِ اجْتِمَاعِهِمَا يَشْمَلُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِ النِّسْوَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ الْمَرْأَةَ وَزَوْجَهَا»[4]

وهـذه التراجم الثـلاث للإمام البخاري تقـرر مشاركة المرأة في الأعراس سواء الحضور بصحبة أطفالهم، أو ليقمن بتجهيز العروس وتسليمها وإهدائها لزوجها، لكن لا يخفي أن كل هذا مقيد ألا يخالط هذه الأعراس من المحرمات شيء.

ولقـد ترجم البخـاري أيضًا بقوله: بَابُ قِيَـامِ المَرْأَةِ عَلَى الرِّجَالِ فِـي العُرْسِ وَخِدْمَتِهِمْ بِالنَّفْسِ[5]

فيـه: خدمة العروس زوجهـا وأصحابه في عرسها. وفيه: أنه لا بأس أن يعرض الرجل أهله على صالح إخوانه ويستخدمهن لهم[6].

وأخـرج البخاري في هذا البـاب حديثًا من طريق سَهْل، قَالَ: لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَـا النَّبِـيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلاَ قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي

(١) صحيح البخاري٧/٢٢)

(٢) المرجع السابق (٧/ ٢١)

(٣) البرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١٣/ ٢٥٩)

(٤) انظر: ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ٢٢٣)

(٥) صحيح البخاري (٢٦/٧)

(٦) ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري(٧/ ٢٩٤)

تَـوْرٍ مِنْ حِجَـارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ «فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّعَـامِ أَمَاثَتْهُ[1] لَهُ فَسَقَتْهُ، تُتْحِفُهُ بِذَلِكَ».

وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ خِدْمَةِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا وَمَنْ يَدْعُوهُ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ عِنْدَ أَمْنِ الْفِتْنَةِ وَمُرَاعَاةِ مَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنَ السِّتْرِ، وَجَوَازُ اسْتِخْدَامِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ»[2]

وتتضح وسطيــة البخاري في هذه الترجمة خاصة في مجتمعات الملتزمين بأوامر الإسلام، فقــد يكون هذا الكلام صادمًا لكثيريــن، فيأنف الملتزم أن يدخل زوجته تقدم الضيافة لأصحابه، فـكلام البخاري فــي ترجمته وتعقيب الشراح عليــه وعلى الحديث يبين الوسطيــة التي يشذ عنها كثيــر من الملتزمين اليوم، فلــو سمع أحدهم أن صديقًا فعل ذلك لأنكــر عليه واعتبره خارجًا عن أحكام الإسلام، والقيد الذي ذكره ابن حجر بأمن الفتنة ووجود الستر والحجاب توضيح لما أراده البخاري من الوسطية الآمنة.

المطلب الثاني: وسطية البخاري في ضوابط الخلوة بالمرأة.

ومسألــة الخلوة بالمرأة من المسائل التي لا تنفك في علاقة المرأة بالمرأة، لذا نجد الإمام البخاري رحمه الله قد ترجم بقوله:

«بَـابُ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُـلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْـرَمٍ، وَالدُّخُولُ عَلَى المُغِيبَـةِ»[3]. ليؤكد حرمة الخلوة وخاصــة على مــن غاب عنها زوجــا كالمسافــر وشبهه. وبلا شك هــذه الخلوة التــي لا يكون فيها غيرهمــا ويكــون الشيطان حينها ثالثهما. لكن نجده رحمه الله بيــن صورة مباحة من صور الخلوة بالمرأة فقال في ترجمته : «بَابُ مَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُوَ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ عِنْدَ النَّاسِ»[4].

وأخــرج في هذا الباب حديث أَنَس بْنِ مَالِك رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَخَلاَ بِهَا، فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكُنَّ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»

قال ابن حجر: «أَيْ لَا يَخْلُو بِهَا بِحَيْثُ تَحْتَجِبُ أَشْخَاصُهُمَا عَنْهُمْ، بَلْ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمَا إِذَا كَانَ بِمَـا يُخَافِـتُ بِهِ؛ كَالشَّيْءِ الَّذِي تَسْتَحْي الْمَرْأَةُ مِنْ ذِكْرِهِ بَيْـنَ النَّاسِ، وَأَخَذَ الْمُصَنِّفُ قَوْلَهُ فِـي التَّرْجَمَـةِ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ فَخَـلَا بِهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ أَوْ فِي بَعْضِ

(١) كذا في الرواية يقال مثت الشيء في الماء أميثه إذا أنقعته فيه ثم عصرته وصفيته ويقال انماث ينماث إذا ذاب وتغير الماء به (الحميدي؛ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ١٣٦))

(٢) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ٢٥١)

(٣) صحيح البخاري (٧/ ٣٧)

(٤) المرجع السابق، نفس الموضع

السِّكَكِ وَهِيَ الطُّرُقُ الْمَسْلُوكَةُ الَّتِي لَا تَنْفَكُّ عَنْ مُرُورِ النَّاسِ غَالِبًا»[1]

قـال المهلب: فيه من الفقه أنه لا بأس للعالم والرجل المعلوم بالصلاح أن يخلو بالمرأة إلى ناحية عن الناس، وتسر إليه بمسائلها وتسأله عن بواطن أمرها في دينها، وغير ذلك من أمورها، فـإن قيل: ليس في الحديث أنه خلا بهـا عند الناس كما ترجم، قيل: قول أنس: فخلا بها، يدل أنه كان مـع النـاس، فتنحى بها ناحية، ولا أقل من أن يكون مـع أنس راوي الحديث وناقل القصة، ولم يرد بقوله: فخلا بها، أنه غاب عن أبصارهم، وإنما خلا بها حيث لا يسمع الذين بحضرته كلامها ولا شكواها إليه، ألا ترى أنهم سمعوا قوله لها[2].

وقوله (إِنَّكُنَّ) الخِطَاب لنِساء الأَنْصار، وليس المُراد أنهنَّ أحبُّ إليه من نِساء أَهله؛ بل أحبُّ من نساء سائِر القَبائل في الجُملة[3]

وهـذه الترجمـة وما أخرجه فيها من حديث وتعقيب الشراح عليه يبرز الوسطية بشكل جلي، إذ أن حاجـة المـرأة لمثل هذه الصورة من الاختلاء بمن تحتاجه مـن الرجال المأمونين من أهل الصـلاح لسؤالـه والاستفسار منه عمـا يخصها ولا ترغب أن يعرف به الآخـرون كمفتٍ يفتيها، أو مدرس في جامعة أو مدرسـة، أو طبيب وما شابه ذلك. لكن كل هذا مقيد بالحجاب وأَمن الفتنة، أمـا إذا أحس الرجل الصالح تلاعب من المرأة وخضـوع بالقول منها ليطمع فيها؛ فليعلم أن هذا طريق للحرام فليحجم عنه.

خاتمة

بفضـل الله ومنته تم هذا البحث محققًا أهدافه ومبينًا أهميته، وأجاب على مشكلة البحث، وفي هذه الخاتمة يعرض البحث أهم النتائج التي توصل لها ويسجل التوصيات التي يوصي بها.

أولا: النتائج: تتلخص نتائج البحث في النقاط التالية:

١- الوسطية في اللغة وغريب الحديث تعني العدل والاعتدال والخيرية والأمان والقوة.

٢- الأمة الإسلامية أمة وسط تتسم بالعدل لذا فهي شاهدة على الأمم السابقة.

٣- قضايـا المرأة من أهـم القضايا التي تحتاج إلى بيان الوسطيـة فيها كونها أكثر عرضة لاتهامات المغرضين وأعداء السنة.

---

(١) ابن حجر؛ فتح الباري (٩/ ٣٣٣)

(٢) ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري (٧/ ٣٦٠- ٣٦١)

(٣) البرماوي؛ اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١٣/ ٣٥٣)

٤- تتضح وسطية البخاري في قضايا تزويج المرأة فلها أن تعرض نفسها للزواج على الرجل الصالـح، وكذلك يعرضها وليها على أهل الخيـر، وهي راعية في بيت زوجها كما الرجل راع ومسئـول، والـزوج ينبغـي أن يعامل زوجتـه أبهى تعامل بحسن عشـرة وتسامر ومنع الضـرب إلا بضرورة النشوز ويكون مقيدًا وآخـر العلاجات، ومنع طروق زوجته ليلا بعد غياب سفر لئلا يفضي لسوء ظن، أو يراها بصورة لا يحبها.

٥- وسطية البخاري دحضت النظرة الدونية للمرأة فنفي كونها شؤم مع ضرورة الحذر منها إذا كانت عدوًا له تقوده للكبائر أو للكفر، كما دحضت سوء الفهم في مسألة عوج المرأة، وبينت أن هذا تكريم للمرأة وعدل لها.

٦- ظهرت وسطية البخاري في مشاركـة المرأة المجتمعية الترويحية فلها حضور الأعراس لمشاركـة أهل العروسين، ولتجهيز العروس وزفها لعريسها، والدعاء للعروسين وللنسوة اللاتـي أهدين العروس لزوجهـا، وللعروس أن تخدم زوجهـا وأصحابه بتقديم الضيافة لهم من طعام وشراب، كل هذا بقيد أمن الفتنة والحجاب، ومن ضوابط مشاركة المرأة حرمـة الخلوة مع الرجـل التي لا يراهم فيها أحد من الناس، مـع جواز الخلوة في بعض الأماكن أمام الناس دون أن يسمعوا كلامهم لحاجات المرأة الخاصة.

٧- تتسم معالم وسطية البخاري في تفاصيل قضايا المرأة في هذا البحث بالخيرية والعدل والاعتدال والأمان والقوة.

ثانيًا: التوصيات: تتلخص توصيات البحث بالتالي:

١- التوسـع فـي بيان وسطيـة البخاري فـي قضايا المرأة فـي سائر كتب صحيـح البخاري فالموضوع يصلح لأطروحة ماجستير أو دكتوراه، أو بحث ترقية في كتاب منفرد من كتب صحيح البخاري.

٢- الكتابة في وسطية البخاري في أمور أخرى غير قضايا المرأة.

٣- نشـر بحـوث المؤتمر على أوسع نطـاق انتصارًا للبخاري وصحيحـه وتفنيدًا للمغرضين وشبهاتهم، وتعليمًا وتربية للمتشددين.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابـن الأثير؛ أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد، الجزري (١٩٨٧م)، النهاية في غريـب الحديث والأثـر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى: محمـود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

٣- ابـن المنيـر؛ أبـو العباس أحمد بن محمـد بن منصور بـن القاسم بن مختـار القاضي الجذامي الجـروي الإسكندراني، المتواري علي تراجم أبـواب البخاري، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الكويت، مكتبة المعلا.

٤- ابـن بطال؛ علي بن خلف بن عبد الملك، (٢٠٠٣م)، شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد.

٥- ابـن حجـر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمـد العسقلاني (١٩٥٩م)، فتح الباري شرح صحيـح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة.

٦- ابـن حجـر العسقلاني؛ أبـو الفضل أحمـد بن علي بـن محمد العسقلانـي (١٤١٩هـ)، المطالـب العاليـة بزوائد المسانيـد الثمانيـة، ط١، تنسيق: د. سعد بـن ناصر بن عبد العزيز الشثري، السعودية، دار العاصمة، دار الغيث.

٧- ابـن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (١٤٢٨هـ)، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا، تحقيق: طه بن علي بوسريح التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع - دار السلام للطباعة والنشر.

٨- ابـن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

٩- أحمـد؛ أبو عبد الله بـن محمد بن حنبل بن هـلال الشيبانـي (١٩٩٥م)، مسند أحمد، تحقيـق: شعيب الأرنؤوط: عادل مرشد، وآخـرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠- الألبانـي؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الديـن (١٩٩٢م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، ط١، الرياض: دار المعارف.

١١- الألبانـي؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (٢٠٠٢م)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

١٢- الألبانـي؛ أبو عبـد الرحمن محمـد ناصر الدين، صحيـح الجامع الصغيـر وزياداته، المكتب الإسلامي.

١٣- البخـاري؛ محمد بن إسماعيل (٢٠٠١م)، صحيح البخـاري المسمى بالجامع المسند الصحيـح المختصر من أمور رسول الله وسننـه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

١٤- البِرْماوي؛ أبو عبـد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعـي(٢٠١٢م)، اللامـع الصبيـح بشرح الجامـع الصحيـح، ط١، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، سوريا، دار النوادر.

١٥- البيهقـي؛ أبو بكـر أحمد بن الحسيـن بن علي بن موسـى الخُسْرَوْجِـردي الخراساني (٢٠٠٣م)، شعب الإيمان، ط١، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، الرياض، مكتبة الرشد.

١٦- الحميـدي؛ أبـو عبـد الله محمـد بـن فتـوح الأزدي (١٩٩٥م)، تفسيـر غريـب ما في الصحيحيـن البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط ١، القاهرة: مكتبة السنة.

١٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق.

١٨- الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (١٤١٣ه)، الدعاء، ط١، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٩- العينـي، أبو محمد محمود بن أحمـد بن موسى الغيتابى الحنفـي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ضبطه وصححه، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٠- القسطلانـي؛ أبـو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري (١٣٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية.

٢١- الكنكوهي؛ رشيد أحمد (١٣٩٥هـ)، الكوكب الدري على جامع الترمذي، جمعها ورتبها: محمـد يحيى بن محمـد إسماعيل الكاندهلوي، تحقيق: محمـد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، الهند، مطبعة ندوة العلماء.

٢٢- الهيثمــي؛ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي.

د. عبد الواسع بن يحيى بن محمد المَعْـزبي الأَزْدَي
أستاذ السُّنة وعلومها المُساعد بكلية العلوم والآداب بجامعة نجران

معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه

ملخص البحث

جمعت في هذا البحث نماذج من الأحاديث النبوية من صحيح الإمام البخاري ، لاستخراج معالم الوسطية والاعتدال منها ، واكتفيت بخمسة أحاديث في معالم الوسطية،وخمسة في معالم الاعتدال ، وقد وضعت لكل حديث عنوانا خاصا يناسب مقصود الدراسة ، ثم خرّجتُ هذه الأحاديث من صحيح الإمام البخاري فقط اكتفاءً بعظيم منزلته وعلو شأنه ، ثم تكلمتُ عن غريبها باختصار لغرض الإيضاح ، ثم عرضتُ المعنى العام لكل حديثٍ بلغةٍ سهلةٍ واضحة ، ثم عقبتُ ذلك بذكر المعالم المستفادة في حياتنا المعاصرة من كل حديث ، وقد بلغ مجموع المعالم المستخرجة من هذه الأحاديث بضعة وثلاثين معلماً ، قمت بذكرها مجتمعة في النتائج والتوصيات في جدول مرتب بعد أن ذكرتها موزعة على الأحاديث ، والله أسأل أن يتقبل مني صالح العمل ، وأن يغفر لي ولكل قارئ كل خطل أو زلل ، وأن يرزقنا وأمتنا أمناً ووسطيةً واعتدالاً يعود نفعها علينا وعلى مجتمعاتنا وشعوبنا وأمتنا بالوئام والعافية والرخاء والازهار ، ومرضاة ربنا الغفار.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(1)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(2)].

---

(١) آل عمران : ١٠٢.

(٢) النساء : ١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1].

أما بعد:

فـإنّ الإمامَ البخاري رحمه الله تعالى، سيدُ المحدثين ، ومفخرةٌ علمية من مفاخر الإسلام والمسلميـن، تفقه على أعمق المذاهـب الفقهية، وأوتيَ من علوم السُّنَّـة والحديث مالم يؤته أحدٌ مـن الأئمة ، مع شدة التواضع والورع، والرغبة في الآخرة، وقد رتب أبواب جامعه الصحيح ترتيبا فائقـا دقيقا موفقا، وجعل معينه قريبا لكل ناهل، وشافيـا لكل باحث وسائل ، وقد تناول الوسطية والاعتدال في ثنايا الصحيح تصريحا وتلميحا، في كثير من الأبواب، غير أني في هذه الصفحات سأختار طائفة من النصوص التي توضح مفاهيم الاعتدال والوسطية التي عُنيَ بها الإمامُ البخاري رحمـه الله في صحيحـه ، سيما أنه عاش في فتـرة انتشرت فيها فتن الخـوارج والمعتزلة، الذين أُولعوا بالخروجِ على ولاةِ الأمور ، وترك الرباطِ والثغورِ لأعداء الإسلام والمسلمين، وأتقدمُ بجزيل الشكـر والتقدير والعرفانِ للقائمين على هذا المؤتمـر ، ولجانه العلمية وإدارته على حسن اختيار عنـوان المؤتمر ومحاوره وتخصيص صحيح الإمام البخاري رحمه الله، ليكون مائدة تُطعم جائع الأفكارِ، ومعيناً يروى الصادي في ضمأ الهواجر، ونجماً يهتدي به الساري في دروب الصحـراء.

أهميـة البحث: تأتـي أهمية هذا البحث لحديثه عـن مفاهيم تشتد الحاجـة إليها اليوم في عالمنـا المتلاطـم، الذي تضطرب فيه أمـواج المصالح ، فيغرق بسببها من قـلّ علمُه ، وتزل بها قدمُه، الاعتدال والوسطية، شعارُ أهل الإسلام، ودثارُ أهل السنة والجماعة، وعند الحديث عنهما مـن صحيح الإمام البخاري فإن الحديـث ذو شجون، والفوائد تتجلى في الأسانيد والمتون ، كأنها نجوم ساطعة في كبد السماء، وأشجار وارفة تقي بظلالها حر الهجير والرمضاء.

أهداف البحث:

الهدف الأول: عرض نماذج مختارة من الأحاديث النبوية الواردة في الوسطية والاعتدال من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى.

الهـدف الثاني: شرح هـذه الأحاديث المختارة في الوسطيـة والاعتدال من صحيح الإمام البخـاري بلغةٍ عصرية، وبيان مايستفـاد منها من توجيهات يجب على المسلمين العمل بها، وربط ذلك بواقع المسلمين المعاش.

(١) الأحزاب: ٧١،٧٠.

الهـدف الثالـث : بيان دقة اختيار الإمـام البخاري لهذه الأحاديث في هــذه الأبواب بحسب مايظهر للباحث.

خطة البحث :

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة ومبحثين، تحت كل مبحث مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول : نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية، والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة،وفيه مطالب

المطلب الأول: تعريف الوسطية لغةً و اصطلاحاً.

المطلب الثاني: نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة.

المبحث الثاني: نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاعتدال لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة .

ثم الخاتمة المشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سلكـت في بحثـي هذا المنهج الوصفـي والاستنباطي، بجمع هذه النصوص وبيان معالمها وبعض فوائدهـا وتطبيقاتها المعاصـرة ، وسوف اقتصر في تخريج أحاديـث البحث على صحيح الإمـام البخاري التزاما بموضوع المؤتمر، وحسبُها أنها في أصح كتاب للحديثِ النبوي، بعد كتاب الله تعالـى تلقتـه الأمة بالقبـول ، وإخراج الإمام البخاري للحديث يقال عنــه« لاعطرَ بعد عروس» ويحق أن يقال عنه « قَطَعَتْ جَهيزةُ قولَ كُلِّ خَطيبٍ»[1] .

---

(١) مثل تضربه العرب للقول الفصل الذي لايحتاج معه إلى غيره؛ وجَهيزَةُ: امرأةٌ رعْنَاء، اجْتَمَعَ قَومٌ يَخْطُبُونَ في الصُّلح بينَ حَيَّيْن في دَم كَيْ يَرْضَوْا بالدِّيَة، فبَيْنَمَا هُمْ كذلكَ، قالَت جَهيزَةُ: «ظَفرَ بالقاتلِ وَليٌّ للْمَقْتُولِ، فَقَتَلَهُ» فقالوا: «قَطَعَتْ جَهيزةُ قولَ كُلِّ خَطِيبٍ»، ينظر: القاموس المحيط (ص: ٥٠٧)، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

الدراسات السابقة في الموضوع :

هنــاك دراســات عديدة وبحوث متعددة تحدثــت عن الوسطية والاعتدال فــي الإسلام وفي القرآن الكريم، والعقيدة الإسلامية ، وهي كثيرة يطول حصرها ومنها على سبيل المثال لاالحصر:

الوسطيــة فــي الإسلام ، تأليف / الشيخ عبــد الرحمن بن حسن حبنكــة الميداني، مؤسسة الريــان للطباعة والنشر والتوزيع ، كتاب ماتع يتحدث عن الوسطية في الإسلام عموما ،نسال الله أن يجزي كاتبه خيرا على خدمته للموضوع .

بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو المؤلف: مجموعة من العلماء ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ. وهي بحوث قيمة أفدت منها سطورا في هذا البحث وعزوتها، وهي غزيرة الفائدة لكنها تتحدث عن أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو .

الوسطية والاعتدال تأليف: معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشــؤون الإسلامية والأوقاف والدعــوة والإرشاد الأسبق، الناشــر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقــاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، سنة النشر: ١٤٢٧هـ.، الطبعة الثانية ، تناول فيه المؤلف مفهومــي الوسطية والاعتدال باقتضاب عقيدةً وعبادةً ومعاملــةً وسلوكا ودعوة، وولاء صادقا لولاة الأمور مع النصح لهم وفق الأدب الشرعي، والخلق المرعي عندنا نحن أهل السنة والجماعة.

وهنــاك كتب عديــدة وبحوث متنوعــة عن الوسطيــة والاعتدال ونبــذ الغلو لايتســع المجال لذكرهــا غيــر أني لم أقف علــى كتاب أو بحث تحدث عــن معالم الوسطية والاعتــدال من صحيح الإمام البخاري.

الجديد في هذه الدراسة :

الحديــث عن معالم الوسطيــة والاعتدال من صحيح الإمام البخاري فقط من خلال عرض نمــاذج مــن الأحاديث النبويــة الشريفة التي تتحــدث عن الوسطيــة والاعتدال مع بيــان فوائدها وتطبيقاتهــا علــى الواقع المعاش في بــلاد المسلمين، فالجديد هنا هــو تخصيص صحيح الإمام البخاري وحده كمرجع لهذا الموضوع ولهذه الدراسة واستخلاص الفوائد .

المبحث الأول

نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة

المطلب الأول: تعريف الوسطية لغةً واصطلاحاً

الوَسَطُ من النّاس وكلّ شيء: أَعْدَلُه، وأفضله، ليس بالغالي ولا المُقَصِّر[١] وقيل في قَوْله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البَقرَة: ١٤٣) قولانِ الأول: وَسَطاً عَدْلاً، والثاني: خياراً، واللفظان مُخْتَلِفَانِ وَالْمعْنَى وَاحِد، لأَن العَدْل خيْر، والخيْر عدل، وَقيل في صفة النَّبي ﷺ أَنه كَانَ من أَوْسَط قومه، أَي: من خِيارهم، والعرَب تَصف الفاضلَ النَّسَب بِأَنَّهُ من أَوْسط قومه، فَكَذَلِك النَّبِي ﷺ من خير مكانٍ فِي نَسَب الْعَرَب، وَكَذَلِكَ جُعِلتْ أُمَّتُه أمّةً وَسَطاً، أَي: خِياراً[٢]

ووَسَّطَ الشيءَ وتَوَسَّطه صارَ في وَسَطِه،

ووُسُوط الشَّمْسِ تَوَسُّطُها السماء،

وواسِطَة القِلادةِ الدُّرَّة التي في وَسَطها وهي أَنْفَسُ خَرَزِها

فأما قولُ الأعرابيِّ للحسن البصري: (عَلِّمْني ديناً وَسُوطاً، لا ذاهِباً فُرُوطاً، ولا ساقِطاً سُقُوطاً)، فإِن الوَسُوطَ هنا المُتَوَسط بين الغَالي والتّالي، ألا تَراه قال: لا ذاهِباً فُرُوطاً أي ليس بغَالٍ ،ولا ساقِطاً سُقُوطاً؛ أي لَيْسَ بتالٍ وهو أحسن الأديان، ألا ترى إلى قَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه: (خَيْرُ النَّاسِ هذا النمط الأوسَطُ يلحق بهم التَّالي، ويرجُع إليهم الغَالي) قال الحَسَنُ للأعرابيِّ: (خير الأُمُورِ أَوْساطُها) أي إن ما كان من الأمُور مُتَوَسِّطاً بين طَرَفَيْه فهو أشْرَف أشخاص نوعه[٣]

ومَرْعَى وَسَطٌ أي خِيارٌ ، قال الشاعر:

(إنَّ لها فَوَارِساً وفَرَطاً ... ونَفْرَةَ الحَيِّ ومَرْعًى وَسَطا)[٤]

والوسَطُ من كل شيء: أعدله، قال الله - جل ثناؤه -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البَقَرَة: ١٤٣)، وضربتُ وسَط رأسه بفتح السين، وجلستُ وسْط القوم بالسكون، وهذا أوسَطهم

---

(١) ينظر: كتاب العين(٧/ ٢٧٩) المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

(٢) ينظر: كتاب تهذيب اللغة (١٣/ ٢٢) المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٥٩٥) المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم(٨/ ٥٩٦) .

حسبا، إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلا[1].

ومن معاني لفظ الوسط في السنة النبوية مايلي:

وَفِيـه «خَيْر الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا» كُلُّ خَصْلَة مَحْمُودَة فَلَهـا طَرَفَان مَذْمُومان، فإنَّ السَّخاءَ وَسَطٌ بَيْـن البُخْل والتَّبْذير، والشَّجاعَـة وَسَطٌ بَيْن الجُبن والتَّهوُّر، والإنسانُ مأمـورٌ أنْ يَتَجَنَّبَ كُلَّ وَصْفٍ مَذْموم.

وَفيهِ «الولدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّة» أَيْ خَيْرُها. يُقَالُ: هُوَ مِنْ أوْسَط قَومه: أَيْ خِيارِهم.

وَمِنْـهُ الْحَدِيثُ «أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ» أَيْ مِـنْ أَشْرَفِهم وأحْسَبِهم: وَقد وَسُطَ وَسَاطَةً فَهُوَ وَسِيطٌ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ رُقَيقة «انْظُروا رَجلاً وَسيطاً» أَيْ حَسِيبا فِي قَوْمه. وَمِنْهُ سَمِّيَت الصلاةُ الْوُسْطَى؛ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الصَّلاة وأَعْظَمُها أجْراً، وَلِذَلِكَ خُصَّتْ بالمُحافَظَة عليها[2].

تعريف الوسطية اصطلاحاً:

وردت الوسطية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية على عدةِ معانٍ:

المعنـى الأول: الوسطية العدل والخيريـة والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) أي، عدلا المعنى الثاني: الوسطية التوسط بين الإفراط والتفريط.

المعنـى الثالث: الوسطية على اعتبار الشيء بين الجيد والرديء، كما قال ابن عباس - في روايـة عنه - «كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا دُونًـا، وَبَعْضُهُمْ قُوتًا فِيهِ سَعَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩) الْخُبْزِ وَالزَّيْت».

المعنـى الرابـع: (أوسط) في الآية بأنه: الأعدل والأمثـل ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة القلم - آية ٢٨).

المعنـى الخامس: الوسطيـة بمعنى: ما بين طرفي الشيء وحافتيـه، ومن ذلك قوله تعالى:

(١) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٩٢٤) المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٣- ١٨٤) المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ (البقرة: ٢٣٨) والصلاة الوسطى صلاة العصر، وسميت الوسطى؛ لأن قبلها صلاتين، على اختلاف في تحديد أي الصلوات[١].

ويمكننا القول بأن الوسطية هاهنا هي الترفق والخيرية والعمل بمرضاة الله تعالى بعيدا عن التفريط والغلو، والوسطية كذلك تعني حسن التعامل مع الخلق مسلمهم وكافرهم وفق ضوابط الشرع واقتداء بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني

نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة

الحديث الأول

التيسير وترك الغلو والمقاربة والرجاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٢]

غريب الحديث:

إن الدين يسر: فيه التأكيد على أن الدين يسر وكأنه يرد على من ينكر يسر الإسلام[٣]

ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبَه: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه[٤]

فسددوا: بالمهملة من السداد وهو التوسط في العمل أي الزموا السداد من غير إفراط ولا تفريط[٥]

---

(١) ينظر: لسان العرب (٧/ ٤٣٠) المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت -الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٣٧) المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، وبحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو (١/ ٨-٩) المؤلف: مجموعة من العلماء ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ الإيمان، ب/الدين يسر (١٦/١) برقم (٣٩) وك/الرقاق ب /القصد والمداومة على العمل (٩٨/٨) برقم (٦٤٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٩): المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

(٤) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٤٩): المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود. مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ومجموعة من الباحثين الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٥) ينظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ١٢٤) المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي=

قاربوا: في العبادة وهو بالموحدة أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه[١]

أبشروا : أَبْشِرُوا بالثواب على الْعَمَل وَإِن قل وأحسنوا الظن بربكم

استعينوا بالغدوة: هي السّير أول النهار

الروحة: المراد السّير آخر النهار

شيء من الدُّلجَة : المراد السُّير أولَ الليل، وكل هذا كناية عن استغلال العباد أوقات النشاط في الطاعةِ والله اعلم

المعنى العام لهذا الحديث :

ديـن الإسلام قائم على تحقيق التوحيد و التيسير على الخلق ،ومن أراد التشديد على نفسه أو غيـره فـي العبـادات والاحتياطات الشرعيـة القاسية قاده ذلـك إلى الملل والفتـور وربما إلى التفريـط فـي الفرائض، وعلى المسلـم الحرص على مقاربة الكمال والقرب مـن السداد ،مع قوة الرجاء بفضل الله ورحمته ،والحرص على العمل الصالح من صلاة وأذكار في أوقات نشاط البدن وهي أول النهار وآخره وبداية الليل وثلثه الأخير[٢].

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

المعْلَـم الأول : التيسيـر بمعنـاه الشامل في العبـادات والمعاملات والأخلاق.وهـذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ) .

المعْلَم الثاني : التشدد في الدين يؤدي إلى السقوط والوسطية في الدين هي طريق السلامة وعنوان الاستقامة وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا) .

المعْلَـم الثالـث : قوة الثقـة بالله وحسن الظن بـه عزوجل في جميع الأحـوال مع الطاعة او التقصير ، وفتح أبواب الرجاء امام الخلق وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَأَبْشِرُوا) [٣]

المعْلَم الرابع : التخطيط السليم وترتيب العمل وتوزيعه بطريقة زمنية ومنهجية مرنة تسهل على النفس تنفيذ وأداء التكاليف من غير نصب ولاملل . وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

= المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

(١) ينظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ١٢٤) .

(٢) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي(١/ ١٤٩)

(٣) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٧) .

دقة اختيار الإمام البخاري رحمه الله تعالى لتبويب هذا الحديث:

نلاحظ أنه أخرجه بين بابين الباب الذي قبله باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، والباب الذي بعده باب الصلاة من الإيمان فكانه يشير إلى أهمية الاقتصاد في العبادة والتيسير والوسطية حتى لايقع العبد في الفتور .

الحديث الثاني

الوسطية في بيان الأسس العقدية لأخوة الإسلام

عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلكَ المُسْلمُ الَّذي لَهُ ذمَّةُ اللَّه وَذمَّةُ رَسُوله، فَلاَ تُخْفرُوا اللَّهَ في ذمَّته) وفي رواية «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بحَقِّهَا وَحسَابُهُمْ عَلَى اللَّه) وفي رواية: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِم، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المُسْلِم)[(١)]

غريب الحديث:

من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا : أي صلى كَمَا نصلي، وَلَا يُوجد إلاَّ من معترف بِالتَّوْحِيد والنبوة، وَمن اعْترف بنبوة مُحَمَّد فقد اعْترف بِجَمِيع مَا جَاءَ بِه عَن اتعالى، فَلهَذَا جعل الصَّلَاة علما لإسلامه، وَلم يذكر الشَّهَادَتَيْن لِأَنَّهُمَا داخلتان فِي الصَّلَاة، وَإِنَّمَا ذكر اسْتِقْبَال الْقبْلَة وَالصَّلَاة متضمنة لَهُ مَشْرُوطَة بِه، لِأَن الْقبْلَة أعرف من الصَّلَاة، فَإِن كل أحد يعرف قبلته وَإِن كَانَ لَا يعرف صلَاته، وَلِأَن من أَعمال صَلَاتنَا مَا هُوَ مشابه فِي صَلَاة غَيرنَا: كالقيام وَالْقِرَاءَة، واستقبال قبلتنا مَخْصُوص بنا[(٢)]

أكل ذبيحتنا : لأن التَّوَقُّف عَن أكل الذَّبَائِح كَمَا هُوَ من الْعَادَات، فَكَذَلِك هُوَ من الْعِبَادَات الثَّابِتَة فِي كل مِلَّة[(٣)]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب/ الصلاة باب/ فضل استقبال القبلة(١/ ٨٧،٨٨) برقم (٣٩١) ورقم(٣٩٢) ورقم (٣٩٣) المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/٥٣) المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٢٥).

(٣) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٢٥).

ذمة الله وذمة رسوله : العهد، وهو إشارة إلى ما عهده الله ورسوله إلى المسلمين بالكف عن دم المسلم وماله[1].

فلا تخفروا الله في ذمته: لا تغدروا بمن له عهد من الله ورسوله، بل أوفوا له بالعهد.

المعنى العام لهذا الحديث :

تضمن هذا الحديث شروط أخوة المسلم لأخيه المسلم وهي أربعة:

شهادة التوحيد لاإله الا الله وأن محمدا رسول الله .

أداء الصلوات الخمس في أوقاتها .

استقبال الكعبة المشرفة في الصلاة .

أكل ذبيحتنا التي نذكر عليها اسم الله تعالى

من تحققت فيه هذه الشروط فقد وجبت له حقوق المسلمين على أمة الإسلام والسلطان المسلم ووجب على جميع المسلمين حماية دمه وماله وعرضه .

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

المَعْلَم الأول : التوحيد والصلاة واستقبال الكعبة في الصلاة هي أسس المعتقد الإسلامي العام .

المَعْلَم الثاني : أخوة المسلمين وتعاونهم على مصالح دينهم ودنياهم مقصد شرعي إسلامي أصيل .

المَعْلَم الثالث: حرمة قتل مسلم شهد شهادة التوحيد وصلى الصلوات الخمس إلى الكعبة المشرفة واكل ذبائح المسلمين .

المَعْلَم الرابع : الصلاة واستقبال القبلة وذكر اسم الله على الذبيحة من أعظم شعائر الإسلام ويجب الاهتمام بهذه الشعائر .

دقة اختيار الإمام البخاري رحمه الله تعالى لتسمية تبويب هذا:

نلاحظ أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى بوب على هذا الحديث باب فضل استقبال القبلة وفائدة هذا التبويب الرد على من يكفر بعض المبتدعة الذين وقعوا في بدع غير مخرجة من الملة مثل الخوارج والمرجئة والأشاعرة، ونحوهم فهؤلاء جميعا برغم بدعهم إلا انهم يشهدون شهادة

(١) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي(٣/ ٥٨)

التوحيد ويصلون الصلوات الخمس ويستقبلون القبلة ويأكلون ذبائح المسلمين فهم مسلمون مالم يقع من أحدهم ناقض من نواقض التوحيد .

الحديث الثالث

تعظيم شأن كلمة التوحيد وعصمة دم قائلها ولو خوفا من السيف

عـن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْـنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُرَقَة مِنْ جُهَيْنَـةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُـمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَـارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّـا غَشِينَاهُ قَـالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَـا بَلَـغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَـالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ) (١)

غريب الحديث:

الحُرقةَ من جُهينة: قبيلة من قبائل جُهينة .

صبّحنا القوم : غزوناهم وأصبناهم غرةً أول النّهار .

فلما غَشيناه: أحطنا به بسيوفنا وأيقن بالموت .

أقتلتَه بعدَ ما قال لاإله إلا اللهُ: استفهام يراد به الإنكار أي كيف تقتله بعد نطقه كلمة التوحيد

تمنيتُ أنـي لم أكن أسلمتُ قبل ذلكَ اليوم: من شـدة العتب واللوم ومخافة الإثم تمنى أنه لم يكن مسلما قبل قتله ذلك الجُهني الناطق بكلمة التوحيد(٢).

المعنى العام لهذا الحديث :

كلمـة(لا إلـه إلا الله) هـي أعظم كلمـة في الوجود ، ومـن قالها حرم دمـه وماله وعرضه وحسابه على الله تعالى.

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

المعْلَم الأول: وجوب حرص المسلم على نشر التوحيد وأهمية كلمة التوحيد وتحقيق شروط كلمة التوحيد .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب/ المغازي باب /بَعْث النَّبِيِّ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى الحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ (١٤٤/٥) برقم (٤٢٦٩) وكتاب/الديات باب /قول الله تعالى (ومن أحياها) (٤/٩) برقم (٦٨٧٢)، من حديث سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٩٥) ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

المعْلَم الثاني : حرمة تكفير المسلمين وحرمة قتلهم ولو كانوا منافقين ماداموا يقولون لا إله الا الله ويصلون ويستقبلون القبلة .

المعْلَم الثالث: شريعة الإسلام تعامل الناس على ظاهرهم، وتترك بواطنهم وسرائرهم إلى الله تعالى

الحديث الرابع:

الوسطية والدبلوماسية في التعامل مع غير المسلمين

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ) [1]

غريب الحديث:

رهط: الرَّهْط من الرِّجَال مَا دون الْعشْرَة وَقيل إِلَى الْأَرْبَعين وَلَا يكون فيهم امْرَأَة وَلَا وَاحِد لَهُ من لَفظه وَيجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الْجمع [2]

السّامُ: الموتُ

المعنى العام لهذا الحديث :

دخل بعض اليهود بيت النبي صلى الله عليه وسلم فدعوا عليه بالموت بلفظٍ موهم بالسَّلام فردتْ أمُّنا عائشةُ رضي الله عنها عليهم بمثل دعوتهم تلك ولعنتهم ، فنهاها رسول اللهً صلى الله عليــه وسلــم قائلا إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، وقال لها بأنه فهم أساءتهم ورد عليهم بمثلها فقال : وعليكم .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ الأدب، ب/الرفق في الأمر كله (١٢/٨) برقم (٦٠٢٤) وك/الديات ب/ قول الله تعالى (ومن أحياها) (٤/٩) برقم (٦٨٧٢)، وك/ الجهاد والسير ، ب/ الدعاء على المشركين(٤٤/٤) برقم (٢٩٣٥) وك/ الأدب، ب/ لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولامتفحشا (١٢/٨)برقم (٦٠٣٠) وك/ الاستئذان، ب/ كيف يرد على أهل الذمة السلام (٥٧/٨) برقم (٦٢٥٦) وك/ الدعوات ب /الدعاء على المشركين (٨٤/٨) برقم (٦٣٩٥) وب/ قوله ﷺ يستجاب لنا في اليهود ولايستجاب لهم فينا (٨٥/٨) برقم (٦٤٠١) وك/ استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ب/ُ إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُصَرِّحْ، نَحْوَ قَوْلِهِ: السَّامُ عَلَيْكَ(١٥/٩) برقم (٦٩٢٦) و(١٦/٩) برقم (٦٩٢٧) من حديث أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١١٣)

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث :

المعْلَم الأول : اللغة الدبلوماسية للمسلمين يجب أن تكون لغة راقية وذكية .

المعْلَـم الثاني: يجب على المسلمين الحرص على إقامة علاقات دولية عالية مع جميع الأمم ومن جميع الملل لخدمة مصالح المسلمين الدينية والاقتصادية وغيرها .

المعْلَـم الثالـث: جواز تبادل الزيارات بين المسلمين وأهل الكتـاب وغيرهم لمافيه الصالح العام للمسلمين وللبشرية جمعاء بشرط عدم التنازل عن ثوابتنا العقدية .

الحديث الخامس

عـن أبـي موسى الأشعـري رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَـثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إلى اليَمَنِ فقَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(١)

غريب الحديث:

يسرا ولاتعسرا : أمر بالتيسير ونهي عن التعسير وهو عام لأنهما واليان وقاضيان .

بشـرا ولاتنفرا: أمر بالتبشير بالخير والمغفـرة والرجاء ونهي عن تنفير الناس عن التوحيد والإسلام لأنهما مكلفان بتعليم الناس في اليمن عقيدة التوحيد وشرائع الإسلام .

تطاوعـا ولاتختلفا: لأنهما أميران على مدينتين متجاورتيـن مدينةزبيد ومدينة الجَنَدْ ولابد أن يتنـازل كلا منهمـا لللآخـر ويطاوعه ، في مايجلـب النفع للناس ، ونهاهمـا عن الاختلاف لأن اختلاف الأمراء يشق عصا الجماعة ويفتح باب الشيطان ، ويعطل مصالح الخلق .

المعنى العام لهذا الحديث :

بعـث النبـي ﷺ الصحابييـن الجليلين معاذ بن جبـل الأنصاري وأبا موسـى الأشعري إلى اليمـن أميرين علـى مخلاف الجند ومخلاف زبيد ثم أمرهما بثـلاث ونهاهما عن ثلاث أمرهما بالتيسيـر والتبشيـر والتطاوع، ونهاهما عـن التعسير والتنفير والاختلاف ، وقـد التزما توجيهاته صلى الله عليه وسلم ونجحا في مهمتهما نجاحا منقطع النظير .

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ الجهاد والسير ، ب/ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ (٤/ ٦٥) برقم (٣٠٣٨) و ك/ المغازي ، ب/ بعث أبي موسى ومعاذ الى اليمن (٥/ ١٦١) برقم (٤٣٤١) و ب/ بَعْثِ أَبِي مُوسَى، وَمُعَاذٍ إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ (٥/ ١٦٢) برقم (٤٣٤٤) ك/ الأدب ب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم بشروا (٨/ ٣٠) برقم (٦١٢٤) وك/ الأحكام ب/ أمر الوالي (٩/ ٧٠) برقم (٧١٧٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

المعْلَم الأول : التيسير وعدم التعسير وهو عام في جميع الأمور.

المعْلَم الثاني : التبشير وعدم التنفير وهو عام في جميع الأمور.

المعْلَـم الثالث: المرونة والتعاون والتنازل للشريـك والتطاوع وعدم الاختلاف بين الأمراء ، وهو عام في جميع الأمور.

المبحث الثاني

نماذج من الأحاديث الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة

المطلب الأول: تعريف الاعتدال لغة واصطلاحا

الاعتدال: تَوَسُّطُ حالٍ بَين حالَين فِي كَمّ أَو كَيْف، كَقَوْلِهِم: جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ: بَين الطُّول وَالْقصر. وماءٌ معتدلٌ: بَين الْبَارِد والحارّ. وَيَوْم معتدل: طَيِّبُ الْهَوَاء

عَدَل الشيءُ الشيءَ يَعْدِلهُ عَدْلاً، وعادَلَه: وَازَنَه. وعدَّلَ الحُكْمَ: أقامه. وعدَّل الرَّجُلَ: زَكَّاهُ.

والعَدَلَةُ والعُدَلَة: المُزَكُّونَ، الأخيرةُ عَن ابْن الأعرابيّ. وعَدَّلَ الموازينَ والمكاييلَ: سَوَّاها.

والعَـدْلُ والعِدْل والعَديلُ: النَّظيرُ والمِثل، وَقيـل: هُوَ المِثلُ وَلَيْسَ بالنَّظير عَينِه. وَفِي التَّنْزِيل: (أَوْ عَدْلُ ذلكَ صياما) . وَقَالَ مهلهل:

على أنْ لَيْسَ عَدْلاً من كُلَيْبٍ ... إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّأَةُ الخُدُورِ

وقولُ الأعلم:

مَتى مَا تَلْقَنِي وَمَعِي سلاحي ... تُلاقِ الموتَ لَيْسَ لَهُ عَديلُ

يَقُول: كأنَّ عَديلَ الْمَوْت فَجْأَتُهُ. يُرِيد: لَا مَنْجى مَعَه، وَالْجمع أعدالٌ وعُدَلاءُ.

وعَدَل الرَّجُلَ فِي المَحْمِلِ وعادَلَه: ركب مَعَه. وعديلُك: المعادلُ لَك.

والعِدْل: نِصفُ الحِمْل يكون على أَحَد جَنْبَي البعيرِ، وَالْجمع أعدالٌ وعدُوْل، عَن سِيبَوَيْهٍ.

وكل مَا تناسب: فقد اعتدل. وكلُّ مَا اقمتَه فقد عَدَّلْتَه. وعَدَّله كعَدَله.

واعتدل الشِّعْرُ: اتَّزَنَ واستقام ، وعَدَل عَن الشَّيْء يَعْدِل عَدْلاً وعُدُولا: حادَ.

وعَدَل إِلَيْه عُدُولا: رَجَعَ.وماَلهُ مَعْدِلٌ وَلَا مَعْدُولٌ: أَي مَصرِف. وعَدَل الطَّرِيقُ: مَال[(١)]

(١) ينظر : مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٧) المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١٣-١٤-١٥) المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

تعريف الاعتدال اصطلاحاً:

العدالــة اصطلاحا: عبارَة عَن الاسْتِقَامَة على الطَّرِيــق الْحق بِالاخْتِيَارِ عَمَّا هُوَ مَحْظُور دينا وَهِي نَوْعَانِ:

ظَاهِــرَة: وَهِي مَا ثَبت بِظَاهِــر الْعقل وَالدّين لِأَنَّهُمَا يحملانه علــى الاسْتِقَامَة ويزجرانه عَن غَيرهَا ظَاهرا.

وباطنــة: وَهِي لَا يدْرك مداها لِأَنَّهَا تَتَفَاوَت فَاعْتبر فِي ذَلِك مَا لَا يُؤَدِّي إِلى الْحَرج وَالْمَشَقَّة وتضييع حُدُود الشَّرْع، وَهُوَ مَا ظهر بالتجربة رُجْحَان جِهَة الدّين وَالْعقل على طَرِيق الْهوى والشهوة بالاجتناب عَن الْكَبَائِر وَترك الْإِصْرَار على الصَّغَائِر[١]

الاعتــدال اصطلاحــا : الاستقامة والتزكية، والتوسط، والخيرية ، وهو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط[٢]

المطلب الثاني:

نماذج من الأحاديث الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة

الحديث الأول

الاعتدال في مسائل الشرع وترك التَنطعْ والتعمقْ

عَــنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضــي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّــى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَعُونِــي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٣]

غريب الحديث :

دعوني ماتركتكم : دَعونِي أَي: اتركوني. قَوْله: مَا تركتكم أَي: مُدَّة تركي إيَّاكُمْ[٤]

إنمــا هلك مــن كان قبلكم بسؤالهم واختلافهــم على أنبيائهم: أي بسبــب كثرة سؤالهم عن

(١) ينظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص: ٦٣٩) ، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) ينظر : بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو (١/ ٦-٧) المؤلف: مجموعة من العلماء ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ ، عدد الصفحات: ٣٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة ب/ بَابُ الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٩/ ٩٤) برقم (٧٢٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٣٢/٢٥) .

تفاصيـل الأمـور ، ثم مخالفتهم لتوجيهـات أنبيائهم ، قال بعض السلف: لَوِ اعْتَرَضَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَدْنَى بَقَرَةٍ فَذَبَحُوهَا لَكَفَتْهُمْ وَلَكِنْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ[1]

المعنى العام للحديث:

كان النبـي ﷺ رحيمـا بأمته فنهى الصحابة أن يسألوه عن أمـور خشية أن تفرض عليهم ، فقـال دعونـي ماتركتكم أي لا تسألوني عن شيء لم أشرع أنا فـي الحديث عنه ، ثم بين صلى الله عليـه وسلـم أن سبب هلاك الأمم مـن قبلهم مخالفتهـم للأنبياء بعد سؤالهـم إياهم المعجزات والبينات والأحكام والتشريعات وتفاصيل غير مفيدة .

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

المعْلَـم الأول : الاختلاف هلاك للأمم والشعوب والـدول، وأن التسامح والتعايش فيه رخاء الأمـم والشعوب والدول ومأخذ هذا المعنى من منطوق النص (إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهـم علـى أنبيائهم) وإنمـا أداة حصر والمراد لـم يهلك من قبلكـم إلا بعصيان الأنبياء وبالاختلاف وسؤالهم عما لاينفعهم.

المعْلَـم الثانـي : اجتناب منهيـات الشرع فرض عين علـى المسلم ومأخذ هـذا المعنى من منطوق النص (فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه).

المعْلَـم الثالث: أداء المأمورات يكون بحسب الاستطاعـة عدا الفرائض ومأخذ هذا المعنى من منطوق النص (وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).

الحديث الثاني

الاعتدال في العبادة هو منهج النبي ﷺ

عـن أَنَسَ بْنَ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَـةُ رَهْط إِلى بُيُوت أَزْوَاج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـه وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عبَـادَة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِـرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْـنَ نَحْـنُ منَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مـنْ ذَنْبه وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّـا أَنـا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُـومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزلُ النِّسَاءَ فَـلاَ أَتَـزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَـالَ: «أَنْتُمُ الَّذينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَـا وَاللَّه إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للَّه وَأَتْقَاكُـمْ لَهُ، لَكنِّي أَصُومُ وَأُفْطرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُـدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ منِّي) [2]

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٦١)

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب/ النكاح، باب/الترغيب في النكاح (٢/٧) برقم (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

غريب الحديث :

ثلاثة رهط : ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم .

مـن رغب عن سنتي فليس مني : الْمُـرَادُ بِالسُّنَّة الطَّرِيقَةُ لَا الَّتِي تُقَابِلُ الْفَرْضَ وَالرَّغْبَةُ عَنِ الشَّـيْءِ الْإِعْرَاضُ عَنْهُ إِلَى غَيْـرِه وَالْمُرَادُ مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَـةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي وَلَمَّحَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيقِ الرَّهْبَانِيَّة فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا التَّشْدِيدَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللّه تَعَالَى وَقَدْ عابهم بِأَنَّهُم مَـا وفـوه بِمَا التزموه وَطَرِيقَـةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّـمَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ فَيُفْطِـرُ لِيَتَقَوَّى عَلَى الصَّـوْمِ وَيَنَامُ لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَام، وَيَتَزَوَّجُ لِكَسْرِ الشَّهْوَة وَإِعْفَاف النَّفْس وَتَكْثِير النَّسْل وَقَوْلُهُ فَلَيْسَ مِنِّـي إِنْ كَانَت الرَّغْبَة بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيل يُعْذَرُ صَاحِبُـهُ فيه فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي أَيْ عَلَى طَرِيقَتِي وَلَا يَلْـزَمُ أَنْ يَخْرُجَ عَـنِ الْمِلَّة وَإِنْ كَانَ إِعْرَاضًا وَتَنَطُّعًا يُفْضِي إِلَى اعْتِقَـاد أَرْجَحِيَّة عَمَله فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي لَيْسَ عَلَى مِلَّتِي لِأَنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْكُفْر، وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ النِّكَاحِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ(١)

المعنى العام للحديث:

أراد ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم أن يتعمقوا في العبادة ، وأن يتركوا الملذات فسألوا عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبرهم أزواج النبي ﷺ كأنهم رأوها قليلة، فعادوا إلى أنفسهم فقالوا : أيـن نحن من رسول الله ﷺ الذي قـد غفر الله ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، ثم اعلنوا برامجهم التعبديـة التي يرونها لائقة بحق الله علـى خلقه فقال الأول : سوف أقوم الليل ولاأنام طوال حياتي وقـال الثاني: سـوف أصوم الدهر والمقصـود عمره كله وقـال الثالث: لن أتـزوج أي امرأة طوال حياتـي فجاء رسول الله ﷺ اليهم فقال أنا أشدكم لله خشية ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتـزوج النسـاء فمن رغب عن سنتـي فليس مني ومعنـاه أن تشددكم على أنفسكـم بكثرة العبادة وتـرك الطيبات مثل الـزواج وغيره ليس من الإسلام في شيء وليس من سنتي التي هي قائمة على الاعتدال في العبادات .

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث :

المعْلَـم الأول: قوة إيمـان الصحابة رضي الله عنهم وزهدهم فـي الدنيا وحرصهم الشديد على رضوان الله تعالى.

المعْلَم الثاني: تأدبهم مع النبي ﷺ ودفاعهم عنه باعتذرهم له بأنه قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .

المعْلَم الثالث: الاعتدال في العبادات وفي الملذات هو منهج النبي ﷺ.

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٠٥-١٠٦)

المعْلَم الرابع : التشدد والتنطع والمبالغة في إرهاق الجسد بالعبادات ليس من سنة النبيﷺ وسلم لكنه مخالفة للفطرة وللسنة النبوية المطهرة .

الحديث الثالث

الاعتدال في أداء حقوق الله وحقوق الأسرة وحقوق النفس

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُوالدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُوالدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» أَبُو جُحَيْفَةَ وَهْبٌ السُّوَائِيُّ يُقَالُ: وَهْبُ الخَيْرِ [1]

غريب الحديث :

فرأى أم الدرداء متبذلة : التبذل اللباس المتواضع الذي ليس فيه جمال ولازينة .

ليس له حاجة بالدنيا: تقصد قلة اهتمامه بزوجته وقلة مضاجعته إياها زهدا في الدنيا بحسب اجتهاده .

إنّ لربك عليك حقا: هو الفرائض المتعينة فيجب أداؤوها .

ولنفسك عليك حقا: بالطعام والنوم والترويح عنها حتى لاتقع في الملل .

ولأهلك عليك حقا : أي لزوجتك حق في النفقة و الحديث والمؤانسة والجماع .

صدقَ سلمانُ : تقرير نبوي بصواب نصيحة سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه لأخيه أبي الدرداء رضي الله عنهم أجمعين .

المعنى العام للحديث :

آخى النبي ﷺ بين الصحابة وممن آخى بينهم سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ الصوم ب/ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ (٣/ ٣٨) برقم (١٩٨٦) وك/ الأدب ب/صنع الطعام والتكلف للضيف (٣٢/٨) برقم (٦١٣٩) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه .

عنهمـا ، فـزار سلمانُ أبا الدرداء فرأى هيئة زوجة أبي الـدرداء هيئة متبذلة ، فسألها عن السبب فقالـت أخـوك أبوك أبو الدرداء لايهتم بالدنيا ولا الزوجة ولا الزينة ، فوجه سلمان رضي الله عنه ثـلاث نصائـح لأبي الدرداء (إن لربك عليـك حقا ولنفسك عليك حقا ، ولأهلـك عليك حقا) فلم يقبلهـا أبو الدرداء رضي الله عنه منه بل أصبـح وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن صواب كلام سلمان الفارسي فقال له رسول الله ﷺ (صدق سلمان) فأخذ بهن أبو الدرداء.

المعالـم النبوية المستفادة فـي حياتنا المعاصرة من هذا الحديـث النبوية المستفادة من هذا الحديث:

المعْلَم الأول : الاعتدال والتوازن هو المنهج السوي للمسلم بأن يؤدي المسلم حقوق الله وحق نفسه وحقوق أسرته من زوجة وولد ، وواجبات وأعمال وتكاليف في حياته .

المعْلَم الثاني: الصدق في عرض المشكلة للمستشار الأسري يكون سببا في حل سريع ومفيد وحاسم .

المعْلَم الثالث: التناصح بين المسلمين والتآخي بينهم عنصر قوة للأسرة وللمجتمع وللأمة ومأخذ هذا المعنى من نصائح سيدنا سلمان رضي الله عنه لأخيه أبي الدرداء رضي الله عنهما .

المعْلَم الرابع : الرجوع إلى اهل العلم واهل الفتوى في المشكلات والمعضلات سبب عظيم لزوال المشكلات وحل لعقد المدلهمات، ومأخذ هذا المعنى من سؤال أبي الدرداء للنبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث الرابع

الاعتدال بالأخذ بالأيسر في جميع الأمور مالم يكن إثما

قـال الإمـام البخاري رحمه الله تعالـى «حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُـفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَـا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[1]

غريب الحديث :

اختـار أيسرهما مالـم يكن إثما : يختار الخيار الأقرب إلى العاطفة والمرونة ،مالم يكن فيه إثم ومن هذا القبيل قبول الفدية في أسارى بدر، مع قدرته على قتلهم .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ المناقب ب/ صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٩) برقم (٣٥٦٠) وك/ الأدب ب / قول النبي ﷺ يسروا ولاتعسروا (٨/ ٣٠) برقم (٦١٢٦) وك/ الحدود ب/ إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (٨/ ١٦٠) برقم (٦٧٨٦) من حديث أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

مـا انتقم رسول الله ﷺ لنفســه : أي لشخصه كما صنع مع الأعرابي الذي جذب رداءه منه وقال مر لي من مال الله ليس من مال أبيك فضحك رسول الله ﷺ وأمر له بعطاء.

تنتهـك حرمـة الله : كان يغضب إذا انتهك الناس شيئا حرمـه الله عليهم مثل لبس الرجال للذهب أو أكلهم الربا ونحوه من المنهيات، والمراد إذا انتهكت حُرْمَة الله انتصر لله تَعَالَى وانتقم مِمَّن ارْتكب ذَلِك(١)

المعنى العام للحديث :

كان النبـي ﷺ إذا خيـر بين أمرين اختـار أيسرهما مالم يكن إثما ومن هـذا القبيل قبول الفدية في أسارى بدر، مع قدرته على قتلهم، ومن هذا القبيل العفو عن كفار قريش يوم الفتح،مع استحقاقهـم القتـل لخيانتهم العهود ونقضهـم للمواثيق بقتالهم قبيلة خزاعـة، ومن هذا القبيل تفضيله صلى الله عليه وسلم نسك التمتع لما فيه من تيسير على الناس على نسكي الإفراد والقران وهما نسكان صحيحان إلا أن الحاج يكابد فيهما مشقة أكبر.

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث:

المَعْلَم الأول: الأخذ بأيسر الخيارات في جميع الأمور مالم يكن فيه إثم.

المَعْلَم الثاني: يجب على المسلم والسلطان أن لاينتقم لشخصه، عملا بسنة النبي ﷺ.

المَعْلَم الثالث: يجب على المسلم أن يجتنب حرمات الله ،وينهى غيره عن الوقوع في محارم الله في حدود طاقته وسلطانه.

المَعْلَـم الرابـع : الاعتدال والعطـف واللين والرفق من صميم عقيـدة الإسلام وهي ملازمة لجميع تشريعاته.

الحديث الخامس

الاعتدال في الفتوى ومراعاة أحوال الناس عند الفتوى وعند القضاء

عـن أبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْـنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَـاءَهُ رَجُـلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَـالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتـي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّـى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَـلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَـلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْـنِ مُتَتَابِعَيْـن»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِـدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَـالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٢٢/١٦٨) .

المكْتَلُ – قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ به» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ منِّي يَا رَسُولَ اللَّه؟ فَوَاللَّه مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[(١)]

غريب الحديث :

يارسولَ اللّه هلكتُ: أراد بالهلاك الوقوع فيما حرمه اللّه وهو جماعه لزوجته وهو صائم في نهار رمضان.

بعَرَق فيه تمر: هو وعاء مصنوع من أوراق النخل يضع الناس فيه التمر . أصل الْعرق السفيفة المنسوجة من الخوص قبل أَن تجْعَل مِنْهَا زبيلا فَسُمي الزبيل عرقا لذَلِك وَيُقَال لَهُ: العرقة أَيْضا وَكَذَلِكَ كل شَيْء مصطف مثل الطير إِذا اصطفت فِي السَّمَاء فَهِيَ عرقة[(٢)]

مابين لابتيها: أي الحرتين وهما حافتا المدينة المنورة فإنها وادٍ بين حرتين.

المعنى العام للحديث:

جامع صحابي زوجته في نهار رمضان ، فسال من حوله فقالوا له: قد هلكت، فجاء إلى النبي ﷺ مستفتيا ، فأخبره صلى اللّه عليه وسلم بالكفارة الواجبة عليه وهي بالترتيب عتق رقبة ثم صوم شهرين متتابعين ثم اطعام ستين مسكينا فاعتذر عن الرقبة بأنه لايملك سوى رقبة نفسه، واعتذر عن الصوم بأنه يزيد من رغبته بالجماع، واعتذر عن الكفارة بالفقر والحاجة، وبينما هم كذلك إذ جاء بعض الصحابة بوعاء فيه تمر فاعطاه النبي ﷺ إياه وقال تصدق به كفارة عما صنعت ، فقال للنبي ﷺ واللّه مافي المدينة أفقر مني ومن أسرتي فضحك رسول اللّه ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال اذهب فاطعمه أهلك.

المعالم النبوية المستفادة في حياتنا المعاصرة من هذا الحديث :

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ك/ الصوم ب/ إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق(٣/ ٣٢) برقم (١٩٣٦) وك/ الهبة وفضلها والتحريض عليها ب/ إذا وهب هبة فقبضها الآخر ولم يقل قبلت (٣/ ١٦٠) (٢٦٠٠) وك/ النفقات ب/ نفقة المعسر على أهله (٧/ ٦٦) برقم (٥٣٦٨) وك/الأدب ب/ التبسم والضحك (٢٣/٨) برقم (٦٠٨٧) وباب ماجاء في قول الرجل ويلك (٣٨/٨) برقم (٦١٦٤) وك/كفارات الأيمان / ب/ قوله تعالى (قد فرض اللّه لكم تحلة أيمانكم) (٨/ ١٤٤) برقم (٦٧٠٩) وب/ من أعان المعسر على الكفارة (١٤٤/٨) برقم (٦٧١٠) وباب/ يُعطي في الكفارة عشرة مساكين قريبا كان أو بعيدا (٨/ ١٤٥) برقم (٦٧١١) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه وك/ الحدود ب/ من أصاب ذنبا دون الحد فأخبر الإمام (١٦٦/٨) برقم (٦٨٢٢) من حديث أمنا أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها .

(٢) ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ١٠٥) المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد اللّه الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) ، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

المعْلَم الأول : المشقة تجلب التيسير وهي قاعدة فقهية مجمع عليها بين علماء الإسلام .

المعْلَـم الثاني : الاعتدال في الفتوى ومراعاة أحوال الناس عند الفتوى من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وليس تساهلا في دين الله تعالى ، لكنه لايتعدى صاحب النازلة.

المعْلَم الثالث: الرجوع إلى العلماء وإلى اهل الفتوى هو السبيل الأقوم لحل مشكلات الفرد والأسرة والمجتمع والأمة .

المعْلَـم الرابـع : المحاماة عـن النفس جائـزة شرعا كالمحامـاة عن الغيـر ، وقد يحصل المحامي اللبق على مكاسب قانونية لم يكن يتوقعها بسبب طرافته ولطافته والله أعلى وأعلم .

الخاتمة

بعد دراستي للأحاديث النبوية الشريفة في هذا البحث من صحيح البخاري توصلت إلى المعالم التالية للوسطية والاعتدال ،وقمت بتوزيعها مقرونة بنصوصها في هذا الجدول:

م	معالم الوسطية والاعتدال المستفادة من هذا البحث	النص النبوي المستفاد منه هذه المعالم	ترتيب الحديث وعنوان المبحث
١	التيسير بمعناه الشامل في العبادات والمعاملات والأخلاق.	عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ	الحديث الأول من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٢	التشدد في الدين يؤدي إلى السقوط والوسطية في الدين هي طريق السلامة وعنوان الاستقامة وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا).		
٣	قوة الثقة بالله وحسن الظن به عزوجل في جميع الأحوال مع الطاعة او التقصير ، وفتح أبواب الرجاء أمام الخلق وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَأَبْشِرُوا).		
٤	التخطيط السليم وترتيب العمل وتوزيعه بطريقة زمنية ومنهجية مرنة تسهل على النفس تنفيذ وأداء التكاليف من غير نصب ولاملل . وهذا المعْلَم مأخوذ من منطوق الحديث (وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).		

٥	التوحيد والصلاة واستقبال الكعبة في الصلاة هي أسس المعتقد الإسلامي العام .	عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي اللّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)	الحديث الثاني من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٦	أخوة المسلمين وتعاونهم على مصالح دينهم ودنياهم مقصد شرعي إسلامي أصيل .		
٧	حرمة قتل مسلم شهد شهادة التوحيد وصلى الصلوات الخمس إلى الكعبة المشرفة وأكل ذبائح المسلمين .		
٨	الصلاة واستقبال القبلة وذكر اسم الله على الذبيحة من أعظم شعائر الإسلام ويجب الاهتمام بهذه الشعائر .		
٩	وجوب حرص المسلم على نشر كلمة التوحيد وأهمية كلمة التوحيد وتحقيق شروط كلمة التوحيد .	عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»	الحديث الثالث من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
١٠	حرمة تكفير المسلمين وحرمة قتلهم ولو كانوا منافقين ماداموا يقولون لا إله الا الله ويصلون ويستقبلون القبلة .		
١١	شريعة الإسلام تعامل الناس على ظاهرهم، وتترك بواطنهم وسرائرهم إلى الله تعالى .		
١٢	اللغة الدبلوماسية للمسلمين يجب أن تكون لغةً راقيةً وذكيةً	دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ	الحديث الرابع من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
١٣	يجب على المسلمين الحرص على إقامة علاقات دولية عالية مع جميع الأمم ومن جميع الملل لخدمة مصالح المسلمين الدينية والاقتصادية وغيرها .		
١٤	جواز تبادل الزيارات بين المسلمين وأهل الكتاب وغيرهم ودخول بيوتهم ودخولهم بيوتنا لمافيه الصالح العام للمسلمين وللبشرية جمعاء بشرط عدم تنازل المسلم عن ثوابته العقدية .		

١٥	التيسير وعدم التعسير وهو عام في جميع الأمور.	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إلى اليَمَنِ فقَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا)	الحديث الخامس من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الوسطية والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
١٦	التبشير وعدم التنفير وهو عام في جميع الأمور.		
١٧	المرونة والتعاون والتنازل للشريك والتطاوع وعدم الاختلاف بين الأمراء ، وهو عام في جميع الأمور.		
١٨	الاختلاف هلاك للأمم والشعوب والدول ، وأن التسامح والتعايش فيه رخاء الأمم والشعوب والدول ومأخذ هذا المعنى من منطوق النص(إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) وإنما أداة حصر والمراد لم يهلك من قبلكم إلا بعصيان الأنبياء وبالاختلاف وسؤالهم عما لاينفعهم	«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»	الحديث الأول من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
١٩	اجتناب منهيات الشرع فرض عين على المسلم ومأخذ هذا المعنى من منطوق النص (فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه).		
٢٠	أداء المأمورات يكون بحسب الاستطاعة عدا الفرائض ومأخذ هذا المعنى من منطوق النص (وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).		
٢١	قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم وزهدهم في الدنيا وحرصهم الشديد على رضوان الله تعالى .	فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)	الحديث الثاني من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٢٢	تأدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ودفاعهم عنه .		
٢٣	الاعتدال في العبادات هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم .		
٢٤	التشدد والتنطع والمبالغة في إرهاق الجسد بالعبادات ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مخالفة للفطرة وللسنة النبوية المطهرة .		

٢٥	الاعتدال والتوازن هو المنهج السوي للمسلم بأن يؤدي المسلم حقوق الله وحق نفسه وحقوق أسرته من زوجة وولد ، وواجبات وأعمال وتكاليف في حياته .	إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»	الحديث الثالث من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٢٦	الصدق في عرض المشكلة للمستشار الأسري يكون سببا في حل سريع ومفيد وحاسم .		
٢٧	التناصح بين المسلمين والتآخي بينهم عنصر قوة للأسرة وللمجتمع وللأمة ومأخذ هذا المعنى من نصائح سيدنا سلمان رضي الله عنه لأخيه أبي الدرداء رضي الله عنهما .		
٢٨	الرجوع إلى اهل العلم واهل الفتوى في المشكلات والمعضلات سبب عظيم لزوال المشكلات وحل لعقد المدلهمات، ومأخذ هذا المعنى من سؤال أبي الدرداء للنبي صلى الله عليه وسلم.		
٢٩	الأخذ بأيسر الخيارات في جميع الأمور مالم يكن فيه إثم	مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا	الحديث الرابع من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٣٠	يجب على المسلم والسلطان أن لاينتقم لشخصه ، عملا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم .		
٣١	يجب على المسلم أن يجتنب حرمات الله ،ويجب عليه أن ينهى غيره عن الوقوع في محارم الله حسب وسعه وسلطانه		
٣٢	الاعتدال والعطف واللين والرفق من صميم عقيدة الإسلام وهي ملازمة لجميع تشريعاته .		

٣٣	المشقة تجلب التيسير وهي قاعدة فقهية مجمع عليها بين علماء الإسلام	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»	الحديث الخامس من نماذج من أحاديث الإمام البخاري الواردة في الاعتدال والمعالم المستفادة منها في حياتنا المعاصرة
٣٤	الاعتدال في الفتوى ومراعاة أحوال الناس عند الفتوى من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وليس تساهلا في دين الله تعالى ، لكنه لايتعدى صاحب النازلة.		
٣٥	الرجوع إلى العلماء وإلى اهل الفتوى هو السبيل الأقوم لحل مشكلات الفرد والأسرة والمجتمع والأمة .		
٣٦	المحاماة عن النفس جائزة شرعا كالمحاماة عن الغير ، وقد يحصل المحامي اللبق على مكاسب قانونية لم يكن يتوقعها بسبب طرافته ولطافته والله أعلى وأعلم .		

وأما أبرز التوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فهي كالتالي :

م	ترتيب التوصية	نص التوصية
١	التوصية الأولى	إقامة المؤتمرات العلمية النوعية التي تربط المسلمين بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم عبر سنته الصحيحة ، مثل هذا المؤتمر
٢	التوصية الثانية	تبسيط مفاهيم الحديث النبوي الشريف لعامة المسلمين بكل الوسائل الممكنة
٣	التوصية الثالثة	إحياء مفهومي الوسطية والاعتدال ونشرهما في الأوساط العلمية والثقافية ووسائل الإعلام وربطهما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم
٤	التوصية الرابعة	إنتاج بعض القصص الواردة في هذا البحث أفلاما تلفزيونية قصيرة هادفة للإسهام في نشر مفاهيم الوسطية والاعتدال كونها مستوفية للعناصر الأدبية .
٥	التوصية الخامسة	على المسلمين جميعا دعم المؤسسات العلمية الشرعية والأكاديمية التي تعنى بتعليم السُّنة النبوية ونشرها وبيان صحيحها من سقيمها ، وأعطاء أهل العلم واهل الفتوى واهل الحديث حقهم من التوقير والاكرام
٦	التوصية السادسة	علينا كمسلمين نشر الوسطية والاعتدال عبر القدوة الحسنة والممارسة العملية

قائمة المراجع

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي .

العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

القاموس المحيط ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني

القريمـي الكفـوي، أبـو البقاء الحنفـي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنـان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

المحكـم والمحيـط الأعظم المؤلف: أبـو الحسن علي بن إسماعيل بـن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) ،المحقـق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلميـة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

بحـوث ندوة أثـر القرآن في تحقيـق الوسطية ودفع الغلـو، المؤلف: مجموعة مـن العلماء ، الناشـر: وزارة الشئـون الإسلاميـة والأوقاف والدعـوة والإرشـاد - المملكة العربيـة السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.

تهذيب اللغـة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقـق: محمـد عوض مرعـب ، الناشر: دار إحياء التـراث العربي – بيـروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

شرح صحيح البخارى لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفـى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسـر بن إبراهيم ، دار النشر: مكتبـة الرشد - السعودية، الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهيـر بـن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عـن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

غريـب الحديث للقاسم بن سلام المؤلف: أبو عُبيـد القاسم بن سلاّم بن عبد اللّه الهروي البغـدادي (المتوفـى: ٢٢٤هـ) ، المحقـق: د. محمـد عبد المعيد خـان ، الناشـر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

فتـح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود. مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ومجموعة من الباحثين الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

فتـح الباري بشرح صحيـح البخاري لابن حجر المؤلف: أحمد بن علـي بن حجر أبو الفضل

العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.

لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر، بيروت -الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الشيخ الدكتور محمد سليم مصطفى «محمد علي»
إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك
الأمين العام لهيئة العلماء والدعاة فلسطين
الأستاذ المشارك في الفقه المقارن «جامعة القدس»

مظاهر «الوسطية» في حكم وجوب نفقة الزوجة من كتاب «النفقات» في الجامع الصحيح للبخاري مقارنة بالمذاهب الفقهية الأربعة

خطة البحث

المقدمة وتشمل: مشكلة البحث، وأسبابه، وأهميته، وحدوده، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث ، وتتكون من ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الأول : الوسطية والواجب لغة واصطلاحا ، والوسطية في سيرة البخاري وكتابه «الجامع الصحيح» في كتاب النفقات

المطلب الأول: الوسطية لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: الواجب لغة واصطلاحا

المطلب الثالث: الوسطية في سيرة الإمام البخاري

المطلب الرابع: الوسطية في الجامع الصحيح للبخاري في كتاب النفقات

المبحث الثاني: مظاهر الوسطية في أدلة حكم وجوب نفقة الزوجة في المصادر النقلية

المطلب الأول: مظاهر الوسطية في أدلة حكم وجوب نفقة الزوجة من القرآن الكريم

المطلب الثاني: مظاهر الوسطية في أدلة حكم وجوب نفقة الزوجة من السنّة النبوية

المطلب الثالث: مظاهر الوسطية في دليل الإجماع على حكم وجوب نفقة الزوجة

المبحث الثالث: مظاهر الوسطية في حكم وجوب النفقة في «كتاب النفقات» في الجامع الصحيح للبخاري وفي المذاهب الفقهية الأربعة

المطلـب الأول: مظاهر الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة في كتاب النفقات في الجامع الصحيح للبخاري

المطلب الثاني : مظاهر الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة في معاني النفقة اصطلاحا

المطلـب الثالـث : مظاهـر الوسطية في حكم وجـوب النفقة في المذاهـب الفقهية الأربعة :الفرع الأول: الحنفية

الفرع الثاني: المالكية

الفرع الثالث : الشافعية

الفرع الرابع : الحنابلة ....

الخاتمة : النتائج والتوصيات

الملخص

هذه الدراسة بعنوان («مظاهر» الوسطية» في حكم وجوب نفقة الزوجة من كتاب «النفقات» فـي الجامـع الصحيـح للبخاري، مقارنـة بالمذاهـب الفقهية الأربعـة) ، وتهدف إلى بيـان الفقه الوسطي الذي امتاز به مصنف البخاري الجامع الصحيح ،من خلال كتاب النفقات وحكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها، وأن هذا المصنف يضع معالم الأمن الفكري من خلال أحكامه الفقهية الوسطيـة لمن أراد أن ينتفع بها، وأنه سفـر جامع للكثير من المعاني الفقهية الوسطية التي يمكن معرفتهـا مباشرة والتـي تحتاج إلى سبر غورهـا والتعمق فيها لاستنباطها فـي كثير من الأحيان، وهذا كان عمل الباحث في بحثه هنا، حيث استخدم المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي.

وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات

المقدمة

الحمـد لله رب العالميـن ، والصـلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلـى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مشكلـة الدراسة: لمـا كانت الوسطية هي الركن الذي يؤصّل لعظمـة هذا الدين ، ولما كان الجامـع الصحيـح للبخاري هو أصح كتاب بعـد القرآن الكريم باتفاق العلمـاء، ولما كان التطاول من شراذمة الخلق على هذا الدين وذاك السفير العظيم ، تطاولا يحمل في طياته الجهل والحقد والبهتـان ، كان مـن الواجب شحذ الهمّة، لكشف ما في الجامـع الصحيح من معالم وسطية تبني معالـم أمـن فكري لكل مسلـم بعيدا عن الغلو والتطـرف والإفراط والتفريـط ، فجاء هذا البحث

ليجيب على الأسئلة التالية :

الأول: ما هي الوسطية وما هو مفهومها الحقيقي في الشريعة الإسلامية ؟

الثاني: ما هي مكانة :الواجب» كحكم شرعي تكليفي؟

الثالـث : مـا هي مظاهر الوسطية في الأدلة النقلية الخاصة بحكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها؟

الرابع : ما هي مظاهر الوسطية في حكم معنى نفقة الزوجة اصطلاحا؟

الخامس: مـا هي مظاهـر الوسطية في حكم نفقـة الزوجة في كتاب النفقـات في «الجامع الصحيح» للبخاري؟

السادس: ما هي مظاهـر الوسطية في حكم وجـب نفقة الزوجة على زوجهـا في المذاهب الفقهية الأربعة ؟

أهميـة البحـث : بيان المفهوم الحقيقـي للوسطية في الشريعـة الإسلامية ومظاهرها من خـلال الجامـع الصحيح للبخـاري، للتأكيـد على مكانة هـذا المصنف من جهة، وعلـى علو قدم الشريعة الإسلامية وسبقها الشرائع الأخرى في تحقق معاني الوسطية في أحكامها الشرعية.

الدراسـات السابقـة : الدراسات في موضـوع الوسطية عديدة ، لكـن دراستي تختلف عنها جميعهـا من حيـث تخصيص كتـاب النفقات مـن الجامع الصحيـح للبخاري لاستنبـاط معاني الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها من خلاله ومن خلال المذاهب الفقهية الأربعة ولا أظن أن - أحدا قبلي - سبقني إلى ما جئت به.

المنهج المتبع، المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي

المبحث الأول

المطلب الأول

الوسطية لغة واصطلاحا

الوسطية لغة : الوسط من كل شيء: أعدله ، والوسط : الذي هو بين الجيد والرديء[١] ، وقوم وسـط: قوم خيار[٢] ، ووسط الشيء: ما بين طرفيه ، ووسط الشيء أفضله وأعدله[٣] ، والوسط: ما

(١) الجوهري ، الصحاح ، ج٣ص١١٦٧

(٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج٢ص٣٣٣

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ص٤٢٧

لـه طرفان متساويا القـدر[١]، والوسطية: الخيرية والأفضلية، يقال :فلان من واسطة قومه يعني: مـن أعيانهم، والرجل الوسيط : الرجل الخيّر[٢]، وفـلان متوسط الحسب :إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه[٣]، وعند قـول الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٤]، رجح الطبري[٥] أن الله تعالى وصف أمّة محمد ﷺ بالأمّة «الوسط» لتوسطها في الدين، فلا هم غلوا فيه كالنصارى، ولاهـم قصّـروا فيه كاليهود، ولكنهم توسطوا واعتدلوا فيه، فلما كان أحب الأمور إلى الله الوسط، وصفهم الله بهذه الصفة .

الوسطيـة اصطلاحـا : لا يوجـد لمصطلح «الوسطية» ذكر في كتب العلمـاء القدامى – وإن وجـدت معانيـه –، لأنه مصطلح معاصر، وللعلماء المعاصرين عديد مـن التعريفات، أكتفي بذكر ثلاثة تعريفات منها:

التعريـف الأول: للعلامـة الدكتـور يوسف القرضـاوي وهـو: الوسط والتعـادل بين طرفين متقابليـن أو متضادَّيْن، بحيث لا ينفـرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف الآخر المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه[٦].

التعريـف الثاني : للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وهـو: سهولة المعاملة في اعتدال ، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط[٧].

التعريف الثالث : للدكتور خالد تواتي، وهو : اسم جامع للزوم الاعتدال في التوحيد والعبادة والمعاملات والأخلاق والسلوك من غير إفراط أو تفريط[٨].

ومما سبق من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوسطية نستنتج ما يلي :

أولا: الوسطية من المعاني المحمودة التي تتنافى مع الذم أو الانتقاص من الشيء.

ثانيا : الوسطية في الأشياء وفي الأمور تعني : الخيرية والأفضلية.

ثالثا : الوسطية فيها معاني الرفعة والعلو .

---

(١) المناوي الحدادي، التوقيف على مهمات التعاريف ،ج١ص٢٣٧

(٢) الحسن ، أبو بكر بن محمد ، جمهرة اللغة ،ص٨٣٨

(٣) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج٣ص١٤٤

(٤) سورة البقرة : ١٤٣

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج٢ص١٥٤

(٦) فقه الوسطية الإسلامية والتجديد ، ص٢٣

(٧) مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص٥٨

(٨) الوسطية في الشريعة الإسلامية ،دراسة تأصيلية تطبيقية ، الملتقى الدولي للوسطية ،ص٣٧

رابعـا: الوسطية تحمل معاني التساوي في المقادير بين الأمور والأشياء بحيث لا يطغى أمر على أمر، ولا يطغى شيء على شيء.

خامسا: الوسطية تحمل معاني العدل والمرونة والاعتدال .

سادسـا : وأرى أن تعريـف شيخنـا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي فيـه إسهاب ، ويأخذ جانبـا معينـا وخاصا من معاني الوسطية ، كذلك يأخذ تعريـف العلامة محمد الطاهر بن عاشور للوسطيـة مع تعريـف العلامة يوسف القرضاوي في اتخاذه جانبا معينا من معاني الوسطية ، وأما تعريـف الدكتـور خالد تواتي ،فهـو تعريف فيه شمول ، لما يحمله مصطلـح «الوسطية» من معان ، ولمـا ما يجب أن يكـون عليه معنى مصطلـح «الوسطية» من الشمول لمكونـات الدين الإسلامي ، مـن عقيدة وعبادات ومعاملات وأخـلاق وسلوك ، وهذا لم يظهر في تعريـف العلامة القرضاوي وفـي تعريف الشيخ محمـد الطاهر بن عاشور ، وحتـى يتحقق هذا الشمول فـي معنى «الوسطية» اصطلاحـا - وبنـاء على فهمي المتواضع لمعناها - أضع تعريفـا للوسطية وهو (عدم التقدم بين يـدي الله ورسوله) ، وهـذا المعنى الذي أضعـه مأخوذ من أول آية من سـورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ ، والـذي دفعنـي إلى وضع هذا التعريف هو :

أولاً: أن الوسطيـة هـي عدم الإفـراط والتفريط في الأحكام الشرعيـة التكليفية ،والإفراط كالابتـداع والغلو في الدين والتطرف، والتفريط : التساهل في الالتزام بالحكم الشرعي التكليفي من أوامر الله تعالى بالتقصير فيها، أو الجرأة على مناهيه سبحانه، وكل هذا يشمله المعنى الذي ذكرتـه للوسطيـة، وهو عـدم التقدم بين يـدي الله ورسوله ﷺ، فالآية الأولـى الكريمة من سورة الحجـرات، تامر المسلمين ألا يقولوا خـلاف الكتاب والسنّة ، وأن لا يقضوا أمرا دون الله ورسوله ﷺ مـن شرائـع الديـن، وألا يقطعوا أمـرا دون الله ورسوله ويتعجلوا به[1] ، وهـذا كله أول ركائز الوسطية بمعناها الشرعي المعتبر.

ثانيـا : ولأن من مقاصد الوسطية تحقيق الخيرية فـي هذ الأمّة ، كما أخبر الله تعالى بقوله ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[2] ، وهـذه الخيريـة لا تتحقـق إلا مـن خـلال العمـل بهذا المفهوم للوسطية الذي وضعته مستنبطا إياه من آية سورة الحجرات .

ثالثـا : والاعتقـاد بهـذا المعنـى والعمل بـه ، يحقـق معاني الأمـن والقوة والوحـدة للأمّة

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٧ص٣٦٥، والشوكاني ، فتح القدير ، ج٥ص٦٩

(٢) سورة آل عمران :١١٠

المسلمة، ورفع الحرج عنها ، وذلك أن عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ بالأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة يعني : الأمن للفرد وللجماعة ، كما بيّن الله تعالى هذا بقوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[١]، والظلم: الشرك، فكل إفراط أو تفريط في الأخذ بأحكام الشريعة التكليفية يعني انحراف البوصلة عن الوسطية ومحدداتها ومتطلباتها.

المطلب الثاني

الواجب لغة واصطلاحا

الواجب لغة: وجب الشيء: لزم، وأوجبه : استحقه[٢]، ووجب البيع :إذا حق[٣]، وأوجب الرجل: إذا عل عملا يوجب له الجنة او النار[٤]، ووجب الشيء: إذا ثبت، والواجب والفرض عند الشافعي سواء، وفرق بينهما أبو حنيفة فالفرض عنده آكد من الواجب[٥]، والنجيب من خيار الإبل ، والموجبة : الكبيرة من الذنوب التي يستحق بها العذاب[٦]، والواجب عبارة عن السقوط، قال الله تعالى ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾[٧] أي : سقطت[٨]، والوجوب :اللزوم ، وما اشتغلت به الذمّة[٩].

الواجب اصطلاحا:

أولا : في المذاهب الفقهية ؟

الحنفية : فرق الحنفية بين الواجب والفرض ،فقالوا :الفرض ما ثبت بدليل قطعي[١٠]، والواجب ما ثبت بدليل ظني[١١]، والفرض يلزم علما وعملا ، ويكفر جاحده ، والمعنى : يلزم اعتقاد حقيقته والعمل بموجبه، لثبوته بدليل قطعي ، فمن أنكره قولا وعملا كان كافرا، وأما الواجب فهو لازم عملا لا علما، ولا يكفر جاحده، وإنما يفسق لكون الواجب ثابت بدليل ظني بخبر

---

(١) سورة الأنعام : ٨٢

(٢) الجوهري ، الصحاح ،ج١ص٢٣١

(٣) القزويني ، مجمل اللغة ، ج١ص٩١٧

(٤) الرازي، مختار الصحاح ، ج١ص٣٣٣

(٥) ابن منظور، لسن العرب ، جضص٧٩٣

(٦) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة

(٧) سورة الحج :٣٦

(٨) الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ص٢٤٩

(٩) أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ،ج١ص٣٧١

(١٠) حسين ، الكراماشي ، الوجيز في أصول الفقه ، ص٩١

(١١) المرجع السابق : نفس الصفحة

الواحد، ولكن يعاقب كل من ترك الفرض والواجب إلا أن يعفو الله تعالى[١].

المالكية : الواجب «ما ورد خطاب الشارع بترجيح فعله مع توعد العقاب على تركه من حيث هـو ترك بإطـلاق»[٢]. وقوله (مع توعد العقاب على تركه) لأن الواجـب على مذهب أهل السنّة لا يتصور دون الضرر أو النفع، والتوعد بالعقاب ربما ورد قطعا وربما ورد ظنّا[٣].

الشافعية: الواجب «الذي يذم شرعا تاركه قصدا مطلقا»[٤].

الحنابلة «الواجب ما ذمّ شرعا تاركه قصدا مطلقا»[٥].

والمـراد بالـذم شرعـا : مـا ورد الشارع بـه أو بدليله لأنه لا وجـوب إلا بالشـرع[٦]، وقوله (قصدا): احتراز من النائم والناسي فلا يذمّان[٧].

ثانيا :الواجب في بعض الكتب الفقهية المعاصرة

أولا: «ما طلب الشارع فعله من المكلف طلبا حتما بأن اقترن طلبه بما يدل على تحتيم فعله، كمـا إذا كانـت صيغة الطلب نفسها تدل على التحتيم أو دلّ علـى التحتيم فعله ترتيب العقوبة على تركه أو أية قرينة شرعية»[٨].

ثانيا: «ما طلب الشارع فعله على وجه الإلزام، ورتب على امتثاله المدح والثواب ، وعلى تركه مع القدرة الذم والعقاب»[٩].

ونخرج من المعاني اللغوية والاصطلاحية لمعنى الواجب بالفوائد التالية :

الفائدة الأولى: أن الواجب كل ما ثبت ولزم.

الفائدة الثانية: أن الذمة تكون مشغولة بالواجب، وأن عليها القيام به على الوجه المطلوب .

الفائـدة الثالثة: أن الواجب هـو العمل الذي يوجب دخول الجنـة أو النار، وهذه بحسب نوع الحكم التكليفي المنوط به.

---

(١) المرجع السابق ،ص٩٢

(٢) ابن رشد (الحفيد) ، محمد ، الضروري في أصول الفقه ،ص٧

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٤) ابن إمام الكاملية ، كمال الدين محمد ، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول، ج١ص٣٣٠

(٥) الجراعي، أبو بكر زيد، شرح مختصر أصول الفقه من أوله إلى مسائل الخبر ، ج١ص٣٢٨ المرجع السابق، نفس الجزء، ص٣٣٠

(٦) المرجع السابق ، نفس الجزء،ص٣٣١

(٧) خلاف ، عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، ص١٠٥

(٨) الجديع، عبد الله ، تيسير علم أصول الفقه ،ص١٩

(٩) الضروري في أصول الفقه ، ص٧

الفائـدة الرابعة : أن النجيب من الإبـل هم الذي يكون من خيارها وأفضلها ، وهذا المعنى اللغوي للواجب له علاقة بالواجب كحكم شرعي تكليفي، وهو أن الواجب كحكم شرعي تكليفي هو أعلى هذه الأحكام الشرعية التكليفية من حيث الالتزام، واشتغال ذمّة المكلف به.

الفائدة الخامسة: تفريق الحنفية بين الواجب والفرض ، يقال فيه ما قاله ابن رشد الحفيد (لا مشاحة في الأسماء إذا فُهمت المعاني)

الفائدة السادسة : كون الواجب عند الحنفية يلزم عملا ويعاقب تاركه ، فيه اتفاق في معنى الواجب عند الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة.

الفائدة السابعة: أن الواجب بالمعنى الاصطلاحي حكم شرعي تكليفي من الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة.

الفائـدة الثامنـة : أن من ترك الواجـب كان مذموما شرعا ، لأن الشـارع ورد بهذا الواجب ،فلما تركه قصدا وجب ذمّه شرعا.

الفائـدة التاسعـة: وفيما يتعلق بحكـم نفقة الزوجة وهو (الوجوب) - كمـا سنرى -، فهذا الحكـم الشرعـي التكليفي لنفقـة الزوجة (الوجوب)، ثبـت بالدليل القطعي والظنـي من القرآن الكريم والسنّة النبوية، ووروده بخبر الواحد لا يعني رده وترك العمل به أو التقليل من شأنه ، فخبر الواحد يوجب العمل به والأخذ بمقتضاه في الأحكام الشرعية[١]

المطلب الثالث

الوسطية في سيرة البخاري(٢)

أولا : الوسطية في طلب البخاري للعلم

الإمـام محمد بـن إسماعيل البخاري ، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما[٣]، وفي الثلـث الأول مـن عمـره ، - أي من سـن العاشرة وإلى سـن العشرين - وهو سـن الوسطية لتلقي العلـم وحفظه والإقبال عليه بجد واجتهاد بدأ بطلب العلم، فألهم حفظ الحديث الشريف بعد سن العاشـرة، ولمـا بلغ ست عشرة سنة حفـظ كتب عبد الله بن المبارك ووكيع بـن الجراح[٤]، ولما

(١) عتر ، نور الدين ، منهج النقد في علوم الحديث ،ص٢٤٦

(٢) رأيت أن أكتب تحت هذا العنوان في هذا المبحث والذي يليه ، للتأكيد على أن الإمام البخاري كان عالما « وسطا» في سيرته، وكان مصنّفه «الجامع الصحيح « يقوم كله على الوسطية ، لأنه لا يتعدى أحكام الشريعة الإسلامية ، ومعالمها ،وأخلاقها، وعقيدتها .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ص٢٣٢

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢ص٣٩١

طعـن في ثمان عشرة من عمـره، صنّف في قضايا الصحابة والتابعيـن[١]، وهذا يدل على خيرته وفضله ومكانته العلمية التي بدأت مبكرا، وهي مظهر من مظاهر وسطيته في العلم، وصنّف كتابه التاريخ، والتزم الوسطية فيه، حيث قال: «وقلّ اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتـاب»[٢]، وكان السبب في تصنيفه» للجامع الصحيح» هـو «الوسطية» أيضا، بحيث يجمع كتابا فـي الحديث الشريف لا هـو طويل ممل، ولا هو قصير مخلّ، فقال: «كنـت عند إسحاق بن راهويه ،فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي ،فأخذت في جمـع هذا الكتـاب»[٣]، وقد ترك لنا البخاري ما ينيف عن العشريـن مصنفا[٤] امتازت بالوسطية من حيث: حسن التصنيف، وجودة التأليف.

ثانيا: الوسطية في شيوخ البخاري وتلامذته

اجتمعت للبخاري «الوسطية» في شيوخه من جهة، وفي تلامذته من جهة أخرى، أما شيوخه فلـم يكونـوا من بلد واحد، إذ لو كانوا كذلك لأثر ذلك في تلقيه وفي مكانته العلمية، حيث ينحصر علمه حينئذ في طائفة معينة من العلماء في بلد معين، وبالتالي لا يضيف إلى معرفته من العلم ما هو عند العلماء في الأقطار الأخرى، ولهذا اجتمعت للبخاري الوسطية في شيوخه من هذا الجانب، حيث كانوا من مختلف الأقطار الإسلامية، من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبغداد، والبصرة، ومصر، والشام، ومرو، ونيسابور[٥] مما أثراه علما، ورفع مكانته، ونشر علمه، وهذه «وسطية» في هـذا الجانـب معتبرة، وصل بهـا إلى أعلى المراتـب العلمية، وهي مرتبة الخيريـة والأفضلية بين العلمـاء، ومـن جانب آخر تظهر «الوسطية» في شيوخ البخاري مـن حيث طبقاتهم، حيث انقسموا إلى خمس طبقات، أعلاها من حدثه من أخذ عن التابعين كمكي بن إبراهيم، وأوسطها الذين رووا عن الأوزاعي والثوري وأمثالهما، ثم طبقة أخرى دونها كأصحاب مالك وحماد بن زيد، ثم الطبقة الرابعـة كأصحاب عبد الله بن المبارك ،ثم الطبقة الخامسة كالذهلي[٦]، ومظهر «الوسطية» هنا أنـه أخذ عمن هو فوقه، وعمـن هو دونه، وعمن هو مثله، فحاز السبق في طبقات شيوخه في هذا الجانـب الذي جعلـه يأخذ عن الأكابر من العلماء، وعن غيرهـم، فيجمع منهم كل ما يحتاجه من

(١) الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد، ج٢ص٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢ص٤٠٠

(٢) المرجعان السابقان، نفس الجزئين والصفحات

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢ص٤٠١

(٤) الشهري، صالح بن محمد، الأحاديث التي يوردها البخاري في تراجم الأبواب ولا يصرح بكونها أحاديث وليست على شرطه، ص٤٦

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٢ص١٩٤

(٦) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

معرفـة وعلـم. وأما «الوسطية» في تلامذته، فتظهر في أن العديد من كتب السنّة التي وصلتنا هي نتاج كثير من تلاميذه، كالترمذي، وابن خزيمة، وأبي حاتم، ومسلم، وغيرهم مما لا يحصى من تلامذته الذين أثروا المكتبة الإسلامية بنتاجهم من علم الحديث الشريف والفقه[1].

ثالثا: الوسطية في سيرة البخاري بثناء العلماء عليه

الإمـام البخـاري يشكل بسيرتـه إماما في «الوسطيـة» بالمعنى الذي وضعتـه لها في بحثي هـذا، فهـو قدوة في زهده وورعه وعبادته، ففي عبادته -علـى سبيل المثال-، لم يغتب أحدا منذ علـم أن الغيبـة حـرام، وكان يدعو فيستجاب دعاؤه في الحال، وفي جهـاده كان راميا لم يخطئ سهمـه الهـدف إلا مرتين، وكان يشارك فـي بناء الرُبط في بخارى، وفي حياتـه وسلوكه كان قليل الأكل، كثيـر الإحسـان، كثيـر الكرم، وكان يقوم الليل من غير انقطـاع، ويحيي شهر رمضان كله، وكان يصلـي بوقـت السحـر ثلاث عشرة ركعـة يوتر بواحـدة[2]، وهذه كلها مظاهـر جامعة في سيـرة البخـاري «للوسطية» بمعانيها المتعددة لهـا، وكان ثناء العلماء عليه يشـكل رافدا ومظهرا مـن مظاهـر «وسطيته»، ومن ذلك قـول نعيم بن حماد: «محمـد بن إسماعيل فقيـه هذه الأمة»، وهـذه شهادة للبخاري بالخيرية والأفضلية التي هي من أشمل معاني «الوسطية»، وكذلك قول ابن خزيمـة: «ما رأيت تحت أديم هـذه السماء اعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري» وقول رجـاء بـن رجاء الحافظ: «فضل محمد بن إسماعيل على العلمـاء كفضل الرجال على النساء»[3]، كل هذا وغيره ممن لم نذكره من ثناء العلماء على البخاري يعتبر نسيجا لمظاهر «الوسطية» لهذا الإمام الجهبذ في سيرته وفي ثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع

الوسطية في «الجامع الصحيح» للبخاري

تظهر «الوسطية» في الجامع الصحيح «للبخاري» من خلال عدة أمور أهمها:

أولا: العنـوان الذي اختاره البخاري لصحيحـه وهو: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسـول الله ﷺ وسننه وأيامه»، فهذا العنوان يحمل مظاهر عديدة «للوسطية»، فهو يشمل ما صحّ مـن حديث الرسول ﷺ، وهو كما وصفـه «بالجامع»، ويظهر هذا من خلال عناوين مصنفه هذا الـذي بـدأ بكتاب بدء الوحي ثم كتاب الإيمان ومرورا بكتاب المناقـب والرقائق والمغازي وانتهاء بكتاب التوحيد.

---

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

(٢) الشهري، صالح بن محمد، الأحاديث التي يوردها البخاري في تراجم الأبواب ... ص٣٧- ٤١

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج٢ص٢٥

ثانيا: أن البخاري اختصره من ستمائة ألف حديث ، وهذا مظهر آخر للوسطية فيه.

ثالثـا: أنه مكـث ست عشرة فـي تصنيفه ، مما يدل علـى «وسطيته «بأناتـه وحرصه وعدم تعجله.

رابعا: أنه كما قال عنه هو: «جعلته حجة فيما بيني وبين الله»[1]

خامسـا: أنه كان يغتسل قبل كتابة أي حديـث ويصلي ركعتين[2]، وهذا يدل على ورعه ، وهو مظهر من مظاهر الوسطية والتي منها التقرب إلى الله بطاعته والخوف منه.

سادسـا: أن الله وضع لهـذا المصنف القبول في الأرض، ويؤكد هـذا جمع غفير من علماء السلف مثل الإمام مسلم، حيث يقول في مقدمة صحيحه: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتـب بعد القرآن العزيز: الصحيحان البخـاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهمـا، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهـرة وغامضة»[3]، فوسطية «الجامـع الصحيح» للبخاري ظاهـرة بأنه أصح الكتب بعد القرآن الكريـم ، وأنه لا يدانيه كتاب في الفوائد الظاهرة والغامضة وفـي المعرفة -كما ذكـر الإمام مسلم -، وتظهر هـذه الوسطية «للجامع الصحيـح» من أن الأمة أطبقت على علو منزلته وفضله إلى يوم الدين، ولهذا بلغت شروحه ما يقارب المائة شرح[4].

سابعاً: أن هذا المصنف جمع فيه البخاري عدا عن الحديث الصحيح علوما أخرى عديدة كالتفسير والفقه، وهذا يعرفه كل من يطلع على هذا المصنف، «والوسطية» ظاهرة هنا بأن الكتاب حوى علوما عديدة دالة على قيمته ومنزلة مصنفه.

ثامنـاً: «ووسطيـة» الجامـع الصحيح للبخـاري تلفت النظر فـي تراجمه في الأبـواب والتي جمعت الفقه والاستنباط والحكم على الأحاديث والعلوم الجمّة الأخرى، حتى وصفها العلماء بأنها «صناعة فقهية حديثية بارعة»[5].

تاسعـا: وممـا يدل علـى «الوسطية» في «الجامـع الصحيح» أن البخـاري اشترط فيه أعلى شروط الصحة عند المحدثين، باتصال السند، وعدالة الرواة وضبطهم، فاللقي والسماع شرطان أساسيـان لقبـول الحديث عنده، قال البخاري: «لم أخّرج فـي هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركت

(١) انظر في هذه النقطة وما قبلها من النقاط الثلاث: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٢ص١٩٥، والخطيب البغدادي ،تاريخ بغددا ،ج٢ص٣٢٧

(٢) الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد ، ج٢ ص٣٢٧

(٣) ج١ص١٤

(٤) انظر : عبد الخالق ، عبد الغني ، الإمام البخاري وكتابه الصحيح ، ص٢٠٧-٢٤٥

(٥) الشهري ، صالح بن محمد ، الأحاديث التي يوردها البخاري في تراجم الأبواب...ص٦١-٦٢

من الصحيح أكثر[1] ، وهذه من مراتب الوسطية العليا في التصنيف ، بحيث يترك كثيرا مما صحّ من الأحاديث لأنها ليست على شرطه الذي ارتضاه لدينه ولسنة رسوله ﷺ .

عاشـرا: ومـن «وسطية» هذا المصنف أن البخاري صنفه فـي وقت انتشرت فيه التصانيف للأحاديـث المرفوعة وغير المرفوعة، وآثار وأقوال أهل العلم دون تمييزها وتمحيصها ، فكان من الوسطيـة التمييز والتمحيص لهذه الأحاديث والآثار ، فجاء «الجامع الصحيح» ليضع حدا فاصلا «وسطيا» بأن لا يجمع فيه إلا الصحيح الذي لا يرتاب فيه مرتاب[2]

الحـادي عشـر: ترتيب البخاري لمصنفه «الجامع الصحيح» يـدل على وسطيته ، حيث بدأه بكتـاب بدء الوحـي، وختمه بكتاب التوحيـد، فالوسطية لا تكـون إلا باتباع الوحـي بنوعيه القرآن الكريـم وما صح من السنة النبوية، والالتزام بعقيدة التوحيد التي هي نتاج هذا الوحي، والتي هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني

مظاهر الوسطية في أدلة وجوب نفقة الزوجة في المصادر النقلية

المطلب الأول:

مظاهر الوسطية في أدلة وجوب نفقة الزوجة من القرآن الكريم

الدليـل الأول ومظاهـر الوسطية فيه ، وهـو قوله تعالى:«وعلى المولود لـه رزقهن وكسوتهن بالمعـروف لا تكلـف نفس إلا وسعـا»[3] ، ومعنى الرزق فـي الآية هو ما يقوت الزوجـة من الطعام، وكل مـا لا بد لها منه مـن الغذاء والكسوة والملبس[4] ، فإذا كانت نفقـة الزوجة على هذا الصورة لـم يلزمها شيء، وتحقق العدل في نفقتها، وهـذا مظهر واضح من مظاهر الوسطية، وبخاصة أن هـذه النفقة يجـب أن تكون كافية لها، فقوله تعالى (رزقهن وكسوتهـن) يعني: الطعام الكافي[5]، والمتعـارف عليه بين الناس، وكذلـك الكسوة المتعارف عليها بينهم[6] ، ومن مظاهر الوسطية في الآية على وجوب نفقة الزوجة على زوجها ،أن الأزواج متفاوتون في الغنى والفقر ، ومنهم الموسع عليـه ومنهـم المقتر، فـكان من الوسطيـة أن يكون وجوب النفقـة على حسب حال الـزوج يسارا

(١) المرجع السابق، ص٦٣

(٢) المرجع السابق، ص٦٤

(٣) سورة البقرة: ٢٣٣

(٤) الطبري، جامع البيان، ج٥ ص٤٤

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج٣ ص١٦٣

(٦) الشوكاني ، فتح القدير، ج١ ص٢٨١

وإعسـارا ، كمـا قال الله تعالـى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[1]، وكما قـال سبحانه « لا تكلف نفسـ إلا وسعهـا»، فمن الوسطية ألا يضيق على نفسه ، وألا يجهد زوجته ، بل ينفق بقدر يساره[2]، وعلـى قدر الطاقة[3]. وتظهر الوسطية في قوله تعالى « بالمعروف» ، بأن تكون نفقة الزوجة كنفقة مثيلاتهـا[4]، وبما هو متعارف عليه في الشـرع من غير تفريط ولا إفراط[5]، ومن غير إسراف ولا تقتيـر[6]، وعلـى قدر حال الزوجة في منصبهـا[7]، وأن الزوج لا يكلف بالإسـراف في النفقة على الزوجة، بل تكون نفقته عليها قصدا[8].

الدليـل الثاني ومظاهر الوسطية فيـه ، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[9]، ومظهـر الوسطيـة فـي الآيـة في وجوب نفقـة الزوجة على زوجهـا ، أن الله تعالى جعل الزوج رئيسـ الزوجة وكبيرها وحاكمها وقيما عليها ، وما دام كذلك فمن العدل والذي هو من الوسطية أن تجب نفقتها عليه[10]، والمتعـارف عليـه عند البشر عبر القـرون أن الرجل هو الذي يتولى النفقـة على الزوجة والبنات، ودل علـى هـذا قوله في الآية ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ بصيغة الماضي للإشارة إلى أن هذه النفقة من الزوج على زوجته منذ القدم[11].

الدليـل الثالث ومظاهـر الوسطية فيه ، وهو قوله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾[12]، يعني : على قدر سعته من أجل أن يوسع على زوجته وولدهـا إذا كان فـي حال السعة واليسـار ، وإن كان دون ذلك فبحسب إمكاناته في النفقة، وعليه أن يجتهـد في أن ينفق على زوجته على مجرى عادة النـاس[13]، فالزوج الفقير ينفق بمقدار ما في

(١) سورة الطلاق: ٧

(٢) الطبري، جامع البيان ، ج٥ص٤٤

(٣) السمرقندي ، بحر العلوم ،ج١ص١٥٣، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ،ج١ص٦٣

(٤) الطبري جامع البيان ،ج٥ص٤٤

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،ج٣ص١٦٣

(٦) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١ص ١٩٤

(٧) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ،ج١ ص١٢٥، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ص٦٢٤، وابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢ص٤٣٢

(٨) الشوكاني ،فتح القدير ، ج١ص٢٨١

(٩) سورة النساء: ٣٤

(١٠) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ص٢٩٣

(١١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٥ ص٢٩

(١٢) سورة الطلاق: ٧

(١٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج١٨ص١٧٠، والنسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج٢ ص٥٠١

وسعه[١]، ولا يعني هذا أن تكون نفقة الزوجة أقل من نفقة مثيلاتها وأقل من مقدار الكفاية ، لأن الإنفاق هو «كفاية مؤونة الحياة من طعام ولباس وغير ذلك مما تحتاج إليه[٢]، وهذا يعني العدل والاعتدال في النفقة وهما من معاني الوسطية الظاهرة فيها، ويدلل على الوسطية هنا أيضا أن وجوب نفقة الزوجة على زوجها غير محددة بمقدار معين، وذلك لاختلاف الزمان وأحوال الناس، وأحوال البلاد، ولكن المختلف فيه هو التوسع في النفقة للموسر ، هل يلزمه التوسعة بالإنفاق على زوجته؟، هذا يختلف باختلاف أحوال أناس، وحال الزوجة المنفق عليها إن كانت عالية القدر -مثلاً-[٣]

المطلب الثاني

مظاهر الوسطية في أدلة وجوب نفقة الزوجة على زوجها

من السنّة النبوية الصحيحة

الدليل الأول ومظاهر الوسطية فيه ، وهو قول البني ﷺ: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»[٤]، ومظهر الوسطية من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ أوجب نفقة الزوجة وكسوتها على زوجها[٥]، وهذا الإيجاب والعمل بهذا الحكم الشرعي التكليفي هو عين الوسطية والتي أعلى أركانها عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، بالعمل بما أمر الله ورسوله، والانتهاء عما نهيا عنه، ثم لأن النبي ﷺ أكد الوسطية في هذه النفقة وكسوتها حين وصفها بالمعروف، وهو ما أصّلناه سابقا من حيث الوسطية فيها بأن تكون بما هو متعارف عليه بين الناس، من حيث يسار الزوج وإعساره.

الدليل الثاني ومظاهر الوسطية فيه، وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة، فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسّيك، فهل عليّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟قال: «لا، إلا بالمعروف»[٦]، فقول النبي ﷺ (إلا بالمعروف) من مظاهر الوسطية في نفقة الزوجة والعيال، بما هو متعارف عليه من غير إسراف وبمقدار ما يكفيها[٧] وأن النفقة ليس

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ج٥ ص٢٩٣

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج٢٨ ص٣٣٠

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء، ص٢٣١

(٤) هذا جزء من حديث، النووي، يحيى بن شرف ، المنهاج شرح حديث مسلم بن الحجاج، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ، رقم ١٢١٨ ، والنسائي، أحمد بن شعيب، (السنن الكبرى)، كتاب عشرة النساء، باب ايجاب نفقة المرأة وكسوتها، رقم ٩١٣٥

(٥) النووي، يحي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٨ ص ١٨٤

(٦) القسطلاني، أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، كتاب النفقات ، باب: نفقة المراة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد، رقم ٥٣٥٩

(٧) المرجع السابق، ج٨ ص٢٠٣، وابن حجر، فتح الباري ، ج٩ص٥٠٤

لهـا حـد معلوم وإنما هي بالمعروف، على قدر يسار الـزوج وإعساره، حضر الزوج أو غاب، وإن لم يجد ما ينفق يكن دينا عليه حتى يؤديه كسائر الحقوق الواجبة عليه[١]

الدليـل الثالـث ومظاهـر الوسطية فيه ، وهـو ما رواه حكيم بـن معاوية القشيـري عن أبيه قالـت: قلـت يا رسول الله مـا حق زوجة أحدنا عليه ؟ قـال: «أن تطعمها إذا طعمـت، وأن تكسوها إذا اكتسيـت»[٢] ، ومظهر الوسطية من خلال الحديث الشريف أن النبي ﷺ وجه الخطاب إلى كل الأزواج[٣] ، وأنـه يجـب عل كل زوج من المسلمين إطعام زوجتـه وكسوتها ، وليس من الوسطية أن يأكل الرجال ويكتسي، ويترك زوجته دون طعام أو كسوة، وهو قوام عليها.

المطلب الثالث

مظاهر الوسطية في دليل الإجماع على حكم وجوب نفقة الزوجة

الإجماع هو « اتفاق المجتهدين من هذ الأمة في عصر بعد وفاة النبي ﷺ على أمر ديني[٤] ، وهـذا مظهـر من مظاهر الوسطية في دليل الإجماع ، فمـن الوسطية الاجتماع وعدم التفرق، وما اجتمـع عليـه الصحابة هو حكاية عـن رسول الله ﷺ[٥] ، وما دام هـذا الاجتماع كذلك فهو جزء من أول أركان الوسطية في الدين الإسلامي والتي تعني بالمعنى الشامل لها عدم التقدم بين يدي الله ورسولـه ﷺ، فدلالة الإجماع هنا لا ريب فيها على وسطيته كدليل من الأدلة النقلية، فهو من حجـج الشـرع ودليل من أدلة الأحكام[٦] ، ويضاف إلى هذا أن مظاهـر الوسطية في الإجماع كدليل من الأدلة النقلية للأحكام الشرعية يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[٧] ، والوسـط : العـدل ، وهذا كما قـال الله تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[٨] ، أي: خيرهـم وأعدلهـم قولا[٩] ، وإذا أخبر الله أن الأمة عدل لم تجز

(١) الكرماني، محمد بن عز الدين ، شرح مصابيح السنة للبغوي، ج٤ ص١٣، والخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن ، ج٣ ص٢٢١، والسهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود حل سنن أبي داود ، ج٨ ص٧٧

(٢) السهارنفوري ، خليل أحمد، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، كتاب النكاح ، باب: في حق المرأة على زوجها ، رقم ٢١٤٢، والقاري ، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، كتاب النكاح ، باب: عشرة النساء وما لكل واحدة من الحقوق ، رقم ٣٢٥٩

(٣) القاري ، علي بن سلطان ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ص٢١٢٧

(٤) عليان ، رشدي، الإجماع في الشريعة الإسلامية ،ص ٦٤

(٥) الشافعي ، محمد بن ادريس، الرسالة ، ٤٧١

(٦) العكبري ، الحسن بن شهاب ، رسالة في أصول الفقه ، ص٦٢

(٧) سورة البقرة :١٤٣

(٨) سورة القلم :١٨

(٩) الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه ، ج١ ص٤٠٧

الضلالة عليهم لأنــه لاعدالة مع الضلالة[١]، فكان الإجماع كدليل نقلي للأحكام الشرعية مظهرا مــن مظاهــر وسطية الأمة فــي أدلتها النقلية المتفــق عليها .ولما كان الإجماع لــه هذه الرتبة من الوسطيــة فــي الأدلة الشرعية النقلية ، وكان حكم نفقة الزوجــة على زوجها من الأحكام الشرعية التــي أجمع عليها العلمــاء ، كان حكم نفقة الزوجة على زوجها قد نــال أعلى مراتب الوسطية لأنه ثبت بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة وبالإجماع[٢]

المبحث الرابع

مظاهر الوسطية في حكم وجوب النفقة في «كتاب النفقات» في الجامع الصحيح للبخاري وفي المذاهب الفقهية الأربعة

المطلب الأول:

مظاهــر الوسطيــة في حكم وجوب نفقة الزوجة في «كتاب» النفقات في الجامع الصحيح للبخاري

أولا: عنون البخاري كتاب النفقات بقوله «كتاب النفقات وفضل النفقة على الأهل»[٣]، فعطف نفقة الأهل على كتاب النفقات وبدأ بها، ليدلل على المبالغة بالاهتمام بها، وأنها مقصودة لذاتها، والمقصــود بالأهل هــو: الزوجة، أو الزوجة والأقارب، أو الزوجــة والخدم[٤]، ونلاحظ أن نصيب الزوجــة مــن هذه المعاني الثلاثة للأهل هو الشمول ، وهذا يدل على وسطية البخاري بتأكيده على أهميــة النفقــة علــى الزوجة بالابتداء بها في كتــاب النفقات ، لأن الزوج إذا لــم ينفق على زوجته افتقــرت الزوجة واحتاجت وضاعت، وتكون أمام عدة طــرق ،إما أن تخرج لتكتسب فتهان وتضيع الأسرة ، وإما أن تسلك طرق الحرام لتحصل على رزقها ، وإما أن تطالب زوجها بتخليتها وطلاقها ومــن ثمّ ينهدم بنيان ركن أســرة مسلمة، وقد بين النبي ﷺ في أول حديث ابتدأ به البخاري هذا فقــال: «تقــول المــرأة: إما أن تطعمني، وإمــا أن تطلقني [٥]، – ولعل هذا مــن ثاقب علم البخاري وإشاراتــه الخفية العلمية التي تحتاج إلــى تأمل ورويّة من العلماء لاستنباطها أن بدأ بهذا الحديث ليشيــر إلى هذا المعنى –، وفي كل الحالات النــي ذكرناها مخالفة للوسطية التي أصلّتها الشريعة الإسلاميــة في أحكامها، وبذلك يضع البخاري منهجا للوسطية في النفقة حين يبدأ بوجوب نفقة

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(٢) انظر :الكاساني، بدائع الصنائع ، ج٤ ص١٦

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٤٩٧، والقسطلاني، أحمد بن محمد ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ج٨ ص١٩٦

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، نفس الجزء ص ٥٠٠

(٥) المرجع السابق ، كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال

الزوجة والأهل، لأن الأسرة بدونها تنهار وتنتهي.

ثانيا : ثم أورد البخاري في ترجمته لكتاب النفقات قول الله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[1]، ويتبين من سبب نزول الآية الكريمة السبب في إيرادها في ترجمته للباب هنا[2]، وهو : أن معاذ بن جبل وثعلبة سألا رسول الله ﷺ فقالا: إن لنا أرقّاء وأهلين فما ننفق من أموالنا ؟ فنزلت الآية[3]، وبعد أن ذكر الأقوال في تفسير «العفو» قال ابن حجر العسقلاني: «فلما اختلفت هذه الأقوال كان ما جاء من السبب في نزولها أولى أن يؤخذ به ولو كان مرسلا»[4]، ووسطية البخاري تظهر هنا من خلال فقهه في إيراده الآية في بداية كتاب النفقات ، حيث أكد المفسرون أن أولى ما قيل في تأويل هذه الآية هو : «أنفقوا ما فضل من حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة»[5]، ووسطية الإنفاق هنا ظاهرة من حيث عدم الإفراط والتفريط فيها .

ثالثا : وأورد البخاري في أول كتاب النفقات حديث أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»[6]، وهذا الحديث الشريف فيه حث وحض من النبي ﷺ للزوج بالنفقة على زوجته باعتبار ما يلحقه من أجر وثواب، مع أنها واجبة على الزوج لزوجته بالإجماع ،وإنما سماها صدقة خشية أن يظن الزوج أن قيامه بواجب النفقة على زوجته لا أجر له فيه[7]، وتظهر وسطية البخاري من فقه هذا الحديث الشريف أنه ابتدأ به في أول كتاب النفقات من حيث تسمية النفقة على الزوجة صدقة، كتسمية الصداق (المهر) نحلة، فالزوج يحتاج إلى الزوجة في قضاء شهوته وتحصينه وطلب الولد، وكذلك الزوجة تحتاج إلى ذلك كله، وحينئذ لا يجب على الزوج شيء لاحتياج كل منهما للآخر فيما ذكرناه، ولكن خصّ الله تعالى الزوج بالفضل بأن أوجب النفقة لها عليه ، ومن هنا جاز إطلاق النحلة على الصداق، وإطلاق الصدقة على النفقة[8] ولو لم تكن النفقة واجبة من الزوج لزوجته لضاعت الزوجة ولانفرط عقد الزوجية، فالتفت البخاري إلى الوسطية في فرض النفقة على الزوج لزوجته لهذه الحكمة، فابتدأ بهذا الحديث الشريف في كتب النفقات.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ج٩ ص٤٩٨

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج١ ص٥٧٩

(٤) فتح الباري، ج٩ ص٤٩٨

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣ ص٦١، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ج١ ص٢٩٥

(٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، رقم ٥٣٥١

(٧) المرجع السابق ، ج٩ ص٤٩٨، وص٥٠٠

(٨) المرجع السابق ، نفس الجزء،ص ٤٩٨

رابعـا: ومن وسطية البخاري في فقهه أنـه جعل بابا خاصا دالا على وجوب نفقة الزوج على زوجته وعياله، وهو قوله «باب وجوب النفقة على الأهل والعيال»[١]، ووجه الوسطية في وجوب نفقة الزوجة على زوجها أنها محبوسة عن التكسب لحق زوجها عليها[٢]، وبدأ بها لأن وجوب النفقة لها أقـوى لوجوبها بالمعاوضة وأما غيرها فبالمواسـاة[٣] فكانت الوسطية في الشراكة في المسؤولية الأسريـة ، بأن الـزوج يخرج من البيت ويكتسب وينفق على زوجته وعيالـه ، وأن الزوجة تتفرغ في بيتها لشؤون زوجها وعيالها مقابل هذا النفقة عليها .

خامسـا : وفـي باب «وجـوب النفقة على الأهـل والعيال»، يؤكـد البخاري بثاقـب فقهه على الوسطية في وجوب النفقة على الزوجة حين يورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه والذي فيه قول النبـي ﷺ : «وابدأ بمن تعول ،تقول المرأة : إمـا إما أن تطعمني ، وإما أن تطلقني»[٤]، والوسطية في فهم هذا الحديث الشريف تظهر في أن النبي صلى الله عليه وسلم حدد الأولويات في النفقة وهو أن يبدأ المسلم بالنفقة على أهله وعياله بما يحتاجون من القوت والكسوة وغيرهما ، لأن ترك النفقة عليهم ظلم واجحاف ، وهو بهذا الظلم يخالف معاني الوسطية والتي منها العدل والاعتدال، وتظهر الوسطية أيضا في قول النبي صلى الله عليه وسلم على لسان الزوجة :» إما أن تطعمني وإما أن تطلقنـي» ، فليسـ من العـدل والخيرية والتي هي من مظاهر معانـي الوسطية أن يحبس الزوج زوجتـه عنـده من غير نفقة ، ويدل على هذا اتفاق الفقهاء على أن من أعسر بالنفقة على الحيوان والرقيق فإنه يجبر على بيعه [٥]، فكيف بالآدمي الحر وهو الزوجة فليس من الوسطية إمساكها مع منـع نفقتهـا إعسارا بها أو جحودا لها أو تقصيرا ، وإيـراد البخاري هذا الحديث الشريف في هذا البـاب والـذي يحمل هذه المعاني للوسطية إشـارة إلى وسطيته الفقهية والعلميـة التي تحتاج إلى استنباطها وفهمها أحيانا .

(١) انظر المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص٥٠٠
(٣) القسطلاني، ج٨ ص١٩٨
(٤) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، رقم ٥٣٥٥
(٥) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص٥٠٠ ، والقسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ج٨ ص١٩٩

المطلب الثاني

مظاهر الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة

في معاني النفقة اصطلاحا[1]

النفقة اصطلاحا :

الحنفية: «اسم للشيء الذي ينفقه الرجل على عياله وهي الطعام والكسوة والسكنى»[2]

المالكية: «ما به قوام معتاد دون سرف»[3] و «ما به قوام معتاد حال الآدمي دون سرف فتدخل فيه الكسوة ضرورة»[4]. وقوله «ما به قوام معتاد» أخرج به ما ليس بمعتاد من قوت الآدمي كالحلوى والفواكه، فإنه ليس بنفقة شرعية[5]، وقوله « دون سرف» أي : ما كان سرفا فإنه ليس بنفقة شرعية ولا يحكم به الحاكم، والمراد بالسرف : الزائد على العادة بين الناس[6]

الشافعية: «كفاية من يمونه من الطعام والكسوة والسكنى»، و «نفقة الزوجة تشمل سبعة: الطعام والإدام والكسوة وآلة التنظيف ، ومتاع البيت والسكنى وخادم إن كانت ممن يخدم»[7]

الحنابلة : «ما لا غناء بها عنه وكسوتها»[8] وتشكل : المأكول والمشروب والملبوس والمسكن»[9]، وأيضا: «كفاية من يمونه خبزا وأدما ونحوها»[10]

مظاهر الوسطية في حكم وجوب النفقة من معاني النفقة اصطلاحا:

أولاً: الوسطية في شمول معنى النفقة اصطلاحا لكل ما هو ضروري وتحتاجه الزوجة ، وفي

---

(١) النفقة لغة : من نفق البيع إذا راج ، ونفق الزاد إذا نفد ، ونفقت الدراهم إذا فنيت ، والنفقة : ما ينفقه الإنسان على عياله، ونفق الطعام إذا نقص وقلّ وذهب ، وأنفق المال :صرفه ، والنفقة ما أُنفق ، ونفق الشيء : مضى ونفذ ، والإنفاق يكون في المال وفي غيره ، وقد يكون واجبا وتطوعا .انظر: الجوهري ، الصحاح ، ج٤ ص١٥٦٠ ،والقزويني ، مجمل اللغة ،ج١ ص٨٧٧، وأوب حبيب ، سعدي ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ج١ ص٢٥٨ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ص٢٥٨ ، والراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ح١ ص٨١٩

(٢) خسرو، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا أو منلا ، درر الحكام شرح غرر الأحكام ،ج١ص٤١٢ ، وابن نجيم ، البحر الرائق، ج٤ ص١٨٨

(٣) ابن عرفة ، محمد ، المختصر الفقيهي ، ج٥ ص ٥

(٤) الصاوي ، أحمد بن محمد الخلوتي ، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ، ج٢ ص٧٢٩

(٥) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(٦) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(٧) الشربيني ، أحمد بن أحمد الخطيب ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفظ المنهاج ، ج٥ ص١٥١

(٨) ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ص١٩٥

(٩) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(١٠) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

هذا عدل وانصاف لها من هذا الجانب بحيث لا ينقص عليها شيء مما تحتاجه مما هو ضروري في حياتها الزوجية .

ثانياً: الوسطية في شمول معنى النفقة اصطلاحا لمعنى الكفاية ، فالنفقة الواجبة ينبغي أن تتحقق بها معنى الكفاية للزوجة.

ثالثـا : ولكن يؤخذ على معنى النفقة اصطلاحا عنـد المالكية إخراج الفواكه والحلوى ، مع أنهـا داخلة ضمنـا في المذاهب الفقهية الثلاثة الأخرى ،فالفاكهـة والحلوى مما لا غناء للزوجة عنـه وهـو ما أكـده الحنابلة في تعريفهم للنفقة ، ومـا ذهب إليه الشافعية مـن كفاية الزوجة مما تحتاجه، ولا شك أن الفاكهة والحلوى مما تحتاجه الزوجة ومما لا غناء لها عنه، والحلوى والفواكه يدخـلان في تعريـف الحنفية حين جعلوا النفقة اسمـاً للشيء الذي ينفقه الرجـل على عياله من الطعام والكسوة والسكنى، ولا ريب أن الحلوى والفواكه مما يشمله الطعام ، وهل طعام أهل الجنة إلا الفاكهـة أولا قبل اللحم كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة الواقعة بقوله ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] ، فتعريـف السـادة المالكية لا يتناسب مع معاني الوسطيـة للنفقة، لأن فيه حرماناً للزوجـة مما تحتاجه في طعامها، وقد نعذر السادة المالكية إذا كان العـرف وقت تعريفهـم للنفقة لا يشمل الفواكه والحلوى ، أما فـي زماننا فيدخلان في النفقة الواجبة للزوجة، مع أن تعريف الحنابلة ذكرهما ضمنا حين قالوا (ونحوهما) في التعريف « كفاية من يمونه خبزا وأدما ونحوهما»، فلفظ (ونحوهما) يدخل فيه الفواكه والحلوى.

رابعـاً: ولكـن تظهر الوسطية فـي تعريف المالكية حين حددوا النفقـة بأنها (دون سرف) ، فالوسطية أن تكون النفقة للزوجة من غير إفراط وهو السرف الذي يتنافى مع الوسطية .

خامسـا : وتظهـر الوسطية فـي تعريف الشافعية حيـن مثّلوا لنفقة الزوجـة بآلة التنظيف، وبالخـادم إن كانـت ممن تخدم ، وهذا يعني أن من الوسطية في نفقة الزوجة في زماننا توفير ما تحتاجـه للخدمـة في بيتها من أدوات كهربائية كالغسالة والمكـوى والمكّيف وغيرها مما تحتاجه النسـاء للخدمـة من الأدوات اللازمـة والمعاصرة ، وهو عام لا يخص زوجـة دون غيرها ، لذلك ليس من الوسطية الوقوف عند الأمثلة التي ذكرها الفقهاء في تعاريفهم لنفقة الزوجة ، بل يدخل فـي النفقـة كل ما هو ضروري مما تحتاجه الزوجة في زمانها ، ولكل زمان نفقاته التي لا توجد في زمان غيره .

سادسا: ومن الوسطية في معنى النفقة اصطلاحا عند جمهور الفقهاء شمول النفقة السكنى

---

(١) الآيتان : ٢٠-٢١

والكسـوة، وذلـك حتى لا يغفل عنه زوج أو يجحـده أو يتساهل فيه، ولأنه لا معنى لنفقة الزوجة ولا وسطية فيها إن اقتصرت على الطعام والشراب ، وتركت الزوجة دون كسوة أو سكن.

المطلب الثالث

مظاهر الوسطية في حكم وجوب النفقة في المذاهب الفقهية الأربعة

الفرع الأول

الحنفية

أولا : تظهـر الوسطية في حكـم وجوب نفقة الزوجة عند الحنفية فـي تعليقاتهم على الأدلة التـي ساقوها للاستدلال على وجوب نفقة الزوجـة على زوجها، فعند قول الله تعالى ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[1] قالوا: «والأمر بالإسكان أمر بالإنفاق ، لأنها لا تصل إلى النفقة إلا بالخـروج والاكتساب»[2] ، وتفهم الوسطية مـن قولهم هذا أن النفقة والسكن للزوجة متلازمان لا ينفـكان عـن بعضهما ، بحيث لا يكـون تفريط في حق الزوجة كاملا بالنفقـة بمفهومه الشرعي الكامـل، وأنه ليس مـن الوسطية التقصير في هذا الحق من النفقة لأنهـا حينئذ تخرج للحصول علـى الكسب لإعالة نفسها وهذا ظلم لهـا وتقصير في حقها ومخالف للوسطية في نفقتها، وعند قولـه تعالـى: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[3] قالـوا: «لا تضاروهـن فـي الإنفـاق عليهـن، فتضيقـوا عليهن النفقة فيخرجن»[4] ، فالتضيق على الزوجة في نفقتها بأي وجه من الوجوه ظلم ، والظلـم نقيض العدل وهو بذلك نقيض للوسطية ، فكان من وسطية الحنفية في حكم وجوب نفقة الزوجـة على زوجها أن استدلوا بهذا الدليـل النقلي لبيان وسطية الشريعة الإسلامية في النفقة ، وأن التضييـق عليها به يضطرها إلى الخروج للكسب، وفي التضييق والخروج للكسب ظلم مناقض للوسطيـة التـي تقوم فـي معناها على العدل، وعنـد قول النبي ﷺ لهند زوجـة أبي سفيان حين استأذنتـه بالأخـذ من ماله بدون علمه لأنه شحيح، قال لهـا :«لا إلا بالمعروف» قال الكاساني: «ولو لم تكن النفقة واجبة لم يحتمل أن يأذن لها بالأخذ من غير إذنه»[5] ، فمن الوسطية الإذن للزوجة أخذ النفقة من مال زوجها من غير علمه إن كان بخيلا لا يعطيها، لأن عدم الإذن يعني منعها حقها الواجـب فـي النفقة، ويعني خروجها للكسـب، وكلاهما اجحاف وظلم للزوجـة وخروج عن مسار

---

(١) سورة الطلاق: ٦

(٢) الكاساني، بدائع الصنائع ، ج٤ ص١٥

(٣) سورة الطلاق : ٦

(٤) الكاساني ، بدائع الصنائع ، نفس الجزء والصفحة

(٥) بدائع الصنائع ، نفس الجزء ،ص١٤

الوسطيــة فــي وجوبها وحكمتها، ثم كان دليل الحنفية العقلي علــى حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجهــا مظهرا آخر لوسطيتهم في فهمهم له ، فالمرأة محبوسة بحبس النكاح حقا للزوج ممنوعة مــن الاكتساب بحقه، فكان نفع حبسها عائدا على زوجهــا، وكانت كفايتها عليه، ولو لم تكن كفاية الزوجــة علــى زوجها في النفقة لهلكت[١] فمن الوسطية إلــزام الزوج بالنفقة على زوجته تحقيقا لمبدأ العدالة.

ثانياً: ومن مظاهر الوسطية عند الحنفية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها أنها تجب للزوجــة مسلمة وغيــر مسلمة ، وغنية وفقيرة[٢]، وهذا يدل على العدالــة المطلقة والتسوية الحقة فيها وعلى الوسطية الظاهرة غير الخفية، حيث إن النفقة للزوجة لاحتباسها ، وكل من حبس لحق غيره كانت نفقته عليه، ولا فرق حينئذ بين مسلم وغير مسلم، وغني وفقير[٣].

ثالثا : ومن جانب آخر فإن لحكم وجوب النفقة بشكل عام أسباب وهي: الزوجية ، والقرابة، والملــك، والوسطيــة تظهر من خلال هذه الأسباب، فحكم وجوب نفقــة الزوجة على زوجها ثابت بالنــكاح[٤]، والوسطية ظاهرة هنا بتقديم سبب النــكاح على السببين الآخرين وبخاصة القرابة، وذلك لأن الزوجية هي الأصل[٥]، فالقرابة لا تكون إلا بالتوالد ، والولد الذي تكّون بالتوالد ابنا أو أبا أو أخا أو عمّا لا يحصل إلا بالزوجية[٦].

المالكية

تظهر الوسطية عند المالكية حين يؤكدون على اتفاق العلماء على حقوق الزوجة على الزوج بالنفقة والكسوة[٧]، وحين يبدأون بأسباب وجوب النفقة بالزوجة قبل غيرها، لأن هي أصل التوالد والذريــة، فمــن العدل أن يبدأ حكم وجوب النفقة بها لأنها اللبنــة التي لا وجود للأسرة إلا بها[٨]،

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(٢) المرغيناني ،علي بن أبي بكر، الهداية في شرح بداية المبتدي ، ج٢ ص٢٨٥، والبابرتي ، محمد ، العناية شرح الهداية ، ج٤ ص٣٧٨ ، وابن نجيم ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ج٤ ص١٨٨

(٣) الكاساني ، بدائع الصنائع ، نفس الجزء والصفحة ، وابن مازّة ،برهان الدين محمود ، المحيط الرباني في الفقه العثماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، ج٢ ص٥١٩

(٤) ابن نجيم ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ج٤ ص٣٨٨

(٥) شيخي زاده ،عبد الرحمن بن محمد ، ملتقى الأبحر ، ج١ ص٤٨٤

(٦) ابن عابدين ، محمد أمين ، رد المحتار على الدر المختار ، ج٣ ص٥٧٢

(٧) انظر: النمري، يوسف ، بن عبد الله ـ الكافي في فقه أهل المدينة ، ج٢ص٦٢٧، وابن رشد (الحفيد) ، محمد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ،ج٣ص٧٦

(٨) ابن جزي ، القواعد الفقهية ، ج١ص١٤٨،والمواق ، محمد بن يوسف ، التاج الإكليل لمختصر خليل ج٥ص٥٤١

ومن الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها عند المالكية ما أشار إليه الخرشي[1] حين أفـرد نفقـة الزوجة بباب طويل للـكلام عنه ، مما يدل على غاية الاهتمام بهـذا الحكم، وأهميته، وأن مـن الوسطيـة الإسهاب في بيان ما يتعلق به من أحـكام، وأيضا نرى أن المالكية يقولون بعدم لـزوم نفقة أي أحد مـن الأحرار غير الغريـب المضطر والزوجة[2]، وهو مظهـر آخر من مظاهر الوسطيـة هنـا، حين قرنوا نفقة الغريـب المضطر بنفقة الزوجة لبيـان أهميتها وخطورة التهاون بهـا، لأن التهاون بها حينئـذ يتنافى مع الوسطية، فتظلم إن لم يوجب على الزوجة نفقتها وهي في عصمته ومحبوسة بنكاحه لها، ولذلك كان من الوسطية أن تكون النفقة للزوجة ذات اليسار حتى ولـو مضى زمن النفقة فتبقى دينا في ذمته، وسواء حكم القاضي بوجوب نفقتها على زوجها أو لا، فالنفقة تبقى واجبة لها عليه لحبسها بالنكاح، وهي وسطية العدل التي تجمع معها الرحمة وحسن الصحبة والعشرة.

الشافعية

الوسطية عند الشافعية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها، تظهر في مصنفه (الأم)، حيـث يبـدأ كتاب النفقات بالزوجة فيضع عنوانا يقول فيه «وجـوب نفقة المرأة»، مدللا على ذلك بالأدلـة النقليـة ومنها قوله تعالـى ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾[3] ويعلـق على الآية فيقـول «بيان أن علـى الـزوج ما لا غنـى بامرأته عنه من نفقـة وكسوة وسكنـى»[4]، فالوسطية الحقـة تكون بأن لا ينقص الـزوج زوجته حقها من النفقة التامـة والشاملة لكل ما تحتاجه فـي حياتها الزوجية وفي بيتهـا بما فـي ذلك الكسوة والسكنى، وتتجلـى الوسطية في هذا الحكم عنـد الشافعية حين يؤكد الشافعـي على أن النفقـة من الزوج لزوجته واجبة عليه لها ما دام ربـاط الزوجية قائما بينهما ، بغض النظـر من كونها مريضة أو صحيحة، أو هو غائـب عنها أو حاضر لها[5] ومن وسطية حكم وجوب النفقة للزوجة على زوجها في المذهب الشافعي أنها لا تسقط بمضي الوقت[6]، وأنها تجب علـى الزوج بحسب يسـاره وإعساره[7]، ووجوبها وإن مضى وقتهـا ووجوبها وإن كان الزوج معسرا اعتبار للوسطية في هذا الحكم، أنه اتباع لما أمر الله به ورسوله ﷺ، وإنصاف للزوجة الممنوعة

(١) شرح محتصر خليل، ج٤ ص ١٨١

(٢) العدوي، علي بن أحمد، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ج٢ص١٣٣

(٣) سورة النساء: ٣

(٤) ج٥ص٩٤

(٥) المزني، إسماعيل، مختصر المزني، ج٨ ص ٣٣٦

(٦) الضبي، أحمد ةبن محمد، اللباب في فقه الشافعي، ج١ ص ٣٤٦

(٧) الماوردي، علي بن محمد، الإقناع في فقه الشافعي، ج١ص ٣٤٦

مــن الكسب لحــق زوجها عليها في البيت، ومن المعقول على الوسطيــة في هذا الحكم أن من كان قيمــا ومســؤولا عن غيره كان متكفلا بأمره وملزما بنفقته[١] فتــرك الزوجة من غير نفقة إضاعة لهــا وتقصير فــي أوجب حقوقها ، ولذلك كانت نفقة الزوجة اقوى فــي الحكم من غيرها وآكد[٢]، ثــم عــن خروج الزوجة للتكســب إن منع الزوج نفقتها خروج عن الوسطيــة ، لأنها ستكون معرضة للإنحــراف والسوء، أضف إلى ذلك ضياع الذرية وإضاعة حقوقهم داخل البيت، ومن أجل تفادي ذلــك وتحقيقــاً للوسطية في هذا الحكم يلزم الزوج نفقتهــا في كل الحالات ما دامت في العصمة حتــى ولــو كانت غنية عن الكسب إن كانت موسرة فهــذا لا يمنعها حق النفقة من زوجها عليها لأنه تمنع من الخروج والكسب بسبب حبسها بالنكاح لأجله[٣].

الحنابلة

ومظاهــر الوسطيــة لحكم وجــوب نفقة الزوجة علــى زوجها في المذهــب الحنبلي لا تتعدى مظاهرهــا في المذاهب الفقهية الأخرى الحنفية والمالكيــة والشافعية ، فمن الوسطية أنها يجب لهــا مــا لا غناء لها عنه من النفقة، وأن لها من النفقــة كل ما هو ضروري وكان بالمعروف[٤] وأنها تعتبــر بحال الزوجين يسارا وإعســارا، وأنها من جملة المعاشرة بما هو متعارف عليه بين الناس، وذلــك حتــى تستتر عن العيون في استمتــاع الزوج بها وفي حفظها[٥]، وأنهــا تجب للزوجة الذمية فهــي ممنوعة من الخروج من بيتهــا للكسب، وكلها -كما نرى- مظاهر لتأصيل الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها .

الخاتمة

النتائج:

أولا: الوسطيــة معانيها في اللغة والاصطلاح محمودة كلها ، وتقوم على الخيرية والأفضلية ، وعلى المرونة والاعتدال ، وعلى التساوي في المقادير والأشياء.

ثانيا : الوسطية الحقة هي: عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ

(١) الماوردي ، علي بن محمد ، الحاوي الكبير ، ج١ص ٤١٤

(٢) الشربيني، شمس الدين ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ج٥ص١٥١

(٣) انظر : الخن مصطفى ، والخن البغا ، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ج٤ ص١٨٠-١٨١، والبغوي ، الحسين بن مسعود ، التهذيب في فقه الإمام الشافعي ،ج٦ص٣٢٠

(٤) الخرقي ، عمر بن الحسين ، متن الخرقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، ج١ص ١٢١

(٥) ابن قدامة ، المغني ، ح٨ص١٩٦، والمرداوي، علي بن سليمان ، الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، ج٩ص٣٥٢، وابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، المبدع في شرح المقنع ، ج٧ص١٤١

ثالثا: الواجب كل ما لزم وثبت في الذمة

رابعا: يتفق جمهور الفقهاء مع الحنفية في أن الواجب يلزم عملا ويعاقب تاركه.

خامسا: من ترك الواجب مذموم شرعا إن تركه قصدا.

سادسا: تظهر وسطية البخاري في سيرته عند طلبه للعلم، وفي شيوخه وتلاميذه ، وفي ثناء العلماء عليه.

سابعا: الجامع الصحيح للبخاري يمتاز بالوسطية في مجالات عديدة أهمها الوسطية الفقهية ، والوسطية الحديثية، وكتاب النفقات فيه مظاهر من الوسطية الفقهية التي ظهرت من خلال وسطية حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها .

ثامنا: لحكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها مظاهر وسطية عديدة في المصادر النقلية: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والإجماع .

تاسعا: مظاهر الوسطية في الجامع الصحيح من خلال كتاب النفقات تظهر من عنوان المصنف الجامع الصحيح ، وعناوين الكتب والأبواب والتراجم في جميع المصنف ، واختياره للأحاديث المناسبة لمعاني الوسطية والابتداء بها .

عاشرا: مظاهر الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها في معاني النفقة اصطلاحا تظهر من خلال استغراق هذه المعاني لكفاية الزوجة بالنفقة، وأنها بالمعروف، وأنها مما لا غناء لها به عنه.

حادي عشر: يؤخذ على معنى النفقة اصطلاحا عند المالكية إخراجهم الفواكه والحلوى منها .

ثاني عشر: مظاهر الوسطية في حكم وجوب نفقة الزوجة على زوجها في المذاهب الفقهية الأربعة شاملة لمعني الوسطية فهي تشمل حد الكفاية، والنفقة

بالمعروف ، وفي حال يسار الزوج وإعساره، وفي حال غنى الزوجة وفقرها ، ودون اعتبار لدينها أوحالها من الصحة والمرض وغير ذلك من الأحوال.

التوصيات

أولا: انصاف الجامع الصحيح للبخاري بمزيد من البحث للإفادة منه.

ثانيا: حث العلماء في جميع المنتديات المحلية والعالمية على إظهار معني الوسطية في الشريعة الإسلامية لتكون وسيلة من وسائل تبليغها ونشرها .

ثالثا: تخصيص موضوع الوسطية بالبحث المعمق من خلال الجامع الصحيح .

المصادر والمراجع

١. الأزدي، محمد بن حسين، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م.

٢. ابن إمام الكاملية ، كمال الدين محمد بن محمد ، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول ، تحقيق: عبد الفتاح أجمد قطب الدخميسي، الفاروق الحديثة للطباعة والشر، ط١، ٢٠٠٢م.

٣. البابرتي ، محمد بن محمد ، العناية شرح الهداية ، دار الفكر.

٤. البغوي، الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ.

٥. البيهقي، أحمد بن الحسين ، ،السنن الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط٣، ٢٠٠٢م.

٦. تواتي ، خالد ،الوسطية في الشريعة الإسلامية ، الملتقى الدولي للوسطية ، ص٣٧.

٧. الجديع ، عبد الله بن يوسف العنزي، تيسير علم أصول الفقه ،مؤسسة الريان ، بيروت، لبنان ، ط١ ١٩٩٧م.

٨. الجراعي ، أبو بكر بن زيد، محتصر أصول الفقه من أوله إلى بداية مسائل الخبر، تحقيق: عبد العزيز محمد عيسى محمد مزاحم القايدي، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الكويت، ط١، ٢٩١٢م.

٩. الجرجاني ، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: جماعة من العملاء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م.

١٠. ابن جزي ، محمد بن أحمد ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم ، ط١ ، ١٤١٦هـ.

١١. ابن جزي، محمد بن أحمد، القوانين الفقهية، بدون .

١٢. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، تحقيق : أحمد عبد الغفور عظا، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٤، ١٩٨٧م.

١٣. أبو حبيب / سعدي، القاموس الفقي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق ،سورية ، ط٢

/ ١٩٨٨م.

١٤. أبن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٧٩هـ، إشراف : مجب الدين الخطيب ، تعليقات : العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٥. حسين، يوسف، الوجيز في أصول الفقه ، تحقيق: عبد اللطيف كساب، دار الهدى، ١٩٨٤م.

١٦. الخرشي، محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل الخرشي، دار الفكر، بيروت.

١٧. خسرو ، محمد بن فرامرز، الشهير بملا أو منلا أو المولى، درر الحكام شرح غرر الحكام، دار إحياء الكتب العربية.

١٨. الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ، الفقه والمتفقه ، تحقيق: عادل بن يوسف الغزازي، دار ابن الجوزي، ١٩٩٦م.

٢٠. خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، ط ٨.

٢١. الخن، مصطفى، ومصطفى البغا، الفقه على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م

٢٢. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٢٣. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

٢٤. ابن رشد (الحفيد)، محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤هـ.

٢٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ.

٢٦. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٩٩٨م.

٢٧. السمرقندي ، محمد بن أحمد، بحر العلوم، بدون .

٢٨. السهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، تحقيق: تقي الدين الندوي، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي، الهند، ط١، ٢٠٠٦م

٢٩. الشافعي، محمد بن ادريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي أ مصر، ط١، ١٩٤٠م.

٣٠. الشافعي، محمد بن ادريس ، الأم ، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٩٠م

٣١. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٤م

٣٢. الشهري، صالح بن محمد ، الحاديث التي يوردها البخاري في تراجم الأبواب ولا يصرح بكونها أحاديث وليت على شرطه ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ، ١٤٢١هـ.

٣٣. الخرقي، عمر بن الحسين، متن الخرقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الصحابة للتراص ، ١٩٩٣م.

٣٤. الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٩٣٢م.

٣٥. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١ ن ١٤١٤هـ.

٣٦. شيخي زاده ، عبد الرحمن بن محمد ، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي.

٣٧. الصاوي، أحمد بن محمد ،الخلوتي، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ، دار المعارف.

٣٨. الضبي، أحمد بن محمد ، اللباب في فقه الشافعي، تحقيق: عبد الكريم بن صينتان العمري، دار البخاري ، المدينة المنورة ، ط١، ١٤١٦.

٣٩. ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر ، رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٤٠. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، دار سحنون ،تونس، ٢٠٠٦م.

٤١. عبد الخالق ، عبد الغني، البخاري و كتابه الصحيح ، دار المنار ،جدة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.

٤٢. عتر ، نور الدين ، منهج النقد في علوم الحديث ن دار الفكر ، ط٢ ن ١٩٧٩م.

٤٣. ابن عرفة، محمد بن محمد، المختصر الفقهي، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد

خير، مؤسسة خلف احمد الحبتور للأعمال الخيرية، ط١، ٢٠١٤هـ.

٤٤. العدوي، علي بن أحمد، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الفكر ،بيروت، ١٩٩٤م.

٤٥. العكبري، الحسن بن شهاب، رسالة في أصول الفقه، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المكتبة المكية ، مكة المكرمة، ط١ ، ١٩٩٢م.

٤٦. عليان ، رشدي، الاجماع في الشريعة الإسلامية ،الجامعة الإسلامية ، السنة العاشرة، مايو ،١٩٧٧م

٤٧. القاري، علي بن سلطان ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، دار الفكر ،٢٠٠٢م.

٤٨. ابن قادمة ، موفق الدين بن عبد الله ، المغني ، مكتبة القاهرة.

٤٩. القرضاوي، يوسف ، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٩م.

٥٠. القرطبي، أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٥١. القزويني، أحمد بن فارس، مجملا اللغة، تحقيق : زهير بن عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط٢، ١٩٨٦م

٥٢. القسطلاني ، أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٥٣. الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٦م.

٥٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، جار طيبة ، ط٢، ١٩٩٩م.

٥٦. الكرماني ، محمد بن عبد الطيف، شرح مصابيح السنة للبغوي، تحقيق: لجنة من المحققين، إشراف :نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية

٥٧. ابن مازّة ، برها ن الدين محمود، المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه أبي حنيفة رضي الله عنه، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٤هـ.

٥٨. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الإقناع في فقه الشافعي، بدون.

٥٩. المـارودي، علي بن محمد بن حبيب، الحاوي الكبير، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٦٠. المـرداوي، علـي بـن سليمان، الإنصـاف في معرفـة الراجح من الخـلاف، دار إحياء التراص العربي، ط٢.

٦١. المرغيانـي، علي بن أبي بكر، الهداية في شرح بدايـة المبتدي، تحقيق: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢. المزني، إسماعيل بن يحيلا، مختصر المزني، جار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.

٦٣. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٦٤. المـواق، محمد بن يوسف، التـاج الإكليل لمختصر خليل، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٦٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت ن ط٢ ١٤١٤هـ.

٦٦. ابـن نجيـم، زيـن الدين بن إبراهيـم، البحـر الرائق شرح كنـز الدقائـق، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

٦٧. النمري، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد مايك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، ١٩٨٠م.

٦٨. النسفي، عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦٩. النسائي، أحمد بن شعيب، (السنن الكبرى) ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

٧٠. النـووي، يحي بـن شرف، المنهاج شرح صحيـح مسلم بن الحجـاج، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٣٩٢هـ.

د. خليفة فرج مفتاح الجراي
كلية علوم الشريعة – جامعة المرقب – ليبيا

معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه

المقدمة

الحمد للّه مسدي النعم، ودافع النقم، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، علم بالقلم علـم الإنسان مالم يعلـم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبـد اللّه ورسوله، سيد العرب والعجم، صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد :

فالإسـلام أحوج مـا يكون في هذا العصر إلـى من يحسن عرضه على النـاس والدعوة إليه بالحكمـة والموعظة الحسنة، وذلك لا يتأتى إلا بالابتعاد عن التطرف والغلو في الأخلاق والسلوك والخطـاب الدعـوي، وانتهاج المنهج الوسطـي المعتدل، وسأضع بين يدي هـذه الورقة البحثية – والتـي هي بعنوان «معالـم الوسطية والاعتدال عند الامام البخاري فـي صحيحه – تعريفا موجزا للإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح».

ترجمة الإمام البخاري رحمه اللّه تعالى:

اسمه ونسبه:

محمـد بن إسماعيل بن إبراهيم بـن المغيرة بن بَرّدِزْبَه،[1] أبو عبـد اللّه البخاري الجعفي، إمام المسلمين وأمير المؤمنين في الحديث.

ولادته ونشأته:

ولـد أبـو عبد اللّه فـي بخارى، في يـوم الجمعة لثلاث عشـرة ليلة خَلت من شـوال سنة أربع وتسعيـن ومائـة، ومات والده وهو صغير، فنشأ يتيمـاً في حِجْرِ أمِّه، فتولت رعايَتـه وتربيَته، فنشأ نشأة صالحة حسنة.

طلبه للعلم ورحلاته:

طلب العلم ورحل له، وكان من العلماء العاملين، ومن النُّبلاء الورعين، خرج حاجاً قبل سنة

(١) قال ابن ماكولا في الإكمال(١/٢٥٩): هو بالبخارية، ومعناها بالعربية: الزَّرَّاعُ.

تسع وسبعين ومائة، فرأى حماد بن زيد، وسمع من مالك بن أنس، وصافح ابن المبارك بكلتا يديه، وحَـدَّثَ عن أبي معاوية بن صالح، وجماعة، وترجم له ابنُهُ عبد الله البخاري في التاريخ الكبير،[١] وذكره ابن حبان في الثقات.[٢]

مصنفات الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

قـال محمد بـن أبي حاتم البخـاري: «سمعت أبا عبـد الله محمد بن إسماعيـل يقول: «فلما طعنـت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابـة والتابعين وأقوالهم، وذلك أيام عبيد الله بـن موسـى، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله r في الليالي المقمرة، وقلَّ اسمٌ في التاريخِ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب».[٣]

وقـال أبو عبـد الله في سبب تصنيفه للصحيـح: «كنت عند إسحاق بـن راهويه، فقال بعض أصحابنـا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النَّبـي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب».

وقال أيضاً: «أخرجت هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث».[٤]

وفاته:

توفـي أبو عبد الله فـي قرية خَرْتنك ـ وهي قريـة على مسافة فرسخين مـن سمرقند، وكان لـه بها قرابـة – ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ودفن يـوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.[٥]

التعريـف بكتابـه: الجامع المسند الصحيـح المختصر من أُمور رسـول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه:

هـذا الاسم هو ما سمّـاه به البخاريّ نفسه، ذكر ذلك عدد مـن العلماء ومنهم ابن الصلاح والقاضـي عياض والنووي وابـن الملقن وغيرهـم، وكان البخاري يذكر الكتـاب أحياناً باختصار فيسمّيـه: «الصحيـح» أو «الجامـع الصحيح» وقد عُرف الكتـاب قديماً وحديثاً علـى ألسنة الناس والعلماء بِاْسم «صحيح البخاري» وأصبح هذا الاختصار معهوداً معزواً إلى الإمام البخاري للشهرة

(١) التاريخ الكبير(٤٣٢/١).

(٢) الثقات لابن حبان (٩٨/٨) .

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٧/١).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (٩/٢).

(٥) انظر: وفيات الاعيان (١٨٨/٤-١٩١) سير أعلام النبلاء(٤٠٠/١٢-٤٥٢)

الواسعـة للكتاب ومصنّفه ، اختار أحاديثه وخَرّجها من ستمائة ألف حديث، بَذل البخاري –رحمه الله– جُهـداً عظيماً في تنقيح الكتاب، وتهذيبه، وتحرّي صحّة أحاديثه التي أوردها فيه، وقد تلقّى العلمـاء صحيح البخاري بالقَبول فـي كل عصر؛ بل اعتبروا صحيح البخـاري أجلّ كُتب الإسلام، وأصحّها، وأفضلها بعد القرآن الكريم ، جعل الإمام البخاري كتابه جامعاً لأنواع العلوم الإسلامية المتعددة؛ كالعقيدة، والفقه، والتفسير، والمغازي، والسِيَر، والزهد، والرقائق والفضائل، والآداب ، وقد مزج البخاري في صحيحه الحديث مع الفقه ولكنّه لم يتوسّع فيه، وإنّما سلك في ذلك منهجاً مختصراً، فجعل فقه الحديث في الترجمة، حتى اشتهر على ألسنة العلماء أنّ فقه الإمام البخاري يتلخّص في تراجمه، وكان يُساند ما يذهب إليه من قولٍ في المسألة بالآيات، والآثار، ثم يذكر بعد ذلك أهم ما رُوي وورد من الأحاديث المَرفوعة مع أسانيدها.(١)

أهمية البحث :

إن إبراز خصائص الإسلام وعلى رأسها الوسطية ، أمر في غاية الأهمية ونحن نرى أعداءه يرمونـه بما ليس فيه من تطرف وإرهاب وإقصاء للآخرين ومعاملات سيئة وأخلاق منحرفة وبث للكراهيـة والتعصـب ، ومما يؤسف له أن نفرًا ممن ينتسبـون لهذا الدين يساعدونهم في ذلك من خـلال إساءتهم لتطبيق الإسـلام تطبيقًا بعيدًا عن هدي النبي ﷺ، وعرضـه عرضًا سيئًا بسبب الجهـل والتعنت والغلو، و الإسلام جاء ليرفع عن الناس الإصر والأغلال ، ويضمن لهم حياة طيبة ملؤهـا السعادة والاستقرار ، فكتابه الكريم يقول : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(٢) ونبيه صلوات الله وسلامه عليه هو الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما وبنى أئمـة الإسلام مذاهبهم على أصول الإسلام الوسطي المعتـدل ومنهم الإمام محمد بن إسماعيل البخـاري رحمـه الله فقد جمـع في صحيحه الكتـاب الجامع أصـول الإسلام الوسطـي الصحيح والهـدي النبوي السمح في كل جوانـب الحياة الدينية والدنيوية فكان نبعا صافيا عذبا فراتا يروي النفوس الظامئة ويلين العقـول المتحجرة وينشر الأمن والسلام والسعادة في العالم بأسره، ومن هذا المنطلق وبعد أن يسر الله عز وجل لي قبول ملخص ورقتي البحثية التي تقدمت بها للمشاركة في المؤتمر الدولي «معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه» الذي تنظمه أكاديمية الإمام البخاري الدولية / لبنان، فقد اخترت محورا من محاور هذا المؤتمر وجعلته عنوانا لورقتي البحثية وهو « معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه « وكان هذا البحث على

(١) ينظر: فتح الباري (١/٦-٩) وعمدة القاري (١/٢٠-٢٣) بتصرف

(٢) البقرة:١٨٥

النحو التالي:

مقدمة تشتمل على تعريف مختصر للإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح وأهمية موضوع البحث.

مبحث أول: معالم الوسطية والاعتدال في أبواب العقائد والعبادات.

مبحث ثان: معالم الوسطية والاعتدال في أبواب الأخلاق والآداب .

مبحث ثالث: معالم الوسطية والاعتدال في أبواب الحدود والجهاد.

خاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

مبحث أول: معالم الوسطية والاعتدال في أبواب العقائد والعبادات.

أولا ـ في باب العقائد:

العقيـدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة ومعالمهـا السمحاء هي التي تحقِّق السعادة والأمن في الدنيا و الفلاح في الآخرة؛ لوضوح معالمها، ولموافقتها للفطرة والعقل السليم.

وتمتازُ هذه العقيدة المباركة بكونها وسطًا بين الغلوِّ والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصـان، وأهلهـا أهل وسطيَّة واعتدال، وهـذه بعض معالم الوسطية فـي صحيح البخاري في مسائل الاعتقاد:

١: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات دون نفي أو تحريف:

أهـل السنة والجماعة بين أهـل مقالتين باطلتين، مقالة مَن عطَّـل الصفات وفي مقدِّمتهم الجهميَّـة، ومقالة مَن يُشبِّـه الله – تعالى – بصفات المخلوقين كما هو طريـق الممثِّلة؛ فالتعطيل باطـل لأنَّــه جحـد ونفي لما أثبتـه الله لنفسه مـن صفات الكمـال، والتشبيه باطل لأنَّـه تمثيلٌ لله بالمخلوقات.

فأهل السُّنَّة لم ينفوا الأسماء والصفات عن الله – تعالى – ولم يُشبِّهوا الله بخلقه، فمنهجهم قائمٌ على إثباتٍ بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، ومن أمثلة هذه الوسطية ما جاء في صحيح البخاري فـي إثبات صفة السمع والبصر باب «وكان الله سميعا بصيـرا» من حديث عُرْوَة، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَدَّثَتْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»[١]

(١) البخاري كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى « وكان الله سميعا بصيرا» رقم (٧٣٨٩)

وما جاء في إثبات الوجه باب قول الله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَقَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَيْسَرُ»(٢)

وفي صفة الكلام قال البخاري رحمه الله : بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ وقال جل ذكره: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٣) وقال مسروق عن ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا»: «ماذا قال ربكم قالوا الحق» ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان»(٤)

٢ : رؤية الباري جل وعلا في الآخرة

الرؤية من أمور العقيدة التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة، ودلّ عليها الكتاب والسنة، مع اتفاقهم على أنه لا يراه أحدٌ في الدنيا، والإيمان برؤية الله في الآخرة هو الاعتقاد الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم عياناً بأبصارهم في عرصات القيامة وفي الجنة، ويكلمهم ويكلمونه، ومسألة الرؤية من المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وغيرهم، وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية الذين غلوا في مسألة الرؤية ومنعوها حتى في الجنة، وبعض الصوفية الذين فرطوا فيها وأجازوها حتى في الدنيا، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة.

قال ابن القيم رحمه الله: والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط فقسم غلوا في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة وهم الصوفية وأحزابهم، وقسم نفوها في الدنيا والآخرة

(١) الأنعام :٦٥

(٢) البخاري كتاب: التوحيد ، باب قول الله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه» رقم (٦٤٠٦)

(٣) البقرة :٢٥٥

(٤) البخاري كتاب : التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

وهـم الجهميـة والمعتزلة، والوسط هـم أهل السنة الذيـن أثبتوها في الآخـرة حسبما تواترت به الأدلة.[1]

وقـد جـاءت هذه الوسطية في صحيح البخاري باب قول الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربهـا ناظـرة» من حديث جرير رضي الله عنه قـال : خرج علينا رسـول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته»[2]

٣ : الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم .

مـن معالم الوسطية في صحيح البخـاري أن أهل السُّنَّة والجماعـة وسط في اعتقادهم في الصحابـة - عليهـم رضـوان الله - بين الخـوارج النواصب الذين كفَّروا عليًّـا - رضي الله عنه - وطائفة كبيرة من الصحابة، واستحلُّوا دماءهم، وبين الرافضة الذين غلوا في عليٍّ وأهل بيته حتى فضَّلوه على أبي بكر وعمر.

فأهل السُّنَّة والجماعة منهجهم عدلٌ ووسط مع الصحابة؛ فلم يُكفِّروا أحدا منهم، أو يتبرَّؤوا منهـم، بل أنزلوهم منازلَهم التي يستحقُّونها؛ فأحبوهـم ووالوهم ودعوا لهم، وترضَّوْا عنهم، ولم يقعوا في أحد منهم أو ينتقصوه، ويعتقدون أنهم خيرُ الناس بعدَ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فهداهـم الله لموالاة الجميع ومحبتهم وعرفوا الكل حقه وفضلـه ورأوا أنهم أكمل الأمة إسلاماً وإيمانـاً وعلمـاً وعمـلاً وحكمة، وبهذا يتبيـن وسطية أهل السنـة والجماعة بين هاتيـن الفرقتين الظالمتين، وجاءت هذه الوسطية في الجامع الصحيح حيث روى البخاري فضائل الصحابة كلهم ومنهـم الأئمـة الأربعة رضي الله عنهم فقد جـاء في باب «لو كنت متخذا خليـلا» مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «لو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[3]

وفي باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، من حديث جابر بـن عبد الله رضـي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنـة، فإذا أنا بالرميصاء، امـرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: مـن هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك «فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار».[4]

---

(١) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٣٣٢- ٣٣٣)

(٢) البخاري كتاب: التوحيد ، باب قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » رقم (٣٤٣٦)

(٣) البخاري كتاب: المناقب ، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلا» رقم (٣٦٥٦)

(٤) البخاري كتاب: المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه رقم (٣٦٧٩)

وفي باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، عن أبي موسى رضي الله عنـه، أن النبي ﷺ دخل حائطا وأمرني بحفظ بـاب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «ائذن له وبشـره بالجنـة»، فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فإذا عمر، ثم جـاء آخـر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه»، فإذا عثمان بـن عفان، وزاد فيه عاصم «أن النبـي ﷺ كان قاعدا في مكان فيه ماء، قد انكشف عن ركبتيه أو ركبته، فلما دخل عثمان غطاها»[١]

وفـي باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه عن سلمة، قـال: كان علـي قـد تخلف عن النبـي ﷺ في خيبـر، وكان به رمد، فقـال: أنا أتخلـف عن رسول الله ﷺ، فخـرج علي فلحق بالنبـي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحهـا الله في صباحها، قال رسـول الله ﷺ: « لأعطيـن الراية، أو ليأخذن الراية، غدا رجـلا يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه « فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه»[٢].

وفـي جملـة الصحابـة روى البخاري حديـث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنـه، قال: قال النبيﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه»[٣].

ثانيا ـ في باب العبادات:

أهلُ السنَّة وسَط في أمور العبادات بين أهل التفريط، الذين يضيعون العبادة، فلا يخشعون ولا يطمئنون عند أدائها، وأهل الإفراط، الذين يخالفون سنة نبينا ﷺ ويتجاوزون الحدَّ عند أداء العبادة، وقد جاءت معالم هذه الوسطية في صحيح البخاري على النحو التالي:

١ـ الاعتدال في العبادة أقرب للتقوى وأكثر خشية لله:

وذلك فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيﷺ وقد غفر لـه مـا تقدم من ذنبه وما تأخـر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبـداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهـر ولا أفطـر، وقال آخر: أنا أعتـزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجـاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذيـن قلتـم كذا وكـذا أما والله إني لأخشاكـم لله وأتقاكم له لكنـي أصوم وأفطـر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٤].

(١) البخاري كتاب: المناقب ، باب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه رقم (٣٦٩٥)

(٢) البخاري كتاب: المناقب ، باب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه عنه رقم (٣٧٠٢)

(٣) البخاري كتاب: المناقب ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا خليلا » رقم (٣٦٧٣)

(٤) البخاري كتاب: النكاح ، باب الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣)

٢ـ التعمق في العبادة يفضي إلى تركها.

وذلـك فيما جاء عن عبدالله بن عمرٍو رضـي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم أُخبَـرْ أنك تقوم الليـل وتصوم النهار؟»، قلت: إني أفعل ذلك، قـال: «فإنك إذا فعلتَ ذلك هجمت عينـك (ضعف بصرها)، ونفهت (تعبت) نفسك، وإن لنفسك حقًّـا، ولأهلك حقًّا؛ فصُمْ وأفطر، وقُمْ ونَمْ»(١)

قـال ابـن حجر العسقلاني رحمه الله: في هذا الحديث بيـانُ رِفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته، وشفقته عليهم، وإرشاده إياهم إلى ما يُصلحهم، وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليـه، ونهيهم عن التعمق في العبادة؛ لما يخشى مـن إفضائه إلى الملل المفضي إلى الترك، وقد ذم الله تعالى قومًا لازموا العبادة ثم فرطوا فيها.(٢)

٣ ـ الإقبال على العبادة في حال النشاط وتركها في حال الفتور.

يبيـن ذلـك ما جاء عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنـه، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فـإذا حبـل ممدود بيـن الساريتين، فقال: «ما هذا الحبـل؟»، قالوا: هذا حبلٌ لزينـبَ، فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي ﷺ: « لا، حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد».

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديثُ فيه الحثُّ على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق، والأمر بالإقبال عليها بنشاطٍ، وأنه إذا فتر فليقعد حتى يذهب الفتور.(٣)

٤ ـ التيسير ورفع الحرج عند المشقة.

ومـن ذلـك ما كان يفتي به النبي ﷺ في حجة الـوداع لما ورد في البخاري عن عبد الله بن عمـرو بن العاص يقولا: وقف رسول الله ﷺ علـى راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي فقال رسول الله ﷺ: «ارم ولا حرج» قال وطفق آخر يقول إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق فحلقت قبل أن أنحر فيقول: «انحر ولا حرج» قال فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها إلا قال رسـول الله ﷺ افعلوا ذلك ولا حرج».(٤) وذلك لمـا في موسم الحج من الزحام والمشقة التي تلحق الناس في أداء المناسك.

(١) البخاري كتاب: التهجد ، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه رقم (١١٥٣)

(٢) فتح الباري – لابن حجر العسقلاني – (٥٢٢/٤)

(٣) مسلم بشرح النووي (٧٣/٦)

(٤) البخاري : كتاب العلم : باب: الفتيا وهو واقف على الدابة (٣٨)

مبحث ثان: معالم الوسطية والاعتدال في باب الأخلاق والآداب

تبرز وسطية الإسلام بشكل قوي في الأخلاق والآداب التي تحيط بالإنسان في جميع أحواله وعلى جميع مقاماته ومستوياته ومختلف مسؤولياته، والأمة الوسط هي أمة الأخلاق، فهي أمة منهجها كله قائم على الاعتدال، وهذه بعض معالم الوسطية في الأخلاق والآداب، عند الإمام البخاري في صحيحه:

أولا- موعظة المسيء بالحكمة

تجلت معالم هذه الوسطية في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض المخطئين والمسيئين بأن كانت بالحسنى ولم تكن بالقوة والاضطهاد والإكراه فالله أمر نبيه بقوله ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[١] وقد دل على هذا المعلم ما جاء في قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه حين قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله، يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[٢]

قال ابن حجر رحمه الله: قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد»[٣]

وهي موعظة بليغة سلك فيها النبي ﷺ مسلك الوسطية فلم يغلظ القول على أسامة ولم يشدد عليه بالعقوبة ودفع الدية فقد عذره لأنه كان متأولا وفي الوقت نفسه بالغ في موعظته ولامه وعاتبه صيانة للنفس التي نطقت بالشهادة فحكم عليها بالظاهر وحتى ينزجر غيره ولا يتعدى على نفس قد حصلت لها ذمة الإسلام وحرمته وقد ندم أسامة على ذلك لبلوغ موعظة النبي ﷺ شغاف قلبه وتمنى أن لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم ليأمن من جريرة تلك الفعلة، قال ابن بطال رحمه الله: كانت هذه القصة سبب حلف أسامة أن لا يقاتل مسلما بعد ذلك ومن ثم تخلف عن علي رضي الله عنه في الجمل وصفين»[٤]

فهذا الهدي النبوي الرفيع في الموعظة يرسم منهجا للدعاة والمصلحين ليسيروا عليه في

(١) النحل: ١٢٥

(٢) البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، برقم (٤٢٦٩).

(٣) فتح الباري (١٢/١٩٥).

(٤) شرح البخاري لابن بطال(٤٩٨/٨)

دعوتهـم وإصلاحهـم وأن لا تحملهم الحماسة الزائدة والغيرة علـى الاندفاع بالزجر والتأنيب في غير موجب أو التحامل على المخالفين بالشتم وتضييق رحمة الله التي وسعت كل شيء.

ثانيا ـ الرفق في الرد على المسيء:

تجلـت هذه الوسطية فـي رد النبي ﷺ على إساءة المسيء بالرفق واللين وعدم الرد بالمثل والأصل في ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في صحيح البخاري قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السامُ عليكم. قالت عائشة : ففهمتها فقلت: وعليكم السـامُ واللعنـة. قالت : فقال رسـول الله ﷺ «مهلًا يا عائشة إن الله يُحـبّ الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم»[١]

ففـي هذا الموقف العظيم لم يرد النبي ﷺ علـى اليهود بمثل قولهم ولم يجهل فوق جهلهم بل ويوجه عائشة رضي الله عنها توجيها بديعا بألا تغلظ لهم القول فقال لها «مهلا يا عائشة» وعلل ذلـك بـأن الله يحب الرفق في جميع الأمور ، وقال صلى الله عليه وسلـم : «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه» وقال صلى الله عليـه وسلم: «إن الرفق لا يكون فـي شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلا شانه» وبين صلى الله عليه وسلم أن من حُرِمَ الرفق فقد حُرِمَ الخير، فالرفق بالناس وعدم إساءة المسيء من معالم وسطية هذا الدين به تتآلف القلوب وتذوب الأحقاد وتؤتي الدعوة أكلها.

وإذا كان الرفـق واللين وعدم الرد بالمثل عند الإساءة مع غير المسلمين بل وأشدهم عداوة للمؤمنيـن وهـم اليهود، فكيـف وإذا كان الأمر مع المسلمين فالرفق والليـن وعدم الإساءة بالمثل معهم أولى وأوجب لأجل رابطة الدين وأواصر الأخوة والمحبة والولاء.

ثالثا ـ العدل في القضاء.

القضاء هو ما يصدر حين الفصل بين المتخاصمين المتشادين، وقد تجلت معالم الوسطية فـي صحيح البخاري في قضاء النبـي ﷺ بالعدل، والقسط، والذي هو روح الوسطية فقد جاء في الصحيـح عن عروة رضـي الله عنه، قال: خاصم الزبير رجلا من الأنصـار، فقال النبيﷺ: «يا زبير اسق، ثم أرسل» ، فقال الأنصاري: إنه ابن عمتك، فقال عليه السلام: «أسق يا زبير، ثم يبلغ الماء الجدر، ثم أمسك»[٢]

فالنبـي ﷺ قضـى بينهمـا بالعـدل بعد ما عايـن المكان ولم يمـل به الهوى لأحـد رغم أن

---

(١) البخاري :كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، برقم ٦٠٢٤.

(٢) البخاري : كتاب المساقاة : باب: سكر الأنهار رقم (٢٣٥٩)

الأنصـاري أغلـظ في القول واتهم النبي صلى الله عليه وسلم أنـه مال في الحكم لابن عمته ولكن النبي ﷺ لم يجحف ولم يجر في الحكم ولم ينتقم، وإنما أعاد ما صدر منه أولا، وقد نقل العيني رحمـه الله تعليـق الخطابـي على ذلك فقال: معنـاه أمره بالعادة المعروفة التـي جرت بينهم في مقـدار الشرب وهي جملـة معترضة بين قوله اسق يا زبير وبين قوله ثم أرسل» قوله «واستوعي له» أي استوفى للزبير حقه واستوعب وهو من الوعاء كأنه جمعه له في وعائه وأبعد من قال أمره ثانيا أن يستوفي أكثر من حقه عقوبة للأنصاري[١].

وقـال ابـن حجر رحمه الله : ويحتمـل أن يكون المراد أمره بالقصـد والأمر الوسط مراعاة للجوار[٢].

وقضـاؤه صلـى الله عليه وسلم حين اشتكت إليه حبيبة بنـت سهل الأنصاري زوجة ثابت بن قيـس وذكرت أنها لا تحبه فقال لها رسـول الله ﷺ (أتردين عليه حديقته) قالت نعم قال رسول الله ﷺ: (اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)[٣].

وقـد بـرزت وسطية النبي ﷺ فـي هذا القضاء العـادل حيث أنصف الاثنيـن فلما لم تطق الزوجـة أن تستمـر العشرة الزوجية بسبب كرهها لزوجها لم يجبرهـا النبي ﷺ على البقاء معه ولـم يعنف عليها في ذلك بل راعى حقها في الاستمتـاع بالحياة الزوجية وفي نفس الوقت لم يوقع الضرر بالزوج فرد عليه ما بذله لها من مهر جبرا لخاطره وتعويضا لما أنفقه فلعله يحظى بزوجة أخـرى يبذلـه لها فرفع الضرر عن الاثنين دون إجحاف أو ظلـم وهو عين العدل والإنصاف ، ولذا فـلا يجوز للقاضي أن يكون قريبا لأحد الخصميـن، لأن الأصل في القاضي عدم الميل وينبغي أن يكـون منزها عن مشاعر الحـب والكره، فهو يزن الأمور بعقله، ويفرق بين الحق والباطل، فتحقيق العدل مهمة مقدسة.

رابعا ـ اللين والحكمة في التأديب.

تأديب الأولاد:

تتجلى هذه الوسطية في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وتأديبه للأطفال وذلك ما جاء في البخـاري مـن حديث عمر بن أبي سلمة، يقول: كنت غلاما في حجـر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيشـ في الصحفة، فقـال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سـم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»

(١) عمدة القاري (١٢/٢٠٥)

(٢) فتح الباري (٥/٣٩)

(٣) البخاري : كتاب الطلاق : باب: الخلع (٥٢٧٣)

فما زالت تلك طعمتي بعد»(١)

فالنبــي ﷺ كان عدلا وسطيا في تعليمه وتأديبه فلمــا رأى عبث الغلام لم يعنفه أو يضربه، كما أنه لم يتساهل معه في إقراره على خطئه وتماديه فيه، فعلمه وأدبه كيف يكون أكله من التسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه فكانت ثمرة هذه الوسطية في والتأديب «فما زالت تلك طعمتي بعد»

يقــول ابن القيم رحمه الله: (وكـم ممن أشقى ولده وفلذة كبده فــي الدنيا والآخرة بإهماله وتــرك تأديبه، وإعانته على شهواتــه، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنــه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده وفوَّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء)(٢)

تأديب الولاة:

تتجلــى هــذه الوسطية في تأديب النبي ﷺ لبعض الــولاة وذلك ما جاء صحيح البخاري من حديث حُميد الساعدي قال: استعمَل رسول الله ﷺ رجلاً من بني أسد يُقال له: ابن اللُّتْبيَّة – قال عمــرو وابــن أبي عمر: على الصدقــة – فلمَّا قَدِم، قال: هذا لكم، وهذا لــي أُهْدِي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحَمِد الله وأثْنَى عليه، ثم قال: «ما بال العامل نَبعثه فيأتي، فيقول: هذا لك وهــذا لــي، فهلاَّ جلَس في بيت أبيه وأُمِّه، فيَنظــر أيُهْدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلاَّ جــاء بــه يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغــاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر»، ثم رفَع يديه؛ حتى رأَيْنا عُفْرتَى إبطَيه: «ألا هل بلَّغْت؟!» (٣)

هدايــا العمال والولاة والقضاة إنما هي رشوة في ثوب هديــة، وحُرِّمت الهدايا للولاة؛ حفظًا لحقــوق الدولة، وحِرصًــا على أموال الأمة، وصونًا لحقوق الأفراد مــن عبَث هؤلاء الولاة، ومنْحهم حقَّ فلان لفلان، ولذلك استعمل النبي ﷺ الحكمة في تأديب هذا العامل وغيره من الولاة والعمال فلم يجامله ولم يقره على فعله الباطل ولم يتساهل في ضياع أموال الأمة بهذه الطريقة فقام أمام النــاس ناصحا له ولغيره فلم يشهر به ولم يشتمه وإنما قال «ما بال العامل نَبعثه...» ثم بين عاقبة هــذا الفعل وخطره في الآخرة وعظم أمره تحذيرا له ولغيره وخوفا عليهم من غضب الله وعذابه، أي نهاهم عن ذلك تحصينا لأموال الناس من أن تضيع في الدنيا، وتحصينا لأنفسهم من أن تقع في عذاب الله في الآخرة، وهذا التأديب والتعليم غاية في الأدب والعدل والإنصاف.

(١) البخاري :كتاب: الاطعمة، باب: التسمية على الطعام (٥٣٧٦)

(٢) تحفة المولود ص (١٤٢)

(٣) البخاري: كتاب الأحكام ، باب: هدايا العمال رقم (٧١٧٤)

مبحث ثالث: معالم الوسطية والاعتدال في أبواب الحدود والجهاد

لقد قامت هذه الأمة بالعدل واشتهرت به حتى صار سمة من سماتها وصفة من صفاتها تميزت به بين سائر الأمم، والعدل هو روح الوسطية الذي وصفت به في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

وقد جاءت معالم هذه الوسطية في صحيح البخاري في الحدود والجهاد على النحو التالي:

أولا: في باب الحدود

١. العدالة في إقامة الحد على الشريف والوضيع

ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ومن يجترئ عليه إلا أسامة فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فخطب فقال: «يا أيها الناس إنما ضلّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[2]

٢. لا يُلعن من ارتكب حدا من حدود الله وأنه ليس بكافر

من وسطية هذا الدين أن لا يلعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة ، جاء ذلك في صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب، أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[3]

٣. الحدود كفارات لأهلها

اختلف الناس في هذه المسألة إلى أقوال ثلاثة : فالجمهور ذهب إلى أن الحدود كفارات ولو لم يتب المحدود، ومنهم من قال إن الحدود ليست كفارات إلا مع التوبة وجزم بذلك المعتزلة والظاهرية، ومنهم من قال بالتوقف، ورجح الحافظ ابن حجر قول الجمهور بأن الحدود

---

(١) البقرة : ١٤٣

(٢) البخاري: كتاب الحدود ، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (٦٧٨٨)

(٣) البخاري: كتاب الحدود ، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر (٧١٧٤)

كفـارات،[1] وهو القـول الوسطي الذي يليق بعفو الله وكرمه، وإذا كنـا نطمع في عفوه بغير عقوبة فكيف وإذا وقعت العقوبة الدنيوية، جاء ذلك في البخاري في باب الحدود كفارة، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس، فقال: «بايعوني على أن لا تشركوا بـالله شيئـا، ولا تسرقـوا، ولا تزنوا - وقرأ هذه الآية كلها - فمن وفـى منكم فأجره على الله، ومن أصـاب مـن ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب مـن ذلك شيئا فستره الله عليه، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»[2]

ثانيا: في باب الجهاد

مـن معالم الوسطية في الجهاد أن الشارع تدرج في تشريعه على مراحل تناسب حال الناس والوقـت والزمـان، فشُرع الصبر أولاً لما كان المسلمون في حال ضعـف وقلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾[3]

ثـم أُذن لهم فـي القتال من غير إلـزام لأنهم مظلومون كما في قولـه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[4]

ثـم أمـر الله عز وجل بقتال من قاتلنا والكف عمن كـف عنا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[5]

ومن معالم الوسطية في الجهاد عند الإمام البخاري في صحيحه ما يلي:

١ ـ أن لا يقاتل العدو حتى يدعى إلى الإسلام أولا.

جـاء ذلـك في باب دعاء النبـي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، مـن حديث سهل بن سعد رضـي الله عنه، سمـع النبي ﷺ، يقول: يوم خيبـر: «لأعطين الراية رجلا يفتـح الله على يديه»، فقامـوا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغـدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيـه، فأمـر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتـى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»[6]

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٧- ٦٨)

(٢) البخاري: كتاب الحدود، باب: الحدود كفارة رقم (٦٧٨٤)

(٣) البقرة : ١٠٩

(٤) الحج :٣٩

(٥) البقرة :١٩٠

(٦) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة رقم (٢٩٤٣)

٢ ـ من نطق بكلمة التوحيد توقفنا عن قتاله وحسابه على الله

جـاء ذلك في باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله، إلا بحقه وحسابه على الله»[١]

٣ ـ الرفق بالأسير ومعاملته بالحسنى

جاء ذلك في باب الكسوة للأسارى ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال: لما كان يوم بدر أتي بأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، «فنظر النبي ﷺ له قميصا ، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه» قال ابن عيينة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه.[٢]

٤ ـ النهي عن قتل الصبيان والنساء في الحرب

جـاء ذلك في باب قتل النساء في الحرب ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ «فنهى رسول الله ﷺعن قتل النساء والصبيان»[٣]

٥ ـ أن لا يعذب العدو بالنار

جـاء ذلك في باب لا يعذب بعذاب الله، من حديث عكرمة، أن عليا رضي الله عنه، حرق قوما ، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٤]

الخاتمة

وأخيرا فإن القلم واللسان ليعجزان عن التعبير في هذا الباب الفسيح والبحر الزاخر ، فمعالم الوسطية في صحيح البخاري ظاهرة بينة كالشمس في رابعة النهار وكالقمر في ليلة البدر وما تلقته الأمة بالقبول جيلا بعد جيل إلا لما فيه من عدل، وإنصاف، وحكمة، وسماحة، واعتدال في التكليف وانسجام في الحقوق والمعاملات والأخلاق، فلا تناقض في السلوك والعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب فهو مصدر السنة النبوية المتمثلة في حياة النبي ﷺ ومعاملاته

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة رقم (٢٩٤٦)

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير ، باب: الكسوة للأسارى رقم (٣٠٠٨)

(٣) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب رقم (٣٠١٥)

(٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله رقم (٣٠١٧)

وسلوكـه ومنهجه الدعوي المبارك ، كما تمثل الوسطية فـي صحيح البخاري سمة حضارية ترشد المسلميـن في ميادين الحياة المختلفة؛ فـي الدعوة، والسياسـة، والاقتصاد، وغيرهـا، كما أنه يمثـل الخطـاب الديني المعتـدل الوسطي الذي ينشـر التعايش بين النـاس والتراحم والتعاطف، ونشـر الخير بين النـاس للوصول بالمجتمع إلى الأمـل المنشود والمستقبـل المنتظر ،وإن الأمن والاستقـرار فـي أي مجتمع مقـرون أشد الاقتران بأخذ هـذا المجتمع بمبـدأ الوسطية والاعتدال وابتعاده عن الغلو في الدين أو التفريط فيه.

أهم التوصيات:

١. عقـد مؤتمرات وندوات تُعني «بصحيح البخـاري» لجعل هذا الكتاب متداولاً في الأوساط الفكرية الإسلامية، للعمل على تطوير السياسات التربوية والعلمية في الأمة .

٢. النظر بعين العصر للمنهج التربوي النبوي في صحيح البخاري باعتباره أصح المصادر في السنة النبوية للاستفادة من مناهجه التربوية والحضارية القادرة على بناء الشخصيات الإبداعية بناءً محكماً وتوظيفها عملياً.

٣. فتح آفاق دراسات علمية دقيقة في التربية النبوية من خلال صحيح البخاري والتي تحتاج لها الأمة في الأوقات الراهنة، لتسير صوب الهدف المنشود.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذه المحاولة المتواضعة وما توفيقي إلا بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرءان الكريم ، رواية الإمام قالون عن نافع.

٢. الإكمال لابن ماكولا ، ط١ ، سنة ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الفكر ، بيروت ، ط بلا.

٤. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، ط١، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة بيروت.

٥. تحفة المولود لابن القيم، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ – ١٩٧١، مكتبة دار البيان – دمشق

٦. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، ط١: ١٣٩٥ – ١٩٧٥م،دار الفكر.

٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، بلا ط، مطبعة المدني القاهرة.

٨. سير أعلام النبلاء للذهبي، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م دار الفكر العربي وط١٠، ١٤١٤هـ

مؤسسة الرسالة.

٩. شــرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بــن خلف بن عبد الملك بن بطال، ط٢٠٠٣،٢م، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض

١٠. شرح النووي على صحيح مسلم ، ط١، ٢٠٠١م ، مؤسسة المختار القاهرة.

١١. صحيح البخاري ، ط٢، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٢. عمــدة القاري شــرح صحيح البخاري للعيني، طبعة سنة ١٤٢٢هــ – ٢٠٠٢م. دار الفكر بيروت.

١٣. فتح الباري بشرح صحيح البخــاري، ابن حجر العسقلاني، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، دار الريان للتراث القاهرة.

١٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس بن خلكان، دار صادر بيوت ط بلا.

The Islamic Academic Quest Journal Publication Guidelines

In the course of providing an opportunity to scholars and searchers to benefit from academic quests and searches, the journal's management is delighted to publish the submitted researches provided that:

1. The research is specialized in a scholarly issue, or an Islamic calamity – a current case accident.
2. The research should be characterized by its academic elements, originality, and seriousness, with authentication of: sources, Hadiths, and verses of Quran.
3. The research should be new and not previously published; it also should not be an extract of a thesis.
4. Works should not exceed 48 pages nor fall behind 16.
5. Paper size should be of an A4, with font size = 16, and a font style of (Traditional Arabic).
6. The work marked by the previously mentioned characteristics should be sent on a CD-Rom to the journal's address.
7. The writer will enclose an English translated abstract of one to two pages.
8. An introduction of the author should be provided alongside his detailed personal address.
9. Works are evaluated by arbiters before publication. The author will be notified about the result of this evaluation.

Please note that:

- It is not necessary that the journal will adopt and publish every work it receives.
- Typescripts of rejected researches will not be returned to their authors.
- Views expressed in the journal represent those of the writers.





An Islamic Academic Arbitral Journal concerned in the Islamic quests and studies

Correspondences	Bank transfers
Lebanon-Tripoli-POB 208 Tripoli Telefax: 009616471788 E mail: albahs_alalmi@hotmail.com Website: boukharysrc.com	*AlBaraka Bank-Lebanon-Tripoli Account no 13903 *Western Union-Lebanon Tripoli



ISSN:2708-1796
ISSN: 2708-180X

International Imam El Boukhary Academy
The Central Office for Islamic Academic Quest Journal

The Islamic Academic Quest Journal
Specialized Academic Islamic Journal concerned in the Islamic quests and studies
Licensed by decree of the Ministry of Information 2004/364